
بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢٢ - ٤١٣٣

BP135.A2 A2 2022

ابو الفتوح الرازي، الحسين بن علي بن محمد، ٤٨٠-٥٥٢ للهجرة. - مؤلف.

روح الاحباب وروح الالباب في شرح الشهاب / الشيخ الامام جمال الدين ابي الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي النيسابوري ؛ تحقيق مهدي الآشتياني. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة التحقيق، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.

٣ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١١١٧)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ؛ ٣١٦)، (شعبة التحقيق ؛ ٤١).

يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.

١. القضاعي، محمد بن سلامة، توفي ٤٥٤ للهجرة -- شهاب الاخبار. ٢. الحديث (اهل السنة) -- القرن ٥ للهجرة. ٣. الحديث -- شرح. أ. شرح ل (عمل) : القضاعي، محمد بن سلامة، توفي ٤٥٤ للهجرة -- شهاب الاخبار. ب. الآشتياني، مهدي -- محقق. ج. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة التحقيق. -- جهة مصدرة. د. العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات

التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: روح الأحباب وروح الألباب في شرح الشهاب

تأليف: الشيخ الامام جمال الدين ابي الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي النيسابوري

تحقيق: مهدي الآشتياني

الناشر: شعبة التحقيق / قسم الشؤون الفكرية والثقافية العتبة الحسينية المقدسة.

مكان النشر: العراق، كربلاء المقدسة

المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.



روح الأحباب وروح الألباب في شرح الشهاب

المجلد الثاني

تأليف

الشيخ الإمام قدوة المفسرين

جمال الدين أبي الفتوح الحسين بن علي الخزاعي النيسابوري الرازي

تحقيق

مهدي الآشتياني

إشراف ومراجعة وإصدار

شعبة التحقيق

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية – شعبة التحقيق

الهاتف: ٠٠٩٦٤ ٧٤٣٥٠٠٠٢٣٨
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

اَلبابُ الثّاني

[في الأحاديث المصدّرة بمَن الشرطيّة أو الموصولة]

٢٥٠. مَنْ صَمَتَ نَجَا[١].

الصّمت: السّكوت[٢]، وقيل: الصمت أبلغ[٣]، وقيل: الصمت سكوتٌ في سكونٍ[٤]، والعاقل إذا أحبَّ السلامة، عمِل بهذه العِظَة؛ فإنّها أسهل شيء، إلّا أنّ عجب الرجل وجهله لا يدعه أن يعمل به.

وقال ﷺ: السلامة، ويروى «**العافية عشرة أجزاءٍ؛ تسعة منها في الصّمت إلّا من ذِكر الله، والعاشر في ترك مُجالَسة السّفهاء**»[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢١٩، ح٣٣٤. سنن الترمذي٤: ٧٠ ، ح٢٦١٨. سنن الدارمي٢: ٢٩٩، عن عبدالله بن عمرو. الأمالي للطوسي: ٥٣٧، قطعة من ح١١٦٢، عن أبي ذرّ.

(٢) تهذيب اللغة ١٢: ١١٠ (صمت).

(٣) كتاب العين ٧: ١٠٦ (صمت).

(٤) أُنظر: المفردات: ٤١٦ (سكت).

(٥) الطيوريات ٣: ١٠٥٣، ح٩٨٤، عن ابن عبّاس. الفردوس ٣: ٧٩، ح٤٢٢٢، عن أنس، باختلاف. تحف العقول: ٨٩، عن الإمام عليّ .

وقال أبو الأسود الدُّؤَلي:

أطِـل الصّـمتَ إذا لـم تَسْـألِ إنّ فـي الصـمت لأقـوام دَعَـهْ

لا يكـنْ برقـك برقـاً خُلَّبـاً إنّ خير البرق ما الغيث معهْ[1]

ولآخر:

اغتـنم ركعتـين زُلفـى إلـى اللـ ـه إذا كنـتَ فارغـاً مسـتريحا

وإذا ما هممت بالخوض في البا طـلِ فاجعـلْ مكانـه تسـبيحا

واعتياد السّكوت أفضل من نطـ ـقٍ وإن كنتَ بالمقال فصيحا[2]

ولآخر:

قـد أفلـح السّـاكتُ الصـموتُ كـلامُ راعـي الكـلام قُـوتُ

مـا كـلّ نطـقٍ لـه جـوابٌ جـواب مـا تكـره السّـكوتُ[3]

ولآخر:

أقلِـل كلامَـك واسـتعِذْ مـن شـرّه إنّ الـبلاء ببعضـه مقـرونُ

واخزُن لسانَك واحتفظ من غَيّه حتّـى يكـونَ كأنّـه مسـجونُ

وكِّـل فـؤادَك باللّسـان وقُـل لـه إنّ الكـلام عليكمـا مـوزونُ

---

(١) الديباج للختلي: ٤٢.

(٢) الصمت وآداب اللسان: ٢٩٢، ح٦٥٥. الزاهر: ٥٩٦. شعب الإيمان ٤: ٢٧٥، ح٥٠٨٤، باختلاف يسير.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٣٦٤. الموشّى: ٧. معجم الشعراء: ٤٣٢.

فَزِنــاهُ ولْيَــكُ محكمــاً ذا قلّــة   إنّ البلاغـة فـي القليـل تكـونُ[1]

٢٥١. مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ اللهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ[2].

التّواضـع تفاعـل مـن الوضـع، والتفاعـل يكـون بـين الجماعـة كالتقاتـل والتخاصم، وهو نقيض التّكبّر، وقيّده بقوله: «لله»؛ لأنّ الفعل إذا لـم يكـن لله، لا يُستحقّ عليـه شيء مـن المـدح والثـواب، وهـذا معنـى التّقـرّب إلـى الله بالعبادة، والتواضع من الخِصال الحميدة، والتكبّر من الخصال الذميمة، ألا ترى إلى إبليس كيف وضعه الله ولعنه وطرده حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾؟![3]، فتَعزّزَ بخلقة النّار، واستوهنَ خلقة الصلصال.

وروي أنّ بعـض الصـحابة اسـتأذن علـى **رسـول الله**ﷺ، فقـال : «**مَـن الرّجل**»؟ فقال: أنا يا **رسول الله**، فغضـب **رسـول الله** وجعـل يقـول: «**أنـا وأنـا، وهل لمخلوقٍ يقول أنا؟!**». فلمّـا دخل ورأى أثـر الغضـب علـى وجـه رسـول الله قال: أعوذُ بالله من سَخَط الله وسَخَط رسوله، لماذا يا رسول الله؟ فقـال: «**أما علمتَ أنّ هذه اللّفظة لا تليق بالمخلوقين؟! أما علمت أنّ إبليس عليه**

(١) أدب المجالسة: ٩٠. جامع بيان العلم ١: ١٣٧، باختلاف يسير فيهما والأبيات لصالح بن جناح. روضة العقلاء: ٤١.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٢١٩، قطعة من ح٣٣٥، عن عمر بن الخطاب. مسند ابن حنبل ٣: ٧٦، عن أبي سعيد الخدري. الكافي ٢: ١٢٢ / كتاب الإيمان والكفر، باب التواضع، قطعة من ح٣، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن الإمام الصادق باختلاف يسير.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٢.

اللعنة لمّا قال: أنا خيرٌ منه، لُعِنَ وطُرِدِ؟!» فقال: يا رسول الله، أستغفر الله ممّا قلتُ ولا أعود بمثله أبداً[١].

وعن ابن عبّاس أنّ **رسول الله** ﷺ قال: «**ما من آدميٍّ إلّا وفي رأسه سلسلتان: سلسلةٌ إلى السماء السابعة، وسلسلةٌ إلى الأرض السابعة، فإذا تواضع، رفعه الله إلى السماء السابعة، وإذا تكبّر، وضعه الله إلى الأرض السابعة**»[٢].

وعن مجاهد أنّ الله سبحانه لمّا غرّق قوم نوحٍ، أوحىٰ إلى الجبال: أنّي مُنزِلٌ هذه السفينة على جبلٍ، فتطاولت الجبالُ طمعاً فيها إلّا الجوديُّ، فإنّه تواضع وقال: لا أراني لها أهلاً، فأنزلها الله على الجوديّ لتواضعه[٣].

وهذا على سبيل التمثيل والمجاز، كما ذكرنا في قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خاشِعاً﴾[٤]، وغيرها من الآيات والأخبار.

٢٥٢. مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللهِ يُكَذِّبُهُ[٥].

ويُروى: يُكْذِبْه[٦]، والتَّأَلّي تَفعُّلٌ من الأَلِيّة[٧] وهي الحِلف[٨]، يُقال:

---

(١) لم نعثر عليه إلّا في روض الجنان ١١: ٣٤٦.

(٢) فوائد العراقيين: ١٠٨، ح١٠٢. شعب الإيمان ٦: ٢٧٦، ح٨١٤٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٧: ١٢٦. تفسير القرآن لعبد الرزّاق ٣: ٢٥٨، باختلاف.

(٤) سورة الحشر ٥٩: ٢١.

(٥) هذه وما بعده قطعتان من حديث ٣٣٦، من مسند الشِّهاب التي يأتي مصادره.

(٦) أي: يعتبره كاذباً.

(٧) في نسخة (د): (الالة).

(٨) أُنظر: النهاية ٢: ٦٢. كتاب العين ٨: ٣٥٧ (ألو). مجمع البيان٧: ٢٣٣.

آلىٰ فلان يُؤلي إيلاءً وتألّىٰ، إذا تكلّف الحَلْف وحَلَف على طريق اللّجاج، وقوله: «**على الله**»؛ أي جرأةً على الله، وقيل: مقترِحاً على الله، وقيل: إنّ الخبر ورد على سببٍ، وهو أنّهم كانوا يقولون: والله! لَفلانٌ من أهل الجنّة وفلان من أهل النّار، فقال ﷺ: «**مَن يَتَألَّ على الله يُكذّبْه**»[1].

وروي أنّ عثمان بن مظعون ـ وكان من خِيار الصحابة ـ توفّي، فاتّفقت الصحابة على أنّه من أهل الجنّة، وحلف بعضهم على ذلك، فقال ﷺ: «**مَن يَتَألَّ على الله يُكذّبْه**»[2].

وقيل: إنّ السبب في ذلك أنّ أبا جهل قال لعبدالله بن مسعود: والله لأقتلنّك!، فقال عبدالله بن مسعود: إنّي رأيت في منامي أنّي كنت أضرب بحَدَج الحَنظل على قفاك، فإنْ صدقتِ الرؤيا، لأذبحنّك ذَبح الشاة، فقال ﷺ لأبي جهل: «**من يَتَألَّ على الله يُكذّبْه**»[3].

وروي: أنّ عبدالله بن مسعود كان يدور يوم بدرٍ على القتلىٰ، ومَن كان به رَمَق، يُجهِزْ عليه. قال: فوجدتُ أبا جهل وقد دسَّ نفسه في القتلىٰ. قال: فوضعتُ قدَمي على ظَهْره فعَلَوتُه، فنظر إليّ وقال: يا رُويعيَّ الغَنَم[4]، لقد ارتقيت مُرتقًى صعباً. ثمّ قال لي: لقد علمتُ أنّك قاتلي، ولكن لي إليك

---

(١) تفسير مجمع البيان ٧: ٢٣٣.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) الفائق في غريب الحديث ١: ٤٧. غريب الحديث لابن قتيبة ٢: ٣٤.

(٤) (رُوَيعيّ) مصغر راعٍ بالإضافة إلى ياء المتكلم أي: كنت راعيَ لغنمي، ولم تكن راعياً، بل كنت رُوَيعياً. وفي مصدر آخر: ألستَ رُوَيعينا بمكة؟، مسند أبي يعلى ٩: ١٧٢، ح٥٢٦٣.

ثلاث حاجات: أن تقتلني بسيفي؛ فإنّ سيفك كليلٌ، وأن تقطع رأسي من الصّدر[١]، وأن تقول لمحمّدﷺ ما لُمتُ نفسي على عَداوتك.

قال: فقلتُ: والله لا أقتلك إلّا بسيفي هذا الكليلِ، وأمّا قطع رأسك، فوالله لا أقطعه إلّا من الذقن، وأمّا عداوة رسول الله، فالله أعدى لك. ثمّ حَزَّ رأسه، وأراد أن يحمله فلم يمكنه ولم يقوَ عليه، فشدَّ فيه حبلاً وجعل يجرّه على الأرض، فقال له **رسول الله**ﷺ: «**هذا تأويل رؤياك، مَن يتألّ على الله يُكذّبه**»[٢].

ومن روى يُكذِبْه؛ أي يَحكُم بكذبه، من قولهم: أفلسَ القاضي فلاناً إذا حكم بإفلاسه.

٢٥٣. مَنْ يَغْفِرْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ، وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عَنْهُ.

قد بيّنّا أنّ معنى الغفران والمغفرة السَّتْر، ومنه المِغفَر والغَفيرة[٣]. والعفو من عفا الشيء إذا اندرس وذهب أثره، وعفوتُ عن فلان إذا تجاوزت عن ذنبه، وأذهبتَ أثره عن قلبك[٤]، قال الله تعالى: «﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾»[٥].

قيل: إنّ الآية نزلت في مِسطَح ابن خال أبي بكر، وكان أبو بكر يجري

(١) وهذا لأجل أن يكون رأسه المحزوز طويلاً وكبيراً وله عزة حتّى في موته، لكن ابن مسعود قطع رأسه من الذقن، ليكون قصير الطول.

(٢) المبسوط للسرخسي ١٠: ٤٨. تفسير الرازي ٢٣: ٢٤، باختلاف.

(٣) المِغفَر: زَرَد يُنسج من الدروع على قدر الرأس يُلبَس تحت القَلَنسُوَة، الصحاح ٢: ٧٧١. والغفيرة: بمعنى الغفير؛ أي: الجميع. القاموس المحيط ٢: ١٠٣ (غفر).

(٤) أُنظر: كتاب العين ٢: ٢٥٨. النهاية ٤: ٢٦٦ (عفو).

(٥) سورة النور ٢٤: ٢٢.

عليه جِراية، فلمّا جرى حديث الإفك، خاض مِسطَح[١]، فشقّ ذلك على أبي بكر، فقطع الجراية عنه، فشكاه إلى رسول الله، فقال **رسول الله** ﷺ لأبي بكر: «**لو رددت إليه ما كنتَ تجري عليه! فإنّ الله سبحانه قد أنزل فيه قرآناً**»[٢]. ثمّ تلا عليه هذه الآية، فردَّ أبو بكر الأجر عليه.

٢٥٤. مَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضْهُ اللهُ، وَمَنْ يَكْظِمْ غَيْظَهُ يَأْجُرْهُ اللهُ[٣].

الرّزيّة: المصيبة، وأصلها النقصان، يقول أحدنا لغيره: لا أرزأُك على هذا الأمر شيئاً؛ أي: لا أنقصك بإخراج مالٍ عليه[٤]، والمراد في الخبر الصبر على المصيبة.

اعلم أنّ الله تعالى جعل العِوَض في مقابلة الألم، وكلّ ألمٍ يكون من قِبل الله لابدّ فيه من شيئين: أحدهما اللّطف والاعتبار؛ ليخرج بذلك من أن يكون عَبثاً، وهو الغرض المقصود بالألم. والثاني: العوض؛ ليخرج بالعوض من كونه ظلماً[٥]، والألم إذا كان من فعل الله تعالى بالعبد، فعوضُه لابدّ من

(١) وهو مِسطَح بن أُثاثة. كان هو وأمّه من المهاجرين الأوّلين، ومات أبوه وهو صغير، أبو بكر لقرابة أمّ مسطح منه. فتح الباري لابن حجر ٨: ٣٥٤.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٥: ٢٩٩. المعجم الكبير ٢٣: ١١٤.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٠٠، ح٣٣٦، عن زيد بن خالد. الأمثال لأبي الشيخ١: ١٦٢، قطعة من ح٢٥٢، عن أبي الدرداء. الزهد لأبي داود: ١٦٠، قطعة من ح١٦٠، عن عبدالله .

(٤) أُنظر: كتاب العين ٧: ٣٨٢. النهاية ٣: ٢١٨ (رزأ).

(٥) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ٣: ٢٦٦.

أن يكون مُوفياً على الألم زائداً عليه، وإذا كان من أحدنا بالآخر، يجب أن يكون العوض موازياً له، يأخذه الله من المؤلِم ويدفعه إلى المؤلَم.

وحَدّ العوض: كلّ نفعٍ مستحقٍّ عارٍ عن التعظيم والتبجيل، والمُصاب إذا صبر على المصيبة يستحقّ شيئين: العِوض بالألم، والثواب على الصبر. والكلام في ذلك مشروحٌ في كتب الأُصول.

وفي الخبر: أنّ أصحاب المصائب والأمراض إذا رأوا يوم القيامة ما أعدَّ الله لهم من الأعواض، تمنَّوا أنّ لحومَهم كانت تُقرض بالمقاريض في الدُّنيا؛ ليزيد الله تعالى بذلك في أعواضهم[١].

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ * الَّذينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّٰهِ وانّا إِلَيْهِ راجِعونَ * أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدونَ﴾[٢].

قال ابن عبّاس: نِعمَ العِدلان، ونِعْمَت العِلاوة[٣]؛ عنى بالعِدلين الصلوات والمغفرة، وبالعِلاوة الهداية.

وقال عليّ عليه السلام: **«"إنّا لله" إقرارٌ لله بالمُلك، "وإنّا إليه راجعون" إقرارٌ على أنفسنا بالهَلك»**[٤].

---

(١) أُنظر: المصنَّف لابن أبي شيبة ٣: ١٢١، ح٣٠. المعجم الكبير ٩: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٨٤. المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٧٠. مجمع البيان ١: ٤٤٢، وروي فيها وفي غيرهما عن عمر، ولم نعثر على رواية ابن عبّاس.

(٤) نهج البلاغة/ الحكمة ٩٩. كنز الفوائد: ١٧. حلية الأولياء ١٠: ٣٩/ الرقم ٤٦٦، عن الإمام عليّ .

والكظم: ابتلاع الغضب[١]، والصبر على ذلك من أخلاق الرِّجال.

وروي أنّ زين العابدين عليّ بن الحسين كان يغسل يده، والغلام يصبّ الماء عليه، فتغافل الغلام، فأصاب طرف الإبريق جَبهة **عليّ بن الحسين** وشجّه، وجعل الدّم يسيل في الطّست، فنظر إلى الغلام، فارتاع الغلام وقال: ﴿والْكاظِمينَ الْغَيْظَ﴾[٢]، قال **عليّ بن الحسين**عليهما السلام: «**كَظَمتُ غَيظِي**»، قال: ﴿والْعافينَ عَنِ النّاسِ﴾[٣]، قال: «**عفوتُ عَنكَ**»، قال: ﴿واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]، قال: «**أَعتَقتُكَ**»[٥].

٢٥٥. مَن قَدَّرَ رَزَقَهُ اللهُ، وَمَنْ بَذَّرَ حَرَمَهُ اللهُ[٦].

القَدْر والقَتر والتقدير والتقتير: التضييق[٧]، قال الله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ

---

(١) أُنظر: الصحاح ٥: ٢٠٢٢ (كظم).

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٣٤.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٣٤.

(٥) الأمالي للصدوق: ٢٦٨، ح٢٩٤. شرح الأخبار ٣: ٢٥٨، ح١١٦١. شعب الإيمان ٦: ٣١٧، ح٨٣١٧، باختلاف يسير.

(٦) مسند الشِّهاب ١: ٢٢١، ح٣٣٧، عن عامر بن عبد الله، عن الإمام عليّ. الكافي ٤: ٥٤ / فضل القصد، ح١٢ عن ابن سنان، عن الإمام الصادق. دعائم الإسلام ٢: ١١٦، ح٣٨٥، وفيهما (من اقتصد في معيشته) بدل (مَن قَدَّرَ).

(٧) أُنظر: المفردات: ٦٥٩ (قدرة).

لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾[١]، وقال: ﴿وأمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[٢]؛ أي ضيّق[٣]؛ والمراد في الخبر ترك الإسراف، و**التبذير**: الإسراف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطينِ﴾[٤].

والحِرمان ضدّ الرزق، وهو يتعدّى إلى مفعولين، وكذلك الرزق، تقول: رزقه الله علماً، وحَرَمه الله الخير.

ومعنى الخبر: الحَثّ على القَصد وترك الإسراف.

٢٥٦. مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ[٥].

يُقال: ناقشتُه الحِساب، والمناقَشة: الاستقصاء في الحساب والاستنظاف[٦]، مِن نقْش الشَّوكة من الرِّجل، وهو إخراجها منها[٧]، وفي المَثَل: لا تَنقُشِ

(١) سورة الرعد ١٣: ٢٦.

(٢) سورة الفجر ٨٩: ١٦.

(٣) الأمالي للصدوق: ٩١/ المجلس العشرون، ح٣.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٢٧.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٢٢١، ح٣٣٨. صحيح البخاري٧: ١٩٧. صحيح مسلم٨: ١٦٤، وفيه (من نوقش الحساب يوم القيامة عذب). سنن أبي داود٢: ٥٦ / باب عيادة النساء، قطعة من ح٣٠٩٣، عن عائشة.

(٦) هكذا في النسخ ولم يتبيّن وجهها.

(٧) النهاية ٦: ١٠٦ (نقش).

الشّوكةَ بالشوكة فإنّ ضَلْعها معها[١]؛ أي ميلها[٢] معها[٣].

وفي معنى الخبر وجهان:

أحدهما: أنّ نفس المناقشة تكون عذاباً له؛ لأنّ وقوفه في موقف الحساب، والعرق قد ألجَم النّاس[٤]، عذابٌ لا مَحالةَ.

والثاني: أنّها علامة العذاب، وأنّ الله تعالى لا يعامله إلّا بالعدل، ولا يتفضّل عليه بإسقاط شيءٍ من عقابه، وفي المَثَل: المناقشة تُورِث المُهاوشة[٥].

---

(١) الصحاح ٣: ١٢٥١. معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٦٩ (ضلع).

(٢) في نسخة (د): (مثلها).

(٣) وهو مثل لمن يستعان به على خصم وكان ميله وهواه مع الخصم. وقد استخدم **الإمام عليّ** هذا المثل في توبيخ بعض أصحابه حيث قال عليه السلام: «**أريد أن أُداويَ بكم وأنتم دائي! كناقِش الشَّوكة بالشَّوكة وهو يعلم أن ضَلْعها معها**»، نهج البلاغة/ الخطبة ١٢١.

(٤) هذا مأخوذ من مضمون الأحاديث. مثلاً روي عن **النبيّ** صلى الله عليه وآله: «**تُدنَى الشمسُ يومَ القيامة مِن الخلق حتّى تكونَ منهم كمقدار ميلٍ، قال سُليم بن عامرٍ الرّاوي عن المِقداد: فوالله ما أردي ما يعني بالميل؟ أمسافةَ الأرض أم الميل الذي تُكتحَل به العينُ؟، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبَيه، ومنهم من يكون إلى رُكبتَيه، ومنهم من يكون إلى حِقوَيه، ومنهم من يُلجِمه العرقُ إلجاماً**». صحيح مسلم ٨: ١٥٨/ باب الصفات التي يعُرف بها في الدنيا أهلُ الجنّة والنّار.

(٥) لم نعثر عليه. و(المُهاوَشة): المخالطة على وجه الإفساد من الهوش، الفائق في غريب الحديث ٣: ٣٣٦ (نوش).

٢٥٧. مَنْ بَدَا جَفا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنِ اقْتَرَبَ مِنْ أَبْوَابِ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ[١].

يعني من خرج إلى البدو صار جافياً؛ لأنّ أهل البادية غِلاظٌ جُفاة، لم يكن لهم علمٌ بالعُرف والشرع فيتخلقّوا بأخلاق أهل الحضَر الّذين لهم علم بالعُرف وأنس بالشرع، قال الله تعالى: ﴿الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً﴾[٢] الآية.

وقيل: معناه من نشأ بالبادية وسكنها وكان بدوياً، كان جافياً بعيداً من الإنسانيّة، على ما ذكرناه. والّذي يتّبع الصّيد لهواً وبطراً وكان ذلك دأبهُ وعادته، يَغفُل عن كثير من أمور الدين والدنيا لَهَجاً بذلك وحِرصاً عليه واشتغالاً به.

والصائد لهواً وبطراً يجب عليه الصّوم، ولا يجوز له الإفطار وإن كان ذَهابه في ذلك أكثر من المسافة التي يجب على المسافر الإفطار فيها، ويجب عليه التمام في الصّلاة، والصّائد للتجارة يُفطِر ويُتِمّ الصلاة[٣]، والصائد لقوته وقوت عياله يُفطر ويُقصِّر الصلاة[٤].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٢٢، ح٣٣٩. سنن أبي داود١: ٦٥٣/ باب في اتباع الصيد، ح٢٨٦٠، عن أبي هريرة وح٢٨٥٩. سنن الترمذي٣: ٣٥٧، ح٢٣٥٧، عن ابن عبّاس، باختلاف يسير. الأمالي للطوسي: ٢٦٤، ح٤٨٣، عن أبي هريرة.

(٢) سورة التوبة ٩: ٩٧.

(٣) قال المحقّق السبزواري: اختلف الأصحاب فيه، فذهب المرتضى وجماعة من الأصحاب ـ منهم الفاضلان ـ إلى أنّه يقصر، وذهب جماعة من الأصحاب، منهم الشيخ في النهاية والمبسوط، إلى أنّه يُتمّ صلاته دون صومه. ونقل ابن إدريس الإجماع على أنّه يتمّ الصلاة، ذخيرة المعاد١: ٤٠٩. راجع: النهاية في مجرد الفقه: ١٢٢.

(٤) راجع: الكافي ٣: ٤٣٦/ كتاب الصلاة، باب صلاة الملاحين والمكاريين وأصحاب الصيد.

قوله ﷺ: «**وَمَنِ اقْتَرَبَ مِنْ أَبْوَابِ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ**»؛ وذلك لأنّها منبع الفتنة، فإنّ الرجل إذا نظر إلى ما هُم [أو: هو] عليه، تمنّى ذلك، ووسوس إليه الشيطان، وربّما كان ذلك سبب ضلاله عن الدين وهلاكه في الدنيا.

وقيل: أراد به أصحاب السلطان وحشمه، ومَن يخدمه ويتعلّق ببعض أسبابه، لابدّ أن يكون مُفتَتَناً به، وكثيراً ما رأينا، دَع ما سمعنا من رجلٍ منهم أصبح أميراً وأمسى أسيراً، أصبح مالكاً وأمسى هالكاً، وكفاك وعظاً واعتباراً ما سمعت من أخبار البرامكة وما كانوا فيه من نفاذ الأمر وطيب العيش، وحصول المراد وخِصب المرتاد. فلمّا انقلب الدّهر معهم وقلب لهم ظهر المِجَنّ، صار ذلك النعيم بؤساً، وصاروا أذناباً بعد ما كانوا رؤساءً، وصاروا عِبرَةً لمَن اعتبر، وعِظَةً لمَن تذكّر.

قال النّوفلي: حجَّ الرّشيد سنة ستّ وثمانين ومائة، ثمّ صَدَرَ[١]، فوافى الحيرة، ثمّ صار إلى الأنبار في السفن، فركب معه جعفر بن يحيى إلى الصيد، ثمّ رجع، فقال لجعفر: امض وتفرّج يومك، فإنّي مع الحرم اليوم. فمضى جعفر وأخذ بيد بختيشوع المتطبّب وجلس يشرب، وتُحَفُ الرّشيد تأتيه ساعةً بعد ساعة، إلى أن أمسى، وأبو زكار الأعمى يُغنّيه بهذه الأبيات:

فلا تبعَد[٢] فكلّ فتى سيأتي عليه الموت يَطرُق أو يُغادي[٣]

---

(١) أي: رجع. وفي الطبري: انصرف.

(٢) بعُد يبعُد وبعِد يبعَدُ، كلاهما جاء بمعنى هلك أيضاً. و(فلا تبعَدْ) أو (فلا تبعُدْ) هنا دعاء.

(٣) يطرق: يأتي ليلاً. يغادي: يأتي في الغداة.

وكــــلّ ذخيــــرةٍ لابــــدّ يومــــاً وإن بقيــتْ تصــير إلــى نَفــادِ
فلـو فُوديـت مِـن حَـدَث المَنايـا فـديّتُك بـالطّريف وبـالتِّلادِ[١]

فدعا الرّشيد مسروراً الخادمَ وقال له: اذهب وجئني برأس جعفرٍ ولا تراجعني، فوافاه مسرور وهجمَ عليه بلا إذن، فقال جعفر: يا أبا هاشم، لقد سررتني بمجيئك وسُؤتني بدخولك بغير إذنٍ. فقال مسرور: جئت لأمرٍ عظيم، أجِب أمير المؤمنين، فوقع على رجله يقبّلها وقال: دعني حتّى أدخل[٢] وأتوضّأ[٣]، قال: أمّا الدخول فلا سبيل إليه، ولكن أوصِ بما شئتَ، فأعتقَ غلمانه وأوصى في ماله إلى من حضر. ثمّ حمله على دابّةٍ من دوابّ الجند، فأدخله إلى قبّة من قِباب الحرس، فناشده جعفر أن يراجع[٤]، فراجعه، فلمّا سمع الرشيد حسّه قال: ما وراءك؟ فعرّفه ما قال له جعفر، قال: والله لئن راجعتني، لأُقدّمنّك قبله. فرجعَ وقتله وجاء برأسه حتّى وضعه بين يديه على تُرسٍ، وجاء ببدنه في نَطع.

فوجّه الرّشيد في الوقت إلى يحيى بن خالد والفضل فحبسهما، ثمّ أمر بجثّة جعفر فصُلب عند جسر الأنبار[٥].

---

(١) الأبيات لكثيّر عَزّة. راجع ديوانه: القصيدة ٢٢: ٢٢٢.

(٢) أي: الدخول إلى أهله وتوديعهم.

(٣) هكذا في النسخ ولكنه يبدو خاطئاً. لما أن في كامل ابن الأثير وتاريخ الطبري عبارة (أوصي) والجملة التالية له أيضاً يؤيد أن الكلمة كانت (أوصي) ولا (أتوضأ). فالصحيح: أدخل وأوصي.

(٤) أي: يتفاوض بشأنه مع الخليفة ويطلب إعادة النظر في قتله.

(٥) أُنظر: الكامل فى التاريخ ٦: ١٧٧. تاريخ الطبري ٦: ٤٩١.

فقال أبو العتاهية في ذلك:

مَــن يـــأمنِ الـــدّهر أو غوائلَــه وجعفـــرٌ تــــالفٌ ويحيــــاهُ

كذاكَ من يُسخِط المليكَ ويُرضي الـ ـــعبدَ بالسُّـــخط يَجـــزِه اللهُ

شَــتّتَ بعــد الجمــع شــملهمُ فأصــبحوا فــي الــبلاد قــد تــاهوا

أســلمه الله إذ عصــاه إلــى فــظْ ــظٍ غلــيظٍ فمــا ترضــاهُ[1]

وقيـل: إيّـاك ومقارَبـةَ أبـواب الملـوك! فإنّـك إن قـاربتهم مَلّـوك، وإن جـانبتهم أذلّـوك، يسـتعظمون فـي الثـواب ردّ الجـواب، ويستصـغرون فـي العقاب ضرب الرِّقاب[2].

فهم كما قال بعض العلماء:

إنّ الملـوك بـلاءٌ حيثمـا مـا حلّـوا فـلا يكُـن لـك فـي أكنـافهم ظِـلُّ

مــاذا تؤمّــل مــن قــومٍ إذا غضــبوا جـاروا عليـك وإن أرضـيتهم مَلّـوا

وإن مـدحتهمُ خـالُوك تخـدعهم واستثقلوك كما يُستثقل الكَلُّ[3]

فاسـتغنِ بـالله عـن أبـوابهم أبـداً إنّ المُقــام علــى أبــوابهم ذلُّ[4]

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٤٩٦، باختلاف. ولم نعثر عليه في ديوانه.

(٢) يتيمة الدّهر ٤: ٣٠٢. ربيع الأبرار ٥: ١٩٨، باختلاف يسير.

(٣) إشارة إلى سيف كليل لا يستحسنه أحد.

(٤) العزلة للخطابي: ٩٥. جمهرة الأمثال ١: ٣٠١. تفسير الثعلبي ٧: ٢٠٦، وفيها (الوقوف) بدل (المقام).

٢٥٨. مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ، فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شَهيدٌ(١).

الأخبار الثلاثة بمعنىً واحد من جهة الحكم، غير أنّ الأسباب مختلفة كما ترى.

والمعنى أنّ من أُريد أخذُ ماله غصباً أو نهباً، فدافعَ عنه، فأدّى إلى قتله، كان شهيداً؛ يعني أنّ ثوابه ثواب الشهداء، ولا يكون شهيداً على الحقيقة؛ لأنّ الشهيد عندنا مَن يُقتل بين يدي نبيّ أو إمام في سبيل الله، بمعنى أنّه لا يجب غسله، بل يُدفن بدمه كما هو، وكلّ ثوب أصابه دمه يُدفَن معه، إلّا الخُفّ فإنّه يُنزع، وإن حُمل من المعركة وبه رمق، ثمّ مات بعد ذلك، فإنّه يُنزع ثيابه ويغسل ويكفن ويحنّط ويدفن(٢).

فجعل المقتول دون هذه الأشياء ـ بمعنى أمام هذه الأشياء مدافعاً عنها ـ شهيداً.

أمّا الدين فإنّه أعزّ شيء وأحرى بأنْ يُحمىٰ له ويدافع عنه، وفي الحديث: «**من فرَّ بدينه من بلدٍ إلى بلد يأمَنْ به، كان كمن هاجر معي، ثوابه ثواب المهاجرين**»(٣).

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٢٢، ح٣٤٠، عن أبي هريرة و٢٢٣، ح٣٤١ وح٣٤٢. سنن أبي داود٢: ٤٣٠ / باب في قتال اللصوص، قطعة من ح٤٧٨٢. السنن الكبرى للنسائي٢: ٣١٠، قطعة من ح٣٥٥٧، عن سعيد بن زيد. الكافي٧: ٢٩٦ / كتاب الديات، باب قتل اللص، قطعة من ح٢، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر وفيه (من قتل دون ماله فهو بمنزلة شهيد).

(٢) المبسوط للطوسي ١: ١٨١.

(٣) أُنظر: تفسير الثعلبي٣: ٣٧٢، عن الحسن. الفردوس ٣: ٥٣٠، ح ٥٦٥٦، عن أبي الدرداء. تفسير جوامع الجامع ١: ٤٣٣ ، باختلاف.

وأمّا الأهل، فإنّ من يُغار على أهله، فيحميهم من أن يُغار عليهم، فقد راعى جانباً للدِّين عزيزاً؛ لقوله : «**الغَيرة من الإيمان**»[١].

ثمّ[٢] المال، فإنّه وإن كان أهون من الدين والأهل، فقِوام العيش به، فمن حاماه ودافعَ عنه، إن قُتِل دونه، فهو شهيد على ما بيّنّاه.

و«**دون**» يجيء على وجوه، منها بمعنى أمام، وهو المعنيّ في الحديث، وبمعنى غير، نحو قولهم: خُذ هذا دون ذاك، وبمعنى أقلّ، نحو قولهم: هذا دون ذلك في القَدر أو القيمة؛ أي أقلّ، وبمعنى الخِسّة، نحو قولهم: فلان دونٌ؛ أي خسيس بمعنى دنيّ، ويكون اسماً للفعل، نحو قولك: دونكَ زيداً؛ أي خُذه[٣].

٢٥٩. وَمَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً، يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ[٤].

أي: يوفّقْه ليعلم الفقه. يُقال: فَقِه الرّجلُ يَفقَه فهو فقيهٌ، وفقّهته أنا[٥]، وهذا التوفيق من الله في حقّ العبد خير، وأيّ خيرٍ؟ خيرٌ لا خيرَ

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٤٤ / كتاب النكاح، باب الغَيرة، ح ٤٥٤١. دعائم الإسلام ٢: ٢١٧، ح ٨٠٤. سنن البيهقي ١٠: ٢٢٦، عن زيد بن أسلم.

(٢) في نسخة (د): (وامّا) بدل (ثمّ).

(٣) أُنظر: تهذيب اللغة ١٤: ١٢٧ (دون).

(٤) مسند الشِّهاب ١: ٢٢٥، ح٣٤٦. صحيح البخاري ١: ٢٥. صحيح مسلم ٣: ٩٥، عن معاوية. سنن الترمذي ٤: ١٣٧ / باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين، ح٢٧٨٣، عن ابن عبّاس.

(٥) كتاب العين ٣: ٣٧٠ (فقه).

وراءه، وشرفٌ لا يوازيه شرفٌ، فهم أمراء الإسلام، والحكّام على السلاطين، فإنّ الناس كلّهم في طاعة السلطان، والسلطان المسلم في طاعة العالم، فالفقه يحتاج إليه كلّ أحدٍ من المسلمين في عبادته ومعاملته ومبايعته.

وروي أنّ **أمير المؤمنين**عليه السلام كان يدخل السّوق بالكوفة والدِّرّة[(١)] على عاتقه، ويقول: «**أيّها الناس**»، فإذا سمعوا صوته، ألقى كلّ إنسانٍ ما في يده، وأصغَى إلى كلامه، فيقول: «**أيّها النّاس، الفقه ثمّ المَتجَر! الفقه ثمّ المَتجَر! فمن اتّجر بغير فقهٍ، فقد ارتطم في الرِّبا، ثمّ ارتطم**»[(٢)].

والعالمون مستغنون بعلمهم[(٣)] عن النّاس، والناس مَحاويجُ إليهم، وحسْبهم به فخراً وشرفاً أنّ النبيّ قرَنَهُم بالأنبياء في قولهﷺ: «**الأنبياء قادة، والفقهاء سادة، ومُجالَستهم زيادة**»[(٤)]. وقال: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[(٥)].

---

(١) الدِّرّة هي عصا السلطان يضرب بها.

(٢) الكافي ٥: ١٥٠/ كتاب المعيشة، باب آداب التجارة، ح١، عن الأصبغ بن نباتة و ١٥٤، ح٢٣، عن طلحة بن زيد، عن **الإمام الصادق** .

(٣) في نسخة (د): (والعالم مستغنٍ بعلمه).

(٤) الأمالي للطوسي: ٤٧٣/ المجلس السابع عشر، ح ١٠٣٢. سنن الدارقطني ٣: ٦٦، ح٣٠٦٧. شعب الإيمان ٧: ٣٥٩، ح١٠٥٨٠ ، عن الحارث، عن الإمام عليّ.

(٥) الأمالي للصدوق: ١١٦، قطعة من ح٩٩، عن عبدالله بن ميمون، عن الإمام الصادق، عن آبائه . الكافي ١: ٣٢/ كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، قطعة من ح٢، عن أبي البختري، عن الإمام الصادق. سنن أبي داود ٢: ١٧٥/ باب الحث على طلب العلم، قطعة من ح٣٦٤١، عن أبي الدرداء.

فالعلم للعالم مالُه وجماله، وبه كماله وإلى درجة الأنبياء مآله.

قال بعض المترَفين المستهزِئين لعالمٍ فقيه على سبيل الطّعن والإزراء به: ما مالُكَ؟ فأطرق ساعة، ثمّ رفع رأسه وقال:

يقولون ما مالي؟ وما لي وما لهم؟! وما مالُ من ما مالَ يوماً إلى مالِ؟!

أما لـيَ علـمٌ مـالئٌ ومـمـالئٌ؟! أمـاليّ أمـوالي لـديّ وآمـالي[1]

٢٦٠. مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً، يُصِبْ مِنْهُ[2].

الإرادة معنىً يوجب كون الغير مريداً.

ومعنى الحديث: أنّ من أراد الله به خيراً، أصابه بمصيبةٍ في بدنه أو ولده أو ماله، فإنّ تلك الإصابة خيرٌ له من حيث أنّها تكون لطفاً له عاجلاً يُقرّبه من الطّاعة ويُبعّده من المعصية، وعِوضاً آجلاً يوفى على مصيبته، على ما بيّنّا في حديث العوض. وأنّ من نظر إليه من جهلٍ به، ظنّ أنّ ذلك شرٌّ له، وهي خيرٌ له لما بيّنّا من الوجهين.

وفُسّر الخبر على وجهٍ آخر، وهو أنّ معناه: من أراد الله به خيراً، لابدّ أن يناله ذلك الخيرُ، وأن ينال هو ذلك الخيرَ، والأوّل هو الوجه[3].

---

(١) روض الجنان ٣: ٣٥٦.

(٢) مسند الشّهاب١: ٢٢٤ ، ح٣٤٤. صحيح البخاري٧: ٣. الموطأ٢: ٩٤١، ح٧. السنن الكبرى للنسائي٤: ٣٥١ ، ح٧٤٧٨، عن أبي هريرة.

(٣) أُنظر: النهاية ٣: ٥٧ (صوب).

٢٦١. مَنِ اشْتاقَ إِلَى الجَنَّةِ، سارَعَ إِلَى الْخَيْراتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النّارِ، لَهىٰ عَنِ الشَّهَواتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ الْمَوْتَ، لَهىٰ عَنِ اللَّذّاتِ، وَمَنْ زَهِدَ في الدُّنْيا، هانَتْ عَلَيْهِ الْمُصيباتُ[١].

الاشـتياق والنِّـزاع[٢] والتَّوَقـان واحـد[٣]، وهـذا مركـوز فـي الطبـائع أنّ من اشتاق إلى شيء، سلك مَسلكاً يوصله إليه، والوصول إلى الجنّة لا يمكن إلّا بالمسارعة إلى الخيرات، و إنّما ذكر المسارعة لئلّا يفوت، فإنّ الفُرَص تمرّ مرّ السّحاب[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَسارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٥]، وهذه فرصة يجب انتهازها قبل فُواتها، ويجب على كلّ نفسٍ مراقَبتُها قبل وفاتها.

والإشفاق: الخوف من وقوع الأمر[٦]. ولَهىٰ عن الشيء إذا اشتغل عنه[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٢٦، ح٣٤٨. الفوائد لتمام الرازي١: ٢٨، ح٤٢. حلية الأولياء٥: ١٠، عن الحارث، عن **الإمام عليّ** .

(٢) هذا مصدر ثلاثي مجرد من فعل نزَع ينزَع نِزاعاً ونُزوعاً، وأما إذا كان مصدراً ثانياً من باب المفاعلة، فمعناه الصِّراع.

(٣) كتاب العين ٥: ١٨٤ (شوق) و ١٩٩. النهاية ١: ٢٠٠ (توق).

(٤) نهج البلاغة، قطعة من حكمة ٢١. الأغاني ١٣: ٨١. الأمالي للقالي ٢: ٩٥، عن **الإمام عليّ** ، باختلاف يسير.

(٥) سورة آل عمران ٣: ١٣٣.

(٦) أُنظر: كتاب العين ٥: ٤٤. تهذيب اللغة ٨: ٢٦١ (شفق).

(٧) أُنظر: النهاية٤: ٢٨٢ (لهو).

والشهوة معنىً يوجب كون الغير مُشتَهياً، وأراد بالشهوات المشتَهيات التي لا يحلّ تناولها؛ لأنّ الشهوة من فعل الله تعالى، وهي من أُصول النِّعَم، لا يتمكّن الإنسان من تركها والاحتراز منها.

والنار ـ مع دخول اللّام فيه ـ بمنزلة العلَم لجهنّم، كالنجم للثريّا والعيّوق للدَّبَران.

والتّرقّب: الانتظار، وكذلك الرِّقبة، وهي اسمٌ للمراقبة[1]؛ يعني من كان منتظراً للموت مستعدّاً له، اشتغل عن اللّذات. واللّذّة: كلّ ما يُلتذّ به، والمراد الملذوذ به، كما قلنا في الشهوة والمُشتَهىٰ؛ يعني تَرَكها ولم يَدُر حولها، وإن أنت لم تترقّب الموت، فالموت يترقّبك أيّةً سَلَكت، وقال أبو العتاهية:

يا غافلاً[2] ينذر بالصوت ... لم يأخذ الأُهْبةَ للفوت

من لم تَزُل نِعمتُه قبله ... زال عن النّعمة بالموت[3]

وقال أيضاً:

تَعَطّشْ وجُعْ إن كنت تطلب زُلفَةً ... وعلماً بعطشان الزّمان وجائعِهْ

---

(١) أُنظر: الصحاح ١: ١٣٨. كتاب العين ٥: ١٥٤(رقب).

(٢) في نسخة (د): (كم غافلٍ).

(٣) ديوان أبي العتاهية: ٩٤. الأغاني ٤: ٢٩٦. المجالسة وجواهر العلم ٨: ٧٠، كلاهما باختلاف.

ولا تَنسَينَّ الموت في كلّ لحظةٍ فإنّك منه راتعٌ في مراتِعِهْ[١]

والزّهد: البُعد عن الشيء، يُقال: زهد في كذا إذا رغِبَ عنه[٢].

هانَت؛ أي سهُلت[٣] عليه المصيبات؛ لأنّه لا يُبالي بها، وعلم أنّ الدنيا لا تخلو منها، فإنّها دار بلاء وعَناء وفناء، فإذا علم ذلك وقطع الطمع، استراح، فإنّ اليأس إحدى الرّاحتين[٤]، فمن راح نقيّ الرّاحة[٥] منها، استراح.

وسأل بعض العارفين مذكِّراً فقال: أيّها الشيخ، فيم الرّاحة[٦]؟ قال: في نقاء الرّاحة، قال: ففيم نَقاء الرّاحة؟ قال: في براءة السّاحة[٧]، قال: ففيم براءة السّاحة؟ قال: في كثرة النِّياحة[٨]. قال: فخرج وهو يقول: فإذاً راحتي في راحتي[٩].

---

(١) الإعتبار و سلوة العارفين ١: ٣٥٦.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٠. المفردات: ٣٨٤ (زهد).

(٣) أُنظر: الصحاح ٦: ٢٢١٨ (هون).

(٤) يتيمة الدّهر ٤: ٩٥، والشاعر: أبو القاسم الكسروي وتمامه:

بنقد أرتجيه أو بيأس فإن اليأس إحدى الراحتين

(٥) (الراحة) هنا باطن الكفّ، ونقيّ الراحة كناية عن عدم امتلاك شيء من متاع الحياة الدنيا.

(٦) بمعنى الارتياح وعدم اضطراب النفس.

(٧) يعني: طهارة النفس.

(٨) ربّما المقصود البكاء من خشية الله.

(٩) روض الجنان ١٧: ٢٠٥.

٢٦٢. مَنْ ماتَ غَريباً، ماتَ شَهيداً[١].

بيّنّا أنّ الموت ليس بمعنىً، ولو كان معنىً لكان ضدّ الحياة، إنّما هو تخريب وانتقاض بُنية[٢] الحياة، فإذا زال المحتاج إليه، زال المحتاج، ومرجِعه إلى انتفاء الحياة.

«**غريباً**» نُصب على الحال. و«**مَن**» جزائيّة. وقوله: «**مات شهيداً**» جزاؤه، «**وشهيداً**» أيضاً نُصب على الحال من الفاعل، وكذا الأوّل، والغُربة: البُعد عن الوطن، يُقال: غَرَب الرّجل إذا بَعُدَ عن الوطن، وأغرب إذا أتى بغَريبةٍ[٣]، كما أبدع إذا أتى ببِدعةٍ، وغَرّب لتكثير الفعل، وقيل: أتى الغرْبَ، قال:

يقولون إنّ الشام يَقتُل أهلَه فمن ليَ إنْ لم آتِهِ بخلودِ؟!

فغَرّبَ آبائي فهلّا صَراهُمُ من الموت إن لم يذهبوا وجدودي؟![٤]

والشهيد: فعيل بمعنى مفعول؛ أي: تشهدُه ملائكة الرّحمة؛ أي: تحضره عند موته[٥]. وقيل فيه وجهٌ مليح، وهو أنّه أراد من مات في غربة الإسلام مسلماً، أي في آخر الزّمان ـ لأنّ الإسلام يصير فيه غريباً ـ مات شهيداً.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٢٧، ح٣٤٩. شعب الإيمان ٥: ١٧٣، قطعة من ح٩٨٩٥، عن أبي هريرة. حلية الأولياء ٨: ٢٠٣، عن جابر بن عبد الله. المنهيات: ٢٢١.

(٢) وبكسر الباء أيضاً صحيح.

(٣) أُنظر: الصحاح ١: ١٩٣. معجم مقاييس اللغة ٤: ٤٢١ (غرب).

(٤) تفسير الثعلبي ٢: ٢٥٥. ربيع الأبرار ١: ٢٧٢. تنزيه الأنبياء: ٥٢.

(٥) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٣: ٢٢١ (شهد).

ومعنى الشّهيد ما ذكرناه من أنّ ثوابه مثل ثواب الشهداء؛ لأنّ حكمه حكم الشهداء في جميع الأحكام الشرعيّة. وقال بعضهم:

لا تَنْهَرَنَّ غَريباً طالَ غُرْبَتُه فالدّهرُ يضربُه بالذُّلّ والمِحَنِ
حَسْبُ الغريب من الدنيا نَدامتُه عَضُّ الأنامل من شَوقٍ إلى الوطنِ[(١)]

٢٦٣. مَنِ اعْتَزَّ بِالعَبيدِ، أَذَلَّهُ اللهُ[(٢)].

يُقال: اعتزّ الرّجلُ وعَزّ وتَعزَّز بمعنىً، والعِزّ نقيض الذّل، وعَزَّ الشيءُ إذا قلّ ولم يوجد، وعزَّ الرّجلُ إذا غلبَ، وفي المَثَل: مَن عَزّ بَزّ[(٣)]؛ أي من غَلَب سَلَب[(٤)] ويُقال: عزّ عليّ؛ أيّ شقّ وصَعُب[(٥)]، واعتزّ فلانٌ بفلان وتعزّز به إذا ادّعى العزّة والغَلَبة به؛ يعني من تعزّز بذليلٍ مثلِه، أذلّه الله وخذله ولم يَلطُف له ووكَلَهُ إليه، قال الله تعالى: ﴿فإنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَميعاً﴾[(٦)]، وقال: ﴿وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسولِهِ وَلِلْمُؤْمِنينَ﴾[(٧)]، فعزّة المؤمنين بعزّة رسول الله، وعزّة رسول الله بعزّة

(١) المنازل والديار: ٥١. تاج العروس ٧: ٥٧٠.
(٢) مسند الشّهاب١: ٢٢٧، ح٣٥٠. الضعفاء الكبير للعقيلي٢: ٢٧١، ح٨٣٠، عمر بن الخطّاب.
(٣) جمهرة الأمثال ٢: ٢٨٨، ١٦٩٨.
(٤) كتاب العين ٧: ٣٥٣. تهذيب اللغة ١٣: ١٢٠ (بز). جَمهَرة الأمثال ٢: ٢٨٨.
(٥) أُنظر: المفردات: ٥٦٤.
(٦) سورة النساء ٤: ١٣٩.
(٧) سورة المنافقون ٦٣: ٨.

الله سبحانه، وهو المُعزّ والمُذلّ في قوله: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ﴾[١].

وكان رسول الله ﷺ في بعض غزواته وكان عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُولَ[٢] معه، فجرى له مع بعض المهاجرين شيء، فقال: ما مَثَلي ومَثَلكم إلّا كما قيل: سَمِّن كلبَك يأكلْك، والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلّ! وكان لعبدالله ابنٌ مؤمن مُخلِص[٣]، فلمّا بلغوا باب المدينة، جاء وتعلّق بأبيه وقال: والله لا أدُعكَ تدخلُ المدينة حتّى تناديَ على رسول الله وأصحابه بالعزّة وعلى نفسك وأصحابك بالمذلّة. فقام ونادى بأرفع صوته: أنا الذّليل ورسول الله وأصحابه هم الأعزّاء. فخلّى سبيله، فأنزل الله تعالى فيه وفي أصحابه: ﴿يَقولونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[٤] الآية[٥].

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٢٦.

(٢) يقول النَّوَويّ في إيضاح عبدالله بن أُبَيّ بن سلول: ابن سلول وصف ثان له؛ لأنه عبدالله بن أُبَيّ، وهو عبدالله بن سلولَ أيضاً؛ فأُبَيٌّ أبوه وسَلولُ أمُّه، فنُسب إلى أبويه جميعاً ووُصف بهما، شرح النووي على صحيح مسلم ١٥: ١٦٧. (أُبَيّ بضم الهمزة وفتح الباء الموحَّدة وتشديد الياء آخرِ الحروف... هو أبو مالك بن الحارث بن عبيد، وسلول امرأة من خزاعة، وهي أمّ أبي مالك بن الحارث وأم عبدالله بن أبيّ: خَولةُ بنت المنذر بن حرام من بني النّجّار. وكان عبدالله سيد الخزرج في الجاهلية)، عمدة القاري ٨: ٥٤.

(٣) كان اسمه الحُباب... فسماه **رسول الله** بعبدالله كاسم أبيه، وهو من فضلاء الصحابة وخيارُهم... وكان أشدَّ الناس على أبيه، ولو أذن له **رسول الله** فيه، لَضَرب عنقه. عمدة القاري ٨: ٥٤.

(٤) سورة المنافقون ٦٣: ٨.

(٥) تفسير القرآن لعبد الرزّاق ٣: ٢٩٤. تفسير الثعلبي ٩: ٣٢١. مجمع البيان ١٠: ٢٢، باختلاف.

٢٦٤. مَنْ غَشَّنا، فَلَيْسَ مِنّا[١]، مَنْ رَمانا بِاللَّيْلِ، فَلَيْسَ مِنّا[٢]، مَنْ لَمْ يأْخُذْ شارِبَهُ، فَلَيْسَ مِنّا[٣].

الغِشّ والغِلّ: الخيانة، يُقال: غَشّه يَغُشّه وغَلّه يَغُلّه إذا خانه[٤]، قيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وهو أنّ **النبيّ** مرَّ بطعامٍ، فأدخل يده فيه، فإذا هو مغشوشٌ مختلِط، قال: «**مَن غشّنا فليس منّا**»[٥].

وقيل: إنّ الغِشّ كان من أفعال اليهود؛ والمعنى: أنّ من غشّ المسلمين من اليهود، لا يكون منّا، ولا شكّ أنّ اليهود ليسوا من المسلمين[٦]، والغِشّ نقيض النُّصح، واشتقاقه من الغَشَش وهو الماء الكَدِر[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٢٨، ح٣٥١، عن ابن عمر. صحيح مسلم١: ٦٩، عن أبي هريرة. سنن ابن ماجة٢: ٧٤٩ / باب النهى عن الغش، قطعة من ح٢٢٢٥، عن أبي الحمراء. دعائم الاسلام٢: ٢٧، ح٥٣، عن الإمام الصادق، عن آبائه .

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٢٩، ح٣٥٥، عن ابن عبّاس. الأدب المفرد: ٢٧٣ / باب من رمى بالليل، ح٣١٥. مسند ابن حنبل٢: ٣٢١. صحيح ابن حبّان١٢: ٤٢١، ح٥٦٠٥، عن أبي هريرة.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٢٩، ح٣٥٦. سنن الترمذي٤: ١٨٦ /باب ما جاء في قص الشارب، ح٢٩١٠. سنن النسائي١: ١٥. مسند ابن حنبل٤: ٣٦٦، عن زيد بن أرقم.

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ٨: ٥ (غش).

(٥) مسند ابن حنبل ٢: ٥٠. سنن الدارميّ ٢: ٢٤٨. المعجم الأوسط ٣: ٦٣، عن ابن عمر.

(٦) قال **رسول الله**ﷺ: «**من غشّ مسلماً في شراءٍ أو بيعٍ، فليس منّا، ويُحشر يوم القيامة مع اليهود؛ لأنّهم أغشُّ الخلق للمسلمين**». الأمالي للصدوق: ٤٢٩/ المجلس ٦٦، ح ١.

(٧) أُنظر: تهذيب اللغة ٨: ٦. النهاية ٣: ٣٦٩ (غشش).

وقوله ﷺ: «**مَنْ رَمانا بِاللَّيْلِ، فَلَيْسَ مِنّا**»؛ قيل: معناه رمانا بالحجارة في اللّيل، وهو ظاهر الحديث، وما يقتضيه حقيقته، وقيل: إنّ أبا الأسود الدُّؤَليّ نزلَ ببني قُشَير، فكانوا يرمونه باللّيل، فجاء إلى مَجمَعهم ولامَهُم على ذلك، فقالوا: ما رميناك بل الله رماك! فقال: لا تكذبوا على الله، فلو أنّ الله رماني، لما أخطأني[١].

وقيل: معناه «**مَن رمانا**»؛ أي مَن عابَنا وقَرفَنا في سَمر اللّيل[٢]، فليس منّا. وقيل: من دعا علينا باللّيل[٣].

وقوله: غشّنا ورمانا هما كنايةٌ عن المسلمين؛ أي من غشّ المسلمين ورماهم[٤].

وقوله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يأْخُذْ شارِبَهُ، فَلَيْسَ مِنّا**»؛ لأنّ أخذ الشارب من شِعار المسلمين، وهي من الحنيفيّة الّتي قال الله تعالى لنبيّه: ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً﴾[٥]، فهي عَشرُ سُننٍ: خمسٌ في الرأس وخمسٌ في البدن.

---

(١) الأغاني ١٢: ٤٩٧. تاريخ دمشق ٢٥: ٢٠١.

(٢) السَّمَر: المُسامَرة، وهو الحديث بالليل. صحاح ٢: ٦٨٨ (سمر). ويستغرب السيوطي هذا التفسير من الحديث حيث يقول: (قد خفي معنى هذا الحديث ومعرفةُ سببه على بعض عظماء القوم، فأتىٰ من الخلط والخبط بما يُتعجَّب منه حيث قال ــ عقِب سياقه الحديث ـ يعني: من ذكر المؤمنين بسوء في الغَيبة. وتخصيص الليل بالذكر؛ لأن الغيبة أكثرُ ما تكون بالليل). فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦: ١٨٠.

(٣) و قد قيل في معنى هذا الحديث: إنّ معنى (رمانا بالليل) أي تركوا الليل علينا، فلم يَحضروا جماعتَنا، و تَحرّزوا عن مجالسنا، و تَخانسوا عنّا، وطرحوا أنفسهم عن جملتنا، فكأنّهم طرحوا الليل إلينا حتّى نكابده نحن. وهذا وجه. ضوء الشِّهاب ٢: ٢٨.

(٤) أي: المقصود من ضمير (نا) في (رمانا) هو المسلمون.

(٥) سورة النساء ٤: ١٢٥.

فأمّا التي في الرأس: فالمضمضة والاستنشاق والسّواك وقصّ الشارب والفَرق؛ أعني لمن طال شعر رأسه. وأمّا التي في البدن: فالخِتان والاستنجاء وحلق العانة وقصّ الأظفار ونتْف الإبطين[١].

وقال ﷺ: «**مَن طال شاربه، طالت نَدامته، وكتبَ الله له بكلّ شعرةٍ ألفَ خطيئة، فإن مات، مات عاصياً**»[٢].

وقوله في الأخبار الثلاثة: «**ليس منّا**»؛ أي ليس على عادتنا وطريقتنا، لا أنّه خارجٌ عن ديننا وملّتنا[٣].

٢٦٥. مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما لَيْسَ فيهِ، فَهُوَ رَدٌّ[٤].

الإحداث والإبداع: الإتيان بأمر مُحدَث مُبتدَع[٥]؛ يعني من أحدث

(١) الهداية للصدوق: ٨٣. تفسير القمي١: ٥٩. سنن البيهقي ٨: ٣٢٥.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر، ولكن وجدنا عن **رسول الله** ﷺ كما يلي: «**لا يُطوّلِنَّ أحدكم شاربه؛ فإن الشيطان يتخذه مَخبَأً يستتر به**»، الكافي ٦: ٤٨٨/ كتاب الزّيّ والتّجمّل والمروءة، باب اللحية والشارب، ح١١.

(٣) أُنظر: البيان في مذهب الشافعي ٥: ٢٧٦. وقال سفيان بن عُيَينة: ليس مثلنا أي ليس أخلاقه مثل أخلاقنا، وهكذا قوله: من لم يأخذ من شاربه فليس منّا.

وقال أبو سليمان الخطّابي: (إنّما هو على الزجر والوعيد والتغليظ؛ لا لأنّه خارج عن الملّة والإسلام، وقد نفى الغشّ أن يكون من أخلاق الأنبياء والصالحين). ضوء الشِّهاب ٢: ٢٧.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٣١، ح٣٥٩، وفيه (منه) بدل (فِيهِ). صحيح البخاري٣: ١٦. صحيح مسلم٥: ١٢٢. سنن أبي داود٢: ٣٩٢ / باب في لزوم السنة، ح٤٦٠٦، عن عائشة.

(٥) أُنظر: تهذيب اللغة ٢: ١٤٢. معجم مقاييس اللغة ١: ٢٠٩ (بدع).

في ديننا ما لم يكن فيه، ولم ينزّلِ الله به آيةً، ولا أتى فيه سُنّة معلومة، فهو ردّ؛ أي مردود، والردّ خلاف القَبول، ولا شكّ أنّ البدعة في الشريعة مردودة غير مقبولة، أعاذنا الله منها، ووفّقنا لاتّباع معالِم دينه وما ثبت منها بآية مُحكَمة أو سُنّة مقطوع عليها بفضله ورحمته!

٢٦٦. مَنْ تَأَنّىٰ، أَصابَ أَوْ كادَ، وَمَنْ عَجَّلَ، أَخْطَأَ أَوْ كادَ[١].

التأنّي: التثبّت وترك الاستعجال، وأصله من أنىٰ يأني إذا جاء وقته أو قَرُب[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣]؛ أي لم يأت وقته

أصابَ: أي أدرك الصّواب. و**كادَ** من أفعال المقاربة من أخوات عسىٰ، إلّا أنّها أبلغ في باب القرب من عسىٰ، وحُذِف خبره لأمن الالتباس، والتقدير: أو كاد يُصيب. والعجلة: ضدّ التأنّي. **أخطأَ**: أي أخطأ الصّوابَ، أو كاد يُخطئه.

ومعنى الحديث: الحَثّ على التأنّي والنهي عن العجلة، ومَدحُ أحدهما وذَمُّ الآخَر، وللشاعر في معناه:

قد يُدرِكُ المتأنّي بعض حاجته وقد يكون من المستعجِل الزّلَلُ[٥]

---

(١) مسند الشِّهاب ١: ٢٣٢، ح٣٦٣، عن أنس بن مالك و٣٢١، ح٣٦٢. المعجم الأوسط ٣: ٢٥٩، عن عقبة بن عامر.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٨: ٤٠١. معجم مقاييس اللغة ١: ١٤١ (أنى).

(٣) سورة الحديد ٥٧: ١٦.

(٤) أُنظر: المفردات: ٩٦ (أنى).

(٥) الشعر والشعراء ٢: ٧١٦. الأغاني ١١: ١٧. الأمالي للمرتضى ٣: ١٠٤.

٢٦٧. مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً، يَحْصُدْ[١] رَغْبَةً، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرّاً، يَحْصُدْ نَدامَةً[٢].

هذان الحديثان على طريق المَثَل والتشبيه لمن يعمل عملاً يرجو في عاقبته خيراً، أو يخاف شرّاً بالزّرع؛ لأنّ الزارع يرجو في عاقبة زرعه وقت الحصاد رَيعَ[٣] ما زرَعه، حنطةً كان أو شعيراً، أو خيراً منهما أو شرّاً منهما.

والمراد بالرّغبة الشيءُ المرغوب فيه، فوُضع المصدر مَوضِعَ المفعول، أو أراد يحصد خصلةً ذاتَ رغبة على طريق النسبة، فمَن فعل خيراً أو قدّمَ عملاً صالحاً، كان كمَن زرعَ حبّاً مرغوباً فيه، مثل السِّمسِم والكتّان وغيرهما، فإذا كان وقت الحصاد، حصد جنس ما زرع، ومَن فعلَ شرّاً واكتسب مأثماً، كان كمَن زرع حبّاً يُنبت الشَّوك والعَوسَج[٤]، فإذا نبت وبلغ نهايتَه وأراد حصاده، لم يحصد إلّا ما زرعه لا غير، فكان كمَن قال الشاعر:

مالي لديك كأنّي قد زرعتُ حَصًى   في عامِ جدبٍ ووجه الأرض صفوانُ

---

(١) أو يحصِد، بكسر العين.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٣٢، ح٣٦٤. الأمالي للطوسي: ٥٢٧، ح١١٦٢، عن الحارث، عن **الإمام عليّ** . المعجم الكبير٩: ١٠٦، عن عبدالله بن مسعود. الكافي٢: ٤٥٨ / كتاب الإيمان والكفر، محاسبة العمل، قطعة من ح١٩، عن ابن فضال، عمن ذكره، عن الإمام الصادق.

(٣) الرَّيْع: فضل كلّ شيء على أصله، نحو الدقيق وهو فضله على كيل البر، ورَيْع البذر: فضل ما يخرج من النزل على أصل البذر، كتاب العين ٢: ٢٤٣ (ريع).

(٤) العَوسج: ضرب من الشَّوك، الواحدة: عَوسَجة. الصحاح ١: ٣٢٩ (عسج).

أمــا لِزرعــيَ إبّــانٌ فأحصِــدَه كما يكون لـزرع النـاس إبّانُ؟![١]

وقولـه: «**رغبـة**»، أي: مرغوبـاً فيـه. يعنـي الثـوابَ ووقـت الحصـاد يـوم القيامة، وفي القيامة لا تنفع الندامة.

ومعنـى الحـديث: مَـن يفعـلْ خيـراً، يُثَـبْ عليـه، ومَـن يفعـلْ شـرّاً، يُعاقَبْ عليه.

٢٦٨. مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ، جادَ بِالعَطِيَّةِ[٢].

بيّنّا أنّ اليقين علمٌ حصل بعد شكٍّ. والخَلَف: العِوض[٣]؛ لأنّه يَخلُف المُعوِّض. وقيـل: يخلـف الفائـتَ. وجـادَ مـن الجـود الـذي هـو السّـخاء والبذل[٤]؛ يعني من آمن بالله وصدّق وعدَه بأنّ الله سيعوّضه ممّا يُنفق في سبيل الخير ويبذله، لم يبخل بماله وجادَ، ثقةً بأنّ الله سيَخلفه في الدنيا خَلَفاً خيراً منه، وفي الآخرة ثواباً دائماً.

روي أنّ **أمير المؤمنين عليّاً**عليه السلام دخل ذات يـومٍ منـزل **فاطمة**عليها السلام، فإذا

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون: ٨٤. تفسير الثعلبي ٢: ٢٦١. التذكرة الحمدونيّة ٨: ١٦٢، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشّهاب١: ٢٣٣، ح٣٦٦، عن عبدالله بن الزبير، عن **الإمام عليّ** . الكافي ٤: ٢ / باب فضل الصدقة، ح٤، عن السكوني. من لا يحضره الفقيه٤: ٤١٦، ح٥٩٠٤، عن زرارة، عن **الإمام الصادق** . نهج البلاغة/ الحكمة ١٣٨.

(٣) النهاية ٢: ٦٦ (خلف).

(٤) كتاب العين ٤: ٢٨٩ (سخو).

هي تتعلّل **بالحسن والحسين** عليهما السلام ــ وكانا طفلين ــ لِيناما، وهما يَبكيان من الجوع، فقالت: «**يا ابن عمّ رسول الله، إنّ الصّبيَّين لم يَطعَما شيئاً منذُ ثلاثة أيّام**». فخرج من الحجرة، فرأى عبد الرحمن بن عوف، فقال: «**يا أبا عبدالله، أقرِضْني ديناراً إلى أن يصل إليَّ شيء فأقضيه**». فدخلَ داره وأخرج كيساً فيه مائة دينار ودفعه إليه وقال: هذا لكَ بطيبة نفسٍ ولك المِنّةُ عليَّ بقبوله. فقال **عليّ** عليه السلام: «**لا أُريده ولا أقبله منك؛ لأنّي سمعتُ رسول الله يقول: اليد العُليا خيرٌ من اليد السُفلى، وأنا لا أُريد أن تكون يدكُ خيراً من يدي، ولكن أقرضني ديناراً لِأُحدّثك بما سمعتُ من رسول الله** ». قال: وما ذاك؟ قال: «**سمعت رسول الله يقول: الصّدقة بعشْرةٍ، والقرض بثمانيةَ عشرَ**».

فمدَّ عبد الرّحمن يده إلى الكيس وأخرج ديناراً ودفعه إليه، فلمّا دخل السوق ليشتري لعِياله طعاماً، رأى مقداد بن الأسود على قارعة الطريق، فقال له عليه السلام: «**يا مقداد، ما تصنع هاهنا في مثل هذا الوقت**»؟ وكان وقت الهاجرة، فقال: ما وجدتُ طعاماً منذ أربعة أيام، فقال **عليّ** عليه السلام: «**خُذ هذا**». ودفع إليه الدينار وقال: «**أنتَ أولى بهذا منّا، فإنّا منذُ ثلاثٍ وأنت منذُ أربعٍ**».

فلم يعُد إلى منزله حتّى صلّى مع **رسول الله** العشاء الآخرةَ، فقال له **رسول الله** صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**يا عليّ، إنّي أُريد أن أُفطر عندك اللّيلةَ**». فاستحى أن يقول ليس في بيتي شيء، فقال: «**الأمر لك يا رسول الله**». فدخلا

منزل **فاطمة** عليها السلام، فلمّا رأت فاطمةَ **رسول الله** صلى الله عليه وآله دخل منزلها ولم يكن عندها شيء، قامت ودخلتِ البيت وصلّت ركعتين، فإذا سلّمتْ قالت عليها السلام: «**اللّهمَّ إنّك أنزلتَ على الحواريّين مائدةً من السّماء بدعاء عيسى، فكفروا بها، وأبي خير من عيسى، ونحن خير من الحواريّين، فأنْزِل علينا مائدةً من السّماء**». فلم تُتِمّ الدّعاء حتّى أُنزل عليها جفنةٌ فيها ثريد وعليها عُراق من لحمٍ[1] وعليها منديل، فخرَجَتْ وصبّت الماء على يد **رسول الله** صلى الله عليه وآله و**عليٌّ** عليه السلام ينظر إليها ما تصنع، ثمّ أخرجت الجفنة ووضعتْها بين يدي **رسول الله** صلى الله عليه وآله، فقال لها **عليّ** عليه السلام: «**أنّى لكِ هذا؟**» قالت: «**هو من عند الله**». فأكلوا من ذلك الطعام وشكروا الله، ورُفعت الجفنة.

فلمّا كان من الغد وصلّى **عليّ** عليه السلام مع **رسول الله** صلى الله عليه وآله، دخل المسجد أعرابيّ ومعه كيسٌ فيه سبعمئة دينارٍ، قال: خُذه يا عليّ، فهو لكَ. وخرج. فأخذه وحمله إلى **رسول الله** صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام: «**إنّ أعرابياً دفع إليّ هذا وخرج، ولم يلبَث قَدْرَ أن أسأله عن حال هذا الكيس**». فقال **رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**أما عَرفت الأعرابيَّ؟!**» قال: «**لا**». قال: «**هو ملَك مُقرّب أخرج لك كنزاً من كنوز الأرض، وأنّ الله أعطاك بالدينار الذي دفعت إلى المقداد أربعةً وعشرين جزءاً**

---

(١) عرقتُ العظم أعرُقه عَرْقاً ومَعْرَقاً، إذا أكلتَ ما عليه من اللحم... والعَرْق أيضاً: العظْم الّذي أُخذ عنه اللّحْمُ، والجمع عُراق بالضّمّ. الصحاح ٤: ١٥٢٣ (عرق). فوفقاً لهذا الإيضاح، العُراق هي عظام لم يبق فيها لحم. فما فائدة عظم لم يلتصق به لحم؟ وهل يُقَدَّم إلى من هو جائع عظمٌ بلا لحمٍ؟! فهذه العبارة (عراق من لحم) أي: عراق خالية من اللحم، غريبة هنا. علماً بأن هذه العبارة لم تكن موجودة في المصدرين الذي سنذكرهما.

من الخير والثواب، وعجّلَ لك منها اثنين: الجفنة والكيس، وأعدَّ لكَ اثنين وعشرين جزءاً في الجنّة، مع ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خَطَر على قلب بشر». فصبّ **عليٌّ** ما في الكيس، فوجده سبعمئة دينار، فقال: «**صدق الله جلّت عظمته! حيث قال:** ﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنفِقونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾»[١] ثمّ ردَّ ديناراً إلى عبد الرّحمن بن عوف، وفرّق الباقي على المهاجرين والأنصار[٢].

٢٦٩. مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ أَكْرَمَ النّاسِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ، ومَنْ أَحَبَّ أنْ يَكونَ أَقْوَى النّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ، ومَنْ أحبَّ أَنْ يَكونَ أَغْنَى النّاسِ، فَلْيَكُنْ بِما في يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِما في يَدِهِ[٣].

المَحبّة هاهنا بمعنى الإرادة[٤]، وهي وإن كانت بمعنى الإرادة، لكن بينهما فرقٌ من وجه؛ وهو أنّ المحبّة يتعلّق بالذوات الباقية، نحو قولهم: أنا أُحبّ فلاناً، ولا يُقال: أنا أُريد فلاناً.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٦١.

(٢) أُنظر: المناقب للكوفي١: ٢٠٤. الأمالي للطوسي: ٦١٧/ المجلس الحادي والعشرون، مزيج من الحديثين: ١٢٧١ ـ ١٢٧٢ مع زيادات كثيرة في النص ليس فيهما.

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٣٤، ح٣٦٧. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١٨، ح٥. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٧٠، عن ابن عبّاس. الأمالي للصدوق: ٣٨١، ح٤٨٦، عن جميل بن صالح، عن الإمام الصادق.

(٤) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ١: ٤٦٨. المفردات: ٢١٤ (حبب).

والمعنى: من أراد، إلّا أنّ فيه شِمَةٌ من معنى المحبّة، وهي أنّه عنى إرادةً بلغت حدّ المحبّة؛ أي إرادة بليغة.

الأصل في هذا الحديث قوله ﷺ: «**الكرم التّقوى**»[1]، فإذا كان الكرم هو التقوى لا غير، فمن كان أعرق في التقوى، كان أعرق في الكرم. وبيانه: تصريح الله تعالى بهذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

وقوله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أنْ يَكونَ أَقْوَى النّاسِ**»، فالقوّة تُستعمل في تزايد القدرة، فإنّ كلّ قويّ يكون قادراً، ولا يكون كلّ قادرٍ قويّاً، فقال : من أراد وآثر أن يكون أقوى النّاس وأشدَّهم، من حقّه أن يتوكّل على الله؛ فإنّ القوّة لا تكون بالصّلابة والجلادة، و إنّما تكون بالتّوكّل على الله، وأن يَكِل العبدُ أمره إلى الله ليَكفيَه المُهمّات، ويقيَه من الآفات، ويَهديَه إلى سبيل الخيرات؛ فإنّه جلّ جلاله كريمٌ رحيم يهدي مَن استهداه، ويكفي مَن استكفاه، ويَقِي مَن اتّقاه.

وروي أنّ خالد بن جعفر بن كِلاب قال لزهير بن جُذَيمةَ بعدما[3] كَثُر القتلى فيما بينهم بسبب مسابقة داحِسٍ والغبراء: أما آنَ لنا أن نكفّ

(١) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا: ١٥١، ح ١١٥، عن يحيى بن أبي كثير. الفائق في غريب الحديث ١: ٢٤٥. الكافي ٨: ٢٢٠/ كتاب الرّوضة، حديث الصَّيحة، قطعة من ح ٢٧٢، عن جميل بن دراج، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٢) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

(٣) في نسخة (د): (ما بعد).

عن القتل والقتال؟ وجرى بينهما كلامٌ، فقال خالد: اللهمّ مكِّنْ يدي هذه القصيرةَ السّوداءَ من عنق زهير، ثمّ أعِنّي عليه!

فقال زهير: اللّهمّ مكِّنْ يدي هذه البيضاءَ الطويلةَ من عنق خالد، وخلِّ بيني وبينه!

فقال الناس: هَلَكَ والله زهير! وكان زهير أقوى من خالد وأشجع، فتعانقا، فأعان الله خالداً على زهير، فطرحه وقتله مع ضعفه وقِصَر يده؛ لمّا استعان بالله عليه[١].

قوله ﷺ: «**بِما في يَدِ الله**»؛ اليد هيهنا المِلك والتصرّف، كما يقول القائل: هذه الدّار في يدي وحقّي ومِلكي، وإن لم يكن قابضاً كفُّه عليها، والنّاس يرون الغِنى في كثرة العِوض وذات اليد، فبيّنَ أنّ الأمر بخلافه، وأنّ مَن أراد غنىً لا غنىٰ وراءه، فلْيكنْ بما عند الله ولم يُؤتَ بعدُ أوثقَ منه بما أُوتي؛ لأنّ ما عنده يَنفَد ويتطرّق عليه الآفات، وما عند الله باقٍ لا تصل إليه آفة، فالله يحفظه في خزائنه لعبده المتوكِّل عليه، فغِناه بالله وبما في يد الله وفي خزائن الله خيرٌ له على ما بيّنّاه.

٢٧٠. مَنْ هَمَّ بِذَنبٍ ثُمَّ تَرَكَهُ، كانَت لَهُ حَسَنَةٌ[٢].

الهَمّ على وجوهٍ مختلفة في القرآن وكلام العرب، منها: العزم، تقول:

(١) أُنظر: الأمالي للمرتضى ١: ١٥٢. الأغاني ١١: ٦٢.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٢٣٥، ح٣٦٩، عن عبدالله بن عمرو.

هَمَمتُ بكذا وهمَمتُ أن أفعل كذا، قال الشاعر:

هـمَمتُ ولم أفعل وكِدتُ وليتني   تركتُ على عثمانَ تَبكي حلائلُه[١]

والهَمّ: خطور الشيء بالبال، قال الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللهُ وَلِيُّهُما﴾[٢]. ولا يجوز أن يكون الهمّ ههنا العزم؛ لأنّ العزم على الفِرار من الزّحف فانه معصية[٣]، والله لا يكون وليَّ من عصاه، ومنه قول الشاعر:

وكم فيـهمُ مـن سـيّدٍ مُتَوسِّعٍ!   ومِن فاعلٍ للخير إنْ هَمّ أو عَزَمْ![٤]

فعُطِف العَزم على الهمّ، والشيء لا يُعطَف على نفسه.

---

(١) الأمالي للمرتضى ٢: ١٢. تفسير الطبري ١٦: ١٩١. تفسير الثعلبي٥: ٢٠٩ والبيت لعُمَيرةَ بن ضابئ البَرجَميّ. وقصته أن أباه ضابئ بن الحارث جنى جناية في خلافة عثمان، فحبسه، فجاء ابنه عميرةُ بن ضابئ، فأراد الفتك بعثمان، ثم جَبُن عنه، وفي ذلك يقول: هممت... الإصابة لابن الحجر ٣: ٤٠٣/ الرقم ٤٢٢٥ ضابئ بن الحارث.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٢٢.

(٣) أي: خطر ببال طائفتين منكم أن تفشلا؛ يقول الشيخ الطوسي في تبيين هذا المعنى: والمعنى أن الفشل خطر ببالهم، ولو كان الهمّ ههنا عزماً، لما كان الله وليّهما؛ لأنه قال: ﴿ومَن يُولِّهِم يومئذٍ دُبُرَهُ إلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فئةٍ فَقَدْ باءَ بغضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ [الأنفال/١٦]، وإرادة المعصية والعزم عليها معصية بلا خلاف. وقال قوم: العزم على الكبير كبير، والعزم على الكفر كفر، ولا يجوز أن يكون اللهُ وليَّ من عزم على الفِرار عن نصرة نبيّه). التبيان في تفسير القرآن ٦: ١٢٠.

(٤) ديوان كعب بن زهير: ٧١. التبيان في تفسير القرآن ٦: ١٢٠. تنزيه الأنبياء: ٧٤ والشاعر: كعب بن زهير.

ومنها الهوى والشهوة، نحو قولهم: هذا الأمر من همّتي، وهذا أهمّ الأشياء إليّ، وهمَّه وأهمَّه إذا غمّه.

والهَمّ في الخبر بمعنى العَزم؛ يعني من عزم على معصيةٍ أن يفعلها ثمّ تركها خشيةً لله تعالى واتّقاءً لمعاصيه، كتب الله له به حسنةً. وإنّما قلنا إذا تركها لله ولاتّقاء الله؛ لأنّه إن تركها خوفاً لإنسانٍ أو لأمرٍ دنيويٍّ من طمعٍ أو تعذّرٍ أو فَقدْ تمكُّنِ آلةٍ، لم يستحقَّ مدحاً ولا ثواباً، فوجب أن يكون ذلك الترك لوجه الله سبحانه، و«**كان**» في قوله: «**كانت له**»، تامّة؛ بمعنى حصلت ووُجدت، لا يحتاج إلى خبر.

٢٧١. مَن آتاهُ الله خَيْراً، فَلْيُرَ عَلَيْهِ[١].

يُقال: أتيتُه إذا جئتَه[٢]، وآتيتُه أعطيتُه[٣]؛ أي: مَن أعطاه الله مالاً، والخير في الحديث المال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾[٤]؛ أي: مالاً[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٣٥، قطعة من ح٣٧٠. النفقة على العيال لابن أبي الدنيا١: ١٣٧، ح ٥. الأموال لابن زنجويه ٣: ١٢٣٣، ح٢٣٤٩، عن عبدالله والأخير. الزهد لوكيع: ٤٤٢، ح١٩٣، عن عوف بن مالك باختلاف يسير.

(٢) مجمل اللغة ١: ٨٦ (أتو).

(٣) ترتيب اصلاح المنطق: ١ (أتى).

(٤) سورة البقرة ٢: ١٨٠.

(٥) تفسير الطبري ٢: ١٦٤. التبيان في تفسير القرآن ٢: ١٠٩.

«فلْيُرَ عليه»؛ يعني ينبغي أن يُظهِره حتّى يُرى عليه؛ لأنّ ذلك نوعٌ من الشكر، ولا يجوز أن يكتمه؛ لقوله ﷺ: **«ومن كتمه فقد كفره»**[١]. ويُروى: **«أحبّ أن يُرى عليه»**[٢]؛ يعني أحبَّ الله أن يرى ذلك الخير عليه.

ومعنى الحديث: الأمر بإظهار آثار نِعَم الله على مَن أنعمَ بها عليه.

وقيل: إنّ سائلاً سأل إنساناً شيئاً، فقال له: ليس عندي شيء، فقال له السّائل: إن كنتَ صادقاً، فكذَّبَك الله، وإن كنتَ كاذباً، فصدَّقَك الله[٣].

٢٧٢. مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ، فَلْيَلزَمِ الصَّمْتَ[٤].

معنى قوله: **«مَنْ سَرَّهُ»** مثل قوله: مَن أحبّ ومَن أراد، إلّا أنّ فيه زيادةَ معنىً من السّرور، كأنّه قال مَن أراد كذا وكان مسروراً به. و**«أن»** مع الفعل في تقدير المصدر.

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٤٣٩، قطعة من ح ٤٨١٣. الأدب المفرد: ٥٥، قطعة من ح ٢١٥. صحيح ابن حبّان ٨: ٢٠٤، عن جابر بن عبد الله.

(٢) المعجم الكبير١٨: ١٣٥. مسند الشِّهاب ٢: ١٦٢، ح١١٠٢، عن عمران بن الحصين. الأمالي للطوسي: ٢٧٥/ المجلس العاشر، قطعة من ح ٥٢٦، عن **الإمام الصادق** .

(٣) محاضرات الأدباء١: ٦٩٩ باختلاف.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٣٦، ح٣٧١. الصمت وآداب اللسان: ٣٨، ح ١١. مسند أبي يعلى٦: ٢٩٠ ، ح٣٦٠٧. المعجم الأوسط٢: ٢٦٤، عن أنس بن مالك.

والمعنى: مَن سرّته السلامة وكان بها مسروراً، من حقّه أن يَلزِم الصّمتَ. واللام لأمر الغائب، ومن اعتاد الصّمت، سَلِم من آفة الدنيا والآخرة، فرُبَّ إنسانٍ جرَّ بكلامه التّلفَ إلى نفسه! فمن حقّ العاقل أن يكون أميراً على كلامه ولسانه، ولا يكون لسانه أميراً عليه، كما قال **عليّ** : «**لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه**»[١]. و«وراء» في حديث **عليٍّ** عليه السلام الأوّلِ بمعنى خلْف، والثاني بمعنى قُدّامَ وأمامَ[٢]. والكلمة من الأضداد، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾[٣]، قيل: كان أمامهم على وجهٍ لم يكن لهم طريقٌ إلّا بالمرور عليه. وقيل: كان خلْفهم على وجهٍ علموا أنّه سيلحقهم ويُدركهم[٤].

وقالوا: البَرْد وراءَك، فُسِّر على الوجهين[٥]، وكذا قول الشاعر:

أليس ورائي ـ إن تراخَتْ مَنيّتي ـ لزومُ العصا تُحنىٰ عليها الأصابعُ؟[٦]

---

(١) نهج البلاغة / الحكمة٤٠.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٢٣٦. تهذيب اللغة ١٥: ٢١٩ (ورى).

(٣) سورة الكهف ١٨: ٧٩.

(٤) أُنظر: الصحاح ٦: ٢٥٣٣ (ورى). معاني القرآن ٤: ٢٧٦. مجاز القرآن ١: ٤١٢. التبيان في تفسير القرآن ٧: ٨٠، سورة الكهف.

(٥) أُنظر: تنزيه الأنبياء: ١٢٤.

(٦) الأغاني ١٥: ٢٤٩. العمر و الشيب: ٧٤/ الرقم٧٦. البيان والتبيين: ٤٢٩ والشعر للبيد بن ربيعة العامري.

يُحتمل الوجهين معاً، أراد به: إن لم يُدركْني الضعف والشّيب؛ يعني أنّ الشيب أمامي سأُدركُه إن لم أمُت، أو خلفي سيدركني إن لم تُدركْني المنيّة.

وروي حديث **عليّ**عليه السلام على وجهٍ آخر، وهو: «**لسان العاقل في قلبه، وقلب الأحمق في فيه**»[١]. وقد أكثرنا في الصّمت وما قيل فيه.

٢٧٣. مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ، كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ، كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كانَتِ النّارُ أَوْلىٰ بِهِ[٢].

هذا الحديث تأكيدٌ للحديث الأوّل، وتهديدٌ على كثرة الكلام، والسَقَط في الكلام الخطأ، وكذلك السِّقاط[٣]، قال عديّ بن زيد:

كيف يَرجون سِقاطي بعد ما ... جلّل الرأسَ مَشيبٌ وصَلَعْ؟![٤]

لزوم العصا: أي إنه يحتاج إلى العصا. لأنه لم تدركه المنية، أصبح شيخاً وحينئذ احتاج إلى أن يتوكأ على العصا.

(١) نهج البلاغة/ الحكمة ٤١.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٣٧ ، ح٣٧٣. المعجم الأوسط٦: ٣٢٨، عن ابن عمر.

(٣) السِّقاط في كلام العرب كثرة الخطأ والندم عليه، المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيةَ الأندَلُسيّ ١: ٤٥٦، لكنه جاء في الصحاح ٣: ١١٣٢/ (سقط): والسّقْطة: العَثرة والزَّلَّة، وكذلك السِّقاط، فعلى هذا لا فرق بين السَّقط والسِّقاط.

(٤) الصحاح ٣: ١١٣٢ (سقط). كتاب العين ٢: ١٤٥ (لفع)، وفيه: (لفع) بدل (جلّل)، وكلاهما بمعنى شمل، وقد نسب الشعر في الصحاح ومعجم مقاييس اللغة (٣: ٨٦/ (سقط)) إلى سُوَيد بن أبي كاهل. و(كيف) هنا أُخرج مُخرَجَ النفي؛ أي: لا ترجوا منّي ذلك، القاموس المحيط ٣: ١٩٤ (كيف).

والسَّقَط أيضاً رديء المتاع، فَعَلٌ بمعنى مُفعَلٍ. قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءَةِ:

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ إذا ما عُدَّ من سَقَط المَتاع[١]

يعني مَن أكثَرَ الكلام، كثُر سقوطُه ووقوعه في الخطأ، والمُخطئ كالسّاقط عن طريق الصواب، فإنّه وإن أصاب في بعض الأحيان، فإنّه يُخطئ في الأكثر، ومَن أكثر الخطأَ، أكثرَ من الذنوب والمعاصي، ومن كان بهذه الصِّفة ورضي بهذه المنزلة، فالنار أولى به.

وعن **أبي عبدالله الصادق** عليه السلام أنّه قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم لرجلٍ من أصحابه: «**ألا أدلُّك على أمرٍ يُدخلُك الله به الجنّة؟**»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «**أنِل ممّا أنالكَ الله**»[٢]، قال: فإنْ كنتُ أحوجَ ممّن أُنيلُه؟ قال: «**فانصر المظلوم**»، قال: فإن كنتُ أضعفَ ممّن أنصُرُه؟ قال: «**فاصنَعْ للأخرق**»[٣]؛ يعني أشِرْ عليه[٤]، قال: فإنْ كنتُ أخرق

---

(١) جَمهَرة الأمثال ٢: ١١٨. الأمالي للمرتضى ٣: ٨٩.

(٢) أي: أعطِ المحتاجين ممّا أعطاك الله.

(٣) الخُرْق: الجهل والحُمق. والمقصود هنا إما هو الذي ليس في يده صنعة ولا يُحسن الصناعة، قال ابن سِيدة: خرق بالشيء جهِله ولم يُحسن عملَه، عمدة القاري للعينيّ ١٣: ٨٠، أو الجاهل بمصلحة نفسه وغيره، فتح الباري لابن حجر ٩: ١٠٦. أو الذي لا يُتقِن ما يُحاول فِعلَه، رياض الصالحين للنوَوي: ١١٨.

(٤) أي: أرشِده للخير وما ينبغي له.

ممّن أصنع له؟ قال: «**فاصمُت بلسانك إلّا من خير**[١]**، أما يَسُرّك أن تكون فيك خَصلةٌ من هذه الخصال تَجُرّك إلى الجنّة؟!**»[٢].

وقال أبو ذرّ: إنّ هذا اللِّسان مفتاحُ خيرٍ ومفتاح شرٍّ، فاختم على لسانك كما تختم على فضّتك وذهبك[٣].

٢٧٤. مَنْ رُزِقَ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَلْزَمْهُ[٤].

يعني: مَن عَلِم بنوعٍ من الامتحان والتجربة أنّ له في صنعةٍ من الصناعات، أو في نوعٍ من أنواع التجارات خيراً ورزقاً وهو مرزوقٌ منها، ينبغي أن يُلازمه ولا يُفارقه، وذلك من قضيّة العقل أن لا يُفارق الإنسان ما جرّبه وجرَّ به نفعاً إلى نفسه إلى ما لم يُجَرِّبْه ولم يَجْرِ به عادتُه.

(١) المراد بالخير: ما يورث ثواباً في الآخرة، أو نفعاً في الدنيا بلا مَضرّة أحد، شرح المولي محمّدصالح المازندراني على الكافي ٨: ٣٣٥.

(٢) الكافي ٢: ١١٣/كتاب الإيمان والكفر، باب الصّمت وحفظ اللسان، ح ٥، عن هشام بن سالم.

(٣) الكافي ٢: ١١٤/كتاب الإيمان و الكفر، باب الصّمت وحفظ اللسان، ح ١٠. الأمالي للمفيد: ١٨٠/ المجلس الثالث والعشرون، قطعة من ح ١، عن أبي بصير.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٣٨ ، ح٣٧٥. سنن ابن ماجة٢: ٧٢٦/ باب إذا قسم للرجل رزق من وجه فليلزمه، ح٢١٤٧. الأمثال لأبي الشيخ١: ٩١، ح١٥٤، عن أنس بن مالك.

٢٧٥. مَن أُزِلَّتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ، فَلْيَشْكُرْها[١].

يُقال: زَلّ فلانٌ وأزلَلتُه أنا[٢]، قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[٣]، من قولهم: زلّتْ قدمُه؛ أي: زَلِقت، وإنّما قال بلفظ الإزلال دون الإيتاء والإعطاء؛ لأنّه أراد مَن أُنعِمَ عليه نعمةٌ في خُفيةٍ[٤] وتَسَتُّر، فلْيُظهرْها بشُكر المُنعِم عليه والثناءِ عليه.

قال **الصادق**ؑ: «**مكتوبٌ في التوراة: أُشكرْ مَن أنعمَ عليك، وأنعِم على مَن شكركَ؛ فإنّه لا زوال للنَّعْماء إذا شُكِرت، ولا بقاء لها إذا كُفرت، الشكر زيادة في النِّعم وأمان من الغِيَر**»[٥]. وذلك قوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٦].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٣٨، ح٣٧٦، عن عبدالله بن عمر. فضيلة الشكر لله: ٦٥، ح٩٢، عن يحيى بن عبيد الله.

(٢) أي: أسدَيتُ. يقول الزمخشري: الزليل نوع من انتقال الجسم عن مكان إلى مكان، فاستُعير لانتقال النعمة من المُنعِم إلى المُنعَم عليه. فقيل: زَلَّت منه إلى فلان نعمة وأَزَلَّها إليه، الفائق في غريب الحديث ٢: ٩٠/ (زلل).

(٣) سورة البقرة ٢: ٣٦.

(٤) الخُفيَة والخِفية كلتاهما صحيحة.

(٥) الكافي ٢: ٩٤/ كتاب الإيمان و الكفر، باب الشكر، ح٣، عن عبدالله بن إسحاق الجعفري. تحف العقول: ٣٥٩. ومن الغِيَر، أي: من تبديل النعمة بالنقمة وتغيّرها شرح المازندراني على الكافي ٨: ٢٩٣. ومضمونه جاء في البيت: (فمن يشكرِ اللهَ يَلْقَ المزيد/ومن يكفرِ اللهَ يَلْقَ الغِيَرْ)، عيون الأنباء: ٧٠٥.

(٦) سورة إبراهيم ١٤: ٧.

وعنه ﷺ أنّه قال: «**أوحى الله تعالى إلى موسى : أُشكُرني حقَّ شكري، قال: يا ربِّ، كيف أشكرك حقَّ شكرك وليس من شكرٍ أشكرك به إلّا وأنت به منعمٌ عَليَّ؟ قال: يا موسى، الآن شكرتَني حين علمت أنّ ذلك منّي**»[١].

وقال محمود الورّاق:

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً ... عليَّ بها في مثلها يجب الشكرُ

فكيف بلوغ الشكر إلّا بفضله ... وإن طالت الأيّام واتّصل العمر؟!

فإنْ عَمّ بالسّرّاء عَمّ سُرورُها ... وإن عَمّ بالضرّاء أعقبه الأجرُ

وما منها إلّا له فيه نعمةٌ ... تَضيقُ بها الأوهامُ والبَرُّ والبحرُ[٢]

٢٧٦. مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَليلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثيرَ[٣].

لأنّ النعمة بالقلّة لا تخرج عن كونها نعمةً، فهي أيضاً نعمة يُستحقّ الشكرُ عليها على قَدْرها كما يستحقّ بالكثير، فمن لم يعرف حقّ القليل من النّعمة ولم يشكره، لم يعرف حقّ الكثير، ومن كان كذلك، كان كفوراً كنوداً، و إذا عَلِمَ أنّ الله تعالى يُحاسب العبد بمثقال ذرّةٍ ومثقال حبّةٍ من خَردلٍ، فإذا أنعم الله تعالى عليه أو غيرَه نعمةً قليلةً فلا يشكرها، فقد أخلَّ بواجبٍ عقليّ وفرضٍ شرعيّ.

---

(١) الكافي ٢: ٩٨/ كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح٢٧.

(٢) فضيلة الشكر لله: ٤٧/الرقم٤٥. زهر الآداب ١: ١٣٨. بَهجة المجالس ١: ٦٧.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٣٩ ، ح٣٧٧. مسند ابن حنبل٤: ٢٧٨. قضاء الحوائج: ٦٥، ح ٧٨.

٢٧٧. مَنْ عَزّىٰ مُصاباً، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ[١].

يُقال: عزّيتُ المصاب على مصيبته، إذا أمرته بالصّبر والتسلّي وترك الجَزَع، فتعزّىٰ هو؛ أي: تسلّىٰ[٢]. قال:

تَعَزَّ فإنّ الصبر بالحرّ أجملُ   وليس على رَيب الزّمان مُعَوَّلُ[٣]

أجر المُصاب يُفسَّر بالعوض، وأجر المُعزّي يُفسّر بالثواب؛ لأنّ المصاب لم يكن مصيبته من فعله ولا باختياره فيستحقّ عليها الثّوابَ، والمُعزّي إذا عزّى المصاب ونوى فيها القُربَة واتّباع السنّة والشفقة على المُعزّىٰ، فذلك طاعةٌ وعبادةٌ يَستحقّ بها الثواب.

وعزّى رجلٌ من أهل العلم رجلاً أُصيب بمصيبةٍ، فقال له ـ ويُنسب إلى الشافعي[٤] ـ:

إنّا نُعزّيك لا إنّا على ثقةٍ   من الحياة ولكنْ سُنّةُ الدّينِ

فلا المعزّىٰ بباقٍ بعد صاحبه   ولا المعزِّي وإن عاشا إلى حينِ[٥]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٣٩، ح٣٧٨. سنن الترمذي٢: ٢٦٨ / باب ما جاء في أجر من عزى مصابا، ح١٠٧٩، عن عبد الله. الكافي٣: ٢٠٥ / كتاب الجنائز، باب ثواب من عزّى حزينا، ح٢، عن الإمام الصادق وزاد فيهما (من غير أن ينتقص من أجر المصاب شيئا).

(٢) أُنظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ٩٥. كتاب العين ٢: ٢٠٥ (عزو).

(٣) الأمالي للقالي ١: ١٧٢. الصحاح ١: ١٤١ (ريب). زهر الآداب ٤: ٨٨، والبيت لإبراهيم بن كنف النبهاني. (ريب المَنون هو حوادث الدهر).

(٤) نسب إليه أيضاً في: المستطرف ٢: ٨٥٧.

(٥) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ : ١٧٢. الأمالي لابن سمعون ١: ٤١٢، وعزاه إلى الأعمش.

٢٧٨. مَنْ فَطَّرَ صائِماً، كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ[١].

أصل الفَطْر الشّقّ، والفَطْر الذي هو الخلق بهذا المعنى[٢]، كأنّ الله تعالى شقّ العدم فأخرج منه الوجود، على ضرب من التّوسّع. والفَطْر الذي هو عَجْن الدقيق منه؛ لأنّ العاجن يَشُقّه ويَكسره حتّى يلتئم[٣]. وأفطر الرّجل إذا شقّ صومه وقطعه، وفطّر غيره إذا جعله مفطراً بطعامٍ يدفعه إليه أو يُطعمه. فقال ﷺ: **«من أعطى صائماً طعاماً يُفطِر به، فله مثل أجر صومه».**

وروي أنّ رسول الله لمّا قال هذا الحديث في خلال خطبة كان يخطبها في فضل شهر رمضان وثواب صائميه، قال له رجلٌ: يا رسول الله، ليس كلّنا يقدر أن يفطّر صائماً؟ فقال ﷺ: **«إنّ الله كريم يعطي هذا الثواب لمن لا يقدر إلّا على مَذْقة لبنٍ أو شُربةِ ماءٍ باردٍ»**[٤]، وإنّما قال ذلك؛ لأنّ الصائم يتقوّىٰ على الصّوم بالطعام.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٤١، ح٣٨٢. سنن الترمذي٢: ١٥١/ باب ما جاء في فضل من فطر صائما، ح٨٠٤، عن زيد بن خالد. الكافي٤: ٦٨ / كتاب الصيام، باب من فطر صائما، ح١.

(٢) أُنظر: تهذيب اللغة ١٣: ٢٢٢ (فطر).

(٣) أُنظر: كتاب العين ٧: ٤١٧. الصحاح ٢: ٧٨١ (فطر).

(٤) الكافي ٤: ٦٧/ كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، قطعة من ح ٤. من لا يحضره الفقيه ٢: ٩٥/ كتاب الصوم، باب فضل شهر رمضان وثواب صيامه، قطعة من ح١٨٣١. الأمالي للصدوق: ٩٦/ المجلس الحادي عشر، قطعة من ح٧٤، عن أبي الورد، عن الإمام الباقر.

وقال **الصادق**عليه السلام: **«مَن أطعمَ مؤمناً، وجبت له الجنّة»**[١].

وقالعليه السلام: **«لا أدري أنّ شيئاً يعدل زيارة المؤمن إلّا إطعامُه، وحقٌّ على الله أن يُطعِم مَن أطعمَ مؤمناً من طعام الجنّة»**[٢].

٢٧٩. مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتي، رَفَقَ الله بِهِ[٣].

الرِّفق ضدّ الخَرق[٤]؛ وهو المداراة والملاينة؛ أي من استعمل الرِّفق وحُسنَ الخُلق مع أُمّتي، فعلَ الله به مثل ذلك؛ أي يُجازيه جزاءً يَليق به من تخفيف الحساب وحُسن الخطاب والتفضّل عليه بإسقاط العقاب؛ لأنّ الرِّفق من الله بمعنى الرحمة، ومَن رحِمه الله بفضله، لا يُعاقبْه بعد ذلك؛ لأنّه لا يليق بكرمه.

٢٨٠. مَنْ عادَ مَريضاً، لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ[٥].

عيادة المريض من العَود أيضاً؛ لأنّ عائده يعود إليه في كلّ وقتٍ،

(١) الكافي ٢: ٢٠١/ كتاب الإيمان و الكفر، باب إطعام المؤمن، ح٥، عن أبي حمزة، عن الإمام السّجاد. سنن الترمذي ٤: ٥٠، ح٢٥٦٦. مسند ابن حنبل ٣: ١٤، عن أبي سعيد الخدري، باختلاف.

(٢) الكافي ٢: ٢٠٣/ كتاب الإيمان و الكفر، باب إطعام المؤمن، ح ١٧، عن أبي شبل.

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٤١، ح٣٨٣. مسند إبن المبارك: ١١٨، ح٢٨٨. مسند إبن راهويه٢: ٥٣٦، ح١١١٩. المعجم الأوسط٧: ٨٢، عن عائشة، والأخيرين باختلاف يسير.

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ٧: ١٤. معجم مقاييس اللغة ٢: ١٧٢ (خرق).

(٥) مسند الشّهاب١: ٢٤٢ ، ح٣٨٤ و ٣٨٥. صحيح مسلم٨: ١٢. مسند ابن حنبل٥: ٢٧٧. المعجم الكبير٢: ١٠١ ، عن ثوبان.

يقال: عادَ الرّجل يعودُ عَوداً، إذا رجع، وعادَ المريض يعود عيادةً، والأصل عِوادة، قُلِبت الواو ياءً لكسرة العين قبلها[١]، كالصِّيام والقِيام.

وقوله: «**لم يَزَل**»؛ أي يدوم ولا يزول، وأصل ما زال من الزوال أيضاً، وإن كانت معدودة في أخوات كانَ في رفع الاسم ونصب الخبر، تقول: ما زال وما بَرِحَ وما فَتِئَ ومَا انْفَكَّ، بمعنىً، وإذا تصرّف الفعل له، لم يَبطُلْ عملُه، يقول: لم يزل ولا يزال، ولا زال بمعنى الدّعاء، وخبره مقدّر فيه، والتقدير: ما زال ثابتاً [أو] كائناً [أو] مُقيماً، فحُذف لدلالة «**في**» عليه؛ لأنّه يتعلّق بذلك المحذوف.

و**الخُرفَة**: ما يُخترَف من الثمار؛ أي يُجتنى، فُعلة بمعنى مفعولة، كالأُكلة واللُّقمة والجُرعة والغُرفة، ومنه الخريف للفصل الذي بعد فصل الصيف؛ لأنّه وقت اختراف الثمار[٢].

وقال **الصادق**عليه السلام: «**مَن زار أخاه لله لا لغيره التماسَ ما عند الله وتَنجُّزَ وعد الله، وكّل الله به سبعين ألف ملَك ينادونه: ألا طِبتَ وطابت لك الجنّةُ!**»[٣].

٢٨١. مَنْ دَعا عَلى مَنْ ظَلَمَهُ، فَقَدِ انْتَصَرَ[٤].

يُقال: دعا له بالخير، ودعا عليه بالشّرّ؛ إذا لعنه وأراد أن ينزّل الله به النقمة.

---

(١) جمهرة اللغة ٢: ٦٦٦.

(٢) النهاية ٢: ٢٤. كتاب العين ٤: ٢٥٢ (خرف).

(٣) الكافي ٢: ١٧٥/ كتاب الإيمان والكفر، باب زيارة الإخوان، ح ١. مصادقة الإخوان: ٥٦، ح ٤، عن أبي حمزة. المؤمن: ٥٨، ح١٤٨، عن الإمام الباقر.

(٤) مسند الشّهاب١: ٢٤٢، ح٣٨٦ و٣٨٧، ح٣٨٨. سنن الترمذي٥: ٢١٥، ح٣٦٢٢. مسند أبي يعلى٨: ٩٤، ح٤٦٣١. المصنَّف لابن أبي شيبة٧: ٩٣، ح١، عن عائشة.

والانتصار: الانتقام[١]، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[٢]، وقال: ﴿وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾[٣]، كأنّه تعالى اعتذر لشاعرٍ أن ينتقم من ظالمه بأن يهجوه ويلعنه ما لم يقذفه بما يوجب الحَدّ، وهذا تنبيهٌ على أنّ ترك الدّعاء على الظالم أولى بالمظلوم، وأن يَكِل أمره إلى الله، فالله أشدّ منه انتقاماً.

ورُوي أنّه لمّا سُقِيَ الحسنُ بن عليّ عليهما السلام السُّمَّ، دخلَ عليه أخوه **الحسين**عليه السلام، فقال له: «**كيف تجدك؟**» قال عليه السلام: «**سُقيتُ السُّمّ مراراً ولا كهذه، وأنا لما بي**»، فقال: «**مَن سقاكه؟**» قال: «**أنا عالمٌ بمَن سقاني ومن أين دُهيتُ، وقد وَكلتهُ إلى الله، وحقّي عليك أن لا تُهريق في حقّي مَحجَمة دمٍ ولا تنتقم من أحدٍ، فإنّي أُحاكمه إلى الله، والله أشدُّ نِقمةً منك، وهو أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً**»[٤].

ورويَ أنّ عائشة سُرِقَ من بيتها شيء، فدَعَت على السارق، فقال **النبيّ**صلى الله عليه وآله لها: «**لا تُسبّخي عنه بدعائك عليه**»[٥]؛ أي: لا تُخفّفي عنه. سبّخ الله عنه الحُمّى إذا خفّفها عليه وأماطها عنه.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٠٠ (نصر).

(٢) سورة القمر ٥٤: ٤٤.

(٣) سورة الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٤) الإرشاد ٢: ١٦، عن زياد المخارقي. شرح الأخبار ٣: ١٢٤. المصنَّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٣١، ح ٢٥١، عن عمير بن إسحاق، باختلاف.

(٥) غريب الحديث لابن سلّام ١: ٣٣. تهذيب اللغة ٧: ٨٧ (سبخ). تفسير الثعلبي ١٠: ٦٢.

٢٨٢. مَنْ مَشىٰ مَعَ ظالِمٍ، فَقَدْ أَجْرَمَ[(١)].

أجرَم الرّجلُ إجراماً فهو مُجرِمٌ[(٢)]، والجُرم اسمٌ للإجرام، الجَرْم: القطع، والجَرْم: الكسب أيضاً، والجِرم: جِرم الشيء وهو شخصه وجثّته[(٣)].

ومعنى الحديث أنّ من خالط الظَّلمة بوجهٍ من الوجوه، حتّى لو خَطا معهم خُطواتٍ، صار مجرماً واستحقّ الذّمَّ والعقاب، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ﴾[(٤)]. وقال: «**مَن تَشَبّه بقومٍ فهو منهم**»[(٥)] وقال الشاعر:

عن المرءِ لا تسألْ وأبصرْ قرينَه فإنّ القَرين بالمُقارِنِ يَقتدي[(٦)]

وروي عن **النبيّ** ﷺ أنّه قال: «**إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ من قِبل الله تعالى: أينَ الظَّلمةُ وأعوانُ الظَّلمة؟ فيُجمعون حتّى من ألاقَ لهم دواةً أو برىٰ لهم قلماً، فيُجعلونَ في تابوتٍ من حديد، فيُرمىٰ بهم في النار**»[(٧)].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٤٣، ح٣٨٩. تفسير الطبري٢١: ١٣٥، قطعة من ح٢١٥٥٨. تفسير ابن أبي حاتم٩: ٣١١٠، قطعة من ح١٧٨٧٥، عن معاذ بن جبل.

(٢) أُنظر: تهذيب اللغة ١١: ٤٦ (جرم).

(٣) الصحاح ٥: ١٨٨٥. كتاب العين ٦: ١١٨(جرم).

(٤) سورة هود ١١: ١١٣.

(٥) مسند ابن حنبل ٢: ٥٠. سنن أبي داود ٢: ٢٥٥/ باب في لبس الشهرة، ح٤٠٣١، عن ابن عمر. المعجم الأوسط ٨: ١٧٩، عن حذيفة.

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٩١. جَمهَرة الأمثال ٢: ٢٥١. التبيان في تفسير القرآن٣: ١٩٨ والبيت لعَديّ بن زيد.

(٧) الأمالي لابن بِشران١: ١٣٢، ح ١٢٠٥، عن عبدالله بن مسعود. الفردوس ١: ٢٥٥، ح ٩٨٩، عن أبي هريرة. ثواب الأعمال: ٢٦٠، عن السكوني، عن **الإمام الصادق**، عن أبيه باختلاف.

ورويَ أنّ بعض الصالحين دخل على أحد الظَّلمة لشفاعةٍ في محبوسٍ حُبِس ظُلماً، فقال له الرّجل: أصلِح ذلك القلم لأكتب في خلاصه، فأصلح القلم، فلمّا كتب ما التمسه، أخذ القلم وكسر رأسه فقال: لِمَ فعلتَ؟ قال: لئلّا تكتب بهذا القلم ما تُؤذي به مسلماً فأكونَ داخلاً في هذا الحديث.

٢٨٣. مَن تَشبَّه بقومٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ(١).

هذا الخبر يجري مجرى المَثَل؛ يعني مَن تزيّا بزِيّ قومٍ، واستشعر بشِعارهم، وإن لم يفعل مثل فعلهم، فهو منهم ويُعدّ في جملتهم؛ لأنّ الشرع إنّما يَعرف الظاهر، فإذا أظهر ذلك من نفسه، يُحكم عليه بحكمهم ويُعدّ منهم بالعرف، وهذا على طريق المبالغة في التشبيه.

٢٨٤. مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ، تَكَفَّلَ الله بِرِزْقِهِ(٢).

معنى الحديث: الحَثّ على طلب العلم، وأن لا يتعلّل في الاشتغال عنه بطلب الرّزق؛ فإنّ الله قد تكفّل به، يا عجباً منك أنّ الله آمَرك بأمرٍ ولم

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٤٤ ، ح٣٩٠، عن طاوس. سنن أبي داود٢: ٢٥٥/ باب في لبس الشهرة، ح٤٠٣١. مسند ابن حنبل٢: ٥٠، عن ابن عمر. نهج البلاغة، قطعة من الحكمة٢٠٧.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٤٤ ، ح٣٩١. معرفة الصحابة لأبي نعيم٣: ١٢٠٩، ح٣٠٤٤، عن زياد بن الحارث الصدائي.

تتكفّل به؟! وأنت مع ضعفك وقلّة قوّتك وآلتك تفي بما لم تضمَن، وهو تعالى تكفّل برزقك وهو غنيٌّ قادرٌ قاهرٌ، أتُراه لا يفي بمضمونه؟! قال الله تعالى: ﴿وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلّا عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾[1].

رُويَ أنّ بعض الصالحين رأى غلاماً في السوق في زمنٍ فيه قحطٌ شديدٌ وشدّةٌ عظيمة، وهو يُغنّي ويلعب، فقال له: يا غلام، أما تستحي؟! النّاس في هذه الشدّة وأنت تصنع ما تصنع؟! فقال الغلام: ما عليَّ بأسٌ من هذه السنة، لِسيّدي كذا وكذا وِقْرٌ من الغلّة. قال: فبكى الشيخ وقال: يا سبحان الله! ثقة هذا الغلام بغَلّة صاحبه أكثر من ثقتنا بربّنا وضِمانه رزقَنا!

٢٨٥. مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ، ضَرَّهُ جَهْلُهُ[2].

مَورد الحديث مورد النّهي والزجر عن القعود عن طلب العِلم والقناعة بالجهل، كأنّه قال: هَبْ أنّ العلم لا ينفع، أليس الجَهل يضرّ غايةَ المضرّة، ولا مَدفَعَ له إلّا العلمُ؟ ودفع المضرّة واجبٌ في قضيّة العقل ومقتضى الشّرع، بَلْهَ إنّ العلم أساس الدين وقاعدة الشرع، وهو في الدنيا جمال وكمال ومال، وفي الآخرة حسن المآب وحصول الثواب

---

(١) سورة هود١١: ٦.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٤٥ ، ح٣٩٢. مسند الشاميّين٢: ٢٨٢ ، ح١٣٤٥، وفيه (فقهه) بدل (علمه)، عن عبدالله بن عمرو. الزهد لأحمد بن حنبل: ٢٣١، ح١٦٤٤. الكنى والأسماء لأبي بشر٢: ٦٥٣، ح١١٥٩، عن الحسن.

ودفع العقاب وتيسير الأمور الصعاب. وفّقنا الله لطلب العلم والعمل به، وجعله لنا نافعاً وفي القيامة شافعاً، وجعله حجّةً لنا لا علينا بمنِّهِ وفضله!

٢٨٦. مَنْ أَبْطا بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ[١].

الإبطاء ضدّ الإسراع، والبطيء خلاف السريع، والبُطؤ لغةٌ في الإبطاء. وسَرعانَ مبالغة في السّرعة، يُقال: سَرعان هذا الأمرُ؛ أي ما أسرعه! تقول: سَرُع الرّجلُ يَسرُع سُرعةً فهو سريعٌ، وأسرعَ في كذا إسراعاً فهو مُسرِع، وفي خلافه بَطُؤ يبُطوء بُطئاً فهو بطيءٌ، وأبطأ إبطاءً. وهذا الحديث مورده مورد الحديث المُقدَّم، كأنّه قال: هَبْ أنّ العمل الصّالح يؤخِّر صاحبه، فنَسَبُه لا يُقدِّمُه.

والإبطاء والإسراع في الحديث كنايتان عن التقديم والتأخير؛ يعني أنّ النّسَب الرفيع لا يُغني في القيامة عن صاحبه شيئاً، وإنّما ينفع العملُ الصّالح[٢]، قال الله تعالى: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ﴾[٣] الآية.

وقيل: كان بين رجلٍ وعَلَويّ مُتغَلّبٍ معاملةٌ في عهد الصاحب ، وكان

---

(١) مسند الشّهاب١: ٢٤٥، ح٣٩٣. صحيح مسلم٨: ٧١. سنن أبي داود٢: ١٧٥/ باب الحث على طلب العلم، قطعة من ح٣٦٤٣، عن أبي هريرة. نهج البلاغة/ الحكمة٢٣.

(٢) أُنظر: النهاية ١: ١٣٤ (بطأ).

(٣) سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١.

العلويّ تَعدّى عليه وآذاه، فشكاه الرّجل إلى الصاحب، فكتب الصاحب إلى العلويّ:

لَعَمـــرُك مـــا الإنســـان إلّا بدينـــه فلا تترك التّقوى اتّكالاً على النّسَبْ

فقـد رفـع الإسـلام سـلمانَ فـارسٍ وقد وضع الشِّرك الشريفَ أبا لهبْ[١]

٢٨٧. مَنْ جُعِلَ قاضياً، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكّينٍ[٢].

ويُروى: «**من وُلّي القضاءَ**»[٣]؛ وذلك لأنّ عمل القضاء والقيامَ به وأداءَ الأمانة فيه أمرٌ عظيم وتكليفٌ شاقٌّ، ولا يخلو حال مَن يتولّاه من أمرين: إمّا أن يقوم به على ما أمرَ الله من الحُكم بالعدل والعمل بمقتضى الشّرع ومراعاة جانب الحقّ، فهو في تكلّف ذلك التكليف ومجاهدة النفس في ذلك في أشدَّ من الذّبح، وإن كان بالعكس من ذلك، فهو في الآخرة في أعظم من ذلك وأطمّ[٤].

وأرادَ بقوله: «**بغير سكّين**» أنّه ذبحٌ خافٍ؛ فإنّ الذبح إنّما يكون بالسكّين، فإذا وُجد مذبوحٌ ولم يكن هناك سكّين، كان ذبحاً بديعاً،

(١) ديوان الصاحب بن عبّاد: ١٨٣. محاضرات الأدباء ١: ٤١٤.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٤٦، ح٣٩٥. سنن أبي داود٢: ١٥٨/ باب في طلب القضاء، ح٣٥٧١. سنن الترمذي ٢: ٣٩٣ /باب ما جاء، عن رسول الله ﷺ في القاضي، ح١٣٤٠، عن أبي هريرة. المقنعة ٧٢١.

(٣) أُنظر المصادر.

(٤) أي: أكثر.

وهو مبالغة في وصفه بهلاكِ من يصل إليه من حيث لا يعلم[(١)].

٢٨٨. مَنْ حَمَلَ سِلْعَتَهُ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الكِبْرِ[(٢)].

السِّلعة: متاع البيت، والمَسلَعة: البيت الذي يوضع فيه السِّلعة[(٣)]، يقول: من لم يستنكف أن يتولّىٰ حمْل ما يحتاج إليه في بيته بنفسه، فقد برئ من الكِبر؛ لأنّ المتكبّر يأنَف من ذلك، وإنّما يحمل عنه بعض خَدمه وحشمه، ومن كان له خدم وحشَم ومع ذلك يحمل سلعته ومتاعه، فهو المراد بالحديث؛ لأنّ من لم يكن له أحدٌ يحمل عنه، تَحمله الضرورة على حملها بنفسه، وذلك من خُلق **النبيّ** ؛ فإنّه مع نفاذ أمره وقضاء حُكمه في السماء والأرض كان يجلس على الأرض ويأكل مع

---

(١) و يمكن أن يكون فيه وجه آخر؛ و ذلك أنّ الذبح بغير سكّين يكون آلم للذبيحة؛ لأنّه قد يُذبَح باللِّيطة و الصفيحة الّتي تَترُدُ و تَشدَخ و تدقّ و تَفضَخ، فهو أبطأ للموت و أريث للفوت؛ بخلاف الذبح بالسكّين؛ فإنّه إذا ذُبح بسكّينٍ مُرهَفَةِ الغِرار محدَّدةِ الأطرار كان أروَحَ له و أوحى و أعجلَ ليخلّصه من ألم الذبح، فشبّه المستقضى بالمذبوح بغير سكّين؛ لتعكُّس الأمر عليه واشتباهه وشكاية الناس له وتمزيقهم فَرْوَتَه ومضغهم له في كلّ حقّ وباطل. ضوء الشِّهاب ٢: ٥٥.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٤٧، ح٣٩٧. ذكر أخبار إصبهان١: ١٦٥، عن جابر بن عبدالله. الأمالي للطوسي: ٥٣٨، قطعة من ح١١٦٢، عن أبي ذرّ. الكافي٨: ٢٣١، قطعة من ح٣٠٢، عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: الصحاح ٣: ١٢٣١ (سلع).

العبد ويركب الحمار العاريَ، ويُردِف خلفه الرديفَ، وكان العبد الحبشي والأَمة السّوداء يضع يده في يده ويقيمه في الطريق ويحدّثه، فلا ينزع يده من يده لكرمهِ حتّى يكونَ هو الذي يبتدئ ويخرج[١]. والكِبر خَصلة سوء تُغطّي على كثير من الخصال الحسنة.

٢٨٩. مَنْ يُشادِّ هذَا الدّينَ يَغْلِبْهُ[٢].

المُشادَّة مُفاعلة من الشّدّة، وأراد بالدين الإسلام بإشارة «**هذا**» إليه، يقول: من أراد أن يعازَّ[٣] هذا الدينَ الذي هو الإسلام ويغالبَه بأن يشدّد على نفسه ما لم يكلّفْه الله ولم يوجِبه عليه من صيام الدّهر وقيام جميع اللّيل واجتناب الطّيّبات ممّا أحلّه الله له وترْك النكاح والوحشة من الناس والانزواء إلى كهوف الجبال وغِيرانها، إلى أمثال ذلك، فإنّ الدين يغلِبُه لا مَحالة؛ لأنّه لا يَقوىٰ على جميع ذلك، بل يضعف عنه.

قيل لرسول الله ﷺ: إنّ فلاناً أحدَ الصحابة لا يأكل اللّحم، ولا يأتي النساء، ولا يلبس إلّا الخشن تزهّداً، فدعاه وقال له: «**لِمَ تفعل هذا؟**» فقال:

---

(١) أُنظر: نهج البلاغة/ الخطبة ١٦٠. سنن البيهقي ١٠: ١٠١.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٢٤٧، ح ٣٩٨. مسند ابن حنبل ٥: ٣٥٠. صحيح ابن خزيمة ٢: ١٩٩، عن بريدة. المجازات النبويّة: ٢٦١، ح ٩.

(٣) أي: يغالب.

أطلب بذلك رضا الله سبحانه. فقال له: «**إنّ رضا الله يحصل بدون ذلك؛ أنا آكُل اللّحم وأنام باللّيل وآتي النساء، فدَع ما أنتَ عليه، مَن يُشادّ هذا الدين يَغلبه**». فتركَ الرّجل ما كان يفعله[١].

وقيل للحسن البصري: فلانٌ لا يأكل الفالوذ ويذمّه، فقال: رُبّ ملومٍ لا ذنب له[٢].

٢٩٠. مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفاعَةِ، لَمْ يَنَلْها يَوْمَ القِيامَةِ[٣].

الشَّفاعة في اللّغة أن يكون الرّجل شَفْعاً لصاحب الحاجة إلى المشفوع إليه[٤].

وأجمعتِ الأُمّة على ثبوت الشفاعة **للنبيّ** ، والخلاف بيننا وبين المعتزلة أنّهم يجعلونها في زيادة المنافع، ونجعلها في إسقاط المضارّ[٥]، وقد ذكرنا في ذلك طُرَفاً ممّا يليق بهذا الكتاب، وقال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً﴾[٦]:

(١) أُنظر: الكافي ٥: ٤٩٦/ كتاب النكاح، باب كَراهيَة الرُّهبانيّة وترك الباه، ح٥.

(٢) أُنظر: تفسير الثعلبي ٤: ١٠٢. عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٢١٩.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ٢٤٨، ح٣٩٩. الزهد لهناد ١: ١٤٣، ح١٨٩. الشريعة للآجري ٣: ١٢١١، ح٧٧٧، عن أنس بن مالك والأخيرين، باختلاف.

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ١: ٢٧٨ (شفع).

(٥) أُنظر: الرسائل للمرتضى ١: ١٥٠ـ ١٥٢. الرسائل العشر للطوسي: ٣٢٤.

(٦) سورة الإسراء ١٧: ٧٩.

إنّه مقام الشفاعة[١]، وكذا قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[٢][٣].

وروي: أنّه إذا كان يوم القيامة وقام الخلائق في موقف العرض، قال الله تعالى لنبيّه: يا محمّد سَل تُعطَ، فيقف في موقف الشّفاعة فيشفع، والله تعالى يُشفِّعه في مذنبي أُمّته حتّى يستحييَ، فيقول: «**يا ربّ حسبي حسبي**»، فيُوصل الله تعالى صوته إلى من بقي من أُمّته، فيقولون: يا ربّنا نَفدِت شفاعةُ نبيّك ولم تصِل إلينا؟ فيقول الله تعالى: «**إنْ نفدت شفاعة رسولي، فرحمتي لم تَنفَد**». فيغفر لهم ويُدخلهم الجنّة برحمته[٤].

٢٩١. مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ[٥].

المَسرّة والمساءة مصدران لسرّ وساء، وهما ضدّان من جهة العبارة، وكذلك الحسنة والسّيّئة، ويُعنى بهما الخصلة الحسنة والخصلة السيّئة، أو الطاعة والمعصية، وإنّما يكون كذلك؛ لأنّ من سُرَّ بطاعةٍ فَعَلَها،

(١) تفسير العياشي ٢: ٣١٤، ح١٤٨. التبيان في تفسير القرآن ٦: ٥١٢. تفسير الطبري ١٠: ١٢١.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ٥.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٥٧١. تفسير الثعلبي ١٠: ٢٢٤، عن حرب بن شريح، عن **الإمام الباقر** . تفسير ابن أبي حاتم ١٠: ٣٤٤٣، ح١٩٣٧٦، عن الحسن.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٢٤٨ ، ح٤٠٠، عن ابن عمر. سنن الترمذي٣: ٣١٥/ باب في لزوم الجماعة، قطعة من ح٢٢٥٤، عن عمر. التوحيد: ٤٠٨، قطعة من ح٦، عن محمّد بن أبي عمير، عن **الإمام الكاظم** . الكافي٢: ٢٣٢ / كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح٦، عن أبي العبّاس، عن الإمام الصادق.

من واجبٍ أو مندوبٍ إليه، فسروره بذلك إنّما يكون من صحّة اعتقاده وإيمانه بالثّواب وما وعدَ الله المؤمنين على الطاعة من نعيم الأبد.

وكذلك السيّئة والمساءة بها إنّما تكون لإيمانه بما أوعد الله عليها من العقاب في الجحيم، فجعل ذلك دليلاً على إيمانه وصحّة اعتقاده.

ورويَ أنّ رجلاً أتى **النبيّ** ﷺ فقال: إنّي أخاف أن أكون منافقاً، فقال: «**هل تُصلّي إذا كنت خالياً؟**» قال: نعم، فقال له: «**لستَ بمنافقٍ**»(١).

ورويَ أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله كان يمشي في السّوق ويُنادي على نفسه بأنّه مُنافق، فاجتمع النّاس عليه وقالوا: لِمَ تقول هذا؟ قال: لأنّي إذا كنتُ عند رسول الله، أكون خائفاً باكياً ذاكِراً للموت والقيامة والموقف، وإذا رجعتُ إلى أهلي، نسيتُ ذلك وأقبلتُ على أمور الدُّنيا، آكُل وأقول وأضحك. فقال له النّاس: ونحن جميعاً كذلك، فإن كان هذا نفاقاً، فما فينا مؤمن، فأتَوا **النبيّ** ﷺ وقصّوا عليه القصّة، فقال: «**لستُم بمنافقين، ولو بقيتم على ما تكونون عليه عندي، لصافَحَتْكُم الملائكةُ**»(٢).

---

(١) لم نجده منقولاً، عن **رسول الله** ، لكن وجدناه، عن عبدالله بن سِنان قال: كُنّا جلوساً عند **أبي عبدالله** إذ قال له رجل من الجُلساء: جُعلت فِداك يابن **رسول الله**! أتخاف عليّ أن أكون منافقاً؟ فقال له: «إذا خلوتَ في بيتك نهاراً أو ليلاً أليس تصلّي؟» فقال: بلى، فقال: «فلِمَن تصلي؟» فقال: لله. قال: «فكيف تكون منافقاً وأنت تصلّي لله لا لغيره؟!».
معاني الأخبار: ١٤٢/ باب معنى المنافق، ح ١.

(٢) الكافي ٢: ٤٢٤/ كتاب الإيمان والكفر، باب في تنقّل أحوال القلب، ح١. تفسير العياشي ١: ١٠٩، ح٣٢٧، عن سلام بن المستنير، عن الإمام الباقر، باختلاف.

٢٩٢. مَنْ صامَ الْأَبَدَ، فَلا صامَ[١].

أراد صوم الدّهر؛ لأنّه يدخل فيه العيدان وأيّام التشريق[٢]، والصيام المحرّم ثمانية: صوم العيدين، وصوم أيّام التشريق لمن كان بِمِنىً، وصوم يوم الشكّ على أنّه من شهر رمضان، وصوم نذر المعصية، وصوم الصّمت، وصوم الوِصال؛ وهو أن يجعل عشاءه سَحوره، وصوم الدّهر[٣].

وقوله: «**فَلا صامَ**» له معنيان:

أحدهما الخبر؛ يعني لا صيام له؛ لأنّه وإن أمسكَ عن الطعام والشراب والمفطرات، فإنّه لا يُثاب عليه ولا يحكم الشرع بصحّة صومه؛ لأنّ هذه الأيّام والوجوه نُهيَ المكلّف فيها عن الصّوم، فلا يكون صومه واقعاً على وجه الصحّة والقبول.

والثاني: أنّه بمعنى الدّعاء؛ لأنّ «لا» إذا دخلَ على الفعل الماضي أفاد الدّعاء، نحو: لا باركَ الله عليه! ولا جعل له فيه البركة! وما أشبه ذلك، فدعا عليه بما ارتكبه من الصّوم الحرام من صوم العيدين والتشريق.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٥٠ ، ح٤٠٥. صحيح البخاري٢: ٢٤٦. صحيح مسلم٣: ١٦٤. سنن ابن ماجة١: ٥٤٤ / باب ما جاء في صيام الدهر، ح١٧٠٦، عن عبدالله بن عمرو وح١٧٠٥، عن عبدالله بن الشخير.

(٢) غريب الحديث للخطابي ١: ٥١٩.

(٣) أُنظر: الرسائل العشر: ٢١٨.

٢٩٣. مَنْ خافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ، بَلَغَ الْمَنْزِلَ[١].

يُقال: أدلَج الرّجلُ إذا سار في أوّل اللّيل، وادَّلَجَ إذا سار في آخره[٢].

ومعنى الخبر على طريق المَثَل؛ يعني من اشتغل بأمور الدين وإعداد الزّاد للمعاد، وأسرَعَ في ذلك ولم يتباطأ فيه حتّى يفوت، بلغ المراد والمقصود، كما أنّ من سرىٰ في أوّل اللّيل، لا مَحالة يبلغ المنزل، وإنّما يفعل ذلك مَن أراد أن يدرك الغرض المطلوب في أوحىٰ مدّة[٣]، وخاف ـ إن لم يسارع إليه ـ الفَوتَ، فكذلك المؤمن في الدنيا، إذا لم يعلم كم بقي من عمره وهل يُمهَل إلى غدٍ أم لا، يَجُدّ ويَجتهد في عبادة ربّه وتدارُكِ ما فاته وتلافي فارِطه، وينتهز الفرصة في ذلك.

ومن كان غافلاً عن هذا، كمسافرٍ ينام في أوّل اللّيل ولا ينتبه في آخره، فإذا انتبه، رأى المنزل خالياً، والرِّفقة سائرةً، والشمسَ طالعةً، فيبقى فريداً وحيداً، فلا صاحب يصحبهُ ولا دليل يدلّه ولا أنيس يُؤنسه، فكذلك المقصّر المتواني في طاعة الله في أوان التمكّن والفرصة والاستطاعة والقوّة والشباب وفراغ البال وصلاح الأحوال، فإذا شاب وأدركه الضعفُ

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٥٠ ، ح٤٠٦. سنن الترمذي٤: ٥١، قطعة من ح٢٥٦٧. قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ٩١، قطعة من ح١١٥. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٠٨ ، عن أبي هريرة.

(٢) الزاهر في معاني كلمات النّاس: ٤٤٣. كتاب الأفعال ١: ٣٣٩.

(٣) أي: في أسرع مدة. فإن أحد معاني (الوحْي) هو السرعة. والوحي: السرعة، العين ٣: ٣٢١ (وحي).

والعجز وفاجَأَه الموت وأدركه الفوت، بطل عمله وخسر أمله، ذلك هو الخُسران المبين.

ومثله ما قال **عليّ**عليه السلام:

عند الصباح يَحمِدِ القومُ السُّرىٰ[١] تنجلي عنهم غَيابات الكَرىٰ[٢]

وقال **النبيّ**صلى الله عليه وآله: «**عليكم بالدُّلْجة؛ فإنّ الأرض تُطوىٰ باللّيل**»[٣]. والدُّلْجة اسمٌ لإدلاج[٤].

وقال الشاعر:

اصبر على ألم الإدلاج في السّحرِ وفي الرّواح إلى الحاجات والبُكَرِ

لا تَضجُرَنّ ولا يُعجِزك مَطلبُها فالنَّجْحُ يَتلَفُ بين العَجْز والضَّجَرِ[٥]

---

(١) مثل يضرب محتمل المشقة ليصل إلى الراحة وأصله أن القوم يسيرون بالليل فيحمدون عاقبة ذلك لقرب المنزل إذا أصبحوا.

(٢) الأمالي للصدوق: ٧١٨/ المجلس التسعون، ح٩٨٨، عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق باختلاف يسير. مجمع الأمثال ١: ٤٦٤ نسبه للجميح. و(غيابات الكرى) أي: خفايا الأسرار.

(٣) مسند ابن حنبل ٣: ٣٨٢، عن جابر بن عبد الله. سنن أبي داود ١: ٥٧٩/ باب في الدلجة، قطعة من ح ٢٥٧١، عن أنس. الأمالي للطوسي: ١٣٦/ المجلس الخامس، قطعة من ح ٢٢٠، عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني، عن الإمام الجواد.

(٤) المحيط فى اللغة ٧: ٤٥ (دلج).

(٥) الشعر والشعراء ٢: ٨٦٨، نسب البيتان إلى محمّد بن يسير. الفرج بعد الشدة للتنوخي ٢: ٤٥٨، نسبهما إلى نصير بن محمّد الأزدي. المناقب للكوفي ٢: ٥٧٧، نسبا إلى أمير المؤمنين.

٢٩٤. مَنْ يَشْتَهِ كَرامَةَ الآخِرَةِ، يَدَعْ زِينَةَ الدُّنْيا[١].

وهذا كقوله ﷺ: **«مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثلِ ضَرّتين، إذا أرضيتَ إحداهما، أسخطتَ الأُخرى»**[٢]. فلا تجتمع كرامة الآخرة وزينةُ الدُّنيا؛ لأنّهما بمنزلة الضّدّين، والضّدّان لا يجتمعان، فكأنّ الدنيا والآخرة في جهتين مختلفتين، فالطالب لهما لا يمكنه أن يجمع بينهما بالسعي في الجهتين؛ لأنّ الأكوان تتضادّ باختلاف الجهات، فمن أراد الجمع بينهما، كان كمَن طلب المُحال، ومثله قول أبي الطيّب:

وما الجمعُ بين الماء والنار في يدي   بأصعبَ من أن أجمع الجَدّ والفهما[٣]

وقال النبيّ ﷺ: **«من ترك لُبس ثوب الجمال تواضعاً لله، كساهُ الله حُلّة الإيمان»**[٤].

وقال ﷺ: **«لا يُطوّل الكُمّين إلّا ملعونٌ»**[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٥١ ، ح٤٠٧. الزهد والرقائق لابن المبارك: ١٠٧، قطعة من ح٣١٧. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٢٢٦، قطعة من ح٢٨٣ ، عن الحسن.

(٢) حلية الأولياء ٤: ٥١/ الرقم ٢٥٦. أدب الدنيا والدين: ١١٠، ونسب فيهما إلى وهب بن منبّه.

(٣) يتيمة الدّهر ١: ٢٥١. والجدّ بمعنى الحظّ والمراد من الفهم هنا العلم.

(٤) الأمالي للطوسي: ٥٣٨/ مجلس ١٩، ح ١١٦٢، عن أبي الأسود. سنن أبي داود ٢: ٤٣٢، ح ٤٧٧٨. شعب الإيمان ٦: ٣١٣، ح٨٣٠٤ ، باختلاف يسير.

(٥) أُنظر: وسائل الشيعة ٥: ٤٦/ كتاب الصلوة، باب استحباب قطع الرجل ما زاد من الكم ....

وقال ﷺ: «**زيادة الإزار في النار**»[(١)].

وقال ﷺ: «**مَن طوّل سراويله حتّى يدخل تحت قدميه، لعنه كلُّ مَلكٍ في الأرض والسّماء، وله بكلّ شعرةٍ على بدنه بيتٌ في النّار**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**صاحب القميصين لا يجد حلاوة الإيمان**»[(٣)].

وهذه الأخبار تُؤُوِّلت على أنّ مَن فعلَ ذلك قصداً لخلاف السنّة واستخفافاً بشعار الشريعة، استحقّ ذلك النوع من العقاب، نعوذُ بالله من سخط الله.

٢٩٥. مَنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ، حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهارِ[(٤)].

إذا كان من قوله ﷺ: «**الصلاة نور المؤمن**»[(٥)]، وكذا قوله: «**بشّر**

(١) صحيح البخاري ٧: ٣٤. سنن النسائي ٨: ٢٠٧. مسند ابن حنبل ٥: ٩، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

(٢) كنز العمّال ١٥: ٣١٧، ح ٤١١٩٨، نقلاً عن الديلمي، باختلاف.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) مسند الشِّهاب ١: ٢٥٢، ح٤٠٨. سنن ابن ماجة ١: ٤٢٢/ باب ما جاء في قيام الليل، ح١٣٣٣، عن جابر. علل الشرايع ٢: ٣٦٣/ ح٤، عن محمّد بن حسان الرازي، عن الإمام الباقر. المحاسن ١: ٥٣ / كتاب ثواب الأعمال، ح٧٩، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق.

(٥) مسند أبي يعلى ٦: ٣٣٠، ح ٣٦٥٥. مسند الشِّهاب ١: ١١٨، ح ١٤٤. الفوائد لتمام لرازي ١: ١٩٨، ح٤٦٥، عن أنس.

المشّائين في ظُلَم اللّيل إلى المساجد بالنور التّامّ يوم القيامة»[١]، فحقيقٌ أن يكون من يُكثر الصلاة باللّيل في وقت الرّاحة والدَّعَة ونوم النّاس وهدوء الأصوات ووقت السُّبات حَسنَ الوجه مزيِّناً في عيون الناس بالجمال، على خلاف مَن كان جيفةً باللّيل بطّالاً بالنّهار[٢].

٢٩٦. مَنْ أَحَبَّ دُنْياهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْياهُ[٣].

المحبّة في الحديث بمعنى الشهوة وميل الطِّباع، وعلامتها الطلب والتّتبّع. وقال ﷺ: «**حُبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة**»[٤].

---

(١) سنن ابن ماجة ١: ٢٥٧، ح ٧٨١، عن أنس. سنن أبي داود ١: ١٣٦، ح ٥٦١، عن بريدة. المحاسن ١: ٤٧/ كتاب ثواب الأعمال، ح ٦٥، عن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه.

(٢) و ذَهَبَ بعض المتأخّرين إلى أنّ معنى الحديث: مَن كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه؛ أي وجه مَكسَبه و عمله بالنهار، فجَعَلَ الوجهَ وجه ما يَجترحه العبد في نهاره، قال: لأنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، فهذا هو الوجه الحسن. ضوء الشِّهاب ٢: ٢٧.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٥٨ ، قطعة من ح٤١٨. مسند ابن حنبل٤: ٤١٢. الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٦، قطعة من ح٨.

(٤) الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٦، ح٩، عن الحسن. الكافي ٢: ٣١٥/ كتاب الإيمان والكفر، باب حبّ الدنيا والحرص عليها، ح١، عن هشام. الخصال: ٢٥، رأس كل خطيئة خصلة، ح ٨٧، عن درست بن أبي منصور، عن الإمام الصادق.

والمعنى: من اشتغل بطلب الدنيا وتتبّع لذّاتِها وزخارفَها، صار محروماً من منافع الآخرة ونعيمها الدائم الخالد، وكذلك في الطرف الآخر، من اشتغل بطلب الآخرة من عبادة الله واكتساب الخيرات والعمل بأنواع الطّاعات والعبادات، صارَ مضرّاً بالدّنيا، من حيث إنّه اشتغل بما يمنعه من طلب الدُّنيا، فصارت أمور دنياه مختلفة؛ لأنّ الجسم الواحد لا يمكنه أن يعمل عملين مختلفين أو ضدّين في حالةٍ واحدة.

وقيل في معناه:

إحراز دينٍ وضبط دنيىً ما اجتمعا قطّ في وثاقِ
إنْ صينَ[1] هذا أُضيعَ هذا ضدّان في حيّز الوِفاق[2]

٢٩٧. مَنْ أَهانَ سُلْطانَ الله، أَهانَهُ الله، وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطانَ الله، أَكْرَمَهُ الله[3].

قيل: المراد بسلطان الله عظمة الله، وقيل: المراد شرع الله ودينه، وقيل: المراد حجّة[4] الله وهو الإمام العادل المنصوب من قِبله لإضافته إليه.

والسّلطان وإن كان محتمِلاً لمعنى العظمة، فالإكرام والإهانة لا يليقان بهما. فمعنى الكلام لا يلتئم إلّا على ما ذكرناه، وتسمية الحجّة بالسلطان

---

(١) في نسخة (د): (أمين هذا).

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٥٩، ح٤١٩. السنة لابن أبي عاصم٢: ٤٨٩، ١٠١٧. مسند ابن حنبل٥: ٤٢. سنن الترمذي٣: ٣٤٠، ح٢٣٢٥، وليس فيه ذيله، وعن أبي بكرة.

(٤) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٣: ٩٥ (سلط).

من حيث إنّه يتسلّط على الباطل والشبهة ويَدحَضهما، والأخبار واردة بذلك في حقّ الأئمّة عليهم السلام.

٢٩٨. مَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ ـ خَيْراً كانَ أَوْ شَرّاً ـ كانَ كَمَنْ عَمِلَهُ[١].

وذلك لأنّ من أحبّ شيئاً لابدّ أن يهواه ويرضاه، واذا هوِيه ورضِيه، كان في الحكم كمن عمله وإن لم يباشره بنفسه، وإرادة الخير خير وطاعة، وإرادة الشرّ شرّ ومعصية، يستحقّ بها المدح والثواب أو الذمّ والعقاب، وجعْل المحبّ والمريد عاملاً نوع من التشديد والمبالغة في الأمر بمحبّة الخير والنهي عن محبّة الشرّ.

٢٩٩. مَنِ اسْتَعاذَكُمْ بِالله فَأَعيذُوهُ، ومَنْ سَأَلَكُمْ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعاكُمْ فَأَجيبُوهُ، وَمَنْ أَتىٰ إِلَيْكُمْ مَعرُوفاً فَكافِئوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا[٢]، فادْعُوا لَهُ حَتّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كافَأْتُمُوهُ[٣].

الاستعاذة طلب العَوذ والإعاذة، يقال: عاذ فلانٌ بفلان واستعاذ

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٥٩، ح٤٢٠، عن محمد بن علاثة، عن **الإمام الصادق** .

(٢) أي: لم تجدوا شيئاً لتعطوه لقاء صنعه المعروف بكم.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٦٠، ح٤٢١. سنن أبي داود٢: ٥٠٠ / باب في الرجل يستعيذ من الرجل، ح٥١٠٩. مسند ابن حنبل٢: ٦٨. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢٥٦، ح٨٠٦.

به فأعاذه؛ أي جعله في عِياذه وحمايته[١]؛ أراد: من قال لكم: بالله أعيذوني! فأعيذوه.

والسؤال والمسألة: طلب الرّجل الشيء ممّن هو فوقه، والرتبة معتبرة بين السائل والمسؤول.

والإجابة إفعالٌ من الجواب والجَوب، وأصله القطع[٢]؛ لأنّ[٣] بجواب المجيب تنقطع مسألة السائل، فكأنّ الجواب قد جابه؛ أي: قطعه. أراد: من قال لكم: بحقّ الله أعطوني، فأعطوه ولا تردّوه.

والدّعاء والدعوة أيضاً طلب الشيء، وبيّنّا أنّ أصله النداء والصِّياح بأحدٍ، نحو: يا فلانُ، والرتبة غير معتبرة فيه[٤]، إلّا إذا كان بمعنى السؤال، نحو دعاء العبدِ اللهَ، والدعوة تجري بين المِثلين إذا كانت محمولة على حقيقتها.

وقال ﷺ: «**لو دُعيتُ إلى كُراعٍ لَأجبتُ**»[٥].

---

(١) أُنظر: تهذيب اللغة ٣: ٩٣. المفردات: ٥٩٤ (عوذ).

(٢) أُنظر: النهاية ١: ٣١١. كتاب العين ٦: ١٩٢ (جوب).

(٣) هكذا في النسخ وهو غلط؛ لأن (أنّ) من الحروف المشبهة بالفعل تدخل على المبتدأ والخبر وتجعل المبتدأ اسماً لها، فيجب أن يوجد ما بعدها اسم واحد على الأقل، وفي هذه العبارة لا يوجد اسم. فالصحيح: لأنه.

(٤) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ٤: ٢٤٨، سورة الأنعام.

(٥) مسند ابن حنبل ٢: ٤٢٤. صحيح البخاري ٣: ١٢٩، عن أبي هريرة. من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٩٩، كتاب المعيشة، باب الهديّة، ح ٤٠٧٠.

وفي قوله ﷺ: «**ومن أتىٰ إليكم معروفاً**»؛ فالإتيان هاهنا بمعنى الفعل والصُّنع، وإنّما عدّاه بـإلى؛ لأنّه ضمّنه معنى أسدىٰ؛ أراد: من فعل بكم معروفاً وأسدىٰ إليكم خيراً، فكافِئوه وقابِلوه فيما فعله بكم، فإن لم تقدروا على مكافأته ومقابلته، فادعوا له بالخير؛ مثل: بارك الله لك وعليك وفيك! وزاد أضعاف هذا في عمرك ومالك! وما أشبه ذلك، بمقدار ما تعلمون أنّه وقع في مقابلة صنيعه بكم. وهذه الكلمات جامعة لمكارم الأخلاق، وعلّمناها لنتأدّب بها.

٣٠٠. مَنْ مَشىٰ مِنْكُمْ إِلى طَمَعٍ، فَلْيَمْشِ رُوَيْداً[١].

وهذا أيضاً من الآداب الحسنة وتوفيق الناس على ما يُصلح أمرَهم ويُحصّل مقصودَهم؛ يعني من كان طامعاً في أمرٍ من الأمور، فلْيتأنَّ ولْيتّئدْ ولا يَعجلْ ولا يبالغْ ولا يُبرِمْ؛ فإنّ ذلك ممّا يُنفّر ويقوّي داعي المسؤول إلى الرّد تضجّراً وتبرّماً، وقد مدح الله بذلك قوماً فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسيماهُمْ لا يَسْأَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً﴾[٢].

وأصل رُوَيداً إروادٌ، رُدّ إلى أصله بحذف زوائده، فصار رُوَّداً، ثمّ صُغّر فصار رُوَيداً، ثمّ جُعل اسماً للإمهال[٣].

---

(١) مسند الشّهاب١: ٢٦١، قطعة من ح٤٢٢. معجم ابن الأعرابي٣: ١٠٨٠، قطعة من ح٢٣٢٩، عن عبد الله. العزلة للخطابي: ٢٩.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٧٣.

(٣) أُنظر: جمهرة الأمثال ١: ٤٨٣.

والمعنى: فلْيَمْشِ مشياً رُوَيداً؛ أي ساكناً، ويجوز أن يكون في محلّ الحال؛ أي فليمش مُرودِاً، قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[1].

٣٠١. مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ[2].

قال الخطّابيّ: يُقال أعذر الرّجلُ إذا بلغ أقصى العُذر، ومنه قولهم: أعذر من أُنذر[3]، وعَذّر إذا لَمْ يبالغ فيه[4]، وأعذرتُ الصّبيَّ إعذاراً إذا ختنتَه[5]، وأنا مُعذِر والصبي مُعذَرٌ، والعِذار والإعذار طعام الختان[6]،

(١) سورة الطارق ٨٦: ١٧. وقال بعضهم: لا تطمع؛ فانّ الطمع مركبٌ من ثلاثة احرف مجوّف ولا خير في المجوّف. ضوء الشِّهاب ٢: ٧٤.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٦١، ح٤٢٣، عن سهل بن سعد و٢٦٢، ح٤٢٤. صحيح البخاري٧: ١٧١. مسند ابن حنبل٢: ٤١٧. صحيح ابن حبّان٧: ٢٤٥، عن أبي هريرة.

(٣) غريب الحديث للخطابي٢: ٣٥٩.

(٤) وقد جاء في اللغة: وعذّر الرجل تعذيراً إذا لم يبالغْ في الأمر وهو يُريك أنه يبالغُ فيه، كتاب العين ٢: ٩٤ (عذر). وذكر الحربي في توضيح آية (وجاء المعذّرون من الأعراب) هكذا: والمعذِّر على جهة المفعِّل [أي: إذا أخذناه من باب التفعيل وليس من باب الافتعال حتى نقول: أُدغم التاء عند الذال] هو الذي يعذر بغير عذر... عن أبي عبيدة: المعذرون؛ أي: من يعذر وليس بجادّ، يُظهر غيرَ ما في نفسه، غريب الحديث ١: ٢٧٣ (عذر). ويقول الجوهري: والتعذير في الأمر: التقصير فيه، الصحاح ٢: ٧٤٠ (عذر).

(٥) كتاب العين ٢: ٩٥ (عذر).

(٦) يقول ابن الأثير في إيضاح حديث: الوليمة في الإعذار حق، الإعذار: الختان. يقال: عذرته وأعذرته، فهو معذور ومُعذَر، ثم قيل للطعام الذي يُطعَم في الختان: إعذار، النهاية ٣: ١٩٦ (عذر).

قال الشاعر:

كلّ الطّعام تشتهي ربيعهْ الخُرس والإعذار والنقيعهْ[(١)]

وأعذَرتُ الدّابّة بالعِذار وعَذرتُها لغتان[(٢)]، وتقول: مَن عَذيري مِن فلان؟ تعني: مَن يَعذِرني ويقوم بعُذري[(٣)]؟ وقوله:

.... عَذيرَك مِن خليلك مِن مُرادِ[(٤)]

أي هَلُمّ مَن يَعذرِك[(٥)].

---

(١) كتاب العين ١: ١٧٢(نقع). تهذيب اللغة ٢: ١٨٧. معجم مقاييس اللغة ٤: ٢٥٥ (عذر). والخُرْس ـ بالضّمّ ـ طعام الولادة، الصحاح ٣: ٩٢٢ (خرس).

(٢) أعذرت الدابة أي: ألجمتها، راجع: غريب الحديث لابن سلّام ١: ١٣٣.

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٤: ٢٥٣ (عذر). المحيط في اللغة ١: ٨٤. الزاهر في معاني كلمات النّاس: ٢٨٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤: ٢٥٣ (عذر). الأغاني ١٥: ١٥٠ والبيت لعمرو بن معديكربٍ وتمام البيت: أريد حِباءه ويريد قتلي/عَذيرَكَ مِن خليلك مِن مراد؟، هذا المصراع من قول عمرو بن معديكربٍ الصحابي، في ابن أخته قيس بن المكشوح المرادي... والحِباء: بكسر المهملة بعدها موحدة: العطية. حدث أمر بينهما أوجب التقاطع. يقول: أريد نفعه وحباءه مع إرادته قتلي، وتمنّيه موتي، فمن يعذرني منه؟!، خزانة الأدب ١٠: ٢٢٧.

(٥) يقول الرضي الأستراباذي عند ذكر حالات يجب إضمار الفعل سماعاً: ومنها قولهم: عذيرَك من فلان، والعذير إما بمعنى العاذر كالسميع أو المُعذِر كالأليم بمعنى المؤلم، وأعذر وعذر بمعنى، ويجوز أن يكون العذير بمعنى العذر، إلا أن الفعيل في مصدر غير الأصوات قليل، كالنكير، وأما في الأصوات كالصهيل والنئيم [صوت القوس] فكثير، والعذير أيضاً: الحال يحاولها المرءُ يُعذَر فيها... أي: أحضِر عاذِرك أو عذرك أو الحالَ التي تُعذَر فيها ولا تُلامُ... و(مِن) في (مِن فلان) أي: من أجل الإساءة إليه وإيذائه). شرح الرضي على الكافية ١: ٣٤٢/ حذف ناصب المفعول به.

يقال عُمِّر الرجلُ إذا طال عمره[١]، وعمّره الله تعميراً. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ يعنى ستّين سنةً[٢]، ﴿وَجاءَكُمُ النَّذيرُ﴾[٣]؛ يعني الشّيب[٤].

وعن ابن عمر قال: قال **النبيّ** ﷺ: «**ما أعمار أُمّتي في أعمار مَن مضىٰ إلّا كما بين العصر إلى مُغَيرِبان الشمس**»[٥].

وعن أنس قال: قال **النبيّ** ﷺ: «**لكلّ شيءٍ حَصاد، وحصاد أمّتي ما بين السّتّين إلى السبعين**»[٦].

وعن وهب في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً﴾[٧] أنّه قال: ذلك وهو ابن خمس وستّين سنة[٨].

وعن ابن عبّاس، عنه ﷺ أنّه قال: «**إذا كان يوم القيامة نُوديَ: أين**

(١) الصحاح ٢: ٧٥٦ (عمر).

(٢) صحيح البخاري ٧: ١٧١/ باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر. أمثال الحديث: ٦٦، ح٢٨، عن أبي هريرة، عنه .

(٣) سورة فاطر ٣٥: ٣٧.

(٤) معاني القرآن ٥: ٤٦٢. تفسير الطبري ٢٢: ١٧١. التبيان في تفسير القرآن ٨: ٤٣٤.

(٥) مسند ابن حنبل ٢: ١٢٤. المعجم الكبير ١٢: ٣١٥، باختلاف يسير. الـمُغَيرِبان: مصغَّر: مغرب، أُنظر: النهاية ٣: ٣٥١ (غرب).

(٦) ربيع الأبرار ٣: ٢٩. تاريخ دمشق ٤٥: ٢٨٥.

(٧) سورة مريم ١٩: ٨.

(٨) أمثال الحديث: ٦٦، ذيل ح٢٨. البصائر والذخائر ٣: ٢٣، رواه عن ابن عبّاس وفيه (تسعون) بدل (ستين).

أبناء الستّين؟ وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[(١)]»[(٢)].

وقيل: رأى وهبٌ عَمرو بن دينار، فقال له: كم أتى عليك من السنين؟ فقال: ستّون سنةً، فقال: ينبغي لمن سار إلى الله ستّين سنةً أن يكون قد أناخ به[(٣)]. ثمّ قال:

وإنّ امرءً قد سارَ ستّين حِجّةً ... إلى منهلٍ من وِردهِ لَقريبُ[(٤)]

وعنه ﷺ أنّه قال: «**إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنةً، صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء: الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ خمسين سنةً، خفّف الله عنه ذنوبه. فإذا بلغ ستّين سنةً، رزقه الله الإنابة. فإذا بلغ سبعين سنة، أحبّه أهل السّماء، فإذا بلغَ ثمانين سنة، أُثبِتت حسناته ومُحِيت سيّئاته، فإذا بلغ تسعين سنة، غُفِرت ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر، وكان أسير الله في الأرض، ويُشَفَّعُ في أهل بيته يوم القيامة**»[(٥)].

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ٣٧.

(٢) أمثال الحديث: ٦٦، ح٢٧. المعجم الأوسط ٨: ٤٩. تفسير ابن أبي حاتم ١٠: ٣١٨٤، ح١٨٠٠٤.

(٣) ربيع الأبرار ٣: ٣٠.

(٤) المخصص ١٣: ١٩١، وقد نسب البيت إلى أحمد بن يحيى ثعلب. الأمالي للمفيد: ٣١٦، عزا البيت إلى أبي الحسن الرَّحْبي النحوي باختلاف. و(الحِجّة) بمعنى سنة.

(٥) معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣: ١٥٩٧، ح٤٠٢٦. مسند ابن حنبل ٣: ٢١٨. الخصال: ٥٤٦، ح٢٧، عن أنس بن مالك، باختلاف يسير.

وعن وهب قال: مكتوبٌ في التوراة: أبناءَ الأربعين، زرعٌ قد دنا حصاده؛ أبناءَ الخمسين، هَلُمّوا إلى الحساب! أبناءَ الستّين، ماذا قدّمتم وماذا أخّرتم؟ لا عذرَ لكم، أبناءَ السبعين، عُدّوا أنفسكم من الموتى، ليتَ الخلائقَ لم يُخلَقوا! فإذا خُلِقوا، علموا لماذا خُلِقوا؟![1]

وقال بعضهم:

تَزَوّدْ من الدنيا فإنّك راحلُ   وبادِر فإنّ الموت لا شكّ نازلُ
وإنّ امرءاً قد عاش ستّين حِجّةً   ولم يتزوّد للمعاد لَجاهلُ[2]

ولآخر:

إحدى وستّون لو مرّت على حجرٍ   لكان في حُكمها أن يُخلَق الحجرُ
فكيف مَن بلغ السّبعين واضطربت   أعضاؤه وحناه الضعف والكِبرُ
تُؤمّلُ النّفس آمالاً لتبلُغها   كأنّها لا ترى ما يصنع القدرُ![3]

ولآخر:

إذا كانت الستّون عمرَك لم يكن   لدائك إلا أن تموت طبيبُ[4]

---

(١) نوادر الأصول ٢: ١٥٧. حلية الأولياء ٤: ٣٣/ الرقم ٢٥٦.

(٢) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ : ١٢٦، وفيه البيت الأوّل. تنبيه الخواطر ٢: ٥٤١.

(٣) التدوين في أخبار قزوين ٢: ١٧٨. بحر الدموع: ٩٣.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٤٧. البيان والتبيين: ٤٨٣، نسب فيهما إلى الحجاج بن يوسف التيميّ. التبيان في تفسير القرآن ١: ٢٢، نسب إلى حميد بن ثور الهلالي باختلاف يسير.

وأحسن من هذا كلِّه قول بعض المحدّثين:

مـا بعـد سـتّين سوى رِحلَـةٍ تُشَـدُّ فيهـا أرحُـل النُّـوقِ
فالـدّهر رامٍ والـرَّدىٰ سـهمُه وعقـدُ سـتّين علـى الفُـوق[1]

٣٠٢. مَنْ أَصْبَحَ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ غُفِرَ لَهُ مَا جَنى[2].

تقـول العـرب: أصـبح فـلانٌ كريمـاً، وأضـحىٰ فقيـراً، وأمسـىٰ أسـيراً، وليس غرضهم في ذكر هذه الأوقات قصرَ الكلام عليها، وإنّما المراد صار بهذه الصفة[3].

يعني من لم يكن في نيّته أصلاً أن يظلم أحداً، غفر الله له جنايته. **وما** موصولة، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾[4] الآية؛ وذلك لأنّ الظلم جنايةٌ متعدّية، وما سواه فهو بينه وبين العبد، فالكرم يقتضي أن يغفر له بفضله؛ لأنّه لا يضرّه معصيةُ عاصٍ ولا ينفعه طاعةُ مطيعٍ.

وفي دعاء **الأئمّة** عليهم السلام: **«يا من لا تزيده طاعة المطيعين، ولا تنقصه**

---

(١) روض الجنان ١٦: ١٢٢.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٢٦٣، ح٤٢٥، عن أنس بن مالك. الكافي ٢: ٣٢١ / كتاب الإيمان والكفر، باب الظلم، ح٧، عن إسحاق بن عمار، عن **الإمام الصادق**، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: تفسير الثعلبي ٧: ٢٦٦.

(٤) سورة النساء ٤: ٣١.

معصية العاصين، هَبْ لي ما لا يزيدك، واغفر لي ما لا ينقصك!»[١].

٣٠٣. مَنْ سَاءتْهُ خَطِيئَتُهُ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ[٢].

يعني: من اغتمّ بمعصيةٍ عمِلها، غفر الله له تلك المعصيةَ من غير استغفارٍ بفضله وكرمه؛ وذلك لأنّ مَساءته وحزنه بالسّيّئة لا يكونان إلّا من حسن إيمانه وصحّة اعتقاده وخوفه من الله في معصيته، ولا يمتنع أن تصير تلك المساءة كفّارةً لتلك المعصية، ولأنّ المساءة يُصاحبها الندم في أكثر الأحوال، والندم توبة، ومن ندم على معصيته، لا يَبعد أن يغفر الله له، وإن لم يستغفر بلسانه.

٣٠٤. مَنْ أَلْقى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ[٣].

الجلباب: القناع[٤]، وقيل: اللِّثام والنقاب، وتَجلبَبَت المرأةُ بجلبابها إذا تسترّتْ به، وجلببتُه: ألبسته الجِلبابَ[٥].

---

(١) أُنظر: الصحيفة السجّادية ٢٤٨/ الدعاء ٥٠. الأمالي للصدوق٢١٩/ المجلس التاسع والثلاثون، ح٥.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٦٤، ح ٤٢٨، عن الحسن. معجم ابن الأعرابي٢: ٨١٨، ح١٦٧٦، عن أنس.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٦٣ ، ح٤٢٦. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٤٢ ، ح١٠٢، عن أنس بن مالك. تحف العقول: ٤٥. الاختصاص: ٢٤٢، عن الإمام الرضا.

(٤) تفسير الطبري ١٨: ٢٢٠. التبيان في تفسير القرآن ٧: ٤٦١.

(٥) أُنظر: كتاب العين ٦: ١٣٢. معجم مقاييس اللغة ١: ٤٧٠ (جلب).

يعني من تعرّىٰ من لباس الحياء ولا يخاف الله ولا يستحيي من الناس فيما يفعل، أُذكروه بما فيه؛ فإنّ ذكره بما فيه لا يكون غِيبةً.

ومنه قول **عليّ**عليه‌السلام: «**لا غيبة لفاسقٍ**»[1]، وقوله: «**اذكر الفاسق بما فيه**»[2]. وإنّما رخّص لنا في ذلك؛ لأنّه ربّما يُنقل إليه، فيَشُقّ عليه، فيكون داعياً له إلى التوبة، وصارِفاً عن المعصية.

٣٠٥. مَنْ خَافَ اللهَ خَوَّفَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ خَوَّفَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[3].

بيّنّا أنّ الخوف من باب الظّنّ، وهو الظنّ لفوت منفعةٍ أو وصول مضرّة؛ يعني: من خاف عقاب الله وراقبَ جانب الله، ألقى الله خوفه في قلوب الناس، وجعل ذلك كالحامي له والحافظ، ومَن لم يخف عقاب الله، ولم يلتفت إلى أوامر الله ونواهيه ولم يُراقب جانب الله، جعل الله قلبه بالخذلان ضعيفاً واهياً حتّى يخاف من كلّ شيء.

ويُحكى عن مالك بن دينار قال: حججتُ في بعض السنين، فانقَطع

---

(١) لم نعثر على قول **الإمام عليّ** ووجدناه عن **النبيّ** باختلاف يسير في: المعجم الكبير ١٩: ٤١٨. طبقات المحدثين بأصبهان ٣: ٤٧٩، عن بهز بن حكيم.

(٢) ذم الكلام وأهله ٤: ٢٠٧، ح٦٧٨. سنن البيهقي١٠: ٢١٠. المعجم الكبير ١٩: ٤١٨، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، وفيهم (الفاجر) بدل (الفاسق).

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٦٥ ، ح٤٢٩، عن واثلة بن الأسقع. كشف الخفاء ٢: ٢٧٧، ح ٢٦٠٠.

بي، وتخلّفتُ عن القافلة، فكنتُ أمشي على التّوكّل في ليلةٍ قمراء، فإذا أنا بشخص أسود مُنكَر على قارعة الطريق يبكي، فخفتُ منه وارتعتُ، ثمّ دَنَوتُ منه وقلتُ له: يا هذا، أجنّيٌّ أنت أم إنسيٌّ؟ فقال لي: أمؤمنٌ أنت أم كافر؟ قلت: مؤمن، فقال: كذبتَ، لو كنتَ مؤمناً، لما خفتَ سوى الله.

قلت له: من أنت؟ قال: أنا طريد المملكة[1]، قلتُ: يا سبحان الله! لِمَ لَم تسجد لآدم سجدةً وتتخلّص من اللّعن والطّرد؟ قال لي: يا سليم القلب، أما تقرأ في القرآن: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[2]؟ وهذا يدلّ على أنّه كان كافراً منافقاً، ولم يكفر بترك السجدة، وإنّما صار ترك السجدة سبباً لظهور نفاقه.

وروي أنّ في بعض الغزوات خرج صِنديد من صناديد الكفّار، وقيل: انه كان ذا الخمار، ويقول: ألا مَن عَرَفَني فقد عرفني، ومَن لم يعرِفني فأنا أُعرّفه اليوم نفسي، أنا قاتل مَعْد وأسيد وحصين، مَن بارَزَني اليوم، أثكلتُ به أقاربَه. فقال بعض الصحابة: والله إنّ لسانه هائل، فكيف بسنانه؟!

فخرج إليه **أمير المؤمنين**عليه السلام، فتجاولا ساعةً، ثمّ ضربهُ ضربةً فقتله، وجاء برأسه فطرحه بين يدي **النّبيّ**صلى الله عليه وآله، فقال له الصحابي: أما خِفته حين بارزته؟ فقال عليه السلام: «**وكيف يخاف سوى الله من لم يعبد سواه طَرفة عين**؟!»[3] ولهذا يُقال فيه: كرّم الله وجهه؛ لأنّه كرّم وجهه أن يضعه لغير الله[4].

(١) هكذا في النسخ ولعلّ الصحيح: الملائكة.

(٢) سورة البقرة ٢: ٣٤.

(٣) روض الجنان ١٨: ٢٧٠.

(٤) إلى هنا تنتهي النسخة (د) ونسخة (هـ) إلى آخر الكتاب.

٣٠٦. مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ[(١)].

اللّقاء والملاقاة والالتقاء والتلاقي، كلّها في كلام العرب مقابلة في مقاربة، ولذلك جُعِل اللّقاء بمنزلة العَلَم للقتال، من حيث إنّ المتحاربَين يتقابلان ويتقاتلان بالطعن والضرب. ويوم اللّقاء يوم الحرب عندهم، والتقى الصفّان وتلاقى الفريقان إذا تقابلا للقتال، وأكثروا ذلك في أشعارهم، فقال:

فلمّا التقى الصّفّان واختلف القَنا   نِهالاً وأسباب المنايا نِهالُها[(٢)]

وقال آخر:

فلمّا التقينا بيّن السّيفُ بيننا   لِسائلةٍ عنّا حفيٌّ سؤالُها[(٣)]

وقال آخر:

فلم تُغن جَرمٌ نهدَها إذ تلاقتا   ولكنّ جَرْماً في اللّقاء ابْذَعَرّتِ[(٤)]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٦٦، ح٤٣٠، عن عائشة. صحيح البخاري٧: ١٩١. صحيح مسلم٨: ٦٥. سنن الترمذي٢: ٢٦٤/ باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ح١٠٧٢، عن عبادة بن الصامت.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٥٤. زهر الآداب وثمر الألباب ٢: ٤١٣، والشاعر: أثال بن عبدة بن الطبيب.

(٣) الكامل فى اللغة والأدب ١: ٨١. شرح ديوان الحماسة ١: ٤٩.

بيّن: أظهر. لسائلة عنّا؛ أي: لامْرأةٍ تسأل وهي حفيّ سؤالها: أي مبالِغة في سؤالها.

(٤) الأصمعيات: ١٢٢. معجم ما استعجم ١: ٤٢ والبيت: لعمرو بن معديكرب.

جَرْم ونَهْد اسم لقبيلتين، اِبْذَعَرَّتْ: تفرّقت.

وكلُّ فعلٍ في كلام العرب جاء ثلاثيّة المجرّد لمعنىً، فمزيده لا يكون إلّا لذلك المعنى، نحو: ضَرَبَ وأضرب واضطربَ وضاربَ وتضاربَ، ومزيد هذا الفعل يجيء على قياس سائر الأفعال، وليس شيء من ذلك في باب الرّؤية بشيء، يُقال: ألقى متاعه بعضَه على بعض؛ أي جعله يلاقي بعضُه بعضاً؛ أي يُماسّ، ومنه التقاء الخِتانين، وهما بمعزل من معنى الرؤية.

وفي الحديث: «**نهىٰ رسول الله ﷺ عن تلقّي الرُّكبان**»[1] ومعلومٌ أنّه لم ينه عن رؤيتهم، ويقولون هذا خبرٌ متلقًّى بالقبول، يستحيل أن يقال هو مرئيٌّ بالقبول، وتلقّيتُ هذه المسألة من فلان؛ أي تلقّفته وأخذته منه. والتّلقّي في حديث الرُّكبان بمعنى الاستقبال[2]، وقوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾[3]؛ أي: أخذها وقبِلها[4]. فتبيّن بهذه الجملة أنّ اللِّقاء لا يكون بمعنى الرؤية.

ومعنى الحديث لا يستقيم على ذلك القول؛ لأنّ التقدير عليه: مَن أحبّ

(١) الكافي ٥: ١٦٩/ كتاب المعيشة، باب التلقي، ح٤، عن منهال القصاب، عن الإمام الصادق. الخلاف ٣: ٤٢. صحيح البخاري ٣: ٢٨/ باب النهى عن تلقى الركبان، عن أبي هريرة.

(٢) أُنظر: كتاب العين ٥: ٢١٦ (لقو). شمس العلوم ٩: ٦١٠٠.

(٣) سورة البقرة ٢: ٣٧.

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧. تهذيب اللغة ٩: ٢٢٨. تفسير الرازي ٣: ١٩.

رؤية الله، أحبّ الله رؤيته، والله تعالى يرى مَن يُحبّ رؤيته ومن لا يُحبّ؛ وكذلك من كرِه رؤية الله، كره الله رؤيته، ولابدّ له جلّ جلاله من رؤيته، أرادَ أم كَرِه، ما دام المرئيّ موجوداً، مع أنّ الخبر يفيد إثبات الكراهة لله تعالى.

ومعنى الخبر: مَن أحبَّ المصير إلى جِوار الله ودار ثوابه، أحبّ الله أن يُصيّره إلى هناك، ويُثيبه في دار الثّواب على حسب استحقاقه، ومَن كره ذلك لنفسه من حيث إنّه لم يؤمن بالله ولم يعمل بطاعته، كره الله أن يُثيبه، من حيث إنّه لم يستحقّ شيئاً من الثواب.

٣٠٧. مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ[١].

ومثله قوله ﷺ: «**العلم لا يَحِلّ منعُه**»[٢]. قيّد هذا الحديث ولم يُطلقه، فقال ﷺ: «**عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ**»، فإن سُئِل عن علمٍ لا يعلمه، فلم يُجب عنه ولم يُفْتِ فيه، لم يستحقّ هذه العقوبة، بل يستحقّ العقوبة لو أفتىٰ وأجاب بغير علمٍ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَكْتُمونَ ما أَنزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ والْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ في الْكِتابِ أولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ﴾[٣]،

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٦٧ ، ح٤٣٣، عن طلق. سنن الترمذي٤: ١٣٨/ باب ما جاء في كتمان العلم، ح٢٧٨٧. مسند ابن حنبل٢: ٢٦٣، عن أبي هريرة. سنن ابن ماجة١: ٩٧/ باب من سئل عن علم فكتمه، ح٢٦٤، عن أنس بن مالك.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٨٥، ح ٨٤، عن أنس.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٥٩.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يَكْتُمونَ ما أَنـزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتابِ﴾[١] الآية، ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمونَهُ﴾[٢]. قال ابن عبّاس: إنّ الله لم يأخذ الميثاق على طالب العلم في طلبه وحفظه إلّا بعدما أخذ على العلماء أن يُبيِّنوه للنّاس ولا يكتموه[٣].

وقال ﷺ: «**العلماء أُمناء الله على خلقه**»[٤]، ومن حقّ الأمين أن لا يخون في أمانته، ومن أمانته أن لا يُفتي إلّا بما يعلم ويتيقّن، وإذا لم يعلمْ، لا يستحيي أن يقول: لا أعلم أو الله أعلم، وإذا سُئِل عمّا يعلمُ، لا يكتمُ ولا يسكت عن الحقّ، وإذا جاءه طالبُ العلم، لا يبخلُ عليه بعلمه، ومن كان كذلك، كان علمه نافعاً له ولغيره.

٣٠٨. مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ[٥].

الاستطاعة في غير هذا الموضع القدرة، وهي ههنا بمعنى الإمكان؛ أي من أمكنه وتمكّن من أن يُكثِر من الأعمال الصالحة ويَدّخرها ليوم فقره

(١) سورة البقرة ٢: ١٧٤.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٨٧.

(٣) أُنظر: التمهيد ١٩: ١٦. التبيان في تفسير القرآن ١: ١٨٣.

(٤) المعجم لابن الأعرابي ١: ٣٠٧، ح٥٨٧. مسند الشِّهاب ١: ١٠٠، ح ١١٥، عن أنس بن مالك.

(٥) مسند الشِّهاب ١: ٢٦٧ ، ح٤٣٤، عن ابن عمر. الزهد لأبي داود: ١٢٢، ح١١٢. الزهد لابن حنبل: ١١٩، ح٧٧٨. مسند ابن الجعد: ١١٣ ، عن الزبير.

وفاقته ويضعها لنفسه، بمنزلة من يجعل ذخائره في خباياه ليوم حاجته، فليفعل. و**الخبيئة** فعيلة بمعنى مفعولة؛ أي مخبوءة؛ أي مشبّهة بما يُخبّئه الإنسان في مخبأةٍ[١].

٣٠٩. مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ خيرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتى يُغْلَقُ عَنْهُ[٢].

الانتهاز: الاستلاب، والنَّهز: السّلْب[٣]، وهذا البناء ـ أعني به الافتعال ـ من الافتعال الذي بمعنى الفعل لنفسه، كقولهم: خَبَز واختَبَز، وشَوىٰ واشتوَىٰ؛ أي فَعَل لغيره وافتعل لنفسه؛ أراد: مَن وُفّق له في عملٍ صالح ومُكِّن منه وفُرّغ له، فليغتنمْه وليبادرْ إليه؛ فإنّه لا يدري كم يبقىٰ له من تلك الفرصة.

ومعنى الحديث: الحَثّ على المسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿وَسارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٤]، فمِن حقّ العاقل أن لا يغترّ بما هو فيه من الصحّة والفراغ والرفاهية واستقامة الأمور، فبَيْنا هو في ذلك، إذا انقلب الأمر وغدَر الدّهرُ، ففاتت الفرصة، وتغيّرت الحال،

---

(١) أُنظر: النهاية ٢: ٣ (خبأ).

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٢٦٨ ، ح٤٣٥. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٣٨، ح١١٧. الزهد لهناد٢: ٤٧٣ ، عن حكيم بن عمير. الزهد لابن حنبل: ٣١١، ح٢٢٦٥، عن خالد بن معدان، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: الصحاح ١: ١٤٨ (سلب).

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٣٣.

وأدبر الإقبال، وأقبل الزّوال، والدّهرُ لا يبقى على حالةٍ.

قال:

رُبّ ريـــحٍ لأُنـــاسٍ عَصَـــفَت ثــمّ مــا إن لَبِثــت أن سَــكَنتْ
وكــذاك الــدّهرُ فــي أطــواره قَــدَمٌ زَلّــت وأُخــرى ثَبَتــت
وكــذا الأيّــام مــن عاداتهــا إنّهــا مُفسِــدَةٌ مــا أصــلحتْ[1]

ولآخر:

إذا هبّــت رياحُــك فاغتنِمهــا فــإنّ العاصــفات لهــا سُــكونٌ
وبــادِرْ قبــل إحــداث اللّيــالي فلا تدري السكونُ متى يكونُ؟[2]

٣١٠. مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلى إِنْفَاذِهِ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً[3].

الكَظم من قولهم: كَظمتُ القِرْبة إذا شددتها وهي مملوّة[4]، فشبّه امتلاء الغضبان وسكوته وسكونه عليه بذلك، ويُقال للقِربة المملوّة:

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٥: ١١، باختلاف. روض الجنان ٢: ١١٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٤: ٣٦٤. أدب الدنيا والدين ١: ٢٠٣، والبيت لأبي نصر بن منصور الكرجي الكاتب وكلاهما باختلاف.

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٦٩، ح٤٣٧. المعجم الأوسط٩: ١٠٤، عن معاذ بن أنس. الأمالي للصدوق: ٥١٦، قطعة من ح٧٠٧، عن الحسين بن يزيد، عن **الإمام الصادق** ، عن آبائه . الكافي٢: ١١٠ / كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ، ح٧، عن الوصافي، عن الإمام الباقر.

(٤) التبيان في تفسير القرآن٢: ٥٩٣. تفسير الطبري ٤: ١٢٤.

كِظامة وكاظِمة وكَظَمة وكِظّة بمعنىً، والكِظّة: التُّخَمة[١]. قال الشاعر:

أمـوتُ مـن الضُّـرّ فـي منزلـي وغيـري يمـوت مـن الكِظّـة
ودُنيـا تجـودُ علـى الباخِليـ[٢] ـنَ وهْيَ على ذي النُّهى فَظّة[٣]

ومعنى الحديث: الحَث على التّثبّت وترك التسرّع في وقت الغيظ، ووعْد من عمل عليه بامتلائه من توفيق الله أمناً وإيماناً، وإنّما وعده من الخير بمثل ما هو عليه من الشّدّة لِما بيّنّا أنّ الكَظْم سكوته على امتلائه من الغيظ، فكما امتلأ من الغيظ ولم ينطق وجَرّع غيظَه، فكذلك يملأه الله بالأمن والإيمان، وهذا من حيث المعنى.

وروي أنّ رجلاً من أولاد **الحسن بن عليّ**عليهما السلام قام ذاتَ يومٍ على **عليّ بن الحسين**عليهما السلام **زين العابدين** بالسفاهة، وجعل يشتُمه ويقول فيه بما لا يُقال في مثله، وجعل يسكت ولا يُجيبه بشيء، وخَدمه وتلامذته ينتظرون إشارة منه ليجيبوه باليد واللسان، فلمّا أكثر من السفاهة وانصرف، قال عليه السلام لأصحابه: «**سمعتم ما قال الرّجل؟**» قالوا: نعم، وأحببنا أن تجيبه أو تأذنَ لنا في جوابه ومقابلته بما قال، فقال: «**قوموا بنا إليه لنجيبه**». ثمّ قام وهو يقرأ: ﴿والْكاظِمينَ الْغَيْظَ والْعافينَ عَنِ النّاسِ﴾، فعلمنا أنّه لا يصنع شيئاً. وخرج، فلمّا وصل إلى باب داره، قيل له: هذا عليّ بن

(١) شمس العلوم ٩: ٥٧١٣.

(٢) وفي المصدر: الجاهلين.

(٣) تفسير الثعلبي ٣: ١٩٠.

الحسين بالباب، فظنَّ أنّه أتاه ليجيبه، فخرج مستعدّاً للشّرّ، فقال له: «**يا ابن عمِّ، قد علمتُ ما قلتَ فيَّ، فإن كان ما قلتَ فيَّ على ما قلتَ، فتُبتُ إلى الله، وإن قلتَ فيَّ ما ليس فيَّ، عفوتُ عنك وأستغفر الله لك**». فوقعَ الرّجل على قدمه يقبّله ويقول: يابن عمِّ، والله لقد قلتُ فيك ما ليس فيك، وأنا أتوب إلى الله، فاستغفِر لي. فقال: «**غفرَ الله لك!**»، وانصرف[1].

٣١١. مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَا للهِ[2].

هذه استعارة، جعل الإيمان بمنزلة مطعومٍ له طعمٌ، ولو كان له طعم في الحقيقة، لم يكن إلّا حُلواً؛ وذلك لأنّ الإيمان من باب المعارف والعلوم، والعلم أحلىٰ من كلّ معنىً يَحُلّ القلب؛ لأنّه يقتضي سكون النّفس ويشفيها من اضطرابها واختلاجها، فجعل حلاوة الإيمان في أن يحبّ المرء أخاه المؤمن.

قوله: «**لا يُحبّهُ**» يحتمل وجهين: أحدهما الفتح على نهي الغائب، والثاني الرّفع على الاستئناف؛ أي: وهو لا يُحبّه إلّا لله. ويجوز أن يكون في موضع الحال؛ أي غير مُحبٍّ مَن يُحبّه إلّا لله لا لغرضٍ آخر، وكذا جميع العبادات، إذا فُعِلت لله لا لغيره، كانت خالصةً من الشوائب مستحقّاً

(١) الإرشاد ٢: ١٤٥، باختلاف.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٧٠، ح٤٤٠. مسند ابن حنبل٢: ٢٩٨. المستدرك على الصحيحين٤: ١٦٨. مسند الطيالسي: ٣٢٦، عن أبي هريرة.

عليها الثواب الدائم، فإذا خالطها ما شابها، فقد شانها وأخرجها عن كونها طاعةً وعبادة.

٣١٢. مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ نَهَاوِشٍ أَذْهَبَهُ اللهُ فِي نَهَابِرَ[١].

ويُروى: «**من مَهاوِش**»[٢]، ويُروى: «**من تَهاوِش**»[٣]. قال أبو عُبيد: اشتقاق هذه الكلمات من الهَوْش[٤]، وهو الاختلاط[٥]. وقال ابن الأعرابيّ: يقال أخذت الإبل من هَوْشِه؛ إذا أخذتها من هنا ومن هنا[٦]. ومَن روى «**مِن تَهاوِش**»، قال: أي تخاليط[٧]، يُقال: هَوّشتُ الشيء إذا خلطته[٨].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٧٠، ح٤٤١. أمثال الحديث للرامهرمزي: ١٦٢، ح١٣٧، عن أبي سلمة الحمصي. الأمثال المولدة: ١٢٥، ح٢٦٧. المجازات النبويّة: ١٦٩، ح١٢٩.

(٢) غريب الحديث لابن سلّام ٤: ٨٦. غريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١١٥. الصحاح ٣: ١٠٢٨ (هوش).

(٣) جمهرة اللغة ٢: ٨٨٣ (هوش). الفايق في غريب الحديث ٣: ٤١٣.

(٤) غريب الحديث لابن سلّام ٤: ٨٧.

(٥) كتاب العين ٤: ٦٨. النهاية ٥: ٢٦٠ (هوش).

(٦) أُنظر: كتاب العين ٤: ٦٨. المحيط في اللغة ٤: ٢٦ (هوش).

(٧) أُنظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١: ١٣٦. إصلاح غلط المحدثين: ٨٤.

(٨) قد فَسّر أصحابُ الحديث (مِن نهاوش): مِن غير حلّه مِن هنا وهنا، ولم يذكروا وجه اشتقاقه وهو مُعوِز، ورَدَّ علماءُ الصناعة عليهم فقالوا: هو مِن مَهاوش ـ بالميم ـ قالوا: والمهاوش كُلُّ ما أُصيب من غير حِلّه كالغصب والسرقة ونحو ذلك، ويقال للعدد الكثير هَوْش، والهُواشات ـــ بالضم ـــ: جماعات الناس، والهُواشات من الإبل: ما جُمع فاختَلط بعضُه ببعض. ضوء الشِّهاب ٢: ٨٩.

والنّهابِر؛ واحدها نُهبورة[١]، وقيل: النُّهبورة: اسم وادٍ في جهنّم[٢]. والهَوش والحَوش الجمع من غير وجهه، وهو من الإبدال، يُقال: حُشت الصّيد وهُشته.

وفسّر القاضي «**النَّهاوِش**» بأنّه مالٌ جُمِعَ من غير حِلّه[٣].

قال شيخنا الزمخشري: الرواية المشهورة: «**من جمع مالاً من مَهاوش**»؛ أي: من غير وجوه الحِلّ، من التهويش وهو التخليط، ويُروى تَهاوِش جمع تَهواشٍ، قال: يأكل ما جمعتُ من تهواشٍ، وهو من هُشتُ مالاً حراماً[٤]. والهُواش ـ بالضّم ـ ما جُمع من مالٍ حلال وحرام. ويُروى: نهاوش بالنون، قال: فإنْ صحّتْ، فهي المَظالم والإجحافات بالناس، من قولهم: نَهَشه إذا جَهَده، والمنهوش: المجهود.

قال رُؤبة:

كَمْ مِنْ خليلٍ و أَخٍ منهوش مُنْتَعِشٍ بفضلكم منعوش![٥]

ويجوز أن يكون من الهَوش ويقضى بزيادة النّون، فيكون نظير قولهم: تفاطير وتباذير وتخاريب، من الفَطر والتبذير والخراب، ورجل نِفرِجة

(١) أُنظر: كتاب العين ٤: ١٢٨ (نهبر). المحكم والمحيط الأعظم ٤: ٤٨٨. الفائق في غريب الحديث ٣: ٤١٣ (هوش).

(٢) أُنظر: المحكم والمحيط الأعظم ٤: ٤٨٨.

(٣) أُنظر: تصحيفات المحدثين ١: ٢٢٨. مجالس ثعلب: ١٠.

(٤) أُنظر: أساس البلاغة: ٧٠٨. الفائق في غريب الحديث ٣: ٤١٢ (هوش).

(٥) الصحاح ٣: ١٠٢٣. غريب الحديث للخطابي ١: ٧٧. الفائق في غريب الحديث ٣: ٣٣٨ (نهش).

في معنى فُرُج؛ وهو الذي لا يكتُم السّرّ. **والنَّهابِر**: المَهالِك، يُقال: غَشِيتْ بي النّهابِرُ؛ أي حملتْني على أمرٍ شديد، واحدتها نُهبورة؛ وهي الرّمْل المُشرِف، وقيل: الهُوّة[١].

ومعنى الحديث: مَن جمع مالاً من مَجامع متفرّقة ومواضع مختلفة من حرام وشُبهة ممّا لا يحلّ له، فرّقه الله وأذهبه وضيّعه في مواضع التّلف، كضائع الماء في الحفائر.

وقال ﷺ: «**مَن لم يُبال من أين كسب المال، لا يبالي الله من أيّ باب أدخله النّار**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَن أصاب مالاً من مَأثَم، فوصل به رحِماً أو تصدّق به وأنفقه في سبيل الله، جُمع ذلك جميعاً ثمّ يُقذَف به في جهنّم**»[٣].

٣١٣. مَن اعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفقِ فَقَد اعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَير[٤].

الرِّفق: ضدّ الخُرق[٥]؛ وهو المرافقة والملاينة مع النّاس، والرِّفاقة من ذلك.

---

(١) راجع: الفائق في غريب الحديث ٣: ٤١٣ (هوش).

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي: ٤٦٨. إحياء علوم الدين ٥: ٢٣.

(٣) الزهد والرقائق لابن مبارك ١: ٢٢١، ح ٦٢٥. المجالسة وجواهر العلم ٤: ٣٢٧، ح١٤٩١، عن القاسم بن المخيمرة. إحياء العلوم ٥: ٢٣.

(٤) مسند الشّهاب١: ٢٧٤، ح٤٤٥. سنن الترمذي٣: ٢٤٨/ باب ما جاء في الرفق، ح٢٠٨٢. مسند الحميدي١: ١٩٣، ح٣٩٣ ، عن أبي الدرداء وزاد فيها (**ومن حرم حظّه من الرفق حرم حظّه من الخير**). مسند ابن حنبل٦: ١٥٩، عن عائشة، باختلاف يسير.

(٥) جمهرة اللغة ١: ٥٩٠. معجم مقاييس اللغة ٢: ١٧٢ (خرق).

وعن **أبي جعفر الباقر** عليهما السلام أنّه قال: «**إنّ لكلّ شيء قُفْلاً وقُفل الإيمانِ الرِّفْق**»[١].

وقال **النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما اصْطَحَبَ اثْنانِ إلّا كان أعظَمُهما أجراً وأحبُّهما إلى الله أرفقَهما بصاحبه**»[٢].

والحظّ: البخت[٣]، ورجلٌ محظوظ؛ أي: مجدود مبخوت[٤]، **والحظّ**: النصيب[٥]، وفي الحديث يحتمل الوجهين.

٣١٤. مَنْ آثَرَ مَحَبَّةَ اللهِ عَلى مَحَبَّةِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤُونَةَ النَّاسِ[٦].

الإيثار: الاختيار[٧]، وآثرتُ كذا على كذا إذا اخترتَهُ عليه، وأثرتُ التراب إثارةً، وأثرتُ الحديث آثرُهُ أثْراً، إذا روَيتَه، وهذا حديثٌ مأثورٌ؛ أي مرويٌّ، وقولهم: جاء في الأثر هو فَعَلٌ بمعنى مفعول؛ أي: في الحديث المأثور[٨].

(١) الكافي ٢: ١١٨/ كتاب الإيمان و الكفر، باب الرِّفق، ح١، عن ابن أبي ليلى.

(٢) الكافي ٢: ١٢٠/ كتاب الإيمان و الكفر، باب الرّفق، ح١٥. المحاسن ٢: ٣٥٨/ كتاب العلل، ح ٦٨، كلاهما عن السكوني، عن **الإمام الصادق** . إحياء العلوم ٥: ١٧٣.

(٣) المحيط في اللغة ٤: ٣١٥ (بخت). غريب الحديث للخطابي ٢: ١٦٩. الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٩.

(٤) الكشاف ٣: ٤٣٢.

(٥) كتاب العين ٣: ٢٢ (حظ). الصحاح ٣: ١١٧٢ (حظظ).

(٦) مسند الشِّهاب١: ٢٧٥، ح٤٤٧. مسند ابن راهويه٢: ٦٠٠، ح١١٧٥، وكلاهما عن عائشة باختلاف.

(٧) أُنظر: الفروق في اللغة: ١١٨.

(٨) أُنظر: المفردات: ٦٢ (أثر). غريب الحديث لابن سلّام ٢: ٥٩. جمهرة اللغة ٢: ١٠٣٥.

والمؤونة: الثِّقل، يُقال: مانَهُ يَمونه إذا أثقَلَه[١].

ومعنى الخبر: الحَثّ على مراقبة مَحابِّ[٢] الله وإيثار رضاه على رضا النّاس، فإنْ تعلّل إنسان بخوف ودفع مضرّة أو طمع وجرِّ منفعةٍ في مراعاة جانب الناس وإيثار ذلك على جانب الله، فقد آمنه من ذلك وضمن له.

والمراد بالمحبّة الرّضا هيهنا؛ لأنّهما من باب الإرادة، ويتداخلان لتقارب معنيَيهما.

٣١٥. مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْراً خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ[٣].

أراد بالجماعة إجماع الأمة واجتماعهم على أمر من الأمور الدينيّة، ولا خلاف في أنّ مخالفة الإجماع كفرٌ؛ لقوله ﷺ: «**لا تجتمع أُمّتي على الضّلالة**»[٤]، وإن اختلفوا في جِهة كونه حجّةً، فقالت الجماعة: إنّه حجّة لهذا الخبر؛ أعني «**لا تجتمع أُمّتي على الضلالة**»، وذهبت طائفة

---

(١) أُنظر: المحيط في اللغة ٦: ٢٢١ (كتل). الصحاح ٦: ٢١٩٨ (مأن) و٢٢٠٩ (مؤن).

(٢) المَحابّ يمكن أن يكون جمع المحبّة أو جمع المحبوب.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٧٦، ح٤٤٨. سنن أبي داود٢: ٤٢٦ / باب في قتل الخوارج، ح٤٧٥٨. الأمالي للصدوق: ٤١٣، ح٥٣٦، عن جابر بن عبد الله. الكافي١: ٤٠٤/ كتاب الحجّة، باب ما أمر **النبيّ** بالنصيحة لأئمّة المسلمين ... ، ح٤، عن محمّد الحلبي، عن **الإمام الصادق** .

(٤) المستدرك على الصحيحين ١: ١١٥. المعجم الكبير ١٢: ٣٤٢، عن ابن عمر.

إلى أنّ جهة كونه حجّةً دخولُ قول المعصوم فيها؛ لأنّهم إذا اجتمعوا، عُلم أنّ قول المعصوم لم يخرج من جملة أقوالهم، عند من قال بعصمة **الأئمّة** . وإذا صحّ ذلك، لم يَشُكَّ أحدٌ في أنّ قول المعصوم حقّ وصدق وأنّه حجّة؛ لاستحالة جواز الكذب عليه. والكلام في ذلك مشروح في كتب أُصول الفقه، فلا وجه للاشتغال به ههنا[١].

والرِّبقة؛ الحبل تُربَقُ به الدابّة؛ أي تُشَدّ، يُقال: رَبقتُ الدابّةَ وربطتها، بمعنىً[٢].

قال:

فأخذتُ جارَ بني سلامةَ عَنوةً ... فدفعتُ رِبقتَه إلى عَتّابِ[٣]

٣١٦. مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ وَاسْتَذَلَّ الإِمَارَةَ لَقِيَ اللهَ وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ[٤].

بيّنّا أنّ المراد بالجماعة إجماع المسلمين على مسألةٍ، والخروج منه خروجٌ عن الإسلام.

وأمّا استذلال الإمارة، فالمراد بالإمارة الإمامة؛ بدلالة أنّ استذلال الأمير الجائر طاعة وعبادة، فتبيّن أنّ المراد بها الإمام العادل. والاستذلال يجوز

---

(١) أُنظر: الرسائل للمرتضى ١: ١١. المستصفى: ١٣٧.

(٢) أُنظر: النهاية ٢: ١٩٠ (ربق). المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٩٧.

(٣) شرح ديوان الحماسة ١: ١٦٥. الديباج: ٩.

(٤) مسند الشّهاب١: ٢٧٦، ح٤٤٩. مسند ابن حنبل٥: ٣٨٧. المستدرك على الصحيحين١: ١١٩، عن حذيفة.

أن يكون بمعنى الإذلال، كالإجابة والاستجابة، فإنّهما بمعنىً، ويجوز أن يكون لطلب الإذلال؛ والسّين للطلب، كالاستفهام والاستعلام، والكلام في اللّقاء قد جرى مستقصىً؛ يعني يرجع إلى دار جزاء الله ويصير إلى موضعٍ لا يَحكم فيه أحدٌ إلّا الله.

وقوله في هذا الحديث: «**لقيَ الله**» دليلٌ على أنّ اللّقاء ليس من معنى الرؤية في شيء؛ وذلك لأنّ الأمّة أجمعت على أنّ مُفارِق الجماعة ومُستذِلّ الإمارة لا يرى الله، وعلى هذا قوله عزَّ وعلا: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً في قُلوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[1]، وقد أجمَعوا على أنّ المنافق لا يرى الله في القيامة[2]. والمراد بالوجه الجاه؛ أي لا جاه له عند الله سبحانه.

٣١٧. مَنْ نَزَعَ يَدَهُ مِنْ الطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ حُجَّةٌ[3].

النَّزْع والخلع بمعنىً[4]، ونزْعُ اليد عبارة عن ترك الشيء جملةً؛ يعني ترك طاعة الله رأساً وجملةً، ولا يطور بها من أركان الشرع، كالصلاة والزكاة والصّوم والحجّ والجهاد بشرائطها عند توجّه التكليف بها إليه، لا يكون له يوم القيامة عند الله حجّةٌ، بل تكون الحجّة لله عليه، بأن كلّفه لِنفعه ومَكّنه وأعطاه الآلة والقدرة، وأزاح له العلّة، ونصبَ له الأدلّة، وكلّفه دون

(١) سورة التوبة٩: ٧٧.

(٢) مجمع البيان١: ١٩٨.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٧٧، قطعة من ح٤٥٠. مسند ابن حنبل٢: ٩٣، عن ابن عمر.

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة ١٤: ١٧٠ (يدى). المحيط في اللغة ١: ١٢٥ (خلع).

طاقته وأقلّ من استطاعته، فإذا ترك طاعة الله، كانت الحجّة لله عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1].

و«**من**» لابتداء الغاية، والحجّة ما يُقصَد به إلى إبطال الشُّبهة.

٣١٨. مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً[2].

المِيتة: هيئة للموت؛ فإنّ الفَعلة بالفتح للمرّة وبالكسر للحالة كالرّكبة والجلسة والمشية، **والجاهليّة:** زمان الفَترة؛ إذ لا إسلامَ قبل مبعث النبيّ. أراد أنّه يموت على الكفر.

٣١٩. مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْكُنَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ[3].

البُحبوحة: العَرْصَة، وهي الموضع الذي لا سقفَ عليه ولا ظلّ، وسطها الأخبية، وأصل الكلمة الاتّساع، وهي فُعلولة من بَحَّ الرّجل إذا غلُظ صوتهُ من سَعة حلقه، ويقال: في صوته بُحّة، وبَحّ الرّجلُ يَبَحّ فهو أبَحّ[4].

---

(١) سورة الأنعام٦: ١٤٩.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٧٧، قطعة من ح٤٥٠، عن ابن عمر. صحيح البخاري٨: ٨٧. سنن الدارمي٢: ٢٤١/ باب في لزوم الطاعة والجماعة، عن ابن عبّاس. صحيح مسلم٦: ٢١، عن أبي هريرة.

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٧٧، ح٤٥١. سنن الترمذي٣: ٣١٥/ باب في لزوم الجماعة، قطعة من ح٢٢٥٤. مسند ابن حنبل١: ٢٦. السنة لابن أبي عاصم: ٤٢، ح٨٧، عن عمر، باختلاف يسير.

(٤) أُنظر: العين ٣: ٣٢ (بح). النهاية ١: ٩٨ (بحبح).

قال عمرو بن عبد وُدٍّ: ولقد بَححتُ من النداء بجمعكم هل من مبارز[١].

المعنى: من أراد وأحبّ وكان مسروراً بأن يسكن وسط الجنّة، قُل لهُ: يلزم الجماعة ولا يفارقهم ولا يخالف اجماع المسلمين.

٣٢٠. مَنْ أَقَالَ نادِماً بَيْعَتَهُ أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ[٢].

الإقالة: إفعال من القول، والهمزة فيها للإزالة والسلب[٣]، كقولهم: عربت مَعِدةُ الرّجل وأعربتُها إذا أصلحتَها وأزلتَ فَسادها، وقولهم: قَسَط الرجلُ إذا جار وأقسط إذا عدل؛ لأنّه إذا عدل، أزال الجورَ، وشكوت الرّجل فشكاني؛ أي: أزال شكايتي، قال:

ثمّ اشتكيتُ لَأَشكاني وصاحبُه قبرٌ بسنجارَ أو قبرٌ على قَهَد[٤]

كأنّ البائع أو المبايع قال قولاً، ثمّ بدا له، فندم على ما قال، فاستقال، أي: يطلب منك قولاً يُبرِّئه ويريحه، فأقَلته؛ أي: أزلت قولَه فيما قال من البيع أو

---

(١) تفسير القمي٢: ١٨٣. الإرشاد ١: ١٠٠. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٦٧.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٧٨، ح٤٥٣. سنن أبي داود٢: ١٣٦/ باب في فضل الإقالة، ح٣٤٦٠. سنن ابن ماجة٢: ٧٤١/ باب الإقالة، ح٢١٩٩، عن أبي هريرة. الكافي٥: ١٥٣/ كتاب المعيشة، آداب التجارة، ح١٦، عن أبي حمزة، عن **الإمام الصادق** ، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: النهاية ٤: ١٣٤ (قيل).

(٤) معجم ما استعجم ٣: ٧٦٠. ضرائر الشعر: ٢١١ وقبله: لو كان يُشكىٰ إلى الأموات ما لقي الأحياء بعدَهُمُ من شدّة الكَمَد.

وقوله: اشتكيت معطوف على قوله: لو كان يشكى... وسِنجار وقَهَد اسما موضعَين، والمعنى: لو كانت الأمواتُ تسمع الشكوىٰ ثم اشتكيتُ، لَأزال ما أشكو منه قبرٌ بسنجارَ وساكنُه وقبر بقهَد، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١: ٢٢٣.

البيعة، وجعلته كأنْ لم يقل. والعثرة أن يلتوي قدمُ الرّجل بذيله فيسقط منه، والعِثار مثلها[١]، ويستعمل في موضع الخطيئة والخطأ، وتخصيصه الإقالةَ بالعثرة، من حيث إنّ الرّجل إذا بايع بيعاً أو بيعة، ثمّ بدا له، عُلم أنّ ذلك كان خطأً وزلّة زلّ بها وعثرةً عثر فيها، فطابق بين الجزاء والمَجزيّ؛ يعني من عثر وأخطأ في معاملةٍ بينه وبين صاحبه، فلم يؤاخذْه به ولم يُلزِمْه بما وجب عليه شرعاً وعفا عنه، عفا الله عنه وغفر له زَلّته وعثرته[٢].

٣٢١. مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللهُ تعالى عَثْرَتَهُ[٣].

الكفّ: المنع، يُقال: كففته عن كذا إذا منعته عنه[٤]، ومنه كفّ اليد؛ لأنّه آلة الكفّ والدفع، والكُفّة: كُفّة الثوب؛ لأنّها تكفّ الخيوط عن الخروج، ومنه كِفّة الميزان؛ لأنّها تكفّ ما فيها[٥].

والأعراض: جمع عِرض[٦]، وقد بيّنّا القول فيه.

---

(١) أُنظر: الصحاح ٢: ٧٣٦. النهاية ٣: ١٨٢ (عثر). العين ٢: ١٠٥.

(٢) راجع: وسائل الشيعة ١٧: ٣٨٥/ كتاب التجارة، باب استحباب إقالة النادم ... .

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٧٩ ، ح٤٥٥. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٢٥٧، ح٧٤٥، عن عبدالله بن الوليد الوصافي، عن الإمام الباقر. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٢٠٩، ح٢٦٤. تحف العقول: ٣٩١، عن الإمام الصادق.

(٤) النهاية٤: ١٩٠. تهذيب اللغة ٩: ٣٣٥. لسان العرب٩: ٣٠٥ (كفف).

(٥) العين ٥: ٢٨٢. الصحاح ٤: ١٤٢٢ (كفف).

(٦) النهاية ٣: ٢٠٩. المحيط في اللغة ١: ٣٠٨ (عرض).

قال ﷺ: **«مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحمِ أخيهِ في الْغَيْبِ، كان حقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النّارِ»**[١].

وقال ﷺ: **«من حمى مؤمناً، بعث الله مَلَكاً يوم القيامة يحمي لحمَه من النار»**[٢]. وقال ﷺ: **«لمّا عُرج بي إلى السماء، مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاس يَخشِمون وجوههم ولحومهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين كانوا يأكلون لحوم النّاس ويقعون في أعراضهم»**[٣].

وكتب بعض أهل العلم في هذا المعنى؛ وفّقنا الله وإيّاكم للإعراض عن الوقع في أعراض الناس.

٣٢٢. مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ[٤].

وعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: **«أمرني رسول الله أن أبيعَ غلامَين، فبِعتُهما وفرّقتُ بينهما، فذكرتُ ذلك للنبيّ ، فقال لي:**

(١) الأمالي للطوسي: ٥٣٧. الصمت وحفظ اللسان: ١٣٤/ باب ذبّ المسلم، عن عِرْض أخيه، ح ٢٣٩، عن أبي الدرداء. مسند ابن حنبل ٦: ٤٦١، عن أسماء بنت يزيد.

(٢) سنن أبي داود٢: ٤٥٢/ باب من رد، عن مسلم غيبة، ح ٤٨٨٣. الصمت وحفظ اللسان: ١٣٨/ باب ذبّ المسلم، عن عرض أخيه، ح ٢٤٨، مُعاذ بن أنس. مسند ابن حنبل ٣: ٤٤١، عن سهل بن مُعاذ ، باختلاف يسير.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٤٥١/ باب في الغيبة، ح ٤٨٧٨. الصمت وحفظ اللسان: ٢٦٩، ح ٥٧٢. المعجم الأوسط ١: ٧ ، عن أنس بن مالك.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٨٠ ، ح٤٥٦. سنن الترمذي٢: ٣٧٦ / باب ما جاء في كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع، ح١٣٠١. مسند ابن حنبل٥: ٤١٣. المستدرك على الصحيحين٢: ٥٥، عن أبي أيوب الأنصاري.

أدرِكْهما وارتجِعْهما ولا تَبِعْهما إلّا جميعاً»[(١)].

وروي أنّ أبا أيّوبَ الأنصاريَّ مرَّ بِصِبْيانٍ يبكون من السَّبْيِ قد فُرّق بينهم وبين أمّهاتهم، فردّهم أبو أيّوبَ إلى أُمّهاتهم، وقال: سمعتُ **رسول الله** ﷺ يقول: «**مَن فرّق بين والدةٍ وولدِها...**»، الخبر[(٢)].

وقال ﷺ: «**أولادنا أكبادنا**»[(٣)].

وقال الشاعر:

وإنّما أولادنا بيننا أكبادُنا تمشي على الأرضِ[(٤)]

وإنّما خصَّ الأُمّهات؛ لأنّهنّ أرقُّ قلوباً وأضعفُ بُنيَةً وأقلُّ صَبراً.

٣٢٣. مَنْ شابَ شَيبَةً في الإسْلامِ، كانَتْ لَهُ نُورا يومَ الْقِيامَةِ[(٥)].

يعني مَن أقامَ على دين الإسلام حتّى يَشيب، كانت تلك الشَّيبةُ الحاصلةُ

---

(١) مسند ابن حنبل ١: ٩٧. المستدرك على الصحيحين ٢: ١٢٥. سنن البَيهقي٩: ١٢٧/ باب من قال لايفرق بين الأخوين في البيع.

(٢) مسند احمد ٥: ٤١٣. سنن الترمذي ٢: ٣٧٦، ح ١٣٠١.

(٣) جامع الأخبار: ١٠٥/ الفصل الثاني والستون في الأولاد، وفيه: «**أولادُنا أكبادُنا، صُغَراؤهم أمراؤنا، وكُبراؤهم أعداؤنا، فإن عاشوا فتَنونا، وإن ماتوا أحزَنونا**».

(٤) الزهرة: ١٩٥ نسبه لحِطّان بن المُعَلّى. عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٠٩. الأمالي للقالي ٢: ١٩٢.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٢٨٠، ح٤٥٧، عن أبي هريرة. سنن الترمذي٣: ٩٤/ باب ما جاء من شاب شيبة في سبيل الله، ح١٦٨٥عن كعب بن مرة. الكافي٦: ٤٨٠/ كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب الخضاب، قطعة من ح٢، عن مسكين بن أبي الحكم. الخصال: ٦١٢، قطعة من ح١٠، عن محمّد بن مسلم، عن الإمام الصادق.

في مدّة مُقامه على الإسلام نوراً له يومَ القيامة. والنّور وإن كان منسوباً إلى الشَّيبة، فهو في الحقيقة نور الإسلام؛ لأنّ الشيبة إذا لم تكن في الإسلام، كانت غايةَ الظُّلمَة، ولذلك قيّده بقوله: «**في الإسلام**».

ورويَ أنّه ـ عليه الصّلاة والسلام ـ نهى عن نَتْف الشَّيبة، وقال ﷺ: «**ما شاب رجلٌ من أهل الإسلام شَيبَةً إلّا كتبَ الله له بها حسنةً، ومحا عنه سيّئةً، ورفعَ بها درجةً**»، وقال ﷺ: «**إنّها نور المؤمن**»[1].

وقال ﷺ: «**من عرِف فضل كِبَر السّنّ، آمنه الله من الفزَع الأكبر**»[2].

وروي: أنّ أوّل من رأى البياض في شَعْره **إبراهيمُ الخليلُ** ، فارتاع لذلك، فأتاه **جبرئيل** وقال له: لا تفزعْ، فإنّه نور المؤمن وهو علامة الحلم، فقال إبراهيم : «**مرحباً بالعلم والحلم! الحمدُ لله الذي أخرجني من الشباب سالماً**»[3].

و قيل: نظر بعض الصالحين في المِرآة، فرأى شيبةً في شعره،

(١) أُنظر: سنن أبي داود ٢: ٢٨٩/ باب نتْف الشَّيْب، ح ٤٢٠٢. سنن الترمذي ٤: ٢٠٧/ باب ما جاء في النهى، عن نتف الشيب، ح ٢٩٧٥، عن عبدالله بن عَمرٍو. من لا يحضره الفقيه١: ١٣٠، ح ٣٣٨.

(٢) الكافي٢: ٦٥٨/ كتاب العشرة، باب وجوب إجلال ذي الشَّيبة المسلمِ، ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق. ربيع الأبرار٣: ٢٣، عن الإمام الباقر.

(٣) العمر والشيب: ٦٨، ح ٥٧. شعب الإيمان ٥: ٢١١/ فصل في كراهية نتف الشيب، ح ٦٣٩٢. الكافي٦: ٤٩٢/ كتاب الزّيّ والتجمل والمروءة، جَزّ الشَّيب ونَتْفه، ح ٤، عن السكوني، عن الإمام الصادق، باختلاف.

فقال: جاء الشَّيبُ ولم يذهبِ العيبُ، ولا أدري ما في الغيب؟! وقال: يا أسفىٰ على الشباب المُفارِق وبياض المَفارِق!

وعن عمر بن عليّ بن حفص، قال: مات رجلٌ بالبصرة، فرُئيَ في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وقفني وقال لي: حلفتَ مائتي ألفِ يمينٍ كاذبةٍ، أما إنّي لولا أنّك شيخٌ لعذّبتك[1].

و ممّن مدحَ الشَّيب وفضّله على الشباب رُؤبةُ بن العَجّاج، فقال:

أيّهـا الشـامت المُعيّـر بالشَّيْـ ـب أقِلَّـنْ بالشّـباب افتخـارا
قد لبستُ الشباب غضّاً جديداً فوجـدتُ الشـباب ثوبـاً مُعـارا[2]

وقيل: إنّ رؤبة بن العجّاج لم يقُل من القصيدة إلّا هذين البيتين.

ولعليّ بن جَبَلةَ في هذا المعنى:

لَعَمري! لَنِعْم الصاحبُ الشّيبُ واعظاً وإن كـان منـه للعيـون نُكـوبُ
خلـيطُ نُهًـى مَنبـاةُ حِلـمٍ وإنّـه على ذاك مكروهُ الخِلاط مُريبُ[3]

ولآخرَ:

إنّ المشـيب رِداءُ الحلـم والأدبِ كما الشباب رداءُ الجهل واللّعِبِ

---

(١) المنامات لابن أبي الدنيا: ١٤٩، ح ٣٣٩، وفيه: عن سُوَيدٍ الكلبيّ، قال: مات شيخٌ من الحيّ صاحبُ خَمّارات، فأُريتُه في النَّوم، فقلت: ما فعل بك؟ قال: قال لي ربي: لولا أنّك شيخٌ لَعذّبتك.

(٢) الأمالي للمرتضى ٣: ٥٤. تاريخ دمشق ١٨: ٢٢٨.

(٣) الأمالي للمرتضى ٣: ٥٥.

تعجّبتْ أنْ رأت شَيبي فقلتُ لها لا تعجَبي! مَن يَطُلْ عمْرٌ به يَشِبِ[١]

ولأبي هِفّانَ:

تعجّبتْ دُرُّ مِن شَيبي فقلتُ لها لا تعجبي بطلوع البدرِ في السُّدَفِ

وزادها عَجباً لمّا رأت سَمَلي وما دَرَتْ دُرُّ أنّ الدّرّ في الصّدفِ![٢]

وأكثرَ الشّعراءُ في ذلك وفي عكسه.

٣٢٤. مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ[٣].

الإنظار: الإمهال، والنظرة اسمٌ للإنظار[٤]، قال الله تعالى: ﴿و إنْ كانَ ذو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾[٥]؛ أي: إنظارٌ إلى وقت يساره[٦]، وهو من باب أحفرت زيداً بئراً إذا جعلتَه حافراً له؛ لأنّه إذا أنظره، فكأنّه جعله ناظراً؛

(١) الأمالي للمرتضى ٣: ٥٥. تاريخ دمشق ٦٣: ٢٠١.

(٢) الأمالي للمرتضى ٣: ٥٥. الأمالي للقالي١: ١١٠. ربيع الأبرار ٤: ٤٣٦.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٨١ ، ح٤٥٩، عن أبي هريرة. سنن الترمذي٢: ٣٨٥ / باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به، ح١٣٢١. سنن الدارمي٢: ٢٦١/ باب فيمن أُنظر معسرا، عن ربعي أبي اليسر. الكافي ٨: ٩/ كتاب الروضة، قطعة من ح١، عن حفص المؤذن، وعن إسماعيل بن جابر، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٤) النهاية ٥: ٧٨ (نظر).

(٥) سورة البقرة٢: ٢٨٠.

(٦) جوامع الجامع ١: ٢٥٣، سورة البقرة.

أي: منتظراً لانقضاء مدّة المَهْل. والمُعسِر: الفقير، يُقال: أعسر الرّجلُ إذا صار في عُسرٍ[١]، وأيسرَ إذا حصل في يُسر، «**أو وَضع له**» شيئاً ممّا كان له عليه بأن يهبه له أو يتصدّق به عليه[٢]. و«**أظلّه اللهُ**»؛ أي: ستره الله بظلّ عرشه، والظّلّ ههنا مجازٌ؛ لأنّه لا شمس هناك فيستظلَّ منها بظلّ؛ يعني بحميّة الله في كَنَف عرشه من حَرّ يوم القيامة؛ فإنّ حرّه من حرّ جهنّم حتّى روي أنّ العرق يُلجِمهم[٣].

وعن **أبي عبدالله الصادق**عليه السلام، عن آبائه، عن **رسول الله**صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**أيّما مؤمنٍ نفّس عن مؤمنٍ كُربةً، نفّس اللهُ عنه سبعين كربةً من كُرَب الدنيا وكُرب يوم القيامة، ومَن يسّر على مؤمن وهو مُعسر، يسّر الله له في حوائجه لدنياه وآخرته، ومن سترَ على مؤمنٍ عورة يخافها، سَتَر الله عليه سبعين عورة من عوراته التي يخافها في الدنيا والآخرة، والله في عون المؤمن ما كان العبد في عون أخيه المؤمن، فانتفعوا بالعِظَة، وارغبوا في الخير**»[٤].

(١) تهذيب اللغة ٢: ٤٩ (عسر). المخصص ٣: ٢٨٦.

(٢) أُنظر: الصحاح ٢: ٨٥٨ (يسر). العين ١: ٣٢٦ (عسر). والعبارة لم تأت بهذه الصورة في المصادر وفيه بعض التعقيد.

(٣) أُنظر: المجازات النبوية: ٣٢٤، ح ٢٥٠. المستدرك على الصحيحين ٢: ٥١٤. المعجم الأوسط ٢: ٢٧٧.

(٤) الكافي ٢: ٢٠٠/ كتاب الإيمان والكفر، باب تفريج كرب المؤمن، ح٥. ثواب الأعمال: ١٣٥، عن ذَريحٍ المُحاربيّ، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

٣٢٥. مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيهِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرةِ[١].

المُعسِر: الفقير؛ أي: ذو العُسر[٢]، يُقال: أعسر الرّجل: أضاق[٣]، وأملق وأقتر إذا افتقر[٤]، وبناء أفعل في اللازم قليل، واليُسر ضدّ العسر[٥]، وهو أن لا يُلحّ عليه ولا يحبسه ولا يُؤذيه في المطالبة، بل يُسهِّل عليه، فيُجازيه الله بتيسير أموره في الدنيا والآخرة. والدنيا تأنيث الأدنى وهو صفة موصوف محذوف؛ يعني الدار الدنيا وكذلك الآخرة والأخرى.

٣٢٦. مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جُعِلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ[٦].

هذا مجاز، وهو كنايةٌ عمّن يختلف قوله وكلامه في الغَيبة والحضرة، يقول معك شيئاً ومع غيرك شيئاً آخر، كالمنافق والمُرائي الذي يُري

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٨١، ح٤٥٨. صحيح مسلم٨: ٧١. سنن أبي داود٢: ٤٦٥/ باب في المعونة للمسلم، ح٤٩٤٦، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٢٠٠/ كتاب الإيمان والكفر، باب تفريج كرب المؤمن، قطعة من ح٥، عن ذريح المحاربي، عن الإمام الصادق باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: المخصص ٣: ٢٨٦.

(٣) الصحاح ٢: ٧٥٤ (عسر).

(٤) أُنظر: الصحاح ٢: ٧٨٥ (قتر). تهذيب اللغة ٩: ١٤٩ (ملق).

(٥) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٩١. جمهرة اللغة ٢: ٧٢٥ (يسر).

(٦) مسند الشِّهاب١: ٢٨٤، ح٤٦٣. ذم الغيبة: ٤٢، ح١٤٤. الزهد لهناد٢: ٥٤٩. مسند أبي يعلى٥: ١٥٩، ح٢٧٧٢، عن أبي هريرة.

النـاس مـن نفسـه مـا لـيس فيـه، فيُجازيه الله يـوم القيامـة بـأن يجعـل لـه لسانين من نار لتكون عقوبته مطابقةً لذنبه، وهذا كما جاء في حديث الإسـراء، قـال ﷺ: «**رأيـتُ ليلـة أُسـري بـي جماعـةً تُقـرَض شِـفاههم بالمقاريض، كلّما قُرضت وَفَتْ، فقلتُ: يا جبرئيلُ، مَن هؤلاء؟ قال: خُطباء أُمّتك، يقولون ما لا يفعلون**»[1].

وقال بعض المحدِّثين:

من كان كالطِّرْس ذا وجهين من سفهٍ ... وذا لسـانين فيمـا قـال مـن كَلِـمِ

فسوِّدَنْ وجهه كـالطِّرس محتسباً ... واضرب عِلاوته بالسيف كالقلمِ[2]

٣٢٧. مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ[3].

يجوز أن يريد بكتابه الذي فيه العلمُ، ويجوز أن يريد الكتابَ الذي يكتبه إلى أهله أو بعض أصدقاءه في أموره وحوائجه، ويجوز أن يُحمل

(١) الصمت وآداب اللسان: ٢٥٣، ح ٥٠٩. مسند ابن حنبل ٣: ١٢٠، عن أنس بن مالك. الأمالي للمرتضى١: ٥ ، باختلاف يسير. وَفَتْ؛ أي: تبقّت وعادت كما كانت.

(٢) روض الجنان ٣: ١٥٣، سورة البقرة.

العِلاوة: رأس الإنسان ما دام في عنقه. يقال: ضرب علاوته؛ أي: رأسه، وكذلك: الزيادة. أي: اضرب عنقه واقطعه كما تُقطع زيادة القلم، أُنظر: الصحاح ٦: ٢٤٣٩ (علا).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٨٤، ح٤٦٤. سنن أبي داود١: ٣٣٣ / باب الدعاء، قطعة من ح١٤٨٥. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٧٠، عن ابن عبّاس.

عليهما جميعاً؛ إذ لا تنافِيَ بينهما؛ وذلك لأنّه ربما كان فيه أشياء لايريد أن يطّلع عليها غيره وغيرُ من كتب إليه، ثمّ استثناه وخصّصه بالإذن؛ لأنّه إذا أذِن له فيه، حلّ له النظر فيه ولم يأثَم به.

وقوله ﷺ: «**كأنّما ينظر في النّار**»، من باب المطابقة بين الجزاء والمَجزيّ عليه، وأراد بالنظر في النّار دُنوَّه منها وإشرافَه عليها. وقيل معناه: كأنّه ينظر إلى ما يوجِب عليه النّارَ، فحذفه[١].

وقيل: إنّ رجلاً كان يكتب كتاباً وآخرَ قائمٌ مِن خلفه ينظر إليه، فقال له الرجل: أما سمعتَ **رسول الله** ﷺ يقول: «**مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ**»[٢]. فقال: لهذا أنظر! قال: وكيف؟ قال: إنّ لي شيوخاً في النّار، أُحبُّ أن أراهم[٣].

وقيل: كان معاوية يُداعب عقيلَ ابن أبي طالبٍ، وكان عقيلٌ حاضرَ الجواب، فقال له: يا عقيل، أين ترى عمَّك أبا لهب في النار؟ قال: إذا دخلتَها على يسار الدّاخل، مفترِشاً عمّتَك حمّالةَ الحطب، فانظرْ أيُّهما أسوءُ حالاً، النّاكحُ أم المنكوحُ؟! وامرأة أبي لهب هي أُمّ جميلٍ بنتُ حربِ بن أُميّةَ عمّةُ معاويةَ[٤].

---

(١) النهاية ٤: ١٤٧ (كتب).

(٢) هذا تمثيل: أي كما يحذر النار فليحذر هذا الصنيع، النهاية ٤: ١٤٧ (كتب).

(٣) أُنظر: سنن أبي داود ١: ٣٣٣/ باب الدعاء، ح١٤٨٥. مسند الشِّهاب ١: ٢٨٤، ح٤٦٤.

(٤) الغارات ٢: ٥٥٣. الأمالي للمرتضى ١: ٢٠٠. العقد الفريد٤: ٩١.

٣٢٨. مَنْ كَانَ آمِراً بِمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ ذلِكَ بِمَعْرُوفٍ[١].

يعني من كان يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فحقّه أن يفعل ذلك بالشرائط المشروعة في ذلك من تعرّيه من مفسدةٍ وضررٍ يعود إليه أو إلى غيره. ويبدأ أوّلاً بالرِّفق والتأنّي ولِين الكلام، ثمّ بالكلام الخشن إنْ علم أنّ ذلك يكون أصلحَ في الحال، ولا يؤدّي إلى وحشةٍ وضررٍ عليه أو على غيره، وقد بيّنّا حقيقة الأمر فيما تقدّم.

و معنى الحديث يجري مجرى المثَل المعروف: إذا مَلَحتَ القِدْرَ، فليكنْ ذلك المِلْحُ بالمِلْحِ[٢]؛ يعني بالقَدَر المقدّر لئلاّ تُفسده به، يُقال: ملَحتُ القِدر إذا ألقيتَ فيها بقدَرٍ، وأملحتها إذا أفسدتَها بالملح[٣].

جاء في النص: (إذا دخلتَها على يسار الدّاخل)، وهي كما ترى؛ فـ(الداخل) ليس لها معنى هنا، وأما في المصادر، فعلى سبيل المثال جاءت العبارة في الأمالي هكذا: (إذا دخلتَ النارَ، فانظر عن يسارك، تجدْه مفترِشاً عمّتَك)؛ وفي العقد الفريد: (إذا دخلت النار، فاعدِلْ ذاتَ اليسار، فإنك ستجد عمّي أبا لهبٍ مفترِشاً عمّتَك حمالة الحطب).

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٨٥، ح٤٦٥ عن أبي برزة. البدع لابن وضاح: ١٨٣، ح٢٧٧، عن أبي نزار القشيري.

(٢) (الملح) الثاني بمعنى الحُسن.

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٥: ٣٤٨. العين ٣: ٢٤٤ (ملح). ومن شُجون الحديث: أنّ بعض الوعّاظ دخل على هارون الرشيد فقال له: إنّي مُغلِظ لك في الكلام، فهل أنت محتمل له؟ فقال: لا؛ إنّ الله تعالى بَعَثَ مَن هو خير منك إلى من هو شرٌّ منّي فقال: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾. ضوء الشِّهاب ٢: ١٤٠.

٣٢٩. مَنْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلى لِسَانِهِ[١].

يُقال: خَلُص الشيءُ يَخلُص خلوصاً، وأخلصته أنا، فهو خالص وأنا مُخلِص، وخلّصته من كذا؛ أي: نجّيته منه، فتَخَلَّص[٢]، وإخلاص الطّاعة إبعادها من الرّياء والسُّمعة، يقول: مَن أخلَصَ العبادةَ لله في صباح هذه الأيّام بعبادةٍ خالصةٍ لا يشوبها شيءٌ ممّا يُكدّرها، أظهرَ الله مِن قلبه على لسانه ينابيعَ الحكمة، وهي جمع يَنبوعٍ وهو الماء الخارج من عيون الأرض، قال الله تعالى: ﴿حَتّى تَفْجُرَ لَنا مِنْ الأرض يَنْبوعاً﴾[٣]، ووزنه يَفعول من نَبَعَ الماءُ إذا خرج من مَنبَعه، وذلك إنّما يكون بلطف الله له وتوفيقٍ يوفّقه ببركة إخلاصه لله في هذه المدّة، وذكر الينابيع مبالغة في الاستعارة والتشبيه لها بالعيون النابعة من الأرض.

٣٣٠. مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ[٤].

اليوم الآخر هو يوم القيامة؛ لأنّه يومٌ لا يومَ بعده[٥]، والضَّيف مصدر ضافه

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٨٥ ، ح٤٦٦، عن ابن عبّاس. المصنَّف لابن أبي شيبة٨: ١٣١، ح٤٣. الزهد لهناد٢: ٣٥٧، عن مكحول باختلاف يسير. عيون أخبار الرضا ٢: ٧٤، ح٣٢١، عن جابر بن عبد الله.

(٢) أُنظر: جمهرة اللغة ١: ٦٠٤. الصحاح ٣: ١٠٣٧. العين ٤: ١٨٦ (خلص).

(٣) سورة الإسراء١٧: ٩٠.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٨٦، قطعة من ح٤٦٧. صحيح البخاري٧: ٧٨. صحيح مسلم١: ٤٩، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٦٦٧ / كتاب العشرة، باب حق الجوار، قطعة من ح٦، عن زرارة، عن الإمام الصادق.

(٥) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ١: ٦٧. تفسير الطبري١: ١٧١، سورة البقرة.

يضيفه إذا نزل به، وأضافه إضافةً إذا أنزله به، ولذلك يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكّر والمؤنّث. تقول: رجلٌ ضيف ورجلان ضيف ورجالٌ ضيف وامرأة ضيف وامرأتان ضيف ونسوةٌ ضيف[١]. قال الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتاكَ حَديثُ ضَيۡفِ إِبۡراهِيمَ الۡمُكۡرَمينَ﴾[٢]، وربما يُجمع بالأضياف والضيوف والضِّيفان. والعرب توجب الضيافة لما مضى قبله، وتفتَخِرُ بقِرَى الضَّيف وخدمة الأضياف بنفوسهم، وقد قالوا في ذلك وأكثروا، وقال بعضهم:

و إنّي لَعبد الضّيف ما دام نازلاً ... وما لي سِواها شيمةٌ تُشبِه العبدا[٣]

وقال آخر:

و مُستنبحٍ قال الصدىٰ مثلَ قوله ... حضأتُ له ناراً لها حطبٌ جَزْلُ

و قمتُ إليه مسرعاً فغنمتهُ ... مخافة قومي أن يفوزوا به قبلُ

فأوسَعَني حمداً وأوسعته قِرىً ... وأرخِصْ بحمدٍ كان كاسبَه الأكلُ![٤]

ذكر المبرّد في كتاب الكامل[٥] أنّ أمدح بيت العرب قول أبي الشّيص:

ضربوا بمدرجة الطّريق قِبابهم ... يتقارعون بها على الضِّيفان

و يكاد موقدهم يجود بنفسه ... حُبَّ القِرىٰ حطباً على النيران[٦]

---

(١) أُنظر: العين ٧: ٦٧. المصباح المنير ٢: ٣٦٦. لسان العرب ٩: ٢٠٨ (ضيف).

(٢) سورة الذاريات ٥١: ٦٠.

(٣) الأمالي للمرتضى ٤: ٧٠. الأمالي للقالي ١: ٢٨٤، نسب فيهما للمقنّع الكِنديّ باختلاف يسير.

(٤) الفاضل: ٣٨. التذكرة الحمدونية ٢: ٢٨١. حضأت النار: أي حرّكت جمرتها، وأوسعني؛ أي: أولاني حمداً واسعاً، فأوليتُه قِرىً واسعاً.

(٥) لم نعثر على قوله في كتابه: الكامل في اللغة والأدب.

(٦) شرح مقامات الحريري لشريشي ٣: ٣١٧. روض الجنان ٦: ١٦٧، سورة النساء.

وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **«حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: إطعام الضّيف، والصّوم في الصّيف، والضّربُ بالسّيف»**[١].

٣٣١. مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ[٢].

قال الله تعالى: ﴿والْجارِ ذِي الْقُرْبىٰ والْجارِ الْجُنُبِ والصّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[٣].

إكرام الجار من مكارم الأخلاق في الجاهليّة والإسلام. وقال صلى الله عليه وآله: **«ما زال أخي جبرائيل يُوصّيني في حقّ الجار حتّى ظننتُ أنّه يرثني»**[٤].

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«الجيران ثلاثة: جارٌ له حقّ واحد، وهو الجار الكافر الأجنبيّ، وجارٌ له حقّان، وهو الجار المؤمن الأجنبيّ له حقّ الإيمان وحقّ الجوار، وجارٌ له ثلاثة حقوق، وهو الجار المؤمن ذو القرابة، له حقّ الجوار والإيمان والقرابة»**[٥].

وفي الخبر: إنّ بركة الرّجل الصالح تصل إلى جيرانه في أربعين داراً من

---

(١) رسائل ابن عطاء السكندري ١: ١٣٨. روض الجنان ٢٠: ٧٥، سورة الإنسان.

(٢) مسند الشّهاب١: ٢٨٦، قطعة من ح٤٦٧. صحيح البخاري٧: ٧٨. صحيح مسلم١: ٤٩، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٦٦٧ / كتاب العشرة، باب حق الجوار، قطعة من ح٦، عن زرارة، عن الإمام الصادق.

(٣) سورة النساء ٤: ٣٦.

(٤) الأمالي للطوسي ٥٢٠، قطعة من ح ١١٤٥، عن المجاشعي، عن الإمام الرضا، عن آبائه . الأمالي للصدوق ٥١٤، قطعة من ح ٧٠٧، الحسين بن يزيد، عن الإمام الصادق، عن آبائه . صحيح البخاري٧: ٧٨، كتاب الأدب، عن عائشة.

(٥) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١٠٥، ح ٣٤١، عن سعيد بن أبي هلال. شعب الإيمان٧: ٨٣/ باب في إكرام الجار، ح ٩٥٦٠. التبيان في تفسير القرآن٣: ١٩٤، سورة النساء، باختلاف يسير.

جميع جوانبه، ومن حقّ الجار على جاره أن يُراعي في حقّه حفظ الغيب ولا يتّهم بريبةٍ في أهله وذويه[١].

قال بعض حكماء العرب:

ولستُ بسائلٍ جارات بيتي   أغُيّابٌ رجالُك أم شهودُ؟
ولستُ بصادرٍ عن بيت جاري   صدورَ العِير غمّره الورود
ولا مُلْقٍ لِذي الوَدَعاتِ سَوطي   لِأَلْهِيَه وربَّتَه أُريد[٢]

ولآخر:

وجارةَ جنب البيت لا تَبغِ سرّها   فإنّك لا تخفى من الله خافيا[٣]

٣٣٢. مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَو لِيَصمُتْ[٤].

هذا الخبر يجري مجرى قوله ﷺ: **«إملاء الخير خيرٌ من السّكوت، والسّكوت خيرٌ من إملاء الشرّ»**[٥]. وقوله ﷺ: **«رحم الله عبداً قال خيراً فغنِم، أو صمَت فسلِم»**[٦].

---

(١) أُنظر: الكافي ٢: ٦٦٦/ كتاب العشرة، باب حق الجوار.

(٢) الأمالي للقالي ١: ٤٦. تاريخ دمشق ٤٦: ٤٧١، نسب فيه لعقيل بن عُلَّفة.

(٣) شرح شواهد المغني لسيوطي ١: ٤٣٥. والقصيدة للأعشى ميمون.

(٤) مسند الشّهاب ١: ٢٨٦، قطعة من ح ٤٦٧. صحيح البخاري ٧: ٧٨. صحيح مسلم ١: ٤٩، عن أبي هريرة. الكافي ٢: ٦٦٧ / كتاب العشرة، باب حق الجوار، قطعة من ح ٦، عن زرارة، عن **الإمام الصادق** .

(٥) الأمالي للطوسي: ٥٣٥، قطعة من ح ١١٦٢. المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٤٣. شعب الإيمان ٤: ٢٥٧، فصل في فضل السكوت، قطعة من ح ٤٩٩٣، عن أبي ذرّ.

(٦) علل الشرائع ٢: ٦٠٦، باب النوادر، قطعة من ح ٨٠، عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه، عن الإمام السجّاد. الإمامة والتبصرة: ٣٧. الصمت وحفظ اللسان: ٥٤، ح ٦٤، عن خالد بن أبي عمران.

وقد أكثرْنا في الصّمت فيما مضىٰ. وقول الخير يشتمل على ذِكر الله والتسبيح والتهليل وقراءة القرآن ودرس العلم وتكراره ووعظ النّاس وتذكيرهم وتخويفهم بالله وترغيبهم في ثواب الله وما يقرّبهم منه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقول الخير خيرٌ والسّكوت سلامة، والكلام أسيرٌ لك وأنت أميره ما لم تتكلّم به، فإذا تكلّمتَ به، صرت أسيره وصار أميراً عليك[١].

٣٣٣. مَنْ أَسْلَمَ عَلى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ[٢].

أراد من يدعو رجلاً إلى الإسلام، ويستدلّ له على صحّته، ويرغّبه فيه، ويذكر له ما وعد الله لأهله من الثواب والنّعيم مقروناً بالتبجيل والتعظيم، ويحسّن الإسلام في عينه، ويزيّنه في قلبه بما استطاع، ويعلّمه ما أعدّ الله للكفّار من العقاب الدائم، وأوعد الله به الكفّار على ذلك، ولم يَأْلُ جدّاً أو اجتهاداً، فأسلمَ بدعوته كما أمر الله تعالى رسوله في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلى سَبيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]، وعده رسول الله بوجوب الجنّة له على ما فعله.

---

(١) قال الإمام عليّ عليه السلام: «الكلام في وِثاقك ما لم تتكلّمْ به، فإذا تكلّمتَ به، صِرتَ في وَثاقه، فاخزُنْ لسانك كما تخزُنُ ذهَبَك ووَرِقَك، فرُبّ كلمةٍ سَلبت نعمةً وجلبت نقمةً»، نهج البلاغة/ الحكمة٣٨١.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٨٨ ، ح٤٧٢. المعجم الأوسط٤: ٣٦، عن عقبة بن عامر.

(٣) سورة النحل ١٦: ١٢٥.

٣٣٤. مَنْ فَرَّجَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ[١].

التفريج: كشف الهمّ عن القلب[٢].

قال:

بِيَد الذي شَغَفَ الفؤادَ بكم تفـريجُ ما ألـقىٰ مِـن الـهمّ[٣]

والكُربة: الغمّ والحزن[٤]، وجمعها الكُرَب[٥]، وراعى المطابقةَ كما ذكرنا في تفريج همّ الدنيا بتفريج همّ الآخرة، وأين كربة الدنيا من كُرب يوم القيامة؟! فإنّ كربة الدنيا وإن اشتدّت، فعن قريبٍ تنقضي، وكُربات الآخرة لا تنقضي ولا تنقطع إلّا عمّن رحمه الله. قال الله تعالى: ﴿وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾[٦]، وساعات الشدّة أيّام، وأيّامها شهور، وشهورها سنون، وسنونها أعمار، وأعمارها أعصار، قال الله تعالى: ﴿لابِثِينَ

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٩٠، ح٤٨٦. صحيح مسلم٨: ١٨. سنن أبي داود٢: ٤٥٤/ باب المؤاخاة، ح٤٨٩٣، عن ابن عمر. الأمالي للصدوق: ٥١٧، قطعة من ح٧٠٧، عن الحسين بن يزيد، عن الإمام الصادق.

(٢) أُنظر: العين ٦: ١٠٩ (فرج). شمس العلوم ٨: ٥١٧٠ (التفريج).

(٣) الفرج بعد الشدة ٢: ٤٦٣. تاريخ دمشق ٣٥: ٤٥٠. الحماسة البصرية ٢: ٩٨، نسبه لأبي صخر الهُذَليّ.

(٤) أُنظر: الصحاح ١: ٢١١. العين ٥٢: ٣٦٠ (كرب).

(٥) المصباح المنير ٢ : ٥٢٩ (كرب).

(٦) سورة الحج ٢٢: ٤٧.

فيها أَحْقاباً﴾[١]، قيل: الحُقب ثمانون سنة[٢]، وقيل مائة سنة[٣]، كلّما مضى حُقب، تبعه حقب للكفّار على الأبد، وللفسّاق على قدر استحقاقهم، أعاذنا الله من أهوال ذلك اليوم وكُرباته وشدائده بفضله ورحمته!

٣٣٥. مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[٤].

النصرة المعاوَنة، وضدّه الخِذلان[٥]، ونصرة الرجل أخاه في غيبته أن ينصره و يَذُبَّ عنه بيده ولسانه وماله وأعوانه، وأن يبذل له ذلك من نفسه، ويجدَّ فيه ويجتهدَ طمعاً في نصرة الله له حيث خذله إخوانه ونكل عنه أعوانه.

٣٣٦. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ[٦].

كان ههنا ناقصة تحتاج إلى اسمٍ وخبر؛ فاسمها الضمير المستتر فيها

---

(١) سورة النبأ ٧٨: ٢٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن١٠: ٢٤٤، سورة النبأ نقلاً عن ابن عبّاس. المستدرك على الصحيحين ٢: ٥١٢، عن ابن مسعود. الصحاح ١: ١١٤ (حقب).

(٣) تفسير الرازي ٣١: ١٣ سورة النبأ. الأزمنة والأمكنة: ١٧٧.

(٤) مسند الشّهاب١: ٢٨٨، ح٤٧٣. سنن البيهقي٨: ١٦٨، عن أنس.

(٥) أُنظر: جمهرة اللغة ٢: ٧٤٤ (نصر). معجم الفروق اللغوية: ٥٤٠، الفرق بين النصرة والإعانة. غريب الحديث للحربي ٣: ٩٧٤.

(٦) مسند الشِّهاب١: ٢٩٠، ح٤٧٧. صحيح البخاري٣: ٩٨. صحيح مسلم٨: ١٨، عن ابن عمر. الأمالي للطوسي: ٩٧، ح١٤٧، عن محمّد بن يحيى المدني، عن **الإمام الصادق** ، باختلاف يسير.

الراجع إلى مَنْ، وخبرها ما تعلّق به حرف الجرّ، وهو في التقدير: من كان هو كائناً ساعياً مُجِدّاً في حاجة أخيه، كان الله مُعيناً بحاجته، والمعنى في الموضعين في قضاء حاجة أخيه، وقضاء حاجته على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه.

٣٣٧. مَنْ سَتَرَ عَلى أَخِيهِ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ[١].

معنى السَّتْر في الحديث السّتر على عوراته ومعايبه وما يجب أن يكون مستوراً غير مكشوف، بدلالة «**على**» عليه، والمفعول به محذوف والتقدير: من ستر على أخيه مَعايِره ومعايبه.

أمّا قوله: «**ستره اللهُ**»، فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المعنى: ستر الله عليه، ليزدوج الكلام. وحُذف حرف الجرّ لدَلالة الكلام عليه وهو إثباته في الجملة الأولى، فلمّا حذف حرف الجرّ، وصل الفعل إلى المفعول به، فعمل فيه، نحو قوله: ﴿**وَاخْتارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ**﴾[٢] والمعنى: من قومه[٣]، ويحتمل أن يريد: ستره من عُرْيه في الدُّنيا؛ أي يُعطيه في الدُّنيا ما يَستُر به ويتجمّل به ويُلبسه في الآخرة من حُلل الجنّة، لِيبقَى الكلامُ على ظاهره ولايحتاج معه إلى تقديرٍ محذوف.

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٩٠، قطعة من ح٤٧٦. مسند ابن حنبل٢: ٢٩٦. المصنَّف لابن أبي شيبة٦: ٢٤٧، قطعة من ح١. الزهد لهناد٢: ٦٤٦، عن أبي هريرة.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٥٥.

(٣) مجاز القرآن١: ٢٢٩. غريب الحديث لابن سلّام ٣: ١٥٦. مجمع البيان ٤: ٣٤٧.

٣٣٨. وَاللهُ فِي عَونِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ[(١)].

العَون اسم للمُعاوَنة[(٢)] ههنا؛ لأنّ بِناء الثلاثيّ لم يُستعمل من هذا الفعل، وإنّما ورد منه الإعانة والاستعانة والمعاونة والتعاون، وقولهم: عانه يَعينه إذا أصابه بعينه[(٣)] ليس من هذا الباب، و **ما** للأمد وهي مصدريّة، يعني واللهُ في معاونة العبد مدّةَ دوام العبد في عون أخيه، ومحلّه النصب على الظرف، وأراد بالأخ أخاه في الدِّين لا في النَّسب؛ لأنّ أُخوّة الدِّين متّسعة، وأخوّة النَّسب بخلاف ذلك.

٣٣٩. مَنْ بَنى للهِ مَسْجِداً وَلَوْ مِثْلَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ[(٤)].

قيّد بِناء المسجد بأن يكون الباني قصد بذلك وجه اللهِ؛ لأنّ كلّ فعلٍ لم يُقصَد به وجهُ الله ولم يُتقرّب به إلى اللهِ، لايكون واقعاً مَوقِعَ القبول؛ لأنّه بهذه النّيّة يصير عبادةً. والمسجد موضع السُّجود، ومَفعل قياس في المواضع وهو من الأسماء الغالبة، ومَفحَص القطاة وأُفحوصها عُشّها الذي يَفحَص في الأرض

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٩٠، قطعة من ح٤٧٦. صحيح مسلم٨: ٧١. سنن أبي داود٢: ٤٦٥/ باب في المعونة للمسلم، قطعة من ح٤٩٤٦. سنن الترمذي٢: ٤٣٩/ باب ما جاء في الستر على المسلم، قطعة من ح١٤٤٩ ، عن أبي هريرة.

(٢) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩٨ (عون).

(٣) أُنظر: النهاية ٣: ٣٣٢. جمهرة اللغة ٢: ٩٥٦ (عين). مختار الصحاح: ٢٤٣.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٩١، ح٤٧٩. المصنَّف لابن أبي شيبة١: ٣٤٤، ح٢، عن أبي ذرّ. مسند ابن راهويه٣: ٦٣٣، قطعة من ح١٢١٤، عن عائشة. دعائم الاسلام١: ١٥٠.

لِيَبيض فيه ويُفرِخ، وأصله من فَحَص الطائر إذا حفر في الأرض حُفَيرة[١].

وقال رؤبة بن العجّاج في كلامٍ له: واللهِ ما فحص طائراً فُحوصاً ولا تَقَرمَص سَبُعٌ قُرمُوصاً إلّا بقضاءٍ من الله تعالى وقَدَره[٢]، ثمّ شُبّه به من فتّش عن أمرٍ من الأمور، قالوا: فحص عن كذا، وعلى هذا قول عمرو بن معديكَرِبَ على طريق المبالغة في التشبيه:

لـمّا رأيت نساءنا يَفحَصن بالمَعزاء شَدّا[٣]

أي: يَعْدون عَدْواً يَظهر آثارُ أقدامهنّ كمَفحَص القطاة، وهو عبارة عن الصِّغر والتحقير. «**بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ**»؛ مقابَلة لفعله بمثل ما فعل.

٣٤٠. مَنْ طَلَبَ عِلْماً فَأَدْرَكَهُ كُتِبَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الأَجْرِ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْماً وَلَمْ يُدْرِكْهُ كُتِبَ لَهُ كِفْلٌ مِنَ الأَجْرِ[٤].

المراد بإدراك العلم: الجَدّ في طلبه والمداومة على درسه وتكراره والاعتناء بشأنه. وإدراك العلم لا يمكن بدون ذلك؛ فإنّ العلم بالمحفوظات من فعل الله تعالى على سبيل العادة، ولو كان ذلك من فعلنا باختيارنا،

---

(١) أُنظر: العين ٣: ١٢٣. النهاية ٣: ٤١٥ (فحص).

(٢) الأمالي للمرتضى ١: ١٥. متشابه القرآن ومختلفه ١: ٢٠٢. ربيع الأبرار ٢: ٢٤٨.

(٣) لباب الآداب: ٢٠٤. الخصائص لابن جني٣: ٢٥٥. أَي: يؤثّرن فيها من شدَّة الجري، والمَعزاء: الأرض الصَّلْبة، وشدّاً مفعول لَهُ؛ أَي: يفحصْن لِشدّهنّ. شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١: ٥١.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٩٢، ح٤٨١. سنن الدارمي١: ٩٦/ باب في فضل العلم والعالم. المعجم الكبير٢٢: ٦٨. الفوائد لتمام الرازي٢: ١٩٥، ح١١١٣، عن واثلة بن الأسقع.

لَفَعلنا في ساعةٍ واحدة علوماً كثيرة، والمعلوم خلافه، وكذلك العلم بالحِرَف والصنائع، وإنّما قلنا إنّ ذلك يكون بالعادة للاختلاف الظاهر، فربّما يحصل لأحد علمٌ كثير بممارسةٍ قليلة، ولايحصل لغيره مثلُ ذلك بممارسة كثيرة. فالطلب منّا وتوفيق الإدراك من الله بخلقه العلمَ فينا.

و**الكفل**: النّصيب[1] فِعل بمعنى مفعول؛ كأنّه نصيبٌ مكفول به، وقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[2]، والثواب في ضمان الله إلى أن يوصِله إلى مستحقّيه، وإنّما قال كفل وكفلان؛ لأنّ العلم لا يُدرَك ولا يَحصُل إلّا بممارسة ومقاساة وشدّة وجَهد وبذل جهد، فكلّما كانت المقاساة والممارسة أكثرَ، كان الأجر والثواب أكثر.

ومعنى الحديث: الحَثّ على الجَدّ في طلب العلم والترغيب فيه بضمان الثواب عليه بقدَر السعي فيه وتحمّل المشقّة في طلبه.

٣٤١. مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ[3].

ويروى «**أَسَامِعَ خَلقِهِ**»[4] جمع أسمُع وهو جمع الجمع[5]، ويروى «**سَامِعُ**

(١) الصحاح ٥: ١٨١٠. العين٥: ٣٧٣ (كفل).

(٢) سورة الحديد٥٧: ٢٨.

(٣) مسند الشّهاب١: ٢٩٣، ح٤٨٢. مسند ابن حنبل٢: ١٦٢. مسند إبن الجعد: ٣٧. المعجم الأوسط٥: ١٧٢، عن عبدالله بن عمرو.

(٤) غريب الحديث لابن سلّام٢: ٢٢٥.

(٥) تهذيب اللغة ٢: ٧٥. الفائق في غريب الحديث٢: ١٥٧.

خَلقِهِ» بالرفع على أنّه صفة لِله جلّ جلاله الذي يسمع أصوات خلقه[١]، يُقال: سمّعتُ الحديث وأسمعته غيري، فأمّا سمّع مع الباء، فلا يستعمل إلّا في الشرّ، يُقال: سَمّع فلانٌ بفلان، وندّد به وشرّد به، إذا قال قبيحاً في عِرضه على الملإ من الناس، فأسمعهم ذلك مرّةً بعد أخرى؛ يعنى يشتهره الله تعالى بالرّياء والنفاق[٢].

والتسميع الأوّل أن يُذكّر الرّجل عملَه للناس ويحدّثهم به فيقول: صلّيت كذا وصمتُ كذا وحججتُ سنة كذا.

قال : من فعل ذلك، سمّع الله به؛ أي: ألقى الله اسمه في أسماع الخلق بالرّياء والسمعة، والمراد بالسامع في الحديث الأُذن على الرواية الأولى، وفي الحديث: «**يُؤتىٰ يومَ القيامة بقومٍ، فيقول الله: مَن هؤلاء؟ وهو أعلم، فيقال: هم المصلّون القائمون باللّيل، فيُؤمَر بهم إلى النّار، ثمّ يُؤتىٰ بقومٍ، فقال: مَن هؤلاء؟ قيل: الصائمون، صاموا الدّهر ولم يُفطِروا، فيؤمر بهم إلى النار، وكذلك في الحجّ والجِهاد، فيؤمر بهم كلّهم إلى النّار، فقالوا: ربُّنا أنتَ أعلم وأحكم، فيقول اللهُ: فعلوا ولكن لم يفعلوا لي، و إنّما فعلوا ليقول الناس: هذا مصلٍّ وهذا صائمٌ وهذا حاجٌ وهذا غازٍ، فقال الناس ذلك، فليأخذوا أُجورهم ممّن فعلوا له، فما لهم عندي من خلاق**»[٣].

---

(١) أُنظر: النهاية ٢: ٤٠٢ (سمع).

(٢) أُنظر: جامع الأصول ١١: ٧١٣.

(٣) لم نعثر عليه. أُنظر: روض الجنان ٤: ٥٧ مثله.

وقيل: إنّ أعرابيّاً دخل مسجداً، فرأى رجلاً يُصلّي بخشوعٍ وخضوع، فأعجبه ذلك، فقال له: نِعْمَ ما تُصلّي! قال: وأنا صائم؛ فإنّ صلاة الصّائم تَضعَف صلاةَ المفطر، فقال له الأعرابي: تفضّلْ واحفظ ناقتي هذه، فإنّ لي حاجةً أقضيها، فخرج لحاجته، فركب المصلّي ناقته وخرج، فلمّا قضى الأعرابي حاجته، رجع فلم يرَ الرّجل ولا الناقة، وطلبه فلم يقدِر عليه، فخرج وهو يقول:

صلّىٰ فأعجبني وصام فرامني نَحِّ القَلوص عن المصلّي الصائم![1]

٣٤٢. مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ[2].

هذا الخبر يجري مجرى الحديث الأوّل في المعنى؛ يعني من تزهّد وتَقَوّىٰ وأظهر من نفسه الزّهدَ والظلافة[3] وغرضه أن يعرفه الناس بذلك، فيأتمنوه على أماناتهم ويستودعوه ودائعهم، فيضرب عليها ويُنكرها[4] والناس يشهدون له والانكاره لحسن سيرته؛ لأنّهم يرون سيرته ولايعرفون

(١) أُنظر: البيان والتبيين: ٣٧١. أدب الدنيا والدين: ١٠٥.

القَلوص من النُّوق: الشّابّة، وهي بمنزلة الجارية من النّساء؛ الصحاح ٦: ١٠٥٤ (قلص).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٢٩٣، ح٤٨٤. مسند ابن حنبل٥: ١٣٤. المستدرك على الصحيحين٤: ٣١٨. الزهد وصفة الزاهدين: ٦٧، ح١٢٤، عن أبي بن كعب.

(٣) مصدر هذه المادة إما ظَلْف من ظلَف يَظلِف بمعنى المنع، أو ظَلَف من ظَلِف يظلَف بمعنى الكفّ أو الغِلظة.

(٤) أي: يخون وينكر الأمانة.

سريرته، أو ليعطوه زكاة أموالهم فلا يكون له عند الله ثواب؛ لأنّ الأعمال بالنيّات ولكلّ امْرِئٍ ما نوىٰ[(١)]، فإذا لم تكن نيّته لله، بل لِيحوز به الدنيا ويفوز بحطامها، فقد حصل مقصوده فيما كان يفعله، قال الله تعالى: ﴿فَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقولُ رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا وَما لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾[(٢)]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وما لَهُ في الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ﴾[(٣)].

٣٤٣. مَنْ أُولِيَ مَعرُوفاً فَلَمْ يَجِدْ جَزاءً إِلَا الثَّناءَ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ[(٤)].

أولىٰ: أعطىٰ وأصله جعْل ذلك العطاء يليه؛ أي: يَقرُب منه، والولْي: القُرب[(٥)]، ويُقال: ولّيٰ فلانٌ كذا إذا تولّىٰ ذلك الفعل بنفسه، وأوليته إذا مكّنتَه منه، أراد من أعطى شيئاً من الخير، فأراد أن يكافئه فلم يجد شيئاً

---

(١) الأمالي للطوسي: ٦١٨، ح ١٢٧٤، عن عليّ بن جعفر، عن آبائه . صحيح البخاري١: ٢. سنن أبي داود١: ٤٩٠/ باب فيما عُني به الطلاق والنيات، ح ٢٢٠١، عن عمر بن الخطاب.

(٢) سورة البقرة٢: ٢٠٠.

(٣) سورة الشورى٤٢: ٢٠.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٩٤، ح٤٨٥. سنن أبي داود٢: ٤٣٩/ باب في شكر المعروف، قطعة من ح٤٨١٣. الأدب المفرد: ٥٥، ح٢١٥، باختلاف يسير. صحيح ابن حبّان٨: ٢٠٤ ، عن جابر بن عبد الله.

(٥) أُنظر: الصحاح ٦: ٢٥٢٨. معجم مقاييس اللغة ٦: ١٤١ (ولى).

ولم يستطع للإعسار والإقلال وسوء الحال وعدم ذات اليد إلّا أن يُثني عليه، فأثنىٰ عليه، فقد شكره؛ لأنّه لايقدِر على أكثرَ من ذلك، ومثله «**التّحَدُّثُ بالنِعَمِ شُكرٌ**»[١]، ومن كتمه ولم يذكره، فقد كفره؛ أي: صار كافراً بتلك النّعمة وبذلك المعروف.

٣٤٤. مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفاً فَلْيُكَافِئْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ، فَإِنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ[٢].

معنى الحديث معنى الحديث الذي قبله إلّا أنّه أمره أوّلاً بالمكافأة وهي المقابلة مفاعلة من الكفؤ وهو النظير[٣]، فإن عجز عنها، فلْيذكره؛ فإنّ ذِكره شكر له.

٣٤٥. مَنْ أَوْلى رَجُلاً مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ مَعْرُوفاً فِي الدُّنْيَا، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَافِئَهُ كَافَأْتُهُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ[٤].

عبد المطّلب جدّ النبيّ ﷺ، وهو محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب، وكان اسم عبدالمطّلب شَيبةَ الحمد، فمات أبوه هاشمٌ

(١) الشكر لله: ٩٥، ح ٦٣. مسند الشِّهاب١: ٦١، ح ٤٤، عن النعمان بن بشير.
(٢) مسند الشّهاب١: ٢٩٥، ح٤٨٧. مسند ابن حنبل٦: ٩٠. مسند إبن راهويه٢: ٢٦٨، ح٧٧٤. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١١١، ح٣٦٦، عن عائشة.
(٣) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧١٨ (كفؤ).
(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٩٦، ح٤٨٨. حلية الأولياء١٠: ٣٦٦، عن عثمان بن عفان.

وهو طفل، فتولّىٰ تربيتَه عمُّه المطّلب، فسُمّي عبدالمطّلب[١]، والمراد ببني عبد المطّلب أولادُ النبيّ ﷺ من فاطمة عليها السلام، وأولاد أبي طالب من عليّ عليه السلام وعقيل وجعفر، وأولاد هؤلاء ممّن له عَقِبٌ، ثمّ إنّ التخصيص يُدخله من وجهٍ آخرَ؛ وذلك لأنّه عنىٰ ببني عبد المطّلب من كان مؤمناً بدَلالة قوله: «**كافَأْتُه عنه يومَ القيامة**»، ومعلومٌ أنّه لا يكافئ من أعطىٰ كافراً منهم معروفاً، وقوله عَنْهُ حرف الجرّ، فيتعلّق بمحذوف؛ أي: نيابةً عنه، تقول: فعلتُ عن فلانٍ كذا إذا فعلته نائباً عنه، يُقال: نابَ فلانٌ عن فلان إذا قام مقامه في فعلٍ من الأفعال، والضمير الأوّل يرجع إلى المُنعِم، والثاني إلى المُنعَم عليه.

٣٤٦. مَنْ رَأى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا، كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْؤُودَةً مِنْ قَبْرِهَا[٢].

يعني من رأى عارياً أو مُكتسِياً بكَسوةٍ لا تُواري عورته، فكساه وأعطاه ما يواري به عورتَه، كان له من الأجر كأجر من أحيا موءُودةً وأخرجها من قبرها، والموءُودة: البنت من بنات العرب اللّواتي كانوا يدفنونهنّ أحياءً، إمّا مخافة الفقر، وإمّا اِستنكافاً وأَنَفَةً من أن يَخطِبها مَن ليس بكُفْؤٍ لها، واشتقاقها من الوَأْد وهو دفن البنت وهي حيّة[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَ إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٤]، والسؤال في الحقيقة للوائد

---

(١) أُنظر: أنساب الأشراف١: ٦٤.

(٢) مسند الشّهاب١: ٢٩٦، ح٤٨٩. سنن أبي داود٢: ٤٥٤ / باب في الستر على المسلم، ح٤٨٩١. مسند ابن حنبل٤: ١٤٧. الأدب المفرد: ١٦٥، ح٧٧٩، عن عقبة بن عامر.

(٣) أُنظر: النهاية ٥: ١٤٣. العين ٨: ٩٧. المصباح المنير ٢: ٦٧٤ (وأد).

(٤) سورة التكوير٨١: ٨ـ٩.

لا للموءُودة، لكن الله تعالى ذكر ذلك على سبيل التعنيف والتوبيخ للوائد[١]، كما قال تعالى في قصّة **عيسى** : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دونِ اللهِ﴾[٢] والغرض تكذيب مَن ادّعىٰ ذلك وتخجيلهم؛ فإنّ ذلك يجري بحضرتهم[٣].

٣٤٧. مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللهِ كَفَاهُ اللهُ كُلَّ مَؤُونَةٍ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنِ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيا وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهَا[٤].

الانقطاع إلى الشيء: الفزع إليه والهرَبُ إليه والرجوع إليه على سبيل التذلّل والخشوع قاطعاً طمَعه من كلّ أحدٍ، والمؤونة مصدر مانه يمونه إذا أثقله[٥]، والاحتساب يجوز أن يكون من الحِسبان، ويجوز أن يكون من الحساب؛ أي: من فَزِع إلى الله، كفاه الله كلَّ ثقلٍ وشدّة، ورَزَقه من حيث لا يظنّ أو من حيث لا يكون في حسابه ولا يعلم، ومَن فزِعَ إلى أرباب الدُّنيا

(١) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن١٠: ٢٨٣. تفسير الثعلبي١٠: ١٣٩، سورة التكوير.

(٢) سورة المائدة٥: ١١٦.

(٣) أُنظر: الأمالي للمرتضى ٤: ١٨٨. التبيان في تفسير القرآن٤: ٦٦. تفسير الطبري٧: ١٨٣، سورة المائدة.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٩٨، ح٤٩٣. الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: ٤٣، ح٢٦. تفسير ابن أبي حاتم١٠: ٣٣٦٠، ح١٨٩١٣. المعجم الأوسط٣: ٣٤٦، عن عمران بن الحصين.

(٥) أُنظر: الصحاح ٦: ٢١٩٨. العين ٨: ٣٨٩. المصباح المنير٢: ٥٨٢ (مأن).

وتمسّك بهم واعتصم بعصمتهم واستظهر بخدمتهم، وكَلَهُ الله إليهم ممّن يظنّ بهم أنّهم يحمونه ويؤتونه ما يتمنّاه، وإنّما قلنا ذلك وقدّرنا هذا المضاف؛ لأنّه لا يقال لطالب الدُّنيا إنّه منقطع إليها، إنّما المنقطع الملتجئ إلى الشيء، فلابدّ من هذا التقدير ليستقيم الكلام.

٣٤٨. مَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِي اللهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذامّا[١].

المحامِد: جمع مَحمَدة وهي الخَصلة التي يُحمَد الرّجل عليها[٢]، **والمعاصي**: جمع معصية، وهي الخَصلة التي يُعصَى الله فيها، ويجوز أن يكونا مصدرين. والمعصية والعصيان مخالفة الأمر أو الإرادة[٣]، والحامد فاعل الحمد الراضي بفعله من حَمِده، والذّم: العيب، يُقال: ذمّه يذُمّه ذمّاً إذا عابه[٤]، يقول: من طلب أن يَحمِده أحد من الناس بمعصيةٍ من معاصي اللهِ، طلباً لرضاه وحمِدَه له، عاد ذلك الحمد ذمّاً، وانقلب ذلك الحامد ذامّاً؛ يعني لا يورثه ذلك إلّا خيبة الرّجاء،

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٢٩٩، ح٤٩٨. معجم ابن الأعرابي٢: ٤٢٧، ح٨٣٣. مساوئ الأخلاق للخرائطي: ١١١، ح٢٢١ ، عن عائشة. الكافي٢: ٣٧٢ / كتاب الإيمان والكفر، باب من أطاع المخلوق في معصية الخالق، ح١، عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: العين ٣: ١٨٨. النهاية ١: ٤٣٧ (حمد).

(٣) رسائل الشريف المرتضى١: ١٢٣.

(٤) أُنظر: المحيط في اللغة ٢: ٤٠٤. تفسير الطبري٨: ١٨١. تفسير الثعلبي٤: ٢٢٢.

ومثله في المعنى: «**من أعان ظالماً، سلّطه الله عليه**»[١]، و«**مَن سَلَّ سيف البَغي، قُتِل به**»[٢].

٣٤٩. مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضى عَنْهُ النّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ[٣].

الالتماس: افتعال من اللّمس، وهو من باب فعل الشيء لنفسه؛ كأنّه يجرّ ذلك الملموس إلى نفسه، ثمّ كثُر استعماله حتّى استُعمل في كلّ طلبٍ[٤]، والرِّضا من باب الإرادة، وهي إرادة تتعلّق بفعل غير المريد، ولا توصف الإرادة بأنّها رضا إلّا إذا وقع مرادها ولم يتوسّط بينها وبين الفعل كراهة؛ لأنّ من أراد من غيره شيئاً ثمّ كرهه ووُجد ذلك الشيء، فلا يسمّى تلك الإرادة رضاً، والسخط أيضاً من قبيل الإرادة وهي إرادة تتعلّق

---

(١) تاريخ دمشق ٣٤: ٤، عن عبد الله. الخرائج والجرائح ٣: ١٠٨٥، عنه .

(٢) الكافي ٨: ١٨، قطعة من ح ٤، المعروف بخطبة الوسيلة، عن جابر بن يزيد، عن **الإمام الباقر** ، عن **الإمام عليّ** . نهج البلاغة، قطعة من حكمة٣٤٩. تهذيب الكمال٥: ٨٩، عن الأصمعي، عن الإمام الصادق.

(٣) مسند الشّهاب١: ٣٠٠ ، ح٤٩٩. سنن الترمذي٤: ٣٤ ، ح٢٥٢٧. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٦٦، ح١٩٩ ، عن عائشة. الأمالي للصدوق: ٢٦٨ ، ح٢٩٣، عن يحيى بن أبي القاسم، عن الإمام الصادق، عن آبائه، باختلاف.

(٤) أُنظر: المصباح المنير٢: ٥٥٨ (لمس).

بوصول ضررٍإلى الغير، وتسمّى كراهةُ وصول منفعة إليه سخطاً وغضباً، وهما من الله تعالى إرادة العقاب بمستحقّه أو كراهة نفع الثواب له. والرّضا من الله إرادة الثواب بمستحقّه، ولا تسمّى الإرادة والكراهة رضاً إلّا بعد وجود متعلّقهما[١].

ومعنى الحديث كمعنى الحديث الذي قبله، وهو النهي عن طلب رضا الناس بما يُسخط الله، والحَثّ على طلب رضا الله وإن أسخطَ النّاس، فإنّ من راقب رضا الله، حاز الرضا من الله ومن الناس، ومن لم يُبالِ بسخط الله لرضا الناس، فاته الرضا من الجانبين جميعاً.

٣٥٠. مَنْ مَاتَ عَلى خَيْرِ عَمَلِهِ فَارْجُوا لَهُ خَيْراً، وَمَنْ مَاتَ عَلى سَيِّئِ عَمَلِهِ فَخَافُوا عَلَيْهِ وَلَا تَيْأَسُوا[٢].

الرّجاء والخوف من باب الظّنّ، فالرّجاء ظنّ يتعلّق بوصول خير إليه أو إلى غيره أو دفع مضرّة عنه أو عن غيره، والخوف ظنّ يتعلّق بوصول ضرر أو فوت منفعة منه أو من غيره[٣]، قيل: إنّ السبب في ذلك أنّ عثمان بن مظعون مات وكان رجلا من أجَلّاء الصحابة، قال الناس هو من أهل

(١) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن١٠: ٣٩١ سورة البينة. معجم الفروق اللغوية: ٣٤، الفرق بين الإرادة والرضا.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٠٢ / ح٥٠٢. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٣١٣/ ح٨٩٥، كلاهما عن أبي عبد الرحمن الحبلي وخالد بن أبي عمران.

(٣) أُنظر: المفردات: ٣٠٣ (خوف) و٣٦٤ (رجو).

الجنّة قطعاً، ومات في تلك الأيام رجلٌ آخر فقالوا: هو من أهل النّار قطعاً وبتاتاً، فقال : لا تقولوا مثل هذا ولا تقطعوا عليه؛ فإنّه لا طريق لكم إلى القطع على ذلك، بل من مات على خير عمله، فارجوا له خيراً، ومَن مات على سيِّيء عمله، فخافوا عليه ولا تيأسوا[١].

وإنّما قال ذلك، لئلاّ يقولوا ما ليس لهم به علمٌ، ويبقَوا على ما هم عليه من الكون بين الخوف والرّجاء، فإنّ هذا سبيل المكلّف وما أُمر أن يكون عليه.

وقال بعض الأوّل:

أيا صاحب الذنب لا تقنُطَنْ فإنّ الإله رؤوفٌ رؤوفْ
ولا ترحلنّ بلا عِدّةٍ فإنّ الطريق مخوفٌ مخوف[٢]

٣٥١. مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فِي الدُّنْيَا فَعُوقِبَ بِهِ عَلَيهِ، فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلى عَبْدِهِ؛ وَمَنْ أَذْنَبَ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ[٣].

الذنب اسمٌ للإذناب[٤]، كالجرم للإجرام، ولم يأت منه الثلاثي

(١) لم نعثر عليه في المصادر. أُنظر: روض الجنان ١١: ٣٥٣. تفسير گازر ٥: ١٥٠، باختلاف.

(٢) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ : ١١٦. البديع في نقد الشعر: ١١٥.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٠٣، ح٥٠٣. سنن ابن ماجة٢: ٨٦٨، ح٢٦٠٤. مسند ابن حنبل١: ٩٩ و ١٥٩. حسن الظنّ بالله: ٦٣ ، ح٥٢ ، عن أبي جحيفة، عن الإمام عليّ، باختلاف يسير.

(٤) العين٨: ٩٠ (ذنب).

المجرّد، فلا يقال: ذنب يذنب كما لا يقال: جرم يجرم، ولم يأت منهما الثلاثي إلّا الإفعال فقط، فأمّا غير ذلك من التفعيل والمفاعلة والافتعال والانفعال والاستفعال والتفعّل والتفاعل وغير ذلك لم يستعمل ولم يُسمع. والمعاقبة العقاب وهما مصدرا «**فاعلَ يفاعلُ**»، وهذا البناء في الأغلب يكون بين اثنين؛ نحو: المضاربة والمصارعة والمقاتلة وغيرها، إلّا أحرُفاً جاءت بخلاف ذلك، وهي طارقتُ النّعلَ، وعاقبت اللّصَّ، وعافاه الله، وأعدل أفعل التفضيل، والتثنية جعل الواحد اثنين، والتستّر والتغطية والعفو: التجاوز[١]، ويُستعملان مع حروف الجرّ، يُقال: ستر عليه ذنبه وعفا عنه وعاد في كذا إذا رجع فيه.

في هذين الحديثين تقرير عدل الله وكرمه، وأنّه لا يعاقِب عبده على ذنبٍ واحد مرّتين، وأنّه لا يُجير[٢] في عدله أن يعاقبه إلّا بمقدار ما يستحقّه، والعقاب حقّ الله على العبد، فإن شاء، استوفاه بأجمعه، وإن شاء، أخذ بعضه وعفا عن البعض، وإن شاء أخذ، بعضه في الدُّنيا وبعضه في الآخرة، أو عفا عن جملته وهذا أَلْيَق بكرمه، قال الله تعالى: ﴿و إِنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٣]، فأمّا أن يثنّي العقوبة على عبده بما لا يستحقّه فذلك ظلمٌ، وهو متعالٍ عنه علوّاً كبيراً، ومن أذنب ذنباً فعفى الله عنه، فالرجوع إليه والعود على ما عفى عنه، ممّا

(١) النهاية٣: ٢٦٥ (عفا).

(٢) هكذا في النسخة.

(٣) سورة البقرة٢: ٢٣٧.

لا يليق بكرمه ولا يحسن بأحدنا، فكيف به تعالى؟! جعلنا الله ممّن يُنعِم عليه بعفوه، ويتفضّل عليه بكرمه! إنّه عفوٌّ غفور.

٣٥٢. مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَصُدُّهُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِذَا خَلَا، لَمْ يَعْبَأِ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ[١].

الوَرَع: اجتناب المحارم والمآثم، يُقال: وَرِع الرّجل يَرِع ورعاً ورَعةً فهو ورِع[٢]، والصدّ المنع[٣]، والصدود الإعراض، والصّد والصدود كالرّجع والرّجوع، قال الله تعالى: ﴿الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾[٤]؛ أي: منعوا الناس عن الإسلام[٥]، «إِذَا خَلَا» يعني وقت الخلوة، ومحلّه النصب على الظرف، والتقدير وقت الخلوة، لم يعبأ اللهُ؛ أي لم يُبالِ الله بعمله[٦]،

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٠٣ ، ح٥٠٤. الورع لابن أبي الدنيا: ٤٣، ح١١، عن أنس بن مالك.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٦: ١٠٠. النهاية٥: ١٧٤ (ورع).

(٣) النهاية٣: ١٥. المصباح المنير٢: ٣٣٤ (صدد).

الفرق بين الصد والمنع: أنّ الصّدّ هو المنع عن قصد الشيء خاصّة، ولهذا قال الله تعالى: «وهم يصدّون عن المسجد الحرام»؛ أي: يمنعون الناس عن قصده، والمنع يكون في ذلك وغيره، ألا ترى أنه يقال: منع الحائطَ عن الميل، ولا يقال صدّه عن الميل؛ لأنّ الحائط لا قصد له، ويقولون: صدّني عن لقائك، يريد عن قصد لقائك وهذا بيّن؛ معجم الفروق اللغوية: ٣١١.

(٤) سورة النحل١٦: ٨٨.

(٥) التبيان في تفسير القرآن٩: ٣٠٧.

(٦) المفردات: ٥٤٤ (عبأ).

يُقال: عَبَأ به يَعبأ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ﴾[١].
ومعنى العَبْأ والمبالاة من الله ترك القبول؛ وذلك لأنّ الفعل لم يقع منه على وجهٍ يستحقّ عليه الثواب، والورع عن المعاصي في الخلوة من التقوى، قال الله: ﴿الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[٢].

فضّل في هذا الحديث الورع عن المعاصي من خشية الله على الأعمال الصالحة؛ لأنّ المشقّة فيه أكثر ومجاهدة النفس في ذلك أشدّ وأشقّ، وكثرة الثواب تكون بالمشقّة، كلّما كان الفعل أشقّ، كان الثواب عليه أكثر.

٣٥٣. مَنْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ حِينَ يَرَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو، فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهَ[٣].

الإحسان والإساءة نقيضان، والاستهانة الاستخفاف[٤]، وهو من الاستفعال الذي هو بمعنى الظّنّ والتقدير، كالاستكبار والاستصغار والاستحقار والاستجهال، وهو وجهٌ من وجوه الاستفعال، ويجوز أن يكون بمعنى الإهانة؛ فإنّ من وجوه الاستفعال أن يكون بمعنى الإفعال، كأجاب

---

(١) سورة الفرقان٢٥: ٧٧.

(٢) سورة الأنبياء٢١: ٤٩.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٠٤، ح٥٠٦. المصنَّف لعبد الرزّاق٢: ٣٧٠، ح٣٧٣٨. مسند أبي يعلى٩: ٥٤، ح٥١١٧، عن عبد الله.

(٤) أُنظر: النهاية٥: ٢٩٠. المصباح المنير٢: ٦٤٣ (هون).

واستجاب، قال: فلم يستجبْه عند ذاك مجيب، هذه علامة النفاق، قال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلّا وَهُمْ كُسالىٰ وَلا يُنفِقونَ إِلّا وَهُمْ كارِهونَ﴾[١]؛ وذلك لأنّ المنافق لا يعتقد أنّ له في أداء الطّاعات وفعل العبادات واجتناب المقبّحات ثواباً وفي تركها عقاباً، إنّما يفعل ما يفعله رياءَ الناس وحقناً لدمه وحفظاً لماله وولده، كما قال بعض الزنادقة وقد رُؤيَ يُصلّي صلاةً حسنة تامّة الرّكوع والسجود، فقيل له: ما هذه الصلاة وهي مُبايِنة لطريقتك؟! فقال: عادة البلد، ورياضة الجسد، وحماية الأهل والولد[٢].

ورأى رجلٌ من العُلماء رجلاً سجد سَجدَتي الشكر في المسجد فأطالها، فقال له: ما أحسنا لو كانت في بيتك![٣]

ولذلك رويَ أنّ صلاة النوافل في البيت أولى لتسلمَ من الرّياء، والصّلاة المكتوبة في المسجد أولىٰ لئلاّ يُتَّهم بترك الصلاة ولِيُقتدىٰ به في فعلُها، وربّما وجد إماماً موافقاً يقتدي به، فيُدرك فضل الجماعة[٤].

---

(١) سورة التوبة٩: ٥٤.

(٢) تارة ينسب إلى ابن أبي العوجاء. روض الجنان ٦: ١٥٩ وتارة نسب إلى صالح بن عبد القدوس. لسان الميزان ٣: ١٧٤.

(٣) الزهد لإبن حنبل ١: ١٤٤.

(٤) راجع: وسائل الشيعة ٥: ٢٩٤/ كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب استحباب صلاة النوافل في المنزل، واتخاذ بيت في الدار للصلاة، وإخفاء النوافل دون الفرائض.

ويُحكىٰ أنّ رجلاً دخلَ قرية في اللّيل وفيها مسجد مفتوح الباب، فدخله فسمع حسّاً وظنّه رجلاً، فقام يُصلّي ويطوّل الصّلاة ليرى ذلك الرّجل، فينقل إلى أهل القرية، فلمّا طلع الفجر وأضاءَ النهار، إذا هو بكلبٍ، فقال: يا نفسُ، عبدتَ البارحة كلباً إلى الصباح!

ومَن كان بهذه الصِّفة التي ذُكر في الحديث، فهو في الدُّنيا في عَناءٍ وتعب، وفي الآخرة في عقابٍ وغضب، لا دنيا ولا دين، ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبينُ﴾[١].

٣٥٤. مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللهِ إِلَا بُعْداً[٢].

النهي في حقّ الصلاة مَجاز، ومعناه الزجر؛ لأنّ حقيقة النهي هي قول القائل لمن هو دونه في الرتبة: لا تفعلْ أو ما يجري مجراه إذا كان فوق من نهاه في الرّتبة وكان كارهاً لما نهيَ عنه[٣]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ﴾[٤]، ومعناه: أنّ المصلي ينبغي أن ينتهي وينزجر عن الفحشاء والمُنكر للصلاة[٥] وهو من الإسناد المجازيّ كما بيّنّا،

---

(١) سورة الحج ٢٢: ١١.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٠٥ ، ح٥٠٨. معجم ابن الأعرابي٣: ٩٢٦، ح١٩٥٤. معاني القرآن للنحاس: ٢٢٨ ، عن الحسن. المعجم الكبير١١: ٤٦، عن ابن عبّاس.

(٣) أُنظر: عدة الأصول ١: ٢٥٥ و٢: ٩٦.

(٤) سورة العنكبوت٢٩: ٤٥.

(٥) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٨: ٢١٢. تفسير الطبري٢٠: ١٨٨، سورة العنكبوت.

ولهـذا قلنـا: إنّ العبـادات الشـرعيّة لطـفٌ فـي أداء الواجبـات العقليّـة واجتنـاب المقبّحـات، واختلفـوا في الفحشـاء والمنكـر؛ فقـال بعضـهم: الفحشاء والفاحشة ما يُوجِب الحَدّ، والمُنكَر ما لايوجِب الحَدّ[١]، وقال بعضهم: الفحشاء الكبيرة، والمُنكَر الصغيرة.

وقـال ابـن عبّـاس: كـلّ مـا فـي القـرآن مـن الفحشـاء فـالمراد بـه الزّنـا إلّا قولـه: ﴿الشَّـيْطانُ يَعِـدُكُمُ الْفَقْـرَ وَيَـأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشـاءِ﴾[٢]، فإنّـه أراد بـه البخـل[٣]، وأمّـا مـن جهـة اللّغـة، فـالفحش تجـاوز الحَـدّ، يُقـال: أفحـش الرّجل إذا أتىٰ بفاحشـة، وتَفـاحَش الـدّم على الثّوب إذا كَثُر[٤]، والمُنكـر مـا يُنكـره العقـل والشـرع، بخـلاف المعـروف[٥]. ويـرویٰ: «**لـم يـزدد بهـا مـن الله إلّا بُعـداً**»[٦] علـى إسـناد الازديـاد إلـى المصـلّي، وفـي الروايـة الأُولـى إلى الصلاة.

---

(١) أُنظر: تفسير البغوي ١: ١٣٨.

(٢) سورة البقرة٢: ٢٦٨.

(٣) أُنظر: مجمع البيان٦: ١٩١. تفسير الطبري١٤: ٢١٣، سورة النحل. تفسير الرازي٧: ٦٩، سورة البقرة.

(٤) أُنظر: المصباح المنير٢: ٤٦٣. النهاية ٣: ٤١٥ (فحش).

(٥) أُنظر: المفردات: ٥٦١ (عرف). النهاية ٥: ١١٥(نكر). التبيان في تفسير القرآن٣: ٦١٠، سورة المائدة.

(٦) معاني القرآن للنحاس٥: ٢٢٨، عن الحسن. المعجم الكبير ١١: ٤٦، عن ابن عبّاس. مجمع البيان ٨: ٢٩، عن أنس بن مالك الجُهَنيّ.

٣٥٥. مَنْ حَاوَلَ أَمْراً بِمَعْصِيَةِ اللهِ كَانَ أَفْوَتَ لِمَا رَجَا وَأَقْرَبَ لِمَجِيء مَا اتَّقى[١].

المحاولة والمزاولة: طلب الأمر بطريق الحيلة[٢]، والمقاساة والممارسة طلبه بجهدٍ ومشقّة، من القَسوة وهي الشّدّة، ومن التمرّس وهو التحكّك[٣]؛ يعني من توسّل وتذرّع إلى أمرٍ من الأمور بمعصية الله، كان ذلك سبباً لفوت ما يرجوه، وحصول ما يتّقيه ويخافه.

ومعنى الحديث: النهي عن التسبّب إلى المقاصد والأغراض بمعصية من معاصي الله.

٣٥٦. مَنْ كَانَتْ لَهُ سَرِيرَةٌ صَالِحَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ، نَشَرَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهَا رِدَاءً يُعْرَفُ بِهِ[٤].

السريرة فعيلة بمعنى مفعول، وكذلك السّرّ فِعل بمعنى المُفعَل، وهذان البناءان كثيراً ما تجيئان بمعنى المفعول؛ يعني ما يُسِرّه الرّجل

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٠٧ ، ح٥١٣. الفوائد لتمام الرازي١: ٨٤، ح١٩٣، كلاهما عن أنس. الكافي٢: ٣٧٣ / كتاب الإيمان والكفر، باب من أطاع المخلوق في معصية الخالق، ح٣، عن الفضل بن أبي قرة، عن الإمام الصادق. تحف العقول: ٢٤٨، كلاهما عن الإمام الحسين.

(٢) النهاية١: ٤٦٣. العين٣: ٢٩٧ (حول). أُنظر: الصحاح ٤: ١٧١٩ (زول).

(٣) أُنظر: المفردات: ٦٧١. العين ٥: ١٨٩ (قسو) و٧: ٢٥٣ (مرس).

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٠٦ ، ح٥١٠. حلية الأولياء١٠: ٢١٥، كلاهما عن عثمان بن عفان. الدرّ المنثور١: ٧٩.

ويُضمره في قلبه، ونشر الرِّداء عليه كناية عن فعل يفعله الله به، يُظهِر به ما في سرّه، فيعرفه الناس بذلك صالحاً كان أو فاسداً.

ومعنى الحديث: الحَثّ على إسرار الصلاح والاجتناب عن إسرار الفساد.

٣٥٧. مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ، فَرَأى خَيْراً مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمينِهِ، ثُمَّ لْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ[١].

قوله: «**عَلى يَمينٍ**» أراد: على شيء يَحلِف عليه، وقيل: أراد بـ «**عَلى**» الباء؛ يعني بيمين. والحلف واليمين يستعملان بمعنىً[٢]، وإنّما سمّي الحلف يميناً وهي اليد اليمنى؛ لأنّ المحلِّف يأخذ يد الحالف في أكثر الأحوال في حال ما يحلّفه[٣].

أراد من حلَف بيمين على شيء، ثمّ بدا له في ذلك، ينبغي أن يكفّر عن يمينه، ثمّ يفعل الذي هو خيره وصلاحه.

وهذا الخبر إن صحّ على هذا الوجه، يدلّ على أنّ الكفّارة تجوز قبل الحِنث، وهو مذهب الشافعيّ، إلّا أنّه يقول: يجوز تقديم العتق والإطعام والكَسوة على الحِنث، فأمّا الصوم، فلا يجوز تقديمه قبل الحنث؛ لأنّه من

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٠٩ ، ح٥١٧. صحيح مسلم٥: ٨٥، عن أبي هريرة. سنن أبي داود٢: ٩٥/ باب اليمين في قطيعة الرحم، ح٣٢٧٤، عن عبدالله بن عمرو. دعائم الاسلام٢: ١٠١، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن آبائه .

(٢) النهاية ١: ٤٢٥ (حلف).

(٣) معجم مقاييس اللغة ٦: ١٥٩. المصباح المنير٢: ٦٨٢ (يمن).

عبادة الأبدان[١]، وبه قال عُمر وابن عُمَر وابن عبّاس وعائشة والحسن البصريّ وابن سيرين ومالك والأوزاعي واللّيث بن سعد[٢] وأحمد وإسحاق[٣]، إلّا أنّ مالكاً خالف الشافعيَّ في الصّوم وقال: يجوز تقديم الصّوم قبل الحنث. وذهب أبو حنيفةَ وأصحابه إلى أنّ تقديم الكفّارة قبل الحنث لا يجوز، قال: لأنّ كفّارة اليمين تَجب بسبب واحد وهو الحنث، فأمّا عقد اليمين، فليس بسبب في وجوب الكفّارة، وكذلك عندنا حتّى لو كَفّر قبل الحنث، لم تُجْزِه ووجبَ عليه الإعادة بعد الحنث[٤].

وروى أبو هريرة عن **النبيّ** هذا الخبر على خلاف هذا وهو أنّه ﷺ قال: «**من حلف على يمينٍ فرأىٰ غيرها خيراً منها، فلْيأتِ الّذي هو خير، ثمّ ليكفّرْ عن يمينه**»[٥].

والخبر على هذا الوجه يدلّ على مذهبنا ومذهب أبي حنيفة، ولنا

(١) كتاب الأم٧: ٦٦. مختصر المزني: ٢٩١.

(٢) أُنظر: المدونة الكبرى ٢: ١٠٢ و١٠٣ و١١٧. بداية المجتهد ١: ٤٠٦. أحكام القرآن لابن العربي ٢: ٦٤٣. الجامع لأحكام القرآن ٦: ٢٧٥. المغني لابن قدامة ١١: ٢٢٣ و٢٢٤. الشرح الكبير ١١: ١٩٩. المحلى ٨: ٦٥. عمدة القاري ٢٣: ٢٢٥. فتح الباري ١١: ٦٠٩.

(٣) مسائل أحمد وإسحاق٥: ٢٣٣٣/ الرقم١٦٢٨. مسائل أحمد لابنه صالح ٣: ٢٤٢/ الرقم١٧٣٦.

(٤) أُنظر: الخلاف٦: ١٣٧/ مسألة ٣١، لا يجوز تقديم الكفّارة قبل الحنث أصلاً... .

(٥) صحيح مسلم٥: ٨٥. سنن ابن ماجة ١: ٦٨١/ باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، ح ٢١٠٨. سنن النسائي٧: ١٠، عن عَديّ بن حاتم.

فيه وجهٌ آخر وهو طريقة الاحتياط؛ لأنّ من أخّر الكفّارة عن الحنث، بَرِئت ذمّته بيقين، وإذا كفّر قبل الحنث، ففي براءة ذمّته خلاف.

ثمّ إنّا أجمعنا على أنّ الحنث سبب الكفّارة. وقال الشافعيّ ومَن وافقه: سبب الكفّارة الحنثُ وعقد اليمين، والدليل على خلاف ذلك. أنّا أجمعنا على أنّ عقد اليمين لا يوجب كفّارةً ما لم يحصل الحنثُ، فعلمنا أنّ موجِب الكفّارة هو الحنث لا غير[١].

٣٥٨. مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ[٢].

إنّما أتى بلفظ الابتلاء؛ لأنّهنّ في معرِض الامتحان حتّى يُفعَل بهنّ ماذا؛ فإنّ العرب كانت تَئِد البناتِ[٣] وتدفنهنّ أحياءً، فقال : من لم يفعل ذلك، وأحسنَ إليهنّ كما يفعل بالأبناء، جعل الله ذلك سبباً لنَجاته، فجعلهنّ سِتراً مانعاً بينه وبين النار على سبيل التشبيه والمبالغة، لا أنّهنّ بأعيانهنّ سِتر له من النار، وهذا من باب إضافة الفعل إلى مسبِّبه، والضمير في «**إليهنّ**» عائد إلى معنى شيء،

(١) أُنظر: المبسوط ٦: ٢٠٣/ فصل في الكفّارة في الحنث. و في مذهب أهل البيت السلام أنّه إذا رأى خيرا ممّا حلف عليه لم يَحتج إلى الكفّارة، و كان له أن يفعل الّذي هو خير، وعندهم يكون هذا الحديث سُنّةً منسوخةً بسنّة. ضوءالشِّهاب ٢: ١٣٤.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣١١، ح٥٢٢. صحيح البخاري٧: ٧٤. صحيح مسلم٨: ٣٨. مسند ابن حنبل٦: ٣٣، عن عائشة.

(٣) وأَدَ ابنتَه وأْداً مِن باب وعد: دفنها حيّةً، فهي مَوءودةٌ، المصباح المنير ٢: ٧٨ (وأد).

كأنّه قال: من ابتلي من هذه البنات ببنات، و«من» للتبيين، ويجوز أن يكون للتبعيض، ويكون تقدير التبيين: من ابتلي بشيء، فسُئل وقيل: ما ذلك الشيء؟ فبيّن وقال: من هذه البنات. وأمّا تقدير التبعيض، فكأنّه قال: من ابتلى ببعض هذه البنات، والأوّل أوجه. أمّا قوله: «**مِنَ النّارِ**»، يحتمل التبيين وابتداء الغاية[١].

٣٥٩. مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً جَاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ صُراخٌ عِنْدَ الْعَرْشِ يَقُولُ: رَبِّ سَلْ هذَا، فِيمَ قَتَلَنِي فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ[٢].

قيّد قتل العصفور بالعبث؛ لأنّه لو قتله لغرضٍ صحيح مأذون له فيه في الشرع، لا يستحقّ العقاب، ولا يعاتَب بهذا العتاب؛ لأنّ الله تعالى أحلَّ لنا ذبح بعض الحيوانات ممّا أحلّه الشرع لنا، وضَمِن لهنّ العِوضَ عليه؛ لأنّه هو المُبيح له، وعوض الألم على فاعل الألم أو آمره أو مبيحه على ما هو مشروح في كتب الأصول. والعَبَث ما لا فائدة فيه من الأفعال[٣] وهو من المقبَّحات العقليّة. وانتصابه على أنّه مفعول له؛ لأنّه يصلح جواباً لِـ «**لِمَ**»،

(١) وراجع: وسائل الشيعة٢١: ٣٦٧/ كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب استحباب زيادة الرقّة على البنات والشفقة عليهنّ أكثر من الصبيان.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣١٢، ح٥٢٤، عن أنس بن مالك. سنن النسائي٧: ٢٣٩. مسند ابن حنبل٤: ٣٨٩، عن الشريد. دعائم الإسلام٢: ١٧٥، ح٦٢٩، عن الإمام الباقر.

(٣) المصباح المنير٢: ٣٨٩. أُنظر: العين٢: ١١١. النهاية٣: ١٦٩ (عبث).

فلو سأله سائل فيقول له: لِمَ قتلته؟ فيقول: عبثاً، كان واقعاً موقِعَه.

ويحتمل أن يكون على التمييز، والأوّل أوجه، «**وَلَهُ صُراخٌ**» الواو للحال، والصّراخ صوتٌ على وجه الاستغاثة[١].

قال:

إنّــا إذا مــا أتانا صــارخٌ فــزعٌ ... كان الصُّراخ له قرعَ الظنابيب[٢]

وفُعال في الأصوات شائع[٣] كالدّعاء والثُّغاء والزُّقاء وغير ذلك، وقوله: **فيمَ قَتَلَني**، والأصل: في ماذا قتلني، ما استفهاميّة، وحرف الجرّ إذا دخل على ما الاستفهاميّة يُحذف منه الألف؛ نحو: لِمَ وبِمَ وفيمَ ومِمَّ وعلامَ وحَتّام[٤]، هذا عتاب من قتل عصفوراً عبثاً، فما عقاب مَن قتلَ مؤمناً متعمّداً إلّا ما قال جلّ وعزّ: ﴿فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظيماً﴾[٥].

٣٦٠. مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً فَإِنَّمَا هِيَ جَمْرٌ، فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ[٦].

ويروى «**فليستقل منه**» يعني من السؤال، ومنه يعني: من الأموال أو من

---

(١) أُنظر: الصحاح ١: ٤٢٦. المصباح المنير٢: ١٣٧. النهاية٣: ٢١ (صرخ).

(٢) المفضليات: ١٢٤. البيان والتبيين: ٤٣٠. الصحاح ١: ١٧٥، والشاعر: سلامة بن جندل.

(٣) المصباح المنير٢: ٦٩٥.

(٤) المصباح المنير٢: ١٠٨ (جمر).

(٥) سورة النساء٤: ٩٣.

(٦) مسند الشِّهاب١: ٣١٣ ، ح٥٢٥. صحيح مسلم٣: ٩٦. سنن ابن ماجة١: ٥٨٩ / باب من سأل عن ظهر غنى، ح١٨٣٨. مسند ابن حنبل٢: ٢٣١ ، عن أبي هريرة.

المسألة، أو من الجمر، فإنّ الجمر هي النار. هذا الخبر تهديدٌ لمن يسأل الناس شيئاً وهو غير محتاجٌ إليه، أو يتمكّن في طلب المعشية من شيءٍ غيره، والتّكثّر طلب الكثرة على نوع من التّكلّف[١]، وانتصابه على التمييز أو على أنّه مفعول له، وقيّده بهذا ليخرج عنه المحتاج؛ فإنّ المحتاج رُخِّص له في السؤال. وقال بعضهم: السّكوت عند الحاجة بدعة.

والجمر: قِطَعٌ من النار غير الملتهبة، واحدتها جَمْرة من باب تمر وتمرة، ويُجمع على جمرات كتمرة وتمرات[٢]. «**فليستقلّ**»: صورتهُ أمرٌ ومعناه تهديدٌ، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣] هذا تخييرٌ بين الخير والشّرّ على سبيل التهديد[٤]، كما قال تعالى على سبيل التهكّم[٥]: ﴿أَذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾[٦].

يعني إن استقلّ، كان خيراً له كالمستقلّ من الجمر، وإن استكثر، كان شرّاً له كالمستكثر من الجمر، والسين فيهما للطّلب.

---

(١) المصباح المنير٢: ٦٩٥.

(٢) المصباح المنير٢: ٦٩٥.

(٣) سورة الكهف١٨: ٢٩.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٧: ٢٣٥٨، ح١٢٧٨٤، عن ابن عبّاس. التبيان في تفسير القرآن ٧: ٣٦. الأمالي للسيّد المرتضى ١: ٥٤.

(٥) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ٨: ٥٠١.

(٦) سورة الصّافّات٣٧: ٦٢.

٣٦١. مَنْ سَأَلَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، فَصُدَاعٌ فِي الرَّأْسِ، وَدَاءٌ فِي الْبَطْنِ[١].

قوله: «عَنْ ظَهْرِ غِنىً»؛ يعني عن استظهارٍ بغنى ما، وقيل عن استغناء عريض له ظهرٌ وبطن[٢]. والمراد: عن غنى عنه واستغناء. «فَصُداعٌ»؛ الفاء لجزاء الشرط؛ فإنّ جواب الشرط إذا كان جملة اسميّة، احتاج إلى الفاء ليربِط الجزاء بالشرط، وتسمّى هذه الفاءُ رابطةً[٣]، فـصداع خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو صداع وداء، والمعنى: أنّ السؤال مع الغِنى عنه، يورث صداع الرأس وداء البطن.

٣٦٢. مَنْ مَشى إِلى طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ، فَقَدْ دَخَلَ سَارِقاً وَخَرَجَ مُغِيراً[٤].

أراد به الطّفيليَّ الذي يدخل على طعام من غير دعوة إليه، ويُقال للداخل على طعام القوم ولم يُدْعَ إليه وارش، وللداخل على الشَّرْب للشُّرب واغل[٥]، قال:

فاليوم فاشرَبْ غيرَ مُستحقِبٍ إثماً من الله ولا واغل[٦]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣١٣ ، ح٥٢٦. الأموال لابن زنجويه٣: ١٠٠، ح٢٠٤١. معجم ابن الأعرابي٣: ١١١٥، ح٢٤٠٦. المعجم الكبير٥: ٢٦٣ ، عن زياد بن الحارث الصدائي.

(٢) أُنظر: النهاية٣: ١٦٥. المصباح المنير٢: ٣٨٧ (ظهر).

(٣) أُنظر: مغني اللبيب١: ١٦٣.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣١٤، ح٥٢٧. سنن أبي داود٢: ١٩٦ / كتاب الأطعمة، باب ما جاء في إجابة الدعوة، ح٣٧٤١، عن ابن عمر.

(٥) الصحاح ٥: ١٨٤٤. تهذيب اللغة ١١: ٢٨٠. العين٤: ٤٤٨ (وغل).

(٦) الشعر والشعراء١: ٩٩. الصحاح ٥: ١٨٤٤. الأمالي للسيّد المرتضى٢: ٣٠، نسب فيها إلى امرئ القيس.

والطّفيلي لغة بغداديّة منسوب إلى رجلٍ يسمّى طُفَيلاً كان يحضر المآدب من غير أن دَعَوه، قيل للطفيليّ: أما تستحي تدخل على طعام قومٍ لم يدعوك إليه؟ فقال: واللهِ ما فُتحت الأبواب إلّا لتُدخَل، ولم تُنصَب الموائد إلّا ليُجلَس عليها، ولم توضَع الأطعمة إلّا لتُؤكَل، أمّا الكريم، فلا يُبالي بي، وأمّا اللّئيم، فلا أُبالي به. ويسمّى الطفيلي ضيفَناً بزيادة نون؛ لأنّه زيادة على الضّيف[1].

قال أبو الطّيّب:

إِحــذر مــقارنة اللّــئيم فإنّه ضيفٌ يجرّ من الندامة ضيفَنا[2]

وانتصاب **سارقاً** و**مُغيراً** على الحال. ومعنى الخبر: النهي عن التطفّل.

٣٦٣. مَنْ كَانَ وُصْلَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَنْهَجِ بِرٍّ أَوْ تَيْسِيرِ عَسِيرٍ، أَعَانَهُ اللهُ عَلى إِجَازَةِ الصِّرَاطِ يَوْمَ تُدْحَضُ فِيهِ الأَقْدَامُ[3].

الوُصلة ما يُتوصّل به إلى المراد، فُعلة بمعنى مفعولة[4]؛ لأنّها متوصَّلٌ بها، وذو السلطان صاحب السّلطنة والتسلّط والقدرة على الشيء[5]،

(١) معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٦٥. العين٧: ٤٦. تهذيب اللغة ١٢: ٣٢ (ضفن).

(٢) يتيمة الدّهر١: ٢٥٦.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣١٥، ح٥٣٠. صحيح ابن حبّان٢: ٢٨٧. المعجم الأوسط٤: ٤٨، عن عائشة.

(٤) أُنظر: العين٧: ١٥٢. المصباح المنير٢: ٦٦٢ (وصل).

(٥) أُنظر: العين٧: ٢١٣(سلط).

والمنهج والنهج الصراط السويّ والطريق الواضح[١]، والبِرّ اسمٌ لكلّ خيرٍ ومنفعة[٢]، وإجازة الصّراط جوازه والمرور عليه، يُقال: جاز المكان وأجازه وجاوزه وتجاوزه بمعنى[٣]، والدحْض: الزَّلَق[٤].

ومعنى الحديث: الحَثّ على معاونة الضّعيف وإغاثة الملهوف والأخذ بيده في الشدائد لِيثبّت الله قَدَم من يأخذ بيده على الصراط المُزلِق للأقدام.

٣٦٤.مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِشِير، فَهُوَ كَمَنْ غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَدَمِهِ[٥].

النّردَشير: النّرد، وقيل: هو اسمٌ مركّب من النرد والشِّطرنج، وقيل: إنّما سمّي بذلك لأنّه مِن وضع أردشير بن بابك[٦]، ويروى «**وضع يده**» ويروى «**صبغ يده**»[٧]، الغمس إدخال اليد في الشيء[٨]، والمراد بيان تحريمه

(١) العين٣: ٣٩٢. النهاية٥: ١٣٤ (نهج).

(٢) أُنظر: المفردات: ١١٤ (برر).

(٣) المصباح المنير٢: ١١٤ (جوز).

(٤) العين٣: ١٠١. النهاية٢: ١٠٤ (دحض).

(٥) مسند الشّهاب١: ٣١٧ ، ح٥٣٤. سنن أبي داود٢: ٤٦٤/ باب في النهى، عن اللعب بالنرد، ح٤٩٣٩. مسند ابن حنبل٥: ٣٥٢ ، عن بريدة.

(٦) أُنظر: القاموس المحيط١: ٣٤١. وفيات الأعيان٤: ٣٥٧.

(٧) صحيح مسلم٧: ٥٠. الأدب المفرد: ٢٧١، ح ١٣٠٧. الطرائف: ٥٣٤.

(٨) أُنظر: العين٤: ٣٨٠ (غمس).

وأنّ من تعاطاه ولعب به، كان كمَن تصرّف في لحم الخنزير ودمه؛ لأنّ كلّ شيء من الخنزير حرامٌ ونجِس لا يجوز بيعه وشراؤه وهِبَته والتّصرّف فيه وأخذ ثمنه واستعماله بوجهٍ من الوجوه.

٣٦٥. مَنْ نَزَلَ عَلى قَوْمٍ فَلَا يَصُومَنَّ تَطَوُّعاً إِلَا بِإِذْنِهِمْ[١].

يعني مَن نزل بقومٍ ضيفاً، فلا يجوز له أن يصوم صومَ نافلةٍ أو تطوُّع وسُنّة إلّا بإذنهم، وجميع ذلك عبارة عمّا ليس بواجب، وهذا من صيام الإذن، وهي ثلاثة: صوم المرأة تطوّعاً لا يجوز إلّا بإذن زوجها، وصوم العبد إلّا بإذن مولاه، وصوم الضّيف إلّا بإذن مضيفه[٢]، فأمّا الصوم الواجب، فلا يجوز إفطاره، ولا يستأذن فيه أحداً، ونصب تطوّعاً إمّا على التمييز أو على أنّه مفعول له والتمييز أولى، ويجوز أن يكون في موضع الحال؛ أي: متطوّعاً.

٣٦٦. مَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً[٣].

يُقال: نهرهُ وانتهره إذا زَجَره[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[٥]،

---

(١) مسند الشّهاب١: ٣١٨، ح٥٣٦. سنن الترمذي٢: ١٤٢/ باب ما جاء فيمن نزل بقوم فلا يصوم إلا بإذنهم، ح٧٨٦، عن عائشة. الكافي٤: ٨٦/ كتاب الصيام، باب وجوب الصوم، قطعة من ح١. الخصال: ٥٣٧، قطعة من ح٢، عن الزهري، عن الإمام السّجاد.

(٢) المبسوط ١: ٢٨٣.

(٣) مسند الشّهاب١: ٣١٨ ، ح٥٣٧، عن ابن عمر.

(٤) العين٤: ٤٥ (نهر).

(٥) سورة الضحى ٩٣: ١٠.

وقيل: النهر أشدّ الزّجر، وهو أن يوسعه زجراً؛ لأنّ اشتقاقه من السّعة، يُقال: أنهر الفتق إذا وسَّعَه، واستنهر إذا اتّسع، ونهر الماء سمّي به لسعته، والنهار لسعة الضّياء فيه[١]، والبدعة في اللّغة كلّ أمرٍ مبتدَع مستحدَث[٢]، فِعلَة بمعنى مُفعَلةٍ، وفي الشرع كلّ مذهبٍ وُضع وأُحدِث بعد **رسول الله** ، والسنّة خلافها وهو ما سنّه **رسول الله** ، وهي وإن كانت مضافة إلى **رسول الله**، فهي من الله على الحقيقة لقوله تعالى: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ﴾[٤] الآية.

ومعنى قوله ﷺ: «**ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً**»: أن يؤمّنه الله من مخوفات الدنيا والدين ممّا يُعلم فيه صلاحه، ويتابع له من الألطاف والتوفيق ما يَثبُت معه على الإيمان.

٣٦٧. مَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ[٥].

الإهانة: إفعال من الهوان، وهي ضدّ الإكرام[٦]، والهيّن الأمر السّهل[٧]، والمراد

---

(١) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٥: ٣٦٢. الصحاح ٢: ٨٤٠ (نهر).

(٢) أُنظر: العين ٢: ٥٤. النهاية ١: ١٠٦. معجم مقاييس اللغة ١: ٢٠٩ (بدع).

(٣) سورة النّجم٥٣: ٣.

(٤) سورة الحاقّة٦٩: ٤٤.

(٥) مسند الشّهاب١: ٣١٩ ، ح٥٣٨، عن ابن عمر. كنزالعمّال ٣: ٨٢ ، ح ٥٥٩٨. الحلية ٨: ٢٠٠.

(٦) معجم الفروق اللغوية: ٣٢.

(٧) النهاية٥: ٢٩٠ (هين).

بالفزع الأكبر فزع يوم القيامة؛ لأنّه فزعٌ لا فزع أكبر منه، كما روي أنّ **النبيّ** لمّا رجع من غزوة تبوك، قدِمَ عليه عمرو بن معدي كرب[(١)]، فقال له **النبيّ**ﷺ: «**آمِن يا عمرو يؤمنْك الله من الفزَع الأكبر**»، قال: وما الفزَع الأكبر؟ فإنّي لا أفزع. قال: «**يا عمرو! إنّه ليس ممّا تظنّ؛ إنّ الناس يُصاح بهم صيحةً واحدةً، فلا يبقى ميّتٌ إلّا نُشر ولا حيّ إلّا مات إلّا ما شاء الله، ثمّ يُصاح بهم صيحة أُخرى، فيُنشر مَن مات، ويصفّون جميعاً، وتنشقّ الأرض، وتهِدّ الجبال ـ أو قال تخِرّ الجبال ـ هدّاً، وترمي النّارَ بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روحٍ إلّا انخلع قلبه وذَكر ذَنبَه وشغل بنفسه إلّا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو عن هذا؟**» قال: إنّي لأسمعُ أمراً عظيماً[(٢)].

٣٦٨. مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافاً فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا[(٣)].

يروى في السَّرْب ـ الفتح والكسر ـ وهو بالكسر المال في الرّعي؛ أي: آمناً في ماله، والسِّرْب الجماعة من النساء[(٤)] مشبَّهاً بقطيع البقر،

---

(١) عمرو بن معدي كرب بن عبدالله بن عمرو بن عاصم، له وفادة على رسول الله، وكان شجاعاً من الفرسان المذكورين، روى عن رسول الله حديثاً. أُنظر: تاريخ دمشق٤٦: ١٦٣.

(٢) الأغاني ١٥: ١٤٠، عن جُوَيريَة بن أسماء. الإرشاد ١: ١٥٨.

(٣) مسند الشّهاب١: ٣١٩، ح٥٣٩، عن أبي الدرداء. سنن الترمذي٤: ٥، ح٢٤٤٩، عبدالله بن محصن. الكافي٨: ١٤٨، ح١٢٧، عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق. الأمالي للصدوق: ٤٦٩، ح٦٢٤، عن أبي الدرداء وكلاهما باختلاف يسير.

(٤) المصباح المنير٢: ٢٧٢ (سرب).

قال امرؤ القيس:

فعـنَّ لنـا سِربٌ كأنّ نِعاجه عَذارىٰ دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ[١]

يعني آمناً في أهله وماله، والسَّرب بالفتح الطريق، يُقال: خلِّ سَربه[٢]، وقوله: «**وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**»[٣]؛ أي: سالِكٌ في سربٍ[٤]، من باب لابن وتامر، ومنه قوله تعالى: ﴿فاتَّخَذَ سَبيلَهُ في الْبَحْرِ سَرَباً﴾[٥]، والسّرَب طريقٌ في الأرض له منفذٌ إلى موضعٍ. يعني آمناً في طريقه ومسلكه ليمشي حيث شاء ـ في السفر والحضر.

وقوله: حِيزَتْ؛ أي: جُمعت، والحَوز الجمع[٦]، يقال: دخل هذا في الحوز؛ يعني في المال المجموع؛ يعني من جمع الله له هذه النّعمَ الثلاثة، من حقّه أن يظنّ أنّ جميع الدنيا له؛ لأنّه لو كانت الدنيا له بأسْرها، لما انتفع منها إلّا بهذا القَدَر، والباقي فضول. كما قال: وفضول العيش أشغال[٧].

---

(١) جمهرة أشعار العرب: ١٣٩. الزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ٩٣. الصحاح ٢: ٦٦١.

(٢) أُنظر: النهاية٢: ٣٥٦. كتاب العين٧: ٢٤٨. معجم مقاييس اللغة ٣: ١٥٥ (سرب).

(٣) سورة الرعد١٣: ١٠.

(٤) مجاز القرآن١: ٣٢٣. مجمع البيان٦: ١٨، سورة الرعد.

(٥) سورة الكهف١٨: ٦١.

(٦) الصحاح ٣: ٨٧٥ (حوز).

(٧) التذكرة الحمدونيّة١: ٢٦٧. يتيمة الدّهر١: ٢٥٨. والشاعر المتنبي والبيت الكامل:

ذِكر الفتى عمرُه الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغالُ.

٣٦٩. مَنْ وُلِّيَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْراً، جَعَلَ مَعَهُ وَزِيراً صَالِحاً، فَإِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ[١].

يُقال: ولّيته كذا فتولّاه؛ أي: وكلتُ إليه فقام به[٢]، ومِن للتبيين، والأمور جمع أمر وهو الشأن والخَطْب[٣]، وليس من إمرته بكذا في شيء، والجعل يكون على وجوه[٤]: يكون بمعنى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾[٥]؛ أي: خلقها[٦]، وهو يتعدّى إلى مفعولٍ واحد في هذا الوجه، ويكون بمعنى التصيير في قوله: ﴿وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً * وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً﴾[٧]، وهو في هذا الوجه يتعدّى إلى مفعولين، وأكثر ما في القرآن من هذا الوجه، ويكون بمعنى اعتقادك الشيءَ على خلاف ما هو به، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمٰنِ إِناثاً﴾[٨]، ومثله قولهم: جعلت زيداً عمراً، وبمعنى الاتّخاذ في قولك: جعلتُ الطّينَ خزفاً،

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٢١، ح٥٤٢. سنن النسائي٧: ١٥٩. السنة للخلال: ١٢٥، ح ٨٧. المعجم الأوسط٤: ٢٩٤، عن عائشة.

(٢) أُنظر: المفردات: ٨٨٥ (ولي).

(٣) المفردات: ٨٩. كتاب العين ٨: ٢٩٧ (أمر).

(٤) أُنظر: المفردات: ١٩٦ (جعل). معجم الفروق اللغوية: ٣٧٦، الفرق بين العمل والجعل.

(٥) سورة الأنعام٦: ١.

(٦) مجاز القرآن١: ١٨٥. التبيان في تفسير القرآن٤: ٧٦، سورة الأنعام.

(٧) سورة النبأ٧٨: ٩ ـ ١١.

(٨) سورة الزخرف٤٣: ١٩.

وهذا داخل في القسم الثاني وهو في الخبر النصب. والتقييض أي: قيّض معه وزيراً صالحاً، والوزير المؤازر[١]؛ أي: المعاون، فعيل بمعنى مُفاعِل، ومعنى الخبر أنّ من جُعل إليه ولاية شيء من أمور المسلمين، وكان ممّن يريد الله به الخير، جعل معه في تلك الولاية وزيراً معاوناً له، صالحاً في نفسه، مصلحاً لأمر أميره، إن نسي الوالي، ذكّره ما فيه صلاحه وصلاح رعيّته، وإن كان ذاكراً، أعانه ونصره على تلك المصلحة.

٣٧٠. مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوَّتُهُ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ، وَحَرُمَتْ غِيبَتُهُ[٢].

المعاملة مفاعلة من العمل، وهو كلّ فعلٍ فيه بعض الإحكام وفيه مشقّة، وهي ههنا ممّا كان بين اثنين يعمل كلٌّ واحد منهما بصاحبه مثلَ عمله به. والظلم في اللّغة النقصان[٣]، وقد بيّنّا حقيقته في اصطلاح أهل الكلام، والمراد به في الخبر النقصان؛ أي: فلم يَنقُصْهم حقوقَهم وما

---

(١) الصحاح ٢: ٨٤٥ (وزر).

(٢) مسند الشّهاب١: ٣٢٢ ، ح٥٤٣، عن أحمد بن علي، عن أبيه. الخصال: ٢٠٨، ح٢٨، عن أحمد بن عامر، عن الإمام الرضا، عن آبائه . تحف العقول: ٥٧. الكافي٢: ٢٣٩ / كتاب الإيمان والكفر، المؤمن وعلاماته وصفاته، ح٢٨، عن سماعة بن مهران، عن الإمام الصادق.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٢: ٥٣٣. تفسير الرازي٢١: ١٢٥.

يجب لهم وعليهم في معاملتهم. و«حَدَّثَهُمْ» كلّمهم بالحديث، وهو فعيل بمعنى مُفَعّل؛ أي: محدّث به. «فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ»؛ فلم يقل معهم كذباً في حديثه، يقال: صدقته الحديثَ وكذبته الخبرَ، وهما يتعدّيان إلى مفعولين بأنفسهما، وصدّقته وكذّبته في كذا إذا قلت له أنت صادقٌ أو كاذب[١]، والوعد خبرٌ متضمّن للخير، ونقيضه الوعيد، هذا إذا أطلقته، فإذا قيّدته، فهو يَصلُح لهما يقول: وعدته الخيرَ والشّرِّ، فأمّا الوعيد، فلا يُستعمل إلّا في الشّرّ[٢]، والفعل منه أوعد يوعد إيعاداً، والإخلاف مخالفة الوعد، والاسم الخُلْف، والخَلَف العِوض، وفلانٌ خَلَف صدقٍ من أبيه وخَلْف سوءٍ[٣]، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾[٤].

قال لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجَلْد الأجربِ[٥]

والخَلْف: الخطأ من الكلام، وفي المَثَل: سكتَ ألْفاً ونطقَ خلْفاً[٦].

---

(١) أُنظر: المصباح المنير٢: ٣٣٥ (صدق) و٥٢٨ (كذب). المفردات: ٤٨٠ (صدق) و٧٠٤ (كذب).

(٢) النهاية٥: ٢٠٦. المفردات: ٨٧٥ (وعد).

(٣) أُنظر: الصحاح ٤: ١٣٥٤. معجم مقاييس اللغة ٢: ٢١٠. النهاية٢: ٦٥ (خلف).

(٤) سورة مريم١٩: ٥٩.

(٥) المصنَّف لابن أبي شيبة٦: ١٧٦/ الرقم٣٦. البيان والتبيين: ١٤٤. الأغاني ١٧: ٤٧.

(٦) الصحاح ٤: ١٣٥٤. المفردات: ٢٩٣ (خلف).

وقيل: إنّ أعرابيّاً كان جالساً مع قوم، فحبَق، فتَشَوَّر منه[١]، فأشار إلى إسته وقال: إنّها خَلْف نطقتْ خَلْفاً[٢].

والخَلْف الجِهة المُحاذية للأمام، والخُلوف تغيّر رائحة الفم[٣]، وهو من الخلاف أيضاً ومنه الحديث: «**ولَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المِسك**»[٤].

والمروءة من الخِصال الحميدة، وأكثر ما يستعمل في الكَرَم والجود، **والعدالة** مصدر كالسّماحة والظرافة، وهي أبلغ من العدل؛ لأنّ العدل يرجع إلى الفعل، والعدالة ترجع إلى الطبع، **والأُخوّة** مصدر الأخ كالبُنوّة والأُبوّة والعمومة والخؤولة في مصدر الأب والابن والعمّ والخال، **والغيبة** كيفيّة ما يقال في الغيبة من مَساوئ الرّجل، وتختصّ في العرف بالشّرّ، وبيّنّا أنّ الفَعلة للمرّة والفِعلة للهيئة.

٣٧١. مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ[٥].

اللَّحيان والفَكّان والماضغان ما اشتمل على خرق الفمّ، الواحد لَحْي

(١) حَبَق يحبِق حُباقاً: أخرج ريح الحدث. تشوَّر: خجِل.

(٢) ترتيب إصلاح المنطق: ١٤٩. الصحاح ٤: ١٣٥٤. الأمالي للقالي١: ١٥٩.

(٣) غريب الحديث لابن سلّام١: ٣٢٧. النهاية٢: ٦٧ (خلف).

(٤) صحيح البخاري٢: ٢٢٦/ كتاب الصيام، عن أبي هريرة. الخصال: ٤٥، قطعة من ح ٤٢، عن ابن عبّاس، عنه ، عن ابن أبي عمير.

(٥) مسند الشّهاب١: ٣٢٣، ح٥٤٥، عن أبي موسى الأشعري. صحيح البخاري٧: ١٨٤. سنن الترمذي٤: ٣١/ باب ما جاء في حفظ اللسان، ح٢٥٢٠، عن سهل بن سعد. معاني الأخبار: ٤١١، قطعة من ح٩٩، عن أنس، باختلاف يسير.

وفكّ وماضغ[١]، وقيل: اللَّحْي مَنبت اللّحية[٢]، والفكّ الشّقّ، والماضغ من المضغ وهو من باب إسناد الفعل إلى الآلة، والمراد بـ «**مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ**»: اللّسان، وبـ «**مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ**»: الفرج؛ يعني من حفظ لسانه وفرجه، دخل الجنّة، ونقيضه قوله : «**إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدخِلُ النَّاسَ النّارَ الأَجوَفَانِ: الفَمُ والفَرجُ**»[٣].

٣٧٢. مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[٤].

ويروى «**من تعمّدَ علَيَّ كذباً**»[٥]؛ أي: من قال عنّي أو روى عنّي أو حكى عنّي شيئاً كاذباً عليَّ وهو يعلم أنّه كاذبٌ فيما يقول، [فـ]قُل له: بَوِّءِ منزلك من نار جهنّم. يُقال: بوّأتُ فلاناً المنزلَ، فتَبَوَّأَ فيه[٦]،

---

(١) أُنظر: العين٣: ٢٩٦ (لحي) و٤: ٣٧٠ (مضغ) و٥: ٢٨٣ (فك).

(٢) الصحاح ٦: ٢٤٨٠. مجمل اللغة لابن فارس١: ٨٠٤ (لحي).

(٣) الكافي ٢: ٧٩/ كتاب الإيمان والكفر، باب العفّة، ح٥، عن السّكوني، عن الإمام الصادق. سنن ابن ماجة ٢: ١٤١٨/ كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ح٤٢٤٦. مسند ابن حنبل ٢: ٤٤٢، عن أبي هريرة.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٢٤، ح٥٤٧، عن عبد الله. صحيح البخاري٧: ١١٨، عن أبي هريرة. صحيح مسلم١: ٨، عن المغيرة. الكافي١: ٦٢ / كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، قطعة من ح١، عن سليم بن قيس الهلالي، عن الإمام علي.

(٥) صحيح البخاري١: ٣٥. صحيح مسلم١: ٧، عن أنس. مسند ابن حنبل ١: ٧٠، عن عثمان بن عفان وفيه (بيتا في النار) بدل (مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ).

(٦) أُنظر: الصحاح ١: ٣٧ (بوأ). تهذيب الآثار (مسند عمر) ٢: ٦١٣.

قال الله تعالى: ﴿والَّذينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ والْإيمانَ﴾[1]، وهذه اللّفظة صورتها أمر ومعناه تهديد وتهكّم[2].

وروي أنّ الخبر ورد على سبب، وهو أنّ رجلاً خطب إلى قومٍ، فلم يزوّجوه، فأتاهم وقال لهم: إنّي رسول **رسول الله** إليكم يأمركم أن تُزَوِّجوا فلانةَ منّي، وهو كاذبٌ فيما قال، فأُنهي ذلك إلى **رسول الله** ، فأرسل رجلاً وقال: «**إن وجدتَه، فاضربْ عنقَه، وإن وجدته ميّتاً فحرِّقْه**»، فأتاه فوجده قد لُدِغ ومات، فحرّقه، فصعد **النبيّ** المنبر وقال: «**مَن كذب عليَّ متَعمِّداً، فليتبوّأْ مقعدَه من النّار**»[3].

وحمله على العموم أولى وأكثر فائدة، وانتصاب متعمّداً على الحال.

---

(١) سورة الحشر٥٩: ٩.

(٢) قال العلماء: معناه: فلْينزلْ، وقيل: فلْيتّخِذْ منزلَه من النار، وقال الخطّابي: أصله من مَباءة الإبل، وهي أعطانها، ثم قيل: إنه دعاء بلفظ الأمر؛ أي: بوّأه الله ذلك... وقيل: هو خبر بلفظ الأمر؛ أي: معناه: فقد استوجب ذلك، فلْيُوطِّنْ نفسَه عليه. وجاء في روايةٍ: بُني له بيت في النار. ثم معنى الحديث أن هذا جزاؤه، وقد يُجازىٰ به وقد يعفو الله الكريم عنه، ولا يقطع عليه بدخول النار. وهكذا سبيل كل ما جاء من الوعيد بالنار لأصحاب الكبائر غير الكفر، فيقال فيها: هذا جزاؤه، وقد يُجازىٰ وقد يُعفىٰ عنه؛ شرح مسلم للنووي ١: ٦٨.

(٣) مسند الروياني١: ٧٥، ح ٣٤. ناسخ الحديث ومنسوخه: ٥٢٦، ح ٥٤٠. شرح مشكل الآثار ١: ٣٥٢، ح ٣٧٨ ، عن بريدة، باختلاف يسير.

اَلبَابُ الثَّالِثُ

[في الأحاديث غير الداخلة تحت قاعدة كليّة مثل الشرط، والنفي، والطلب ونحوها]

٣٧٣. حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ[١].

الحُفّ: الإحاطة، يُقال: حُفّ بكذا أو احتفّ به إذا أحاط به، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حافّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[٢]، وحِفافا الشيء جانباه، والحَفّ من أدوات النّسّاج، والمِحَفّة معروفة؛ لأنّها محفوفة بمن فيها[٣]، ومَن ظنّ أنّ الحفيّ من هذا الباب وهو المبالِغ في المسألة فقد

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٣٢، ح٥٦٧. صحيح مسلم٨: ١٤٢، عن أنس بن مالك. نهج البلاغة/ الخطبة١٧٦. الكافي٢: ٨٩/ كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، قطعة من ح٧، عن حمزة بن حمران، عن الإمام الباقر.

(٢) سورة الزمر٣٩: ٧٥.

(٣) أُنظر: الصحاح ٤: ١٣٤٥. المفردات: ٢٤٣. العين٣: ٣٠ (حفف).

والمِحَفَّة بالكسر: مَركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها لا تُقبَّب كما تُقبَّب الهوادج؛ الصحاح ٤: ١٣٤٥ (حفف).

أبعد[١]، وهذه استعارة من طريق التشبيه كأنّه قال: ممرّ الجنّة من أيّ وجهٍ وجِهة جئتَها على المكاره؛ يعني امتثال أوامر والانتهاء عن مَناهٍ على خلاف الطبع وكراهته، وممرّ النار على مشتيهات تتعاطاها، على خلاف العقل والشرع.

وروي أنّ الله تعالى لمّا خلق الجنّة وأعدَّ فيها من النعيم وأنواع اللّذات ما لا يدخل تحت الوصف، قالت: يا ربّ لمَن خلقتني؟ قال: لخلْقٍ من خلقي، قالت: لا أظنّ أحداً يدعُني، قال الله تعالى: لكنّني حففتك بالمكاره. وخَلق النارَ بما فيها من أنواع العذاب، قالت: يا ربّ لمَن خلقتني؟ قال: لخلقٍ من خلقي، قالت: لا أظنّ أحداً يدخلني، قال الله تعالى: لكنّني حففتكِ بالشّهوات[٢]. وهذا على طريق التمثيل والمجاز، والشّهوات جمع شهوة وهي معنى يوجب كَون الحيّ مشتهياً[٣].

٣٧٤. وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللهِ عَلى مَنْ أُغْضِبَ فَحَلُمَ[٤].

قيل: الوجوب في الحديث بمعنى الوقوع من قولهم: وجَب الحائط وجوباً ووَجْبةً، ووجَب البيعُ إذا وقع، ووجَبتِ الشّمس إذا غرُبت[٥]، وهو وقوعٌ أيضاً؛

(١) ووجهه أن الحفيّ من مادّة، أُنظر: النهاية١: ٤٠٩. العين٣: ٣٠٦ (حفو).

(٢) المخلصيات٣: ٢٥٢، ح ٢٤٥١، عن أنس. الطيوريات٢: ٤٦٥، كلاهما عنه باختلاف يسير.

(٣) المصباح المنير٢: ٣٢٦ (شهو).

(٤) مسند الشّهاب١: ٣٣٣، ح٥٦٩. الكامل لابن عدي٦: ٣٧٨، كلاهما عن عائشة.

(٥) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٦: ٨٩. النهاية٥: ١٥٤. العين٦: ١٩٣ (وجب).

يعني وقعت مَحبّةُ الله، تقول العرب: وقعتْ رحمةُ فلان على فلان إذا أحبّه، قالوا: وهو كناية عن المحبّة، وهذا وجهٌ. والوجه الآخر أن يُحمَل الخبر على ظاهره وما يسبق فهمُ السامع إليه من الوجوب الذي نعرفه، كأنّه قال: من أُغضب، فاستعمل الحِلم عند ذلك وتثبّت ولم يُطِع الشيطان فيما يحمله عليه عند الغضب، أحبّه الله تعالى محبّةً كأنّه أوجبها على نفسه على طريق المبالغة والتأكيد، ولا شكّ أنّه يستحقّ الثّواب على حلمه وكَظْمه الغيظَ، و**المحبّة** من الله إرادة الثواب بمستحقّه، ويمكن أن يُرجَّح الوجه الأوّل بأن يُقال: لو كان المعنى على ما ذكر، لقال: وجبت محبّة الله لمن أُغضب، فلفظة على تأبى ذلك، وهذا قويّ. وفيه وجهٌ آخر وهو أن يكون المعنى وجبت على من يحلُم عند الغضب أن يُحبّ اللهَ؛ لأنّ ذلك الحلم عند الغضب ومخالفةَ النفس الأمّارة بالسوء لا يكون إلّا بلطفٍ من الله له زيادةً، فوجَبت محبّة الله عليه، على إضافة المصدر إلى المفعول، وهذا وجهٌ قريب وإن كان فيه بعض التعسّف.

٣٧٥. بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ[١].

قيل: أراد بـ «**جَوَامِعِ الْكَلِمِ**»: القرآن[٢]؛ لأنّه الجامع لجوامع العلوم

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٣٤، ح٥٧٠. صحيح البخاري٤: ١٢. صحيح مسلم٢: ٦٤، عن أبي هريرة. الأمالي للصدوق: ٢٨٥، قطعة من ح٣١٥، عن إسماعيل الجعفي، عن الإمام الباقر.

(٢) الأمالي للطوسي: ٤٨٤، عن عطاء بن السائب، عن الإمام الباقر. النهاية١: ٢٩٥. تهذيب اللغة ١: ٢٥٧ (جمع).

والمنافع الدينيّة، كما ذكر **عليّ ابن أبي طالب**عليه السلام في حديثٍ طويل يذكر فيه القرآن وفضائله: «**فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَ نَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ وَ حُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ**»[١].

وقيل: لجميع ما يحتاج إليه الناس من الأمور الدينيّة والدنيويّة من الحلال والحرام والشرائع والأحكام.

وقال الهرويّ صاحب الغريبَين: أراد به ألفاظاً جامعة للمعاني الكثيرة[٢]، كقوله صلى الله عليه وآله: «**إيّاك وما يُعتَذر منه**»[٣] وما أشبه ذلك من ألفاظه .

و**الجوامع** جمع جامعة[٤]؛ لأنّ فواعلَ في الأغلب جمع فاعلة، ويجيء في جمع فاعل ممّا لم يكن مشتقّاً من الفعل؛ كفارسٍ وفوارس وغارب لا على السنام ولا على الموج وغوارب[٥].

---

(١) سنن الترمذي٤: ٢٤٥/ باب ما جاء في فضل القرآن، ح ٣٠٧٠. سنن الدارمي٢: ٤٣٥ كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن. تفسير العياشي١: ٣، ح ٢، عن الحارث الأعور، عن الإمام عليّ.

(٢) لم نعثر على قول الهروي هذا في كتابيه، والنووي رواه عن الهروي في: شرح صحيح مسلم٥: ٥. أُنظر: النهاية١: ٢٩٥ (جمع).

(٣) المعجم الأوسط ٤: ٣٥٨. مسند الشِّهاب٢: ٩٣، ح ٩٥٢، عن ابن عمر. الآحاد والمثاني٤: ٢٤٦، ح ٢٢٤٩، وزاد في صدرها (حدّثني بحديث وأجعله موجزاً).

(٤) النهاية١: ٢٩٥ (جمع).

(٥) أُنظر: الصحاح ٣: ٩٥٧. المصباح المنير٢: ٤٦٧ (فرس).

٣٧٦. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ[١].

قال الله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[٢]. وروي أنّه ﷺ قال: «**نُصِرتُ بالرُّعب مِن بينِ يَدَيْ مسيرةِ شهْرٍ**»[٣]، حتّى لو أنّه نزل منزلاً، لكان العدوّ يرعب منه على مسيرة شهر[٤].

وروي أنّه لمّا رجع من حرب الأحزاب، وقَتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرَ بنَ عبدِ وُدٍّ، قصدَ حصونَ بني قُرَيظةَ والنّضير، فلمّا ضُربت قبّةُ رسول الله في أصل الحصن، أشرَفوا من سور الحصن يَسُبّون رسول الله والمسلمين، وكان عليّ يَقدِم رسول الله في الوقائع، فلمّا سمع ذلك، رجع إلى رسول الله لِيَصرفه لئلّا يسمع ما يقولون، فإذا **رسول الله** ﷺ قد طلع وسمِع مقالتهم، فنادى: «**يا إخوةَ القِرَدةِ والخنازير! إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ، فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ**»[٥]، فقالوا: يا أبا القاسم! ما كنتَ جهولاً ولا سبّاباً، فكأنّه استَحىٰ، فرجع القهقرىٰ، وتقدّمتُ، فلمّا

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٣٤، ح٥٧٠. صحيح البخاري٤: ١٢. صحيح مسلم٢: ٦٤، عن أبي هريرة. الأمالي للصدوق: ٢٨٥، قطعة من ح٣١٥، عن إسماعيل الجعفي، عن الإمام الباقر.

(٢) سورة الأحزاب٣٣: ٢٦.

(٣) صحيح البخاري١: ٨٦، كتاب التيمم. سنن النسائي١: ٢٠٩، باب التيمم بالصعيد، عن جابر بن عبد الله. التبيان في تفسير القرآن٣: ١٧، سورة آل عمران.

(٤) يرعب منّي العدوّ مسيرة شهر؛ سنن الدارمي٢: ٢٢٤، عن أبي ذرّ .

(٥) اشارة الى سورة الصافات٣٧: ١٧٧، والآية: ﴿فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

رأَوني، قالوا: جاءكم قاتل عمرو، وجعلَ بعضهم يَصيح ببعض: أقبلَ إليكم قاتلُ عمرو، فعلمتُ أنّ الله قذف في قلوبهم الرّعب، وصاحَ صائحٌ من الحصن: قتل عليّ عمرواً، صادَ عليّ صقراً، هتكَ عليّ سِتراً، قصمَ عليّ ظهراً، أبرم عليّ أمراً، فما لبثنا إلّا أيّاماً قلائل حتّى فتح الله علينا[١].

٣٧٧. نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ[٢].

قال شيخنا أبو القاسم الزمخشري: الكعبة مُشرَّعٌ بابُها نحو جِهة المشرق والمغرب، تُضرب أبنيتهم على ذلك يوجِّهونها إلى المشرق، فإذا قابَلَتِ الرّيحُ بيوتهم، قالوا لتلك الرّيح قبول، وإذا هبّت من خلفها، قالوا دبور، وإذا هبّت من شمالها، قالوا لها شِمال، وإذا هبّت من يمينها، قالوا جَنوب من الجانب، وتسمّى القبولَ صبأً[٣]، وما نصرَ الله به **نبيّه** يوم الأحزاب في قوله: ﴿إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنوداً لَمْ تَرَوْها﴾[٤] كانت ريح الصّبا[٥]، تقابل عسكر **النبيّ** ، فلمّا صفّوا للقتال،

---

(١) الإرشاد١: ١٠٩، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٣٤، ح٥٧٢. صحيح البخاري٢: ٢٢. صحيح مسلم٣: ٢٧. صحيح ابن حبّان١٤: ٣٣١ ، عن ابن عبّاس.

(٣) أُنظر: الصحاح٥: ١٧٩٥ (قبل) و٦: ٢٣٩٨ (صبا). العين٥: ١٦٨ (قبل) و٨: ٣٢ (دبر).

(٤) سورة الأحزاب٣٣: ٩.

(٥) معاني القرآن للنحاس٥: ٣٢٨. تفسير ابن أبي حاتم٩: ٣١١٧، ح١٧٦٠٠، عن مجاهد. مجمع البيان٨: ١٢٤، سورة الأحزاب.

قلبَ الله الرّيح عليهم، فجعلت تَسفي التراب في أعينهم والحَصباء في وجوههم، وخذلَهم الله وقتَلَهم، خذلهم بالصّبا وقتلهم بالملائكة، وأهلك الله عاداً قومَ هود بالرّيح الدّبور[١] في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٢]، وكانوا رجالاً جِلاداً شداداً، فلمّا أنذرهم هود بأنّ الله مُهلِكهم بالرّيح، سخِروا منه وقالوا: ما تصنع بنا الرّيحُ؟! فنقروا الجبال، ونحتوها بيوتاً، وحفروا فيها آباراً ودخلوها، فبعث الله عليهم الرّيح حتّى دخلت الغيران[٣] والآبار، وأخرجتهم وطارت بهم في الهواء كالجَراد، ثمّ كانت تضرب بهم الجبال والأرض حتّى قطّعتْهم، قيل: وكانت الرّيح تحمل الحَمولاتِ عليها الهوادجُ بمن فيها، فتطير بهم في الهواء حتّى تُرى كأنّها الحَمام أو ما هو على شَكله، وذلك جزاء من كفر نعمة الله بالطغيان، وقابلَها بالكُنود والكفران[٤].

٣٧٨. يُعْجِبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ[٥].

العجب في حقّ القديم تعالى نوعٌ من الاستعارة؛ أي: هو من الغرابة

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣: ١٦٣.

(٢) سورة القمر ٥٤: ١٩ و٢٠.

(٣) جمع غار وهو الكهف، وانقلبت الواو ياء لكسرة الغين. النهاية ٣: ٣٩٥ (غور).

(٤) ما وجدنا قول الزمخشري في كتبه.

(٥) مسند الشِّهاب ١: ٣٣٦، ح٥٧٦. مسند ابن حنبل ٤: ١٥١. مسند أبي يعلى ٣: ٢٢٨، ح١٧٤٩. المعجم الكبير ١٧: ٣٠٩، عن عقبة بن عامر.

بحيث لو أنّ الله جازَ عليه العجب، لَتَعجّب منه، أو لو كان مكانَه جلّ وعزّ غيرُه، لتعجّب منه، والعجب مصدر، ويجوز أن يكون اسماً فَعَل بمعنى مفعول كالقَبْض والنَّفْض؛ أي الشيء الذي يُتَعجّب منه، وكذلك العُجب والكِبر فعْل بمعنى مفعول، ويجوز أن يكون اسماً للإعجاب، **والصّبوة** المَيل إلى ما يميل به الصّبيان والشّبّان[١]، قال:

صبا قلبي ومالَ إليك مَيلاً وأرّقني خَيالُكِ يا أُثيلا[٢]

وقال آخر:

صبا ما صبا حتّى علا الشّيبُ رأسَه فلمّا علاه قال للباطل ابعُدِ[٣]

وقوله: «**لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»، وقع موقع الصِّفة لـ**الشّابّ**، والجملة نكرة، والشّابّ معرفة، ولا توصف المعرفة بالنّكرة[٤]، والجواب عنه أنّ الألف واللاّم في الشاب للجنس، وفي الجنس إبهامٌ وشياعٍ، والإبهام نوعٌ من التنكير.

٣٧٩. كَمَا تَكُونُونَ يُوَلّى عَلَيْكُمْ[٥].

الكاف للتشبيه، وهو يقتضي مشبَّهاً ومشبِّهاً به، و**ما** موصولة؛ أي كالذي

(١) أُنظر: النهاية٤: ١١. العين٧: ١٦٨. المفردات: ٤٧٥ (صبو).

(٢) الأمالي في لغة العرب٣: ١٠٢. الأغاني ٦: ٤٤٠. شرح ديوان الحماسة: ٤٥٦، والشاعر: وضّاح اليمن، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل، أُنظر: الأغاني ٦: ٤٣١.

(٣) الشعر والشعراء٢: ٧٣٩. الأغاني ١٨: ٣٣٧، والشاعر: دُرَيدُ بن الصِّمَّةَ.

(٤) اللمع في العربية: ٨٣. سرّ صناعة الإعراب ٢: ٣٤.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٣٣٦، ح٥٧٧، عن أبي بكرة.

تكونـون، ويجـوز أن يكـون مصـدريّة؛ أي ككَـونكم. ولـم يُـرد بـالكون الوجـود؛ لأنّه شـائع في الـذوات، إنّما أراد الصـفة؛ أي: يـولّى عليكم توليـةً مثـلَ كـونكم عليـه مـن الخيـر والشّـرّ. والتوليـة تفـويض أمـر الولايـة إلـى أحـدٍ[١]، ولا يجـوز أن يكـون كـان تامّـةً بمعنـى توجـدون، بـل هـي ناقصـة، والتقـدير كمـا تكونـون كائنين عليه.

٣٨٠. يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلى نِيَّاتِهِمْ[٢].

يعني يُحشر الناس يوم القيامة من المؤمن والكافر والمخلص والمنافق والمُرائي على حسب نيّته؛ وذلك لأنّ الاعتبار في أفعال المكلّف بالنيّة، وهذا مثل قوله ﷺ: «**الأعمال بالنّيّات وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوىٰ**»[٣]. فالمؤمن المخلص هو الذي يستحقّ الثواب الدائم، وكذلك العامل بالطّاعات المخلِص فيها الذي لا يُرائي، والكافر يستحقّ العقاب الدائم بكفره[٤]، والمنافق يستحقّ الـدَّرْك الأسفل بكتمانه الكفرَ وإظهاره الإيمانَ وكَيده

(١) أُنظر: المفردات: ٨٨٥ (ولي).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٣٧، ح٥٧٨. سنن ابن ماجة٢: ١٤١٤، باب النية، ح٤٢٢٩. مسند ابن حنبل٢: ٣٩٢، عن أبي هريرة. الكافي٥: ٢٠/ كتاب الجهاد، باب الغزو مع الناس إذا خيف على الاسلام، قطعة من ح١، عن أبي عمرة السلمي، عن الإمام الصادق.

(٣) صحيح البخاري١: ٢. سنن أبي داود١: ٤٩٠، باب فيما عنى به الطلاق والنيات، ح٢٢٠١. سنن البيهقي١: ٢٩٨، باب الاغتسال للجنابة والجمعة إذا نواهما معا.

(٤) أُنظر: سورة البقرة٢: ٣٩ و٢١٧ و٢٥٧. سورة آل عمران٣: ١١٦. سورة الرعد١٣: ٥. سورة التغابن٦٤: ١٠.

المؤمنين[١]. ومعنى الحديث تعظيم شأن النّيّة وأنّها الأصل في الأعمال[٢].

٣٨١. يُبْعَثُ شَاهِدُ الزُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُولِغاً لِسَانَهُ فِي النَّارِ[٣].

يروى «**مولِغاً لسانه**» على لفظ الفاعل، و«**مولَغاً**» على لفظ المفعول، وهما يعملان عمل يُفعِل ويُفعَل من فعله، مولَغاً لسانه بمنزلة قولك: يولَغ لسانه، قال الله تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَـهُ النّاسُ﴾[٤][٥]. ومولِغاً لسانه كأنّك قلت: يولِغ لسانه، قال الله تعالى: ﴿والْمُقيمينَ الصَّلاةَ﴾[٦].

ويروى «**مُدلِعاً**» و«**مُدلَعاً**»[٧] على ما بيّنت في الإيلاغ.

والمراد بالبعث الحشر، يُقال: ولغ الكلب في الإناء يَلَغ، وأولغه صاحبه إيلاغاً[٨]، ودلعَ الكلب لسانه وأدلعه إذا أخرجه، ودلع لسانه[٩]، الثلاثي من هذا الفعل لازم ومتعدٍّ.

---

(١) اشارة الى الآية: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ في الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيرًا﴾. النساء٤: ١٤٥.

(٢) راجع: الكافي٢: ٨٤ / كتاب الإيمان والكفر، باب النّيّة.

(٣) مسند الشّهاب١: ٣٣٧، ح٥٧٩، عن أبي الصلت، عن الإمام الرضا. دعائم الاسلام٢: ٥٠٧.

(٤) سورة هود١١: ١٠٣.

(٥) معناه أنّ يوم القيامة يوم يجمع فيه الناس ويشهده جميع الخلائق، التبيان في تفسير القرآن٦: ٦٣، سورة هود.

(٦) سورة النساء ٤: ١٦٢.

(٧) أُنظر: الفائق في غريب الحديث١: ٣٧٦. روض الجنان١٣: ٣٢٤. النهاية٢: ١٣٠ (دلع).

(٨) الصحاح ٤: ١٣٢٩. معجم مقاييس اللغة ٦: ١٤٤ (ولغ).

(٩) العين٢: ١٤١. النهاية٢: ١٣٠ (دلع).

ومعنى الحديث: تهديد شاهد الزور، يُجعل لسانه في النار كما أنّه شهد بالزور والكذب في الدنيا ليُبطِل به حقّاً أو يُحقّ به باطلاً، وهذه عقوبة له في محلّ ذنبه[١].

٣٨٢. رَحِمَ اللهُ امْرَءاً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ[٢].

فسّر بعض الناس هذا الحديث على أنّه أراد: رحم الله امرءاً أصلح لسانه، وجعل من زائدة، وربما قال من للتبعيض، وأراد أصلح بعض لسانه؛ فإنّه يتعذّر عليه إصلاح جميع لسانه، كما قال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ﴾[٣][٤].

وربّما قال من للتبيين؛ يعني أصلح أمره من جهة لسانه؛ لأنّ الإصلاح يُحتمل أن يكون من وجوه، فبيّن أنّه من جهة اللّسان، وظنّ أنّ معنى الحديث حفظ اللّسان إلّا من الصّلاح، وكلّ هذا تخليط ووهْم؛ أي: غلط منه.

---

(١) راجع: الكافي٧: ٣٨٣/ كتاب الشهادات، باب من شهد بالزور. المصنَّف لعبد الرزّاق ٨: ٣٢٥، باب عقوبة شاهد الزور.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٣٨، ح٥٨٠. الأمالي للطوسي: ٣٩٨، ح٣٥، عن عمر بن الخطاب.

(٣) سورة النور٢٤: ٣٠.

(٤) التبيان في تفسير القرآن٧: ٤٢٧. مجمع البيان٧: ٢٤١. تفسير الثعلبي٧: ٨٦، سورة النور.

ومعنى الحديث أنّه أراد بإصلاح اللّسان حفظَه من اللّحن والخطأ، وذلك أنّ الله أنزل أشرف كتبه وأجلّها بأشرف لغة وهي اللّغة العربيّة، وبَعَثَ خير رسله وهو سيّد الأوّلين والآخرين **محمّد المصطفى** من بريّته بهذا اللّسان وهو لسان أهل الجنّة[١]، والمراد بإصلاح اللّسان تقويم اللّسان بعلم العربيّة وتعديله بالنحو الصحيح والإعراب البيّن.

قال بعض أهل العلم:

النحو يُصلِح من لسان الألكن والمرء يُعظِمه إذا لم يَلحَنِ

فإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها فأجلُّها منها مُقيمُ الألسُنِ[٢]

واللّسان المراد به: اللّغة، لا المخلوق من اللّحم، قال الله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ﴾[٣] أي بلغة قومه[٤]، وقيل: دخلت هند بنت أسماءَ بن خارجةَ على الحَجّاج[٥]، فتكلّمتْ عنده ولحنتْ في كلامها، فقال لها الحجّاج: أتلحَنين وأنتِ شريفة وفي بيت قيس؟

(١) أُنظر: صفة الجنّة لابن أبي الدنيا: ١٥٧، باب لسان أهل الجنّة.

(٢) عيون الأخبار ٢: ١٧٢. العقد الفريد ٢: ٣٠٨. زهر الآداب ٣: ٧٧٥، باختلاف يسير، والشاعر: إسحاق بن خلف البَهْرانيّ، المعروف بابن الطبيب من شعراء المعتصم.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣: ٥١٤. تفسير الطبري ١٣: ٢٣٧. مجمع البيان ٦: ٥٨، سورة إبراهيم.

(٥) هي أخت مالك بن أسماء بن خارجة وهي زوجة الحجاج بن يوسف الثقفي، أُنظر: الوافي بالوفيات ٢٧: ٢٣٢.

قالت: أما سمعت قول أخي مالك[1]:

منطقٌ صائبٌ وتلحَن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا[2]

فقال لها: إنّما أراد أخوك اللّحن الذي هو التعريض والكناية دون التصريح، أصلحي من لسانك[3]. قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[4][5]. وربّما جَرّ اللّحنُ وخطأُ اللّسان ما لا يُدرَك. ويروى: أنّ رجلاً ادّعى على رجلٍ مالاً عند **أمير المؤمنين**، فقال له **أمير المؤمنين**: ما تقول؟ قال: مالُه عليَّ حقٌّ، بالرّفع. فقال له: أتعرف الإعراب؟ قال: نعم، فألزَمه المالَ[6].

وربّما خلّص النحو الإنسان من الآفة العظيمة، قيل: إنّ عبد الملك

---

(١) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ، الحجاج يتزوج أخته هنداً، ويولّيه على أصبهان، ثم يأمر بحبسه لخيانة ظهرتْ عليه. أُنظر: الأغاني ١٧: ١٤٨.

(٢) أي ما لم يصرَّح به، وما عرف بالمعنى ونحو الكلام. معاني القرآن للنحاس٦: ٤٨٦.

(٣) الأمالي للسيّد المرتضى ١: ١١. تاريخ بغداد ١٢: ٢١٠. والبيت لمالك بن أسماء بن خارجةَ في: البيان والتبيين: ٩٢.

(٤) سورة محمّد٤٧: ٣٠.

(٥) اللَّحنُ: صرف الكلام عن سَننه الجاري عليه، إمّا بإزالة الإعراب، أو التّصحيف ــ وهو المذموم ــ، وذلك أكثر استعمالاً، وإمّا بإزالته عن التّصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة، وإيّاه قصد الشاعر بقوله: وخير الحديث ما كان لحناً، وإيّاه قصد بقوله تعالى: (ولَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحنِ الْقَوْلِ)، المفردات: ٧٣٨ (لحن).

(٦) رواه تاج الدين السُّبْكي لأبى عبيد بن حربَوَيهِ في: طبقات الشافعية ٣: ٤٥٥.

بن مروان ظفِر برجلٍ من الخوارج، وكان على رأي شبيب الخارجيّ[١]، فأمرَ بضرب عنقه، وقال له: ألست القائل:

وفينا يزيد والبُطَين وقَعنَب ومـنّا أمير المؤمنين شبيبُ

فقال: يا أمير المؤمنين، ما قلتُ هكذا، قال: كيف قلت؟ قال: قلت أميرَ المؤمنين بالنصب، فاستغثت بك وناديتُك، فخلّىٰ سبيله لأدبه[٢].

وقيل: كان بعض المشايخ المحدّثين حدّث بهذا الحديث، وهو أنّه نهى عن الحلق قبل الصلاة[٣]، فروى الحلْق بسكون اللاّم وقال: ما حلقت رأسي منذ عشرين سنة لمّا سمعت، فقال له بعض أهل العلم من المحقّقين: مثلك فلْيروِ الحديث! أخطأت خطأً فاحشاً، وصحّفت تصحيفاً سيّئاً، وعذّبت نفسك عشرين سنة[٤].

إنّما نهى ﷺ عن الحَلَق أو الحِلَق قبل الصلاة، أراد أن يتحلّق الناس حَلَقة حَلَقة، فيتحدّثوا أو يناظروا في المسائل العلميّة، إنّما أراد أن

(١) هو خرج بالموصل، فبعث إليه الحجاج خمسة قُوّاد، فقتلهم واحداً بعد واحد، ثمّ سار إلى الكوفة، وقاتل الحجاجَ، وتوفي حدود الثمانين للهجرة. أُنظر: الوافي بالوفيات١٦: ٦٠.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٧١. معجم الأدباء١: ٨٨. تفسير الرازي٢: ١٩٥.

سُوَيد بن سليم، والبطين بن قَعنَب، وقعنب بن سُوَيد، كانوا من قادة جيش شبيب. راجع أخبارهم جميعاً في: الكامل لابن الأثير٤: ٣٩١ ـ ٤٣٥.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٣٥٩/ باب ما جاء في الحلق يوم الجمعة قبل الصلاة، ح ١١٣٣. مسند ابن حنبل ٢: ١٧٩. صحيح ابن خزيمة٢: ٢٧٤، عن عبدالله بن عمرو.

(٤) أُنظر: إصلاح غلط المحدثين: ٣٨، حكم النهي، عن الحلق يوم الجمعة.

يشتغلوا بالصّلاة والعبادة وقراءة القرآن قبل صلاة الجمعة، فإذا صلَّوها، إن أرادوا أن يتكلّموا، فذاك إليهم، فمن روَى الحلَق ـ بفتح اللام ـ فهو جمع حَلْقة على غير قياسٍ، ويجوز أن يكون من باب تمر وتمرة، ومن روَى الحِلَق ـ بكسر الحاء ـ قال: هو جمع حلقة كبَدرَة وبِدَر[١].

وروي أنّ **الصادق جعفر بن محمّد**عليهما السلام مرَّ برجلٍ يدعو بدعاء يلحن فيه، فقال: «**هذا دعاءٌ لا يسمع الله**»[٢]؛ أي: لا يُجيب.

٣٨٣. رَحِمَ اللهُ الْمُتَخَلِّلِينَ مِنْ أُمَّتِي فِي الْوُضُوءِ وَالطَّعَامِ[٣].

المُتَخَلِّل: الذي يفعل فعلاً في خلال فعل، أراد مَن تخلّل بذكر الله في خلال وضوءه وطعامه، وروي أنّ «**من تَوَضّأ، فأَسْبَغَ الوضوء، وأتى بفرائضه وسننه، ودعا بالدعَوات المرويّة عند غَسل كلّ عضوٍ من أعضاء الطهارة أو مسْحه، خلق الله تعالى من كلّ قطرة قَطَرات من يده مَلَكاً يسبّح له إلى يوم القيامة ويُهلّل له ويستغفر له، ومن أكل طعاماً، فسمّى اللهَ أوّلاً وحَمِده آخِراً، رضى الله عنه وكتبه عنده في الشاكرين**»[٤].

---

(١) أُنظر: النهاية١: ٤٢٦ (حلق).

(٢) أُنظر: تاريخ دمشق٥٤: ٢٩٢.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٣٩، ح٥٨٣، عن أبي أيوب. المحاسن٢: ٥٥٨/ كتاب المآكل، قطعة من ح٩٢٧، عن حمزة، عن أبي الحسن وليس فيه (الوضوء).

(٤) راجع: وسائل الشيعة١: ٤٠١/ كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، باب استحباب الدعاء بالمأثور عند النظر إلى الماء ...، و٤٨٧ / باب استحباب إسباغ الوضوء، و٢٤: ٣٥١/ كتاب الأطعمة والأشربة، باب استحباب التسمية في أوّل الطعام والتحميد في آخره.

ومَن قال: أراد تخليل اللّحية في الوضوء، وتخليلَ الأسنان عقيبَ الطعام، فقد أبعد؛ لأنّ هذا تخليلٌ وذاك تخلّلٌ، وبينهما بَون بعيد[١].

٣٨٤. أَبَى اللهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ[٢].

الإباء: الامتناع[٣]، وفلانٌ يأبَى الضَّيْمَ؛ أي: لا يمكنه أن يطور بجانبه، وليس من الكراهة في شيء، وهو في حقّ الله بمعنى نفي الفعل ونفي اختياره، ولابدّ من تخصيص هذا الحديث ببعض المؤمنين المكرَّمين على الله تعالى من حيث أنّه يريد أن يوصِل إليهم الخيراتِ والمنافعَ من حيث لا يعلمون، لئلاّ يشغلوا قلوبهم بانتظار ذلك، ومعلومٌ أنّ جميع المؤمنين لا يُكرَمون بهذه الكرامة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[٤].

---

(١) أُنظر: النهاية٢: ٧٣ (خلل). وقال أبو الرضا الرّاوندي: والتخلّل في الوضوء قيل: هو إيصال الماء إلى أُصول اللحية. وقيل: هو إيصال الماء إلى ما بين الأصابع في وضوء الصلاة بالأصابع يُشبّكها. وهو أقربُ إلى الصواب، فيترحّم على من فَعل ذلك إيفاءً للوضوء وإبقاءً على طيب النّكهة؛ فإنّ الخِلالة ربّما تُغيّر ريحَ الفم، و ربّما تكون سببا لتآكُلِ الأسنان، و أَولى ما يَتخلّل به الإنسانُ خَشَبُ الخِلاف(١).، ونُهِيَ عن التخلّل بالآس والرُّمّان والقَصَب والرَّيحان. ضوء الشِّهاب ٢: ١٦٤.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٤١، ح٥٨٥. معجم ابن الأعرابي٢: ٥٢٠، ح١٠١٢، عن مالك بن أنس، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جدّه .

(٣) الإباء: شدة الامتناع، فكلّ إباء امتناع وليس كلّ امتناع إباءاً. المفردات: ٥٨. أُنظر: المصباح المنير٢: ٣ (أبي).

(٤) سورة الطلاق٦٥: ٣.

٣٨٥. كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ[١].

كادَ من أفعال المقاربة، وهي من أخوات عسى، وكلاهما يحتاجان إلى خبر، وخبر عسى «أنْ» مع الفعل المضارع في الأغلب[٢]، قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾[٣]، وخبر كاد الفعل المضارع بغير «أنْ»[٤]، قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلوبُ فَريقٍ مِنْهُمْ﴾[٥]، وقد يجيء بالعكس من هذا، قال الشاعر:

عسى الهمُّ الّذي أمسيتُ فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ

فيأمَن خائفٌ ويفكّ عانٍ ويأتي أهلَه الرّجل الغريبُ[٦]

فاستعمل الشاعر عسى استعمالَ كاد، ويُستعمل كاد استعمالَ عسى في قول الشاعر:

قد كادَ من طول البِلىٰ أن يَمصَحا[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٤٢، ح٥٨٦. إصلاح المال: ١٢١، ح٤٤٠، عن أنس بن مالك. الكافي٢: ٣٠٧ / كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد، ح٤، عن السكوني. الأمالي للصدوق: ٣٧١، ح٤٦٥، عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق.

(٢) اللمع في العربية: ١٤٤/ باب عسى. إعراب القرآن للنحاس٤: ١٢٤.

(٣) سورة المائدة٥: ٥٢.

(٤) أُنظر: ألفيّة ابن مالك: ٢٠ / أفعال المقاربة.

(٥) سورة التوبة٩: ١١٧.

(٦) الفرج بعد الشدة ١: ١٦٤. الأمالي للقالي١: ٧٢. تاريخ بغداد١٤: ٢٦٦، والشاعر: هدبة بن خشرم إسلامي.

(٧) كتاب سيبويه٣: ١٦٠. المقتضب٣: ٧٥. الصحاح ١: ٤٠٥ (مصح) والشاعر: رؤبة، ويمصح: يذهب ويدرس.

وفي الخبر أتى على هذا الوجه، ومعناه المبالغة في القُرب؛ نحو قولهم: جئتك وقد كادت الشمس تزول.

ومعنى عسى الطمع والإشفاق[1]، ويستعمل كاد على قرب النسبة، كقولهم: كاد العروس يكون أميراً[2]. ومعنى الحديث: أنّ الفقر يجرّ صاحبه إلى الكفر ويقرّبه منه جدّاً، ويَقرُب جدّاً أنّ الحسد يَغلِب القدرَ، ومعناه ذمّ الحسد وأنّه لا يغلب القدر على الحقيقة؛ لأنّ كاد لقرب وقوع الأمر ولم يقع.

٣٨٦. خُصَّ الْبَلَاءُ بِمَنْ عَرَفَ النَّاسَ، وَعَاشَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُمْ[3].

لأنّه إذا عرف الناس وعرفوه، وقع في بليّةٍ عظيمة من القيام بقضاء حقوقهم في تهانيهم وتعازيهم ومعاملاتهم، وصار كالواجب عليه عرفاً أو شرعاً، فأمّا من لا يعرف الناس ولا يعرفونه، فيعيش سالماً من هذه الآفات. وفي فحوى هذا الكلام أنّ العيش مع معرفة الناس والوقوع في آفاتهم عيشٌ كلا عيش.

٣٨٧. يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلى كُلِّ خُلُقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةَ والكَذِبَ[4].

يعني يُجعل مطبوعاً مخلوقاً مصنوعاً من قِبل الله؛ إذ لا اختيار له في

---

(١) الصحاح ٦: ٢٤٢٥ (عسا).

(٢) مجاز القرآن٢: ٦٧. تفسير الثعلبي٧: ١١١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٤٣، ح٥٨٨. معجم ابن الأعرابي٢: ٥٠١، ح٩٧٥، عن محمد بن إسحاق، عن **الإمام الصادق** .

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٤٤، ح٥٩٠. الصمت وآداب اللسان: ٢٤٢، ح٤٧٢. مسند أبي يعلى١: ٤٧، ح٧١١، عن سعد وفيها (خلة) بدل (خلق).

خُلقٍ خلقه الله عليه، ثمّ قال: «**لَيْسَ الْخيانَةَ والكَذِبَ**»؛ يعني إلّا الخيانة والكذب؛ فإنّهما ليسا من تلك الأخلاق، وإن اعتادهما الإنسان؛ لأنّه بقصده واختياره وداعيه وإيثاره، ولأنّهما من أشنع القبائح، واللهُ متعالٍ عن فعل القبيح؛ لأنّه عالمٌ بقبح القبيح مستغنٍ عنه عالمٌ باستغنائه عنه، فلا يختار القبيح. وليس بمعنى الاستثناء، يقول: جاءني القوم ليس زيداً، بمعنى إلّا زيداً، والتقدير ليس بعضهم زيداً[(١)]، وتقديره في الخبر: ليس ذلك الخلقُ الخيانةَ والكذبَ. وليس فعل ناقص غير متَصرّف، وهو من أخوات كان، ومعناه نفي الحال، تقول: ليس زيد منطلقاً، تريد نفي الانطلاق عنه في حال كلامك[(٢)].

ومعنى الحديث: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن خَلق الخيانة والكذب في الخائن والكاذب لما ذكرناه.

٣٨٨. تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ[(٣)].

ما في المواضع الثلاثة نكرة موصوفة؛ أي: تبنون بِناءً لا تسكنونه،

---

(١) المقتضب٤: ٤٢٨/ باب الاستثناء بليس ولا يكون. الكتاب لسيبويه٢: ٣٤٧. النهاية٤: ٢٨٥ (ليس).

(٢) أُنظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٥٥. مغني اللبيب١: ٢٩٣.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٤٥، ح٥٩٢. حلية الأولياء١: ٣٥٨، عن الحكم بن عمير. الزهد لأحمد بن حنبل: ١٤٥، ح٩٨٧، عن أبي هريرة.

وتجمعون مالاً لا تأكلونه، وتأملون شيئاً لا تدركونه، وهي مثلها في قولهﷻ: ﴿هٰذا ما لَدَيَّ عَتيدٌ﴾[(١)]؛ أي: شيءٌ عتيد لديّ[(٢)]، وفي قول الشاعر:

رُبّما تَكره النفوس من الأمـ ـــر له فـرجةٌ كـحَلّ العِقالِ[(٣)]

أي: رُبَّ شيءٍ تكرهه النفوسُ.

ومعنى الخبر: الوعظ عن بناء دُور لا يدري الباني مَن يسكنها، وعن جمع مال لا يدري الجامع مَن يأكله، وعن أملٍ لا يدري الآمل أيُدركه أم لا يُدركه، فكَم مِن بانٍ بنى الأبنية ولم يسكنها، وجامعٍ جمع الأموال ولم يأكلها، وآملٍ علّق الأمل بما لم يدركه! قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيونٍ * وَزُروعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾[(٤)].

قال مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخّير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رِياشهم، وانظر إلى سرعة ظَعْنهم وسوءِ مُنقَلَبهم[(٥)].

قال بعض العلماء: قرأتُ على قصرٍ في أعالي الحجاز قد خرَب وبادَ أهله:

بالله ربِّك كم قصرٍ مررتُ به قد كان يَعمُر باللّذّات والطّرب!

---

(١) سورة ق٥٠: ٢٣.

(٢) الجمل في النحو: ٦٩. معانى القرآن للأخفش١: ٣٨. معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥: ٤٥.

(٣) كتاب سيبويه٢: ٣١٥. المقتضب١: ٤٢.

(٤) سورة الدخان٤٤: ٢٥ و٢٦.

(٥) البيان والتبيين: ٤٦٢. غريب الحديث لابن قتيبة١: ٣٤٢. الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٨٥.

طارت عقاب المنايا في جوانبهِ فصار من بعده للويل والحربِ[(١)]

علي بن مريم قال: مررتُ بسُوَيقةَ عبد الوهّاب وقد خرَبت وعلى حائطٍ منها مكتوب:

هــذي منــازلُ أقــوامٍ عهِــدتُهُمُ في خفض عيشٍ وعزٍّ ما له خطرُ
صاحَت بهم صائحات الدّهر فانقلبوا إلـى القبـور فـلا عـينٌ ولا أثـر[(٢)]

ورُئِي على بعض حيطان بني برمك بعد النَّكبة:

يــا بنــي برمــكَ واهــاً لكــم ولأيّــــامكم المقتبلــــــهْ!
كانــت الــدنيا عروســاً بكــم فهــي اليــومَ ثَكُــولٌ أرملــهْ[(٣)]

قال الشيخ أبو أحمد العسكريّ: دخلتُ دار بعض الملوك ببغداد وقد أُحرِقت وصارت فَحِمة، فأمرتُ مَن كتب على حائطٍ منها:

سَــلْ ديــار الحَــيّ مــا غيّرهــا مــا اعتلاهــا ومحــا منظَرهــا
وكــذا الــدنيا إذا مــا أدبــرتْ جعلــت معروفهــا مُنكرهــا[(٤)]

وعن سفيان الثّوري قال: كنت آلَفُ فِناء دارٍ بالكوفة، ثمّ غبتُ عنها

---

(١) عيون الأخبار ٢: ٣٢٧. تاريخ بغداد ٦: ١٤٥. تاريخ مدينة دمشق ٧: ١٨٧، والشاعر: إبراهيم بن المهديّ.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٠٤. معجم البلدان ٣: ٢٨٨. المنتظم ٨: ٢٠١.

(٣) مروج الذهب ٣: ٣٨٢. ربيع الأبرار ١: ٦٠، والشاعر: صالح بن طريف.

(٤) الأغاني ٢٣: ٥٤. تاريخ بغداد ٣: ١٤٦. التذكرة الحمدونيّة ٤: ٣١٧، باختلاف في العبارات.

زماناً ورجعتُ، فرأيت تلك الدّيار قد خَرَبتْ، وإذا فناؤها الذي كنتُ آلِفهُ مزبلةً، فقلتُ:

نادِ ربَّ الدار ذا المالِ الذي ... جـمعَ الدنيا بحرصٍ ما فعلْ

فأجابني هاتفاً:

كـان في دارٍ سِواها دارُه ... علّلتْه بالمُنى ثمّ ارتحل[١]

ولأبي العتاهية:

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا ... وبنَوا مساكنهم وما سكنوا

وكأنّهم كانوا بها ظَعْناً ... لمّا استراحوا ساعةً ظَعَنوا[٢]

وعن عبد الملك بن عمير قال: رأيت رأس الحسين بن عليّ عليهما السلام بين يديْ عبدالله بن زياد في قصر الكوفة، ثمّ رأيت رأس عبيدالله بن زياد ـ عليه اللعنة ـ بين يدي المختار، ورأيت رأس المختار بين يديْ مصعب بن الزبير، ورأيت رأس مصعب بن الزّبير بين يديْ عبد الملك بن مروانَ، كلّ ذلك في مدّةِ اثنتي عشْرة سنة[٣]. ابن عائشه قال: صعد سليمان بن عبد الملك بن مروان المنبر، وقد غلّف لحيته بغالية حتّى كادت تقطر منها، قال: أنا المِلك الشابّ مُدِلاً بمُلكه وشبابه، فما دارت الجمعة حتّى مات[٤]!

(١) أُنظر: الهواتف: ٩٨/ الرقم١٥٢. قصر الأمل: ١٩٦/ الرقم٣١٤. البلدان: ١٠٣.

(٢) المنازل والديار١: ٤٦. المدهش: ٢٩٢.

(٣) الثقات للعجلي٢: ١٠٤/ الرقم١١٣٨. أنساب الأشراف٣: ٢١٢. تاريخ اليعقوبي٢: ٢٦٥.

(٤) تنبيه الخواطر٢: ٤٤٧.

وعن جريرٍ السّهميّ قال: كنتُ مع **أمير المؤمنين عليّ** في مسيره إلى الشام، فمررتُ على مدائن كِسرى، فوقفتُ وقلت:

جرتِ الرياح على رسوم ديارهم فكأنّما كانوا على ميعادِ

وأرى النّعيم وكلَّ ما يُلهىٰ به يوماً يصير إلى بِلىٰ ونفادِ

قال: هلاّ قلت أحسنَ من هذا؟! قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُروعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾، يابن أخٍ، هؤلاء كفروا النِّعمَ، فنزلت بهم النِّقَمُ[1].

٣٨٩. كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَمُنْتَظِرٌ غداً لَا يَبْلُغُهُ[2].

أرادَ كم من أحدٍ استقبَلَ يوماً؛ أي: أقبلَ عليه. يُقال: استقبلتُ الأمر إذا أقبلتَ عليه في أوّله[3]، وكَمْ على ضربين: أحدهما استفهاميّة؛ نحو قولك: كَم يوماً صُمت؟ وكم فرسخاً سِرت؟ والثاني خبريّة، ومعناها الإخبار عن الكثرة؛ كقولك: كَمْ رجلٍ لقِيتُه! وكَمْ قِرْنٍ قتلتهُ! وهذا الضّرب يُستعمل في الأكثر مع مِن؛ كقوله: وكَم من مَلِكٍ، وكَمْ من قريةٍ، وهي نقيضة رُبّ[4].

(١) الأغاني ١٣: ١٥. تاريخ بغداد١: ١٤٣. المستدرك على الصحيحين٢: ٤٤٩، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشّهاب١: ٣٤٥، قطعة من ح٥٩٣، عن ابن عمر. قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ٥٦، ح٥٨. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٤، ح١٠، عن عون بن عبدالله بن عتبة. الأمالي للطوسي: ٥٢٦، قطعة من ح١١٦٢، عن أبي ذرّ.

(٣) أُنظر: النهاية٥: ١٠ (قبل).

(٤) أُنظر: علل النحو: ٤٠٣/ باب كم.

قال الشاعر:

وكم رأينا هناك من بطلٍ تَسفي عليه الرِّياحُ في لممهْ![1]

ومعنى الخبر: الوعظ والتخويف بانقلاب الدّهر، والزّجر عن طول الأمل، وكَم رأينا في زماننا هذا؟! دَع ما سمعنا من أخبار الأُوَل!

قال بعض الصالحين: رأيت في النّوم يحيى بن خالد البرمكيّ ـ وهو إذ ذاك وزير ـ قائماً في الجانب الغربيّ من بغداد، ورجلٌ ينشد في الجانب الشرقيّ:

كأن لم يكن بين الحَجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسمُر بمكّةَ سامِرُ

فأجابه يحيى بن خالد:

بلىٰ نحن كنّا أهلَها فأزالنا صُروفُ اللّيالي والجُدود العواثرُ

فما أتى عليهم بعد ذلك إلّا أربعون يوماً حتّى نُكِبوا[2].

قال هشام بن الكلبي: لمّا فتح خالد بن الوليد عين التمر، سأل عن بنت النعمان بن المنذر، فقيل: هي مترهّبة في دَير كذا، فأتاها وسلّم عليها، وقال لها: كيف كانت حالكم؟ قالت: أُجْمِلُ أم أُفصِّل؟ قال: بل أجمِلي، فقالت: لقد طلعتِ الشمس وما حول الخَوَرنَق[3] والسَّدير[4]

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٢٣.

(٢) أُنظر: الإمامة والسياسة ٢: ٢٢٣. العقد الفريد٥: ٣١٨. والبيتين نسب لعمرو بن الحارث بن مُضاض في: التذكرة الحمدونية ٦: ٤٣. والأغاني ١٥: ١٧، وللحارث بن مُضاض الجُرهُميّ في الغيبة للطوسي: ١١٧.

(٣) الخَوَرنَق كسفرجل: قصر كانت للنعمان. أُنظر: الأغاني ٢: ٤٢٣.

(٤) هو نهر، ويقال قصر، معجم البلدان٣: ٢٠١.

أحدٌ إلّا تحت أيدينا، ثمّ غرُبَت وقد رَحِمَنا مَن كان يغبطنا على مُلكنا، ثمّ أنشأت تقول:

بَيْنا نَسوس النّاسَ والأمرُ أمرنا إذا نحن فيهم سوقَةٌ نتنصّفُ

فأُفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها تُقلِّب تاراتٍ بنا وتُصرِّف![1]

وهي حُرَقةُ بنت النعمان بن المنذر بن ماء السّماء، ملك العرب[2].

وعن الأصمعي قال: حدّثني مَن أثق به قال: غزونا البحر سنةً، فمالت بنا السفينة إلى جزيرة، فإذا قصر شاهق وعلى القصر بابان وإلى جنبه قبرٌ وبين القصر والقبر فسيلٌ لم أرَ شيئاً أحسن منه، وعلى القبر مكتوبٌ:

يؤمِّل دنيا لِتَبقى له فمات المؤمّل قبل الأملْ

وبات يُروّي أصول الفسيلْ فعاش الفسيل ومات الرّجلْ[3]

وعلى وجه القصر مكتوبٌ:

وفتىً كأنّ جبينه بدر الدّجى قامت عليه نوائحٌ وروامسُ

غَرَس الفسيلَ مُؤمّلاً لبقائه فبقَى الفسيل ومات عنه الغارسُ[4]

---

(١) تنبيه الخواطر ٢: ٥٩٩. الزهد لابن أبي الدنيا: ١٦٧، الرقم ٣٦٦. التبصرة لابن الجوزي: ٢٧٦، وفي صدرهما: دخلت حُرَقةُ ابنة النعمان بن المنذر على معاوية بن أبي سفيان. التذكرة الحمدونيّة ٩: ٢٠٨، باختلاف يسير.

(٢) إكمال الكمال ٢: ٤٠٩.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٣٢٩. تاريخ بغداد ١٢: ١٩٣. حلية الأولياء ٢: ٣٨٣.

(٤) العقد الفريد ٣: ٢٤٢.

قال: فبكيتُ ساعةً على الغارس حيث لم يبلغ أملَه[١].

٣٩٠. عَجِبْتُ لِغَافِلٍ وَلَا يُغْفَلُ عَنْهُ[٢].

الغفلة: السّهو[٣]، وهي ترجع إلى انتفاء العلم، ولو كانت معنىً، لكانت ضدّاً للعلم؛ كأنّ الإنسان جُبِل على الغفلة وطول الأمل، فلا يَعتبر بعِبرة ولا يتّعظ بوعظٍ، فلا له من عقله زاجرٌ ولا بصلاحه آمرٌ، فهو كالغنم ترعى؛ فإذا اختطف الذئب واحدةٍ منها، أمسكتْ ريثَما غاب عنها، ثمّ عادت إلى الرّعي، فنظم هذا المعنى بعض الشعراء، فقال:

نُـــراعُ إذا الجنـــائز قابلتْنـــا   ونلهـو حـين تُعـرِضُ مُـدبِراتِ

كَرَوعـــة ثُلّـــة لِمُغـــار ذئـــبٍ   فلمّـا غـاب عـادت راتِعـاتِ[٤]

(١) ذكر بتفصيله في: تنبيه الخواطر٢: ٤٤٧. المنازل والديار: ٧٠، باختلاف.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٤٦، قطعة من ح٥٩٤. الفوائد لتمام الرازي١: ٢٥١، قطعة من ح٦١٢. الأمالي للمفيد: ٧٥، قطعة من ح٩، عن عبدالله بن مسعود.

(٣) العين٤: ٧١ (سهو). المفردات: ٦٠٩ (غفل).

(٤) البيان والتبيين: ٤٨٦. عيون الأخبارلابن قتيبة٣: ٧١. تاريخ دمشق٤٠: ٢٠٠ و٤١: ٤١٠، وفيه عن **الإمام الباقر**ﷺ: «كان أبي علي بن الحسين إذا مرّت به جنازة يقول: نُراع إذا الجنائز قابلتْنا... »

والشاعر: عروة بن أُذَينةَ الكنانيّ، وأذينة لقبه، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث، شاعر وفقيه ومحدّث، ويكنّى عروة بن أذينة أبا عامر، وهو شاعرُ غزلٍ مقدّمٌ من شعراء أهل المدينة، وهو معدود في الفقهاء والمحدّثين. أُنظر: الأغاني ١٨: ٤٦٨. نُراع: نخاف. مُغار:

وعن الأصمعيّ قال: خطب عبدالله بن الحسن العنبري، فقال في خطبته:

أين الملوك التي عن حظّها غفلتْ حتّى سقاها بكأس الموت ساقيها
تلك المدائن والآفاق خاليةٌ عادت خراباً وذاق الموتَ بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودُورنا لخراب الدّهر نبنيها[١]

ولأبي العتاهية:

يا غافلاً يُنذَر بالصوت لم تأخذ الأُهْبةَ للفَوت
من لم تَزُل نعمتُه قبله زال عن النعمة بالموت[٢]

أخذه من قول **أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** : «**بَشِّرْ مَالَ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِث**»[٣].

مصدر ميمي من أغار يُغير؛ بمعنى الإغارة.

(١) لم نعثر على ما روى الأصمعي عن عبدالله بن الحسن العنبري. روى الديلمي الأبيات في ضمن رواية عن الإمام الحسين في إرشاد القلوب ١: ٢٩. والعنبري القاضي من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً يروي عن جماعة من التابعين، مات في ولاية هارون. أُنظر: الثقات ٧: ١٤٣.

(٢) تنبيه الخواطر٢: ٦٠٠. الأغاني ٤: ٢٩٦، باختلاف يسير. أُنظر: القبور لابن أبي الدنيا: ١٨٣/ الرقم٢٤٠. المجالسة وجواهر العلم٢: ٢٨.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٣٧٥. عيون الحكم والمواعظ: ١٩٥. البخلاء للخطيب البغدادي: ٢٢٢/ الرقم٣١٢، عن عبدالله بن المعتز.

٣٩١. وَعَجِبْتُ لِضَاحِكٍ مِلْ ءَ فِيهِ وَلَا يَدْرِي أَأَرْضَى اللهَ أَمْ أَسْخَطَهُ؟![1].

بيّنّا أنّ الضّحك تفتُّح يظهر في الوجه لسرورٍ في القلب، أو عَجب يَحدُث، وقوله: «مِلْءَ فيهِ» انتصابه على الظرف، ويجوز أن يكون صفةَ مصدرٍ محذوف؛ أي: ضحكاً يملأ فاه، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال؛ كأنّك قلت: مالئاً فاه، ويجوز أن يكون من باب أرسلها العِراكَ؛ أي أرسلها تعترك العِراكَ؛ أي معترِكةً العراكَ المخصوص[2]، وبيّنّا معنى السّخط والرِّضا وأنّهما من باب الإرادة، ومعناه معنى الحديث الذي قبله؛ فإنّ الرّجل الضاحك بمِلْءِ فيه لا يُبالي برضا الله وسخطه، وإنّما يكون ذلك من غَفلته وقلّة فكره في الأمور الدينيّة.

٣٩٢. يَا عَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ، وَهُوَ يَسْعى لِدَارِ الْغُرُورِ![3].

بنو طيّءٍ يقولون: غلاما ودارا في الإضافة إلى نفس المتكلّم في قولنا:

---

(١) مسند الشّهاب١: ٣٤٦، قطعة من ح٥٩٤. الفوائد لتمام الرازي١: ٢٥١، قطعة من ح٦١٢. الأمالي للمفيد: ٧٥، قطعة من ح٩، عن عبدالله بن مسعود.

(٢) أُنظر: المقتضب٣: ٢٣٧. كتاب سيبويه١: ٣٧٢. المخصص، السفر الرابع عشر ٢٢٧.

(٣) مسند الشّهاب١: ٣٤٧، قطعة من ح٥٩٥، عن أبي جعفر عبدالله بن مسور الهاشمي. الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٨، ح١٤، عن عمرو بن مرة. المحاسن١: ٢٤٢ / كتاب مصابيح الظلم، قطعة من ح٢٣٠، عن أبي النعمان، عن الإمام الباقر.

غلامي وداري، ووافقها العرب في عجبا ولَهْفا وحسرتا[١]، ولا يجوز أن يكون وقفاً على المنصوب المنوّن؛ كقولهم: رأيت زيداً؛ لأنّه نكرة والنكِرَة لا تؤكَّد بالمعرفة، فالمعنى إذاً: يا عَجَبي! كأنّه ينادي عجبه ويدعوه ويقول له: تعالِ؛ فإنّ هذا موضعك وأوانك، وهو غاية في المبالغة.

ومعنى الحديث: أنّه قال: عَجِبتُ لِمن يؤمن بالجنّة والثّواب الباقي، وهو يسعى للدّنيا وحُطامها الفاني؟! وهو موضع التعجّب، إلّا أنّ هذا لمّا صار معتاداً بين الناس لقلّة الديانة والمبالاة، خرج عن التعجّب.

٣٩٣. عَجَباً لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرْضى بِقَضَاءِ اللهِ؛ فَوَاللهِ لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ[٢].

المعنى: عَجَبي للمؤمن في ترك الرِّضا بقضاء الله! ثمّ أقسم أنّ الله لا يقضي له قضاءً إلّا كان خيراً له؛ وذلك لأنّ الله تعالى عالمٌ بالعواقب والمصالح، ولا يختار للمؤمن في قضائه إلّا ما كان خيراً له. وترك الرّضا بقضاء الله يخالف الإيمان، ثمّ إنّ العبد إذا لم يرضَ بقضاء الله، يفعل ماذا؟! فرضاه وغضبه سِيّانِ[٣] في هذا الباب، إن رَضي بقضاء لله، جرى

(١) أُبدل عن الياء والكسرة بالألف والفتحة؛ لأن الفتح والألف أخفّ من الياء والكسرة. تفسير الرازي١٨: ٢٧.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٤٨، ح٥٩٦. مسند ابن حنبل٣: ١٨٤. صحيح ابن حبّان٢: ٥٠٧. جزء ابن عاصم٨٥، ح١٠، عن أنس بن مالك.

(٣) هما سِيّانِ، أي: مثلان. العين٧: ٣٢٥. المصباح المنير٢: ٣٠٠ (سوو).

عليه القضاء وهو مأجور، وإن لم يرضَ بقضاء الله، جرىٰ عليه القضاء وهو مأزور. وقيل في المثل: القضاء كائن، والهمّ فضل[(١)]، أمّا الهمّ، فلا يُؤخذ به المهمومُ كأنّه كالمُلجأ إليه، أمّا الرّضا به والسّخط له، فهما من فعله: يُثاب عليهما ويُعاقب.

وفي كتب الأوائل عن الله ﷻ: **«مَن لم يَرضَ بقضائي ولم يشكر نَعمائي ولم يصبر على بلائي، فليطلبْ ربّاً سِوائي»**[(٢)].

ولقد أحسن في قوله أبو جعفر الزَّوزَنيُّ، المُلقَّب بالبارع في قوله:

إلى أيّ حينٍ أستريح وأتعبُ ... أُغالبُ مقدورَ القضاء وهْو أغلبُ

أُحاولُ أمراً لم أكن لِأَنالَه ... وأطلبُ شيئاً وهْو عنّي مُحجَّبُ

فيوماً بلادُ الغرب مَنجىٰ ركائبي ... ويوماً إلى أقصى المشارقِ أذهبُ

تُقلّبني في الأرض شرقاً ومغرباً ... مَطامعُ لم يعثِر عليهنّ أشعبُ

وأدَّبَني مَرُّ اللّيالي وصرفها ... ومَن ذا على الأيّام لا يتأدّب؟!

فإن كنت لم تَلقَ العُذَيقَ مُرَحَّباً ... فها أنا ذا ذاك العُذَيقُ المرحّبُ

يقولون إنّ المال عنقاءُ مغربٍ ... لِذي الفضل فاقنَعْ تسترِحْ قلت: فاقلِبوا

---

(١) المنتحل: ١٠٢. ربيع الأبرار٤: ٢٤٥، وفيهما:

الهمّ فضل والقضاء غالب ... وكائن ما خُطَّ في اللوح.

(٢) المعجم الكبير٢٢: ٣٢٠، عن أبي هندٍ الداريّ. الاقتصاد: ٥٥. بحار الأنوار٩١: ٢٢٥، عن الإمام الصادق نقلاً من كتاب الدعاء لسعد بن عبد الله.

إذا أنـا لـم أقنـع فمـا أنـا صـانعٌ وما لِامرئٍ عمّا قضى اللهُ مذهبُ[١]

٣٩٤.اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ؛ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا حِرْصاً، وَلَا تَزْدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بُعْداً[٢].

المراد بالسّاعة: القيامة[٣]، قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٤]، حِرص الناس على الدنيا كأنّه جِبِلّيٌّ، وليس كذلك، بل لطول غفلتهم، وقلّة فكرهم في العواقب، وترك احتفالهم بما يرون مِن تقلّب الدّهر بأهله، كأنّهم لم يسمعوا الله يقول: ﴿اِعْلَمُوا أَنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾[٥] الآية.

قال بعض العلماء: لَعِبٌ كلعِب الصِّبيان، ولهوٌ كلهْو الشُّبّان، وزينة كزينة النِّسوان، وتفاخر كتفاخر الأقران، وتكاثرٌ في الأموال والولدان[٦]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ﴾، ثمّ لا يبقى ثَباتُه، ﴿ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً﴾ بعد ما كان مُؤنِقاً مُخْضَرّاً، ﴿ثُمَّ يَكونُ حُطاماً﴾ بعد ما كان رُكاماً،

---

(١) أُنظر بعض الابيات: روض الجنان ١٨: ١٠٥ و١٠٦، سورة الذاريات.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٤٩ ، ح٥٩٧. العقوبات لابن أبي الدنيا: ١٨٦، ح٢٨٦. الزهد لابن أبي عاصم: ١٢٥، ح٢٥٠. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٢٣ ، عن عبدالله بن مسعود.

(٣) المفردات: ٤٣٤ (ساعة).

(٤) سورة القمر٥٤: ١.

(٥) سورة الحديد٥٧: ٢٠.

(٦) تفسير الثعلبي٩: ٢٤٤. غرائب التفسير١: ٣٦٥.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، في نارٍ قعرها بعيد، وحرّها شديد، وحُلِيُّها حديد، وشرابها صديد، ولم يتفكّروا في قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ـ إلى قوله ـ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾[1].

وعن أنس، قال: قال **رسول الله**ﷺ: «**إذا كان يومُ القيامة، يُؤتىٰ بأقوامٍ لهم حسناتٌ كأمثال الجبال، فيُؤمَر بهم إلى النّار**»، وقالوا: أمُصَلّون يا **رسول الله**؟ قال: «**كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون وهْناً من اللّيل، فإذا رأوا من الدنيا شيئاً، وثِبوا عليه**»[2]، وكان **أمير المؤمنين**عليه السلام كثيراً ما يتمثّل بهذا البيت:

ومَن يصحَبِ الدنيا يكنْ مثل قابضٍ على الماء خانتْه فروج الأصابع[3]

وكان **الحسَن** يتمثّل بهذا البيت:

اليومَ عندك دَلُّها وحديثُها وغداً لغيرك كَفُّها والمِعْصَمُ[4]

وقال آخر:

إنّما الدنيا متاع ليس للدُّنيا ثبوت إنّما الدنيا كبيتٍ نسجتْه العنكبوت[5]

---

(١) سورة يونس١٠: ٢٣.

(٢) الزهد وصفة الزاهدين: ٦٩، ح ١٣١. قوت القلوب ١: ٤٧١. الفردوس٥: ٤٩٨، ح ٨٨٧٥.

(٣) ربيع الأبرار١: ٤٧. الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٢٢/ لرقم٥١٥، نسبه للحسين بن عبد الله. جَمهَرة الأمثال ٢: ١٤٨، من دون ذكر تمثّله بها.

(٤) الأمالي للسيّد المرتضى١: ١١١. دلائل الإعجاز: ١٣. التذكرة الحمدونية١: ٢٣١.

(٥) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّعليه السلام: ٦٤. ثمار القلوب: ٤٣٣. تاريخ بيهق: ٥١٤، وفيها (فناء، عناء، بلاء) بدل (متاع) على ترتيب المصادر.

وكان السفيان الثوريّ يقول: الدنيا دار الْتواءٍ لا دار استواء، ومنزل ترَح لا منزل فرح، مَن عرفها، لم يفرح برَخائها، ولم يَحزن لشَقائها[١].

ولبعضهم:

هـي الـدنيا تقـول بِمِـلْء فِيهـا   حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي!

ولا يغـرركمُ حُسـن ابتسـامي   فقولي مضحك والفعل مبكي[٢]

وقال ﷺ لجرير حين أسلَم: «**يا جرير، أُحذّرك الدنيا وحلاوة رضاعها لمرارة فِطامها**»[٣].

وإنّ امـرءاً دنيـاه أكـبر همّه   لَمستمسكٌ منها بحبل غرور[٤]

ولأبي العتاهية:

أصـبحتِ الـدنيا لنـا عِبـرةً   فالحمـد لله علـى ذالكـا

اجتمـع النـاس علـى ذمّهـا   ومـا أرى مـنهم لهـا تاركـا[٥]

---

(١) قوت القلوب ١: ٤٦٧. التذكرة الحمدونية١: ٥٢. المنازل والديار٦٥، عن ابن عمر، باختلاف يسير.

(٢) يتيمة الدّهر٣: ٤٥٨. اللطائف والظرائف: ١٨. والشاعر: أبو الفرج السّاويّ.

(٣) تاريخ المدينة٢: ٥٦٨. الأحاديث الطوال: ١٨، ح ٣. الفردوس٥: ٤٠٩، ح ٨٥٧٦، عن ابن عبّاس.

(٤) الهواتف: ٦٧/ الرقم٨٨ وفيه: عن محمّد بن أنس الأسدي. المحاسن والأضداد: ١٦٦. غريب الحديث للخطابي٢: ٥٦٤. علماً بأن الصحيح (أبرق العَزّاف) وليس (أبرق العراق)، فهو مصحّف. راجع: معجم البلدان للحمويّ ١: ٦٨ و٤٥٠.

(٥) العقد الفريد٣: ١٢٤، باختلاف يسير. التعازي: ٢٩٢. التمثيل والمحاضرة: ٢٥١ لم ينسب لأبي العتاهية.

ولآخر:

نـــذمّه ثـــمّ نهـــواه ونطلـــبه يا حُسنَ ذا المثل المحبوب مسبوبُ[١]

كما قيل في المثل: كالشعير يُؤكَل ويُذمّ[٢]، وكان الشعبي يقول: ما شبّهت الدنيا إلّا ببيت كُثيّر:

أسيئي بناء أو أحسِني لا ملومةٌ لدينـــا ولا مَقلـــيّةٌ إن تقـــلّت[٣]

وقال آخر:

إذا امتحن الدّنيا لبيبٌ تكشّفت له عـــن عـدوّ فى ثياب صـديق[٤]

ولآخر:

أراها وإن كـانت تحـبّ كـأنّها سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشّعُ[٥]

ولآخر:

وألــتذّ ما أهــواه والموت دونه كشاربِ سمٍّ في إناء مُفضَّضِ[٦]

وما قيل في ذلك لا يُحاطُ به.

---

(١) روض الجنان٣: ١٣٣. وفيه (يا صدقَ) بدل (يا حُسنَ).

(٢) جَمهَرة الأمثال ٢: ٤٢٥. العقد الفريد٣: ٧٠. مجمع الأمثال١: ٣٧٩.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٣٥٦. العقد الفريد٣: ١٢٥.

(٤) الشعر والشعراء ٢: ٨٠٥. العقد الفريد٣: ١٢٣. الأمالي للسيّد المرتضى١: ١٢٠ والشاعر أبو نواس.

(٥) ذمّ الدنيا: ١١٤/ الرقم٢٤٠. التذكرة الحمدونية١: ١٦٧. تاريخ مدينة دمشق٤٣: ٤٩٧، نسب فيها لعِمران بن حِطّان وهو ابن ظَبيان بن لَوْذان، من شعراء الشُّراة [أي: الخوارج]، أُنظر: الأغاني ١٨: ٣٣٠.

(٦) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في الأخلاق لماوردي: ٢٦. روض الجنان٥: ١٩٦.

٣٩٥. يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ، ويَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ[١].

الهَرَم: غاية أمد الشّيب، والوصف منه هرِم[٢]، و**اثنتان** صفة موصوف محذوف؛ يعني خصلتان اثنتان، و**الحرص** جِدُّ المرء في أمرٍ من الأمور مع شَرَه وتَوَقان[٣] إليه، و**العمر** مدّة حياة الإنسان، يُقال: عُمِّر الرّجلُ إذا طال عمرُه، وعمّره الله تعميراً[٤]، و**المال** كلّ ما يُتَملّك ويُنتفع به[٥]، والحرص عليها لا يكون إلّا لحبّ الدنيا، والغفلة عن الآخرة، وقلّة التأمّل في أحوال المعمّرين؛ فإنّهم وإن عُمِّروا، صار عاقبتهم إلى الزوال.

وروي: أنّ **نوحاً**عليه السلام عاش ألفي سنة وخمسمئة سنةٍ[٦]، فلمّا دَنَت

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٤٩ ، ح٥٩٨. صحيح مسلم٣: ٩٩. سنن الترمذي٣: ٣٩٠ / باب ما جاء قلب الشيخ شاب على حب اثنتين، ح٣٤٤٢. الخصال: ٧٢ ، ح١١٢ ، عن أنس.

(٢) أُنظر: النهاية٥: ٢٦١. المصباح المنير٢: ٦٣٧ (هرم).

(٣) تاقت نفسُه إلى الشّيء تَتوق تَوْقاً وتُؤوقاً وتَوَقاناً: اشتاقت ونازعتْ إليه. المصباح المنير٢: ٧٨ (توق).

(٤) المصباح المنير٢: ٤٢٩ (عمر).

(٥) الْمالُ في الأصل: ما يُملَك من الذهب والفضّة، ثمّ أُطلِق على كلّ ما يُقتنىٰ ويُملك من الأعيان. وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثرَ أموالهم، النهاية٤: ٣٧٣ (مول).

(٦) روى الكليني بإسناده عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا، عن **أبي عبدالله**عليه السلام قال: «**عاش نوح ألفي سنة وثلاث مئة سنة، منها ثمان مئة وخمسون سنة قبل أن يُبعث، وألفُ سنة إلّا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وخمس مئة عام بعد ما**

وفاتُه، قال له ملِك الموت: يا شيخَ الأنبياء، كيف وجدتَ الدنيا؟ قال: **«كَبَيتٍ لَهُ بَابَانِ: دَخَلتُ مِن أَحَدِهِمَا وَخَرَجتُ مِنَ الآخِرِ»**(١).

وقال بعض المعمّرين:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وعَمَرتُ من بعد السّنين مِئينا

مائةٌ أتت مائتان لي من بعدها وازددتُ من عدد الشّهور سنينا

هل ما بقي إلّا كما قد فاتنا يومٌ يَكرّ وليلةٌ تحدونا(٢)

نزل من السفينة ونضب الماءُ، فمصّر الأمصارَ، وأسكن ولدَه البلدان»، «ثمّ إنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك، فردّ عليه نوح و قال: ما جاء بك يا ملَكَ الموت؟ قال: جئتك لأقبض روحك، قال: دعني أدخلْ من الشمس إلى الظّلّ، فقال له: نعم، فتحوّل. ثمّ قال: يا ملك الموت، كلّ ما مرّ بي من الدنيا مثل تحويلي من الشمس إلى الظلّ، فامضِ لما أُمِرت به، فقبض روحه»، الكافي٨: ٢٨٤، ح ٤٢٩. الأمالي للصدوق: ٦٠٢، ح ٨٣٦، وفي سنده (هشام بن سالم) بدل (بعض أصحابنا).

(١) العقد الفريد٣: ١٢٠. الكامل في التاريخ١: ٧٣. مصباح الشريعة: ١١٤، باختلاف يسير.

(٢) الغيبة للطوسي: ١١٥. الأمالي للسيد المرتضى١: ١٧٠. التذكرة الحمدونية٦: ٣٣، نسب فيها لمستوغر بن ربيعة. من المعمّرين وهو عمرو بن ربيعةَ بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ، قيل إنّه أدرك الإسلام أو كاد يدرك أوّلَه، ونسبه إلى تميم، وبقاؤه إلى الإسلام أو قبله يدلّ على طول بقائه. قيل إنه عاش ثلاثمئة وعشرين سنة. سمّى المستوغر لقوله فى فرس:

ينشّ الماء فى الرَّبَلات منها نشيشَ الرّضْف فى اللَّبن الوغير.

أُنظر: التذكرة الحمدونية٦: ٣٣. الشعر والشعراء١: ٣٧٢.

وقال آخر:

إذا عاش الفتى مأتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاءُ[١]

وقال آخر:

حنثْني حانيات الدّهر حتّى كأنّي خاتل أدنو لصيدِ
قصيرَ الخطو يَحْسَبُ مَن يراني ـ ولستُ مقيّداً ـ أنّي بقيدِ[٢]

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت [عن أبيه][٣] قال: عاش حسّانُ بن ثابت مائةً وأربعين سنين، وعاش أبوه مائة وأربعين سنين، وعاش المنذر جدّه مائة وأربعين سنة، وعاش حزام جدّ أبيه مائةً وأربع سنين، وكان عبد الرحمن حسّان إذا حدّثنا [بهذا الحديث][٤] اشرأبّ[٥]

(١) غريب الحديث لابن سلّام٤: ٢٨٩. المقتضب٢: ١٦٩. كمال الدين وتمام النعمة: ٥٥٠، نسب فيه لرَبيع [أو رُبَيع] بن الضَّبُع الفَزاريّ وهو من المعمّرين، ورد على عبد الملك بن مروان ونقل له بعض أحواله وأشعاره. ومما قال له: عشت مائتي سنة في فترة بين عيسى ومحمّد، وعشرين ومائة سنة في الجاهلية، وستين سنةً في الاسلام.

(٢) العمر والشيب لابن أبي الدنيا: ٧٢/ الرقم٧٠. معاني القرآن للفراء: ٢٣٠. الغيبة للطوسي: ١٢٠، والشاعر: أبو الطمحان القَيْنيّ، واسمه حنظلة بن الشّرقيّ، أحد بني القَين بن جَسْر بن شِيْع الله، من قضاعة. وكان أبو الطَّمحان شاعراً فارساً خارباً [أي: لِصّ مفسد] صُعلوكاً، وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدّين فيهما كما يذكر. وكان تِرْباً للزّبير بن عبد المطّلب في الجاهلية ونديماً له. اُنظر: الأغاني ١٣: ٥.

(٣) أضفناه من المصادر ليستقيم الكلام.

(٤) أضفناه من المصادر ليستقيم الكلام.

(٥) اِشْرأَبّ الرجلُ، إذا رفع عنقه لينظر، العين٦: ٢٥٨ (شرب).

إليها وثنى يده على ذلك، فمات وهو ابن ثمان وأربعين سنة[١].

قيل: دخل الخليل بن أحمد على يزيد بن حاتم المهلَّبيّ[٢] وقد احتُضِر، فأنشأ يقول:

عِش ما بدا لك قصرك الموتُ ... لا مَرحَلٌ عنهُ ولا فَوتُ

بيْنا غِنىً بيتٍ وبهجتُه ... زال الغِنىٰ وتَقَوّض البيتُ

بل ليت شعري ما يراد بنا؟! ... ولَقلّما يُجدي غدا «ليت»[٣]

وقد رويت هذه الأبيات **لأمير المؤمنين عليّ**عليه السلام[٤].

وعن عليّ بن يقطين، قال: رأى المهديُّ في النوم شيخاً يقول:

كأنّي بهذا القصر قد بادَ أهلُه ... وأوحش منه رَبْعُه ومنازلُهْ

وصار عميد القوم من بعد بهجةٍ ... ومُلكٍ إلى قبرٍ عليه جَنادلُهْ

ولم يبق إلّا ذكره وحديثه ... ينادي بويلٍ مْعْولاتٍ حلائلُهْ

(١) الزهد الكبير للبيهقي: ٢٤٧/ الرقم٦٤٦. تاريخ دمشق٣٤: ٣٠١. المنتظم٥: ٢٣٣.

(٢) يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب ابن أبي صُفْرة الأَزْدي المهلَّبيّ البصري، قدم دِمَشقَ صحبةَ المنصور، ووجّهه منها والياً على المغرب، ووُلّي مصرَ للمنصور في النصف من ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة إلى أن صرفه عنها في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة، ووُلّي المغربَ للمنصور والمهديّ والهادي وبعضِ أيام الرشيد. أُنظر: تاريخ مدينة دمشق٦٥: ١٣٨.

(٣) البيان والتبيين: ٤٧٨. عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٢٧. المجالسة وجواهر العلم٤: ٢٨٣، باختلاف في البيت الأوّل ولم يذكروا البيت الثالث. والقصر: الغاية.

(٤) المعجم الكبير١: ٩٦، ح ١٦٧، عن عوانةَ بن الحكم.

ثمّ قال: فما مكث بعد ذلك إلّا عشْراً حتّى مات[١].

وعن إسماعيل بن ذكوانَ، قال: لبس سليمان بن عبدالملك ثياباً حُمْراً رِقاقاً، وكان جميلاً بهيّاً، وكانت له جارية قبطيّة قائمة على رأسه، فكأنّ نفسه أعجبتْه، فقال لها: كيف ترين هذه الهيئة؟ فقالت:

أنت نعم المتاعُ لو كنت تبقىٰ — غيـر أنْ لا بقـاء للإنسـان
أنت خِلْوٌ من العيوب وممّا — يَكره الناسُ غير أنّك فاني[٢]

وأمّا الحرص على المال، فالعاقل يعلم أنّ المال إذا زاد على الكفاف لا يكون على صاحبه إلّا وبالاً، فهو في ماله على أحد حالين؛ إمّا زوال، وإمّا وبال، في حلاله حساب، وفي حرامه عقاب[٣].

وقال بعض الحكماء:

دَع الحرص على الدنيا — وفي العيش فلا تطمعْ
ولا تجمع من المال — فلا تدري لِمن تجمعْ
فإنّ الرزق مقسومٌ — وسوء الظنّ لا ينفعْ

---

(١) تاريخ الطبري٦: ٣٩٣. مروج الذهب٣: ٣٢٣.

(٢) الأغاني ١٠: ٣٧٤. بلاغات النساء: ١٠٣. البيان والتبيين: ٤٥٧ باختلاف يسير.

(٣) قال **الإمام عليّ** عليه السلام: في صفة الدنيا: «**ما أصِفُ من دار أوّلها عَناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنىٰ فيها فُتِن، ومن افتقر فيها حَزَن، ومن ساعاها فاتتْه، ومن قعد عنها واتتْه، ومن أبصر بها بصّرتْه ومن أبصر إليها أعمتْه**». نهج البلاغة/ الخطبة٨٢.

فقيـــرٌ كـــلّ ذي حـــرصٍ غنـــيٌّ كـــلّ مَـــن يقنـــعْ[١]

٣٩٦. جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا[٢].

جُبِلَت: أي طُبعت، والجِبِلّة والطبيعة والخليقة والسّجيّة والغريزة واحدة[٣] كلّها فعيلة بمعنى مفعولة، وهذا ممّا يجده العاقل من نفسه ضرورة؛ فإنّه مُلجَأ إلى حبّ المحسن إليه وبُغض المسيء إليه، وإلى هذا أشار بقوله: «**جُبِلَت**»؛ فإنّ المجبول لا يمكنه أن يتغيّر عمّا جُبِلَ عليه، والإحسان كلّ نفعٍ حَسن يوصَل إلى الغير مبتدأً من غير استحقاق، والإساءة نقيضه، غير أنّ الإساءة ربما تكون مستحقّة وتكون مبتدأة من غير استحقاق، فأمّا الإحسان، فلا يكون إلّا مبتدأً.

وروي أنّ بعض أولاد الصحابة على عهد **موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب** عليهم السلام كان يعادي **موسى بن جعفر** ويبغضه ويسبّه، وإذا مرَّ به، كان يلعنه وأباه، فقال له غلمانه ومواليه: دَعنا نقتلْ هذا الملعون، فقال عليه السلام: «**أنا أقتله**»، فخرج ذاتَ يومٍ

---

(١) جامع الأخبار للشعيري: ١٠٨، عن **رسول الله** . الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ : ١٠٩، باختلاف يسير. عقلاء المجانين: ٧٤، فيما أنشده بهلول.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٥٠، ح٥٩٩. الأمثال لأبي الشيخ١: ٩٥، ح١٦٠، عن عبدالله بن مسعود. من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨١، ح٥٨٢٦. الكافي٨: ١٥٢ / ح١٤٠، عن علي بن حديد، عن بعض أصحابنا، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: النهاية١: ٢٣٦. العين٦: ١٣٧ (جبل).

وطلبه، فقيل: إنّه في ضَيعةٍ له على سواد المدينة، فركب بغْلته وتبعه إلى ضيعته، فوجده يَحرُث أرضه، فدخل أرضه ببغلته وكان الرّجل يقول: أفسدتَ أرضنا، فلمّا دنا منه، سلّم عليه، فردَّ السّلام ببغضٍ وكراهة، فجلس عنده وباسَطه، وقال له: «**كم ترجو في حرثك هذا؟**» قال: ما رَزَقني الله، قال: فأخذ موسى عليه السلام من غلامه صُرّةً فيها ثلاثمئة دينارٍ حُمْر، فدفعها إليه وقال: «**خُذ هذه وهب لي أبي وجدّي مما أساءا إليك**»، فلمّا رأى ذلك، وقع بين يديه في الأرض، وجعل يقبّل يده ورِجله، ويعتذر إليه ممّا كان منه، وانصرف موسى ، فلمّا رآه بعد ذلك في السّوق، وثِبَ وسلّم عليه وقال: السلام عليك يابن رسول الله! أشهدُ أنّك من أهل بيت النبوّة ومعدن الرِّسالة ومهبِط الوحي ومُختلَف الملائكة، لعَن الله مَن أبغضكم ولم يعرف حقّاً جعله الله لكم! فقال الناس: ما رأيناك تقول هذا بالأمس؟! فقالَ: رأيتُ مِن حلمه وكرمه ما دلّني على أنّه من شجرة النبوّة ودوحَة الرّسالة[1].

ولذلك قيل في المَثَل: بالبِرّ يُستَعْبَدُ الحُرّ[2][3].

---

(١) الإرشاد ٢: ٢٣٣. تاريخ بغداد ١٣: ٢٨. مقاتل الطالبيين: ٤٩٩.

(٢) روي عن الإمام عليّ في: المناقب للخوارزمي: ٣٧٥، ح ٣٩٥. عيون الحكم والمواعظ: ١٨٥، ح ٣٧٤٦ و٦١، ح ١٥٨٢ وفيه: (الإنسان عبد الإحسان).

(٣) أنشد أبو الفتح البُستيّ لنفسه:

أحسِن إلى الناس تَستعبِدْ قلوبَهُمُ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

طبقات الشافعية الكبرى ٥: ٢٩٥.

٣٩٧. جَفَّ الْقَلَمُ بِالشَّقِيِّ وَالسَّعِيدِ وَفَرَغَ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنَ الْخَلْقِ، وَالْخُلُقِ، وَالأَجَلِ، وَالرِّزْقِ[(١)].

معنى قوله: «جَفَّ الْقَلَمُ»؛ أي: كُتب في اللّوح المحفوظ وفُرِغ منه، تشبيهاً بمَن كتب كتاباً وفرغَ منه ووضع القلم من يده فجفّ.

المعنى أنّه كُتب اسمُ من كان في سابقِ علم الله سعيداً أو شقيّاً بسعادته وشقاوته، وإنّما كُتب ذلك لِما عَلِم الله منهما، وأنّهما يكونان كذلك بفعلهما واختيارهما، لا أنّهما صارا كذلك لأجل الكتابة أو العلم؛ فإنّ الكتابة تابعة للعلم، والعلم تابع للمعلوم على ما هو به، ولا يجعله على ما هو به، وقد ذكرنا هذا المعنى مستقصىً فيما تقدّم، والفراغ ضدّ الشُّغل[(٢)]، والشغل والفراغ مجاز في حقّ القديم تعالى، وهو عبارة عن إتمام ذلك الأمر؛ يعني: خُلق مَن خُلق وقُدّر خَلْقُ من لم يُخلَق، وكذلك الخُلق، وكُتبت الآجال على حسب المصلحة في الطول والقِصَر والتقديم والتأخير، وكذلك الأرزاق وقِسمتها في الضيق والسَّعة على ما هو صلاح؛ فإنّ في الناس من مصلحته في طول العمر وسَعَة الرّزق، وفيهم من كان بالعكس من ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾[(٣)].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٥٢، ح٦٠١. ذكر أخبار أصبهان١: ١٤٢. معجم ابن الأعرابي١: ٩٢، ح١٣٨، عن عبدالله بن مسعود والأخير.

(٢) المفردات: ٦٣٢ (فرغ).

(٣) سورة الشورى٤٢: ٢٧.

٣٩٨. فَرَغَ اللهُ إِلى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ عَمَلِهِ، وَأَجَلِهِ، وَأَثَرِهِ، وَمَضْجَعِهِ، وَرِزْقِهِ، لَا يَتَعَدَّاهُنَّ عَبْدٌ[١].

بيّنّا أنّ **العمل** فِعْلٌ فيه بعض الإحكام، ويَلحق فاعلَه مشقّة في فعله. **والأجَل**؛ الوقت، ودَينٌ مؤجَّل؛ أي: مؤقّت؛ يعني وَقت وفاته ومدّة عمره[٢]. **وأثره** وما يبقى منه ويُؤثَر عنه؛ أي: يُخبَر ويُذكَّر مِن أثرتُ الحديث آثُرُه[٣]، فَعَل بمعنى مفعول؛ أي: ما يقال عنه في حياته وبعد وفاته من خيرٍ أو شرّ.

ومضجعه أي: موضع قبره حيث يُضطجَع عليه.

«**لَا يَتَعَدَّاهُنَّ عَبْدٌ**»؛ أي: لا يتجاوزُ عبد هذه الخمسَ[٤]. وقال بعضهم وقيل لدِعبل بن عليّ الخزاعي:

ولستُ أبالي بأيّ البلاد قضى اللهُ أمري إذا ما قضاهْ
ولا أين خطّت يدي مضجعي ولا من أتاه ولا من جفاهْ

---

(١) مسند الشّهاب١: ٣٥٢، ح٦٠٢. مسند ابن حنبل٥: ١٩٧. السنّة لابن أبي عاصم: ١٣٣، ح٣٠٤. المعجم الأوسط٣: ٢٧٢، عن أبي الدرداء.

(٢) أُنظر: العين٦: ١٧٨. المفردات: ٦٥ (أجل).

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ١: ٥٣ (أثر).

(٤) (فَرَغَ الله) أي تَقَرَّرَ عِلمُه محيطا بالعبد و أحوالِه كمَن يَفرُغ إلى الشيء غيرَ مشغول عنه فيكون أحوطَ له، و هذا مَجاز؛ لأنّه تعالى لم يكن مشغولاً فيفرُغَ، و معنى الفراغ إحاطة العلم كأنّه إخبار عن أنّه تعالى لا يستفيد عِلمَ ما لم يَعلم؛ لأنّه عالم بكلّ معلوم. و (مِن) يتعلّق بفَرَغَ، و (إلى) يتعلّق بمحذوف، كأنّه فَرَغَ اللّهُ عامدا إلى العبد بإعلامه أنّه لم يَزَلْ محيطا بذلك مُلقِيا إليه عِلمَه بهذه الخَمس. ضوء الشّهاب ٢: ١٨٣.

إذا مـــــتُّ أشـــــهدُ أن لا إلٰـــــ ـهَ إلّا هـو العـدل فيمـا قضـاه[(١)]

٣٩٩. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ[(٢)].

أي: كُتب وفَرغ من كلّ ما تَلْقاه ويأتي عليك أو لكَ من خيرٍ أو شرّ، نفعٍ أو ضرّ، صحّةٍ أو سَقَم. وقوله: «**أَنْتَ لَاقٍ**»؛ أي: تُقاسيه وتباشره، أراد لا يخرج شيء من علم الله وما كتب الله لك. و [في] معنى كتابة أحوال البشر على اللّوح المحفوظ والفائدة فيها وجوهٌ، منها: أنّه لا يمتنع أن يكون في ذلك لطفٌ للملائكة، ومنها أن يكون ذلك محفوظاً عندهم لمصلحة من المصالح، ومنها: أن يكون لطفاً لنا إذا سمعنا أنّ ذلك من أحوالنا مكتوبٌ في اللّوح مذكورٌ في الملإ الأعلى.

٤٠٠. تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهؤُلَاءِ بِوَجْهٍ[(٣)].

«**ذَا الْوَجْهَيْنِ**»: مجاز، وهو كنايةٌ عمّن لا يكون نقيَّ القلب مستقيمَ

(١) المناقب لابن شهرآشوب٢: ٢٩٧، نسبه للبِشنويّ باختلاف، حيث جاء (حطّت إذا) بدل (خطت يدي) و(قلاه) بدل (أتاه). الحسن بن داود البِشنويّ الكُرديّ ابن عم صاحب فَنَك [وفَنَك أو فَنْك كانت قلعة حصينة فُوَيق جزيرة ابن عمر]، توفي سنة خمس وستين وأربعمئة، وله ديوان شعر كبير. أُنظر: الوافي بالوفيات ١٢: ٦.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٥٣، ح٦٠٣. صحيح البخاري٦: ١١٩. سنن النسائي٦: ٥٩. السنّة لابن أبي عاصم: ٥٠، ح١٠٩، عن أبي هريرة.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٥٤، ح٦٠٥. صحيح البخاري٤: ١٥٤. صحيح مسلم٧: ١٨١. سنن أبي داود٢: ٤٥٠ / باب في ذي الوجهين، ح٤٨٧٢، عن أبي هريرة.

الطريقة، يستقبلك بوجهٍ؛ أي: بكلامٍ وبشاشةٍ وطلاقة وجهٍ بحضرتك، ويكون بخلافه في غيبتك. وهذه كنايةٌ معروفة مستمرّة في المُنافق والمُرائي والإمّعة[1] ومَن يقول لكلّ أحدٍ: أنا معك وعلى طريقتك ومذهبك، حتّى صار مثلاً وكالعلَم عليه بالعربيّة والفارسيّة، ثمّ فسّره بقوله: «**يَأْتِي هؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**». والوجه واحد، والمراد ما ذكرناه من اختلاف أقواله وأحواله مع كلّ أحدٍ، لا يَثبُت على حالٍ واحدة.

وقال بعضهم في هذا المعنى:

لا خير في صحبةِ خوّان ... يأتي من الغدر بألوان

فلعنة الله على صاحب ... له لسانان ووجهان[2]

وذي وجهين يأتيني طليقاً ... وليس إذا تَغَيّب يأتسيني

بصُرت بأمره فصحفت عنه ... محاماةً على حسَبي وديني[3]

وقال آخر:

ولمّا رأيتك لا فاسقاً ... ظريفاً ولا أنتَ بالعابدِ

(١) الإمَّعَة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأي له، فهو يتابع كلّ أحد على رأيه، والهاء فيه للمبالغة. ويقال فيه إمَّع أيضاً. النهاية١: ٦٧ (أمع).

(٢) البصائر والذخائر٢: ٥٣. ربيع الأبرار٤: ٣٥٢، ولم يذكر البيت الأول ونسب فيهما للخبّاز البلَدي باختلاف يسير. ومحمّد بن أحمد بن حمدان، المعروف بالخباز البلدي نسبة إلى بلد وهي مدينة بالجزيرة التي منها الموصل، قال صاحب اليتيمة: كان أمّيّاً، وكان حافظاً للقرآن، يقتبس منه وكان يتشيع. أُنظر: الوافي بالوفيات ٢: ٤٣.

(٣) تاريخ دمشق١١: ٣٧٢. البداية والنهاية٢: ٢٧٣، نسب فيهما لحاتم الطائي باختلاف. ويأتسيني: يقتدي بي؛ أي: يتخذني أسوةً.

وليس عدوّك بالمتّقي وليس صديقك بالحامدِ

ذهبتُ بك السُّوقَ سُوق الرّقيق وناديتُ هل فيك من زائدِ

على رجل قاطع للصَّديق كفورٍ لأنعُمه جاحدِ؟!

فما جاءني رجلٌ واحد يزيدُ على درهمٍ واحدِ

فبعتك منه بلا شاهدٍ مَخافةَ ردّك بالشّاهدِ

وأُبتُ إلى منزلي غانماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ[(١)]

وقد أحسن القائل لهذه الأبيات، وأحسنُ مِن قوله فِعلُه؛ لأنّ دواء صديق السّوء ما ذكر. وقيل: دواء صديق السّوء قطع وِصاله. وقيل:

ودواءُ ما لا تشتهيه النّفْس تعجيل الفراق[(٢)]

ومثله قول بعضهم:

ولمّا رأيتك لا فاسقاً قويّاً ولا فيك مستمتَعُ

وأنّك غثٌّ كثير الخلاف تضرّ الصّديق ولا تنفعُ

وضعتك في منجنيق القِلىٰ ووجّهته حيث لا ترجعُ[(٣)]

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٣١٥، نسبه للعتبي. العقد الفريد٤: ٤٠. ديوان المعاني١: ١٨٣، نسبه لإبراهيم بن العبّاس، باختلاف يسير.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١٢٢، وفي صدره: طلّق أعرابيّ امرأته وقال:... الأغاني ١١: ١٩٥، نسبه لأبي النّضير. تاريخ اليعقوبي٢: ٤١٢. أبو النضير اسمه عمر بن عبد الملك، بصريّ، مولى لبني جُمَحٍ. هو شاعر بصري انقطع إلى البرامكة فأغنَوه. أُنظر: الأغاني ١١: ١٩١.

(٣) لم نعثر عليه.

فهذا في صديق السوء وسرعة هجرانه، فأمّا ما نحن بصدده من وصف ذي الوجهين، فلا شبه به.

قول الآخر:

أرى فيك أخلاقاً حِساناً قبيحةً وأنت صديق كالذي أنا واصفُ

وأنت عدوّ كاشح متطرّف سخيٌ بخيل مستقيم مخالفُ

كذاك لساني شاتم لك حامد كما إنّ قلبي جاهل بك عارفُ

ولستَ بذي جهلٍ ولستَ بعاقلٍ وإنّيَ مِن جهلٍ بشأنك واقف

تلوّنتُ حتّى لستُ أدري من العمىٰ أريحُ جَنوبٍ أنت أم أنتَ عاصف

أظنّك كالسُّتّوق ما فيك فضّةٌ فإن كنت معشوقاً فإنك زائف[1]

٤٠١. **يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلَافاً الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، حَتّى لَا يَبْقى إِلَا حُثَالَةً كَحُثَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، لَا يُبَالِي اللهُ بِهِمْ**[2].

أسلاف جمع سَلَف، والسلف جمع سالف؛ كخادم وخَدَم، فهو جمع الجمع[3]، ويجوز في: «**الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ**» الرّفع والنصب؛ الرفع على بدل

(١) الصداقة والصديق: ١٨٢، باختلاف يسير حيث جاء المصراع الأوّل من بيت الثاني كما يلي: قريب بعيد أبله ذو فطانة. (ودرهم سُتُّوق وسَتُّوق؛ أي: زَيف بَهرَج). الصحاح ٤: ١٤٩٤ (ستق).

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٣٥٥، ح٦٠٧. مسند ابن حنبل ٤: ١٩٣. الآحاد والمثاني ٤: ٣٣٣، ح٢٣٦٨. صحيح ابن حبّان ١٥: ٢٦٥، عن مرداس الأسلمي.

(٣) المصباح المنير ٢: ٢٨٥ (سلف).

الصالحون، والنصب على بدل **أسلافاً**، **والحُثالة** ما يسقط من التمر والشعير ممّا لا خير فيه، ويكثر هذا البِناء لما يسقط ويُنفىٰ ولا يَصلُح لشيء كالقُلامة[١] والقُمامة[٢] والنُّخامة[٣] والنُّشارة[٤]، وأصله من الحَثْل وهو سوء الغذاء، وصبيٌ مُحثَل ومغيل[٥] إذا حملتْ[٦] مُرضِعتُه في رضاعها له[٧].

«لَا يُبَالِي اللهُ بِهِمْ»؛ أي: لا يحفِل بهم ولا يعتدّ بهم، فيكون وجودهم كعدمهم. ويروى في غير هذا الموضع: لا يُبالي الله بهم بالةً[٨]؛ أي باليةً، وهي مصدر كالعافية، فتُصُرِّف في مصدره كما تصرّف في فعله،

(١) القَلْم: قطع الظُّفْر بالقلَمين، و بالقَلَم، و هو واحد كله [أي: إنّ القلم الذي بمعنى المِقصّ يطلق عليه القلمان أيضاً، فالقلم والقلمان، كلاهما يستخدم بمعنى المِقصّ] والقُلامة: ما يُقلَم منه، العين٥: ١٧٤ (قلم).

(٢) القُمامة: الكُناسة، المصباح المنير٢: ٥١٦ (قمم).

(٣) النُّخامَةُ: البَزْقة التى تخرج من أقصى الحلق، النهاية٦: ٣٤ (نخم).

(٤) نشَرتُ الخشبة أنشُرها، إذا قطعتَها بالمِنشار، والنُّشارة: ما سقط منه، الصحاح ٢: ٨٢٨ (نشر).

(٥) في نسخة (أ) لا تقرأ.

(٦) هكذا في النسخ، ولكن الظاهر أنها خاطئة، ربما كانت في الأصل (أهملت)، لأنه جاء في اللغة: (أحثلَتِ الصبّيَ إذا أساءتْ غذاءه)، فالمرضعة التي أساءت غذاء الصبي أهملتْ في تغذيته في الحقيقة، اُنظر: النهاية لابن الأثير١: ٣٣٩ (حثل).

(٧) اُنظر: العين٣: ٢٠٥. النهاية٢: ٣٣٩ (حثل).

(٨) العزلة للخطابي: ٧٣. الفائق في غريب الحديث١: ٣٢٢.

فقالوا: لم أُبْلِ[١]، ولم يقولوا لم أُرمِ في المراماة[٢]، ومعنى الحديث: أنّ الشيء الصالح أو الرّجل الخيّر يُسرع إليه الفناء والزّوال، وأنّ الشيء الرّديء والرّجل الشِّرّير يبقى على رغم من أراد زواله، وهذا على سبيل المَثَل، وإن أردتَ تحقيقه يمكن وذلك لنوعٍ من المصلحة، وما يعلم الله في بقاء هذا وزوال ذلك، قال الشاعر:

وإنّي لمحتاجٌ إلى موت ظلّتي ولكنّ شيء السّوء باقٍ معمّر[٣]

٤٠٢. يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذى فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَدَعُ الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ[٤].

القَذىٰ: جمع قَذاة، وهي ما يقع في العين من ترابٍ وحَصىً وغيرهما[٥]، يُقال: قَذِيتْ عينهُ تَقذي قَذىً إذا وقع فيه القذىٰ، وأقذيتها إقذاءً إذا ألقيت

---

(١) أصل بالَة: بالِيَة، مثل عافاه الله عافية، فحذفوا الياء منها تخفيفاً كما حذفوا ألف لم أُبْلِ [فأصله: لم أُبالِ]، يقال: ما بالَيْتُهُ وما بالَيْتُ به؛ أي: لم أكترث به. النهاية١: ١٥٦ (بلو).

(٢) والغرض من ذكر هذه الجملة أن حذف الألف ليس أمراً مطَّرَداً قياسياً؛ ولهذا لا يحذف الألف من أُرامي ليصبح نفيه (لم أُرْمِ).

(٣) العقد الفريد٤: ٥٩. التذكرة الحمدونية٩: ٣٨٤ وفيهما (زوجتي) بدل (ظلّتي) والبيت الآخر:

فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذّبها فيه نكير ومنكر!

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٥٦ ، ح٦١٠. صحيح ابن حبّان١٣: ٧٣. الصمت وآداب اللسان: ١١٥، ح١٩٤. الزهد لأحمد بن حنبل: ١٤٦، ح٩٩٥، عن أبي هريرة والأخيرين.

(٥) النهاية٤: ٣٠ (قذي).

فيها القذىٰ[١]، وقذّيتها تقذية إذا أخرجت منها القَذىٰ[٢].

والجذع: الشجر العظيم يُوضَع عليه رؤوس الأشجار في السقف[٣].

والحديث على طريق المَثَل في حقّ من يرى العيب القليل من غيره، ولا يرى العيب الكثير من نفسه، وهذا من قلّة الإنصاف؛ لأنّه يعلم من نفسه ما يظنّ من غيره، فيدَع العلمَ ويأخذ الظنَّ[٤]. وقال بعضهم:

يمنعني عن عيب غيري الذي أعرفه منّي من العيب

فما اشتغالي بذنوب الورى أم كيف لا أنظر إلى جيبي[٥]

وقال آخر:

أرى كلّ إنسانٍ يرى عيبَ غيره ويَعمىٰ عن العيب الذي هو فيه

فلا خيرَ في مَن لا يرى عيب نفسه ويبدو له العيب الذي لأخيه

(١) المحيط في اللغة ١: ٤٩٤. تهذيب اللغة ٩: ٢٠٤ (قذي).

(٢) المصباح المنير ٢: ٤٩٥ (قذي).

(٣) أُنظر: العين١: ٢٢١. المصباح المنير٢: ٩٤ (جذع). ويمكن أن يحدث تصحيف في الحديث، وصار (الجدل) (جذعاً) فإن (الجِذْل: أصل كلّ شجرة حين يذهب رأسها)، العين٦: ٩٤ (جذل).

(٤) راجع: وسائل الشيعة١٥: ٢٨٨/ كتاب الجهاد، باب استحباب اشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيب الناس.

(٥) تاريخ بغداد١٠: ٨٢. طبقات الحنابلة١: ١٩٠. المنتظم١٢: ٢٣٩، باختلاف يسير، ونسب فيها لأبي البختري. وهو الشيخ عبدالله بن محمّد بن شاكر العنبري البغدادي المقرئ. قال الدارقطني: ثقة صدوق. توفي في ذي الحجة سنة سبعين ومئتين. أُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣: ٣٣.

فما لي وذي عيبٍ وعيبيَ ظاهرٌ؟! ولا يبحث الأعيابَ غير سفيهِ[(١)]

٤٠٣. كَبُرَتْ خِيَانَـةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ بِـهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْـتَ لَهُ كَاذِبٌ[(٢)].

التقدير: كبرت الخيانة خيانةً، وانتصابه على التمييز، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ﴾[(٣)]، وأنْ مع الفعل في تقدير المصدر هو بدل عن الخيانة، وحدّثتُ يتعدّى إلى مفعولين، تقول: حدّثته كذا وبكذا.

ومعنى الحديث أنّه عظّم خيانة من يحدِّث إنساناً بحديثٍ كاذباً، والسامع يظنّه صادقاً لحسن ظنّه به، فيصدّق حديثَه وهو كاذبٌ في حديثه، فذلك نوعٌ من الخيانة كبيرٌ.

---

(١) عقلاء المجانين: ٥٣، نسب لسعدون. ديوان المعاني ٢: ٢٤٥. روضة العقلاء: ١٢٦، ولم يذكر فيهما البيت الأخير، باختلاف يسير. وسعدون يقال إن اسمه سعيد وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون من أهل البصرة. كان من عقلاء المجانين وحكمائهم، له أخبار مِلاح وكلام سديد ونظم ونثر يُستحسَن، وطوّف البلاد ودُوّنت أخباره. استقدمه المتوكل، وسمع كلامه، وكان من المحبّين للهﷻ. صام ستين سنة، فجفَّ دِماغُه، فسمّاه الناس مجنوناً. أُنظر: فوات الوفيات ١: ٤٣٦.

(٢) مسند الشِّهاب ١: ٣٥٧ ، ح٦١١. سنن أبي داود ٢: ٤٧١ / باب في المعاريض، ح٤٩٧١. الأدب المفرد: ٩٠/ باب إذا كذبت لرجل هو لك مصدق، ح٣٩٨. الآحاد والمثاني ٥: ٨٢، ح٢٦٢٣ ، عن سفيان بن أسيد الحضرمي.

(٣) سورة غافر ٤٠: ٣٥.

٤٠٤. كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكأَنَّ الحَقَّ فِيهَا عَلى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ نُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا عَائِدُونَ، نُبَوِّؤُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ[1].

روي أنّ رسول الله ﷺ رُؤِيَ بِمِنى على جَمَلٍ له أورقَ يعظ النّاس بهذه الكلمات يقول: يشبه[2] أنّ الموت في هذه الدنيا كُتِبَ على غيرنا لا علينا؛ لأنّا نعامل معاملةَ من يأمَنُ الموتَ، وأنّه لم يكترث به، وإنْ علم يقيناً أنّ الأمر بخلافهِ إلّا أنّه لغفلته يغالط[3] نفسه.

وقال **عليّ** عليه السلام: «**مَا رَأَيتُ يَقِيناً أَشبَهُ بِالشَّكِّ مِنَ المَوتِ**»[4].

لهذا المعنى وقد كنّا نعمل عمل من كان شاكّاً فيه غيرَ متيقّن، وكأنّ الحقّ في الدنيا وجبَ على غيرنا لا علينا، والحقّ الذي وجبَ علينا هو الوعد والوعيد والثواب والعقاب والجزاء والحساب، كأنّا نحن بُرَآء منها، وكأنّ الموتى الذين نتّبع جنائزهم جماعةٌ مسافرون يرجعون إلينا عن

---

(١) مسند الشّهاب١: ٣٥٨، ح٦١٤. مسند البزار١٢: ٣٤٨، ح٦٢٣٧، عن أنس. الكافي٨: ١٦٨/ ح١٩٠، عن جابر بن عبد الله. نهج البلاغة/ الحكمة١٢٢، باختلاف يسير.

(٢) هكذا في النسخ.

(٣) في نسخة (أ) كلمة لا تقرأ.

(٤) روض الجنان١١: ٣٥٣، عن الإمام علي. تفسير الرازي٣٢: ٩٣، سورة الهمزة. مجمع الأمثال٢: ٤٢٤، عن الحسن البصري، من دون إسناد إليه .

قليلٍ، **والسّفْر** الجماعة المسافرون[١] كالشَّرْب والرَّكْب لجماعة الشاربين والراكبين، وهذا يدلّ على صحّة قول سيبويه[٢] في أنّ الركب والشرب ليسا بجمعٍ لراكبٍ وشاربٍ؛ لأنّ سافراً لم يستعمل بمعنى مسافر، وليس هو فاعلاً لسفَر كما أنّ راكباً وشارباً فاعلا ركب وشرب.

وذهب الأخفش إلى خلافه[٣]، والصحيح في ذلك ما قاله سيبويه إنّه اسمٌ صيغ لجماعة الشاربين والرّاكبين، كما قيل جامل وباقر للجَمَل والبقر الكثير، **وما** في قوله **عَمّا** زائدة كما هي في قوله: ﴿عَمّا قَليلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمينَ﴾[٤][٥].

«**نُبَوِّءُهُمْ أَجْداثَهُمْ**»؛ أي نُسكِنهم قبورهم، يُقال: بوّأته المنزل فتَبوَّءَ هو[٦]، والأجداث جمع جدَث وهو القبر[٧]، وكذلك الجدَف[٨]، والتراث

---

(١) العين ٧: ٢٤٦. النهاية ٢: ٣٧١ (سفر).

(٢) شرح كتاب سيبويه لسيرافي ٤: ٢٣١.

(٣) أُنظر: الصحاح ٢: ٦٨٦ (سفر).

(٤) سورة المؤمنون٢٣: ٤٠.

(٥) معاني القرآن للنحاس٤: ٤٥٨. التبيان في تفسير القرآن٧: ٣٦٨. تفسير القرطبي١٢: ١٢٤، سورة المؤمنون.

(٦) أُنظر: النهاية١: ٨٢ (أوي).

(٧) النهاية١: ٢٤٣. العين٦: ٧٣ (جدث).

(٨) قال الفراء: العرب تعقّب بين الفاء والثاء في اللغة، فيقولون: جدث وجدف، وهي الأجداث والأجداف. الصحاح ٤: ١٣٣٥ (جدف).

والإرث: الميراث، وتاؤه مبدّلة من الواو؛ لأنّه من الوراثة، والوارث[١] كما بيّنّا في نظائره، «**كأنّا مخلّدونَ**»، مؤبّدون بعدهم لا نموت ولا نفنى، «**قَدْ نَسِينا كُلَّ وَاعِظَةٍ**»؛ أي: خَصلةٍ واعظة لنا، «**وَأَمِنّا كُلَّ**»؛ خِصلةٍ «**جائِحَةٍ**»؛ أي مُهلِكة لغيرنا ممن كان قبلنا، وهي في الموضعين صفة موصوف محذوف، يُقال: اجتاحته جائحة وجاحته أيضاً؛ أي: أهلكتْه، والاجتياح الاستيصال[٢].

٤٠٥. طُوبى لِمَنْ شَغَلَ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَجَانَبَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَعْصِيَةِ[٣].

طوبىٰ تأنيث أطيب[٤]، وفُعلىٰ في تأنيث أفعل التفضيل قياسٌ حيث استُعمِلت، نحو: أدنى ودنيا وأقصىٰ وقُصوىٰ وأصغر وصغرىٰ وأكبر وكبرىٰ؛ يعني الخَصلة الطوبىٰ أو النّعمة الطوبىٰ، وإنّما حذفت منه لام التعريف والإضافة ومن؛ لأنّها أُخرجت من الوصفيّة إلى الإسميّة،

---

(١) النهاية١: ١٨٦. العين٨: ٢٣٤. المفردات: ٨٦٣ (ورث).

(٢) المصباح المنير٢: ١١٣. النهاية١: ٣١١ (جوح).

(٣) مسند الشّهاب١: ٣٥٨ ، ح٦١٤. الكامل لابن عدي١: ٣٨٤، عن أنس بن مالك. تاريخ اليعقوبي٢: ١٠٠. تفسير القمي٢: ٧٠، باختلاف يسير.

(٤) أصلها: فُعلىٰ، من الطّيب، فلمّا ضُمّت الطّاء، انقلبت الياء واواً، النهاية٣: ١٤١ (طوب).

فقال ﷺ: النعمة الطوبىٰ لمن اشتغل بنفسه ونظر في جَيبه، وتأمّل في عيبه، فإذا اشتغل بذلك، شَغَلَهُ ذلك عن تتبّع زلّات غيره، ولم يتفرّغ من نفسه إلى سواها، قال:

لا تَنْهَ عَن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ[1]

«**وَأَنْفَقَ**»: الإنفاق: إخراج المال عن اليد[2]، والنفاق خروج المتاع عن البائع إلى المبتاع، والنُّفوق: خروج الرّوح عن الدّابّة[3]، والاكتساب كسب الرّجل لنفسه، وهو نوعٌ من أنواع الافتعال؛ نحو: خَبَز واختبز، وشوىٰ واشتوىٰ[4]. «**مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ**»؛ أي: من حِلّه دون ما حرّم الله عليه؛ فإنّ تعاطيَ المحرّمات معصية.

«**وَخَالَطَ**»: أي: صاحَبَ مصاحَبةً بليغة حتّى كأنّه يختلط بهم. قال: وبه الخليط نزول[5]. «**أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ**»؛ يعني أهل علم الشريعة

(١) كتاب سيبويه ٣: ٤٢. الأغاني ١٢: ٣٨٢. تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٤٦٧، وهذا البيت روي في عدة قصائد لعدة شعراء، نُسب إلى الأخطل والمتوكل اللَّيثي والطِّرِمّاح على ترتيب المصادر.

(٢) معجم الفروق اللغوية: ٨٢، الفرق بين الانفاق والاعطاء.

(٣) أُنظر: المفردات: ٨١٩. العين ٥: ١٧٧ (نفق).

(٤) أُنظر: المفردات: ٧٠٩ (كسب).

(٥) وهو قول النمري وتمامه: ومنازل لك بالحمى ** وبها الخليط نزول، ديوان المعاني ٢: ١٥٦. الخليط: الجيران الذين يخالطون القوم في الموضع الذي هم نزول فيه، شرح أبيات سيبويه ١: ١٢٥.

والكلمة المحكمة، **والحكمة** فِعلة بمعنى مُفعَلة، «**وَجَانَبَ**»؛ أي: باعَد، وصار على جانبٍ منهم[١]، وسمّىٰ أهل المعصية أهلَ الذّل؛ لأنّهم عند الله في غاية المذلّة والمَهانَة؛ لأنّهم يستحقّون العقاب، وهو مَضرّة مستحقّة مقرونة بالاستخفاف والإهانة.

وهذا الحديث فيه أنواعٌ من الموعظة والحكمة لِمن تأمّله وعمل به.

وقال بعضهم:

إذا كنت في قومٍ فقارِنْ سَراتَهم ... فإنّك منظورٌ إلى مَن تُقارن

ولا تَكُ ذا وجهين تُبدي بشاشةً ... وفي الصّدر ضَبٌّ من الحقد كامنُ[٢]

وقال آخر:

ولا تصحبْ أخا الجهل ... وإيّاك وإيّاهُ!

فكَم من جاهلٍ أردىٰ ... حليماً حينَ آخاهُ

يُقاس المَرءُ بالمَرء ... إذا بالمَرء ماشاهُ

وللقلبِ على القلبِ ... دليلٌ حينَ يَلقاهُ[٣]

---

(١) أُنظر: العين٦: ١٤٨ (جنب).

(٢) معجم ديوان الأدب٣: ٢. أساس البلاغة: ٥٥٣، نسبه لسابق البربري وفيهما البيت الثاني، باختلاف يسير.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢: ٥٢٥، عن الشعبي. روضة العقلاء لابن حبّان: ٥١، عن سلمة بن بلال، وكلاهما عن الإمام عليّ. عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٩١.

٤٠٦. طُوبى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يَعْدُهَا إِلى بِدْعَةٍ(١).

قوله: «**طُوبى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ**»، أرادَ به التواضع وترك التعزّز والتكبّر، وقيّده بقوله:«**فِي نَفْسِهِ**»، لئلاّ يذلّ للنّاس لأجل الطّمع؛ لأنّ هذا من الذّل والمذلّة، وذلك من الذِّلّة، فهذا ذليلٌ وذاكَ ذلولٌ(٢).

روي: أنّ **عليّ بن أبي طالب**عليه السلام الْتقىٰ في بعض مسالكه بالخضر ، فقال له: «**اذكرْ لي كلمة من الحِكمة أحفظْها عنك**»، فقال الخضر : «**ما أحسنَ تواضعَ الأغنياء على الفقراء قربةً إلى الله!**»، فقال له **عليّ**عليه السلام: «**وأحسَنُ مِن ذَلِكَ تِيهُ الفُقَرَاءِ عَلَى الأَغنِيَاءِ ثِقَةً بِالله**»(٣).

وفي دعاء **الأئمّة**عليهم السلام: «**اللّٰهُمَّ فِي نَفسِي فَذَلِّلنِي لَكَ، وَفِي عُيُونِ النَاسِ فَعَظِّمنِي**»(٤).

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٥٨، قطعة من ح٦١٤. الكامل لابن عدي١: ٣٨٤، عن أنس بن مالك. تاريخ اليعقوبي٢: ١٠٠. نهج البلاغة، قطعة من الحكمة١٢٣، باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: المفردات: ٣٣٠. المصباح المنير١: ٢١٠ (ذل).

(٣) المناقب لابن شهر آشوب٢: ٨٥. نهج البلاغة/ الحكمة ٤٠٦. الكرم والجود: ٦٥، ح ٩٨، عن الفتح بن شخرف فيما رآه في المنام ولم يذكر فيهما لقائه مع الخضر ، بل روى الحديث عنه . والفتح بن شخرف بن داود بن مزاحم، أبو نصر الكَسّيّ [ربما تصحيف؛ فإنه منسوب إلى كَشّ]: كان أحد العباد السَّيّاحين، ثمّ سكن بغداد. أُنظر: تاريخ بغداد ١٢: ٣٧٩/ الرقم٦٨٤٣.

(٤) عيون الأخبار١: ٢٢٢، عن حسّان بن عطيّة. مصباح المتهجد: ٦٨. جمال الأسبوع: ٢٣٣، باختلاف يسير.

وتُنسَب هذه الأبيات إلى **عليّ بن موسى الرضا** :

لبستُ بالعزّة ثوبَ الغِنىٰ فصرتُ أمشي شامخَ الرأس

ما إن تفاخرتُ على مُعْدَمٍ ولا تضعضعتُ لإفلاسِ

لستُ إلى النسناس مستأنساً لكنّني آنسُ بالنّاس

إذا رأيتُ التيه من ذي الغِنىٰ تِهتُ على التائه باليأس(١)

«**وَحَسُنَتْ خَليقَتُهُ**»؛ أي: خُلقه الذي يتخلّق به ممّا ليس بمطبوعٍ عليه؛ لأنّ مورد الحديث مورد المدح، ولا يُمدَح أحدٌ على فعل الله.

«**وأنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ**»؛ يعني لم يبخَل بما فَضُل من ماله، ولم يَقتُر على عِياله بعد أن أدّى الزكاة وتطوّع بالصدقات.

«**وَأمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ**»، وفي الحِكَم: دَع ما يعنيك إلى ما لا يعنيك(٢)، هذه مبالغة في ترك فضول الكلام؛ فإنّ الرّجل إذا ترك ما يعنيه، كيف يخوض فيما لا يُعنيه؟

«**وإلى**» لانتهاء الغاية ههنا بخلاف ما ظنّه مَن جعله بمعنى (مع)، ولو

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤٧٠. حلية الأولياء ٩: ٣٧٢، نسبه لذي النون المصري، وليس فيه البيت الثاني والثالث.

(٢) قال **الإمام الصادق**ﷺ: «**لا تَكَلَّم بما لا يَعنيك، ودَعْ كثيراً من الكلام في ما يَعنيك حتى تجدَ له مَوضِعاً ...**» الحديث، تحف العقول: ٣٧٩. الاختصاص: ٢٣١. الزهد لأبي داود: ٢٩٣/ الرقم ٣٣٤، فيما أوصى ابن عبّاس وبرةَ الكوفي، باختلاف يسير.

كان كما ظنّوا، لفسد هذا المعنى اللّطيفُ ولصار المعنى: دَع كلّ شيء ما يعنيك وما لا يعنيك، وهذا ليس بسديدٍ.

«**وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ**»؛ أي: صارت السُنّة واسعة عليه كافية له، ولم يجاوز السّنّةَ إلى البِدعة، والسنّة فُعلة بمعنى مفعولة، وهي الطريقة المسنونة؛ أي: الموضوعة على سَنَن الاستقامة مِن وضع الله ورسوله بحسب المصلحة، مِن سَنَّ الماءَ إذا صبّه[1]، والبِدعة فِعلة بمعنى مفعولة أيضاً: طريقة مبتدعَة، وقد بيّنّا الكلام فيهما من طريق اللّغة والشرع.

قال شيخنا: يقول العرب: وسِع الجِرابُ الدقيقَ، والدقيقُ الجِرابَ، ومعناه اتّسع له[2].

٤٠٧. طُوبى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَكَرُمَتْ عَلَانِيتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ[3].

طِيب الكسب وطهارته أن يكون من حلالٍ، يُقال: طاب الشيء يطيب طيباً فهو طيّب إذا طَهُر، وطاب إذا لذَّ، والطِّيب كلّ ما يُتَطيّب به من

(١) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٣: ٦٠ (سنن).

(٢) اراد الزمخشري. أُنظر: أساس البلاغة: ١٠٣٠. الصحاح ٥: ١٨٥٥ (هيل). العين٢: ٢٦٤ (وعب).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٦٠، قطعة من ح٦١٥. الآحاد والمثاني٥: ٢٥٥، قطعة من ح٢٧٨٢. المعجم الكبير٥: ٧٢، قطعة من ح٤٦١٦، عن ركب المصري. نهج البلاغة، قطعة من الحكمة١٢٣.

المِسك والعنبر وغيرهما، وطَيْبَة علم للمدينة[١]، والكسب فعل يُجرّ به منفعةٌ[٢]، فأمّا غير ذلك، فلا يُعقل. وصلَح الشيء وصلُح والفتح أصحّ بدلالة صالح[٣]، والسريرة: السّرّ وما يُسَرّ ويُكتَم، فعيلة بمعنى مفعولة، أراد به الاعتقاد والنّيّة. والعلانية: خلاف السّرّ[٤]، والعَلَن مثلها، والعزل: الإبعاد، وعزل الرّجل عن امرأته وجاريته إذا أبعد ماءه عنها، واعتزل إذا بعُد، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾[٥] حكايةً عن إبراهيم ، ومنه المعتزلة؛ لأنّهم اعتزلوا مذهب الحسن في أنّ الفاسق منافق[٦].

هذه الخصال من مكارم الأخلاق، ومن اجتمعت فيه، فطوبىٰ له ثمّ طوبىٰ له! كان فيما مضى من الزمان وقبل عهدنا هذا كانوا يقولون: فلانٌ كريم إذا جادَ بماله ولم يبخل بحاجة، فأمّا الآن، فالكريم الجواد من عزل عن الناس شرَّه، كما قال أبو الطّيّب:

إنّا لــفي زمــنٍ تركُ القــبيحِ به مِن أكثر النّاس إحسانٌ وإجمالُ[٧]

---

(١) المفردات: ٧٠٩ (كسب).

(٢) أُنظر: العين٧: ٤٦١. النهاية٣: ١٤٨. المصباح المنير٢: ٣٨٢ (طيب).

(٣) أُنظر: المصباح المنير٢: ٣٤٥ (صلح).

(٤) الصحاح ٦: ٢١٦٥ (علن). جمهرة اللغة ١: ١٢١ (سرر).

(٥) سورة مريم١٩: ٤٨.

(٦) الفسق: فهو الخروج عن طاعة الله ورسوله في بعض الأوامر والنواهي الشرعية التي يجب امتثالها مع اعتقاد ذلك الوجوب، وهو عند المعتزلة منزلة بين الكفر وبين الإيمان، ولا يصدق عندهم على الفاسق أنه مؤمن ولا كافر، قواعد المرام: ١٧١.

(٧) العزلة للخطّابي: ٧١. يتيمة الدّهر ١: ٢٥٨.

وقال آخر:

كفـاني الله شرَّك يابن عمّي فأمّا الخير منك فقد كفاني[١]

ولآخر:

وقد كنتُ أرجو منكمُ خير ناصرٍ على حين خِذلان اليمين شِمالَها

فـإن أنـتمُ لـم تحفظـوا لمـودّتي ذِماماً فكونـوا لا عليهـا ولا لهـا[٢]

٤٠٨. طُوبىٰ لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِه.

إنّ الله تعالى كلّفَنا بشيئين: العلم والعمل، وقدّم العلم على العمل؛ لأنّ العمل على الوجه المأمور به لا يَتأتّى إلّا بالعلم، فالعمل يحتاج إلى العلم، والعلم في استقلاله بنفسه لا يحتاج إلى شيء، والعلم له درجة رفيعة لا يرتقي إليها إلّا مَن خصّه الله بزوائد من الألطاف وأنواعٍ من التوفيق، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣]، ورفَع التسويةَ بينه وبين من ليس في رتبته، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، فإذا انضمّ إليه العملُ، بلغ بصاحبه رتبةَ الكمال، وصار به

---

(١) جَمهَرة الأمثال ١: ٤٨٥. الصداقة والصديق: ٦٥. ربيع الأبرار ١: ٤٠٩، نسبه لأبي فرعون العدوي.

(٢) ديوان المعاني ١: ١٦٢. تاريخ مدينة دمشق ٧٠: ٧٠. زهر الآداب ٣: ٧٤١، نسب فيها لابن الرومي. كنز الفوائد: ١٣٩، نسب البيت الثاني **لأمير المؤمنين** .

(٣) سورة المجادلة ٥٨: ١١.

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٩.

أكرمَ الناس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١]، فهو المستحقّ لكلّ ما كان أطيبَ من المنافع وأرفع من الدرجات.

وقال بعضهم:

تعلّمْ ما استطعت لعلّ يوماً … تصير به على قوم أميراً[٢]

والعلم مع رِفعة درجته وعلوّ منزلته، إذا لم يُعمَلْ به، صار وبالاً على صاحبه، وحجّةً للهِ عليه، فأوّل مرتبة العلم طلبه وتحصيله، ثمّ درسه وضبطه، ثمّ حفظه وصيانته إلّا عن أهله، ثمّ العمل عليه، ثمّ نشره، وأن لا يَبخل به على أهله، فإذا فعل ذلك، فقد أتىٰ بحقوق العلم عليه.

٤٠٩. اِبْنَ آدَمَ، عِنْدَكَ ما يَكْفيكَ وَتَطْلُبُ ما يُطْغيكَ!.

ابنَ آدمَ منصوب على أنّه منادًى مضافٌ، وحُذف حرف النداء لدلالة الخطاب عليه. «**عِنْدَكَ ما يَكْفيكَ**»: من الكَفاف والكفاية فيما تحتاج إليه من القُوت. «**وَتَطْلُبُ**» والواو للاستئناف، التقدير: وأنت تطلب ما يُطغيك، وهو الغِنىٰ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[٣]، والطغيان: مُجاوَزة الحدّ[٤]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى

---

(١) سورة الحجرات٤٩: ١٣.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) سورة العلق٩٦: ٦ ـ٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة٣: ٤١٢. العين٤: ٤٣٥. المصباح المنير٢: ٣٧٤ (طغو).

الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[1] أي: في السفينة[2].

ومعنى الحديث: الحَثّ على القَناعة بالكَفاف وترك طلب الزيادة والفضول.

قال أبو الطيّب:

ذِكر الفتى عمرُه الثاني ولذّته ما فاته وفضول العيش أشغالُ[3]

٤١٠. ابْنَ آدَمَ، لا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ، وَلا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ.

يَصِف حرص ابن آدم على جمع المال، وأنّه لا يقنع بالقليل، ولا يشبع بالكثير، ولا تُشبعه إلّا القناعةُ من قوله : «**مَن قنَع شبع، ومن لا يَقنَع لا يَشبَع**»[4]. ويُقال: قَنِع الرّجلُ قَناعة إذا رضيَ، وقَنَع قنوعاً بالفتح إذا سأل[5]، وهو نقيض الأوّل.

---

(١) سورة الحاقّة٦٩: ١١.

(٢) تفسير الطبري٢٩: ٦٨. مجمع البيان١٠: ١٠٧، سورة الحاقّة، عن ابن عبّاس، وابن زيد.

(٣) يتيمة الدّهر١: ٢٥٨. التذكرة الحمدونية١: ٢٦٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١: ٣٢٩، وفيها (حاجته) بدل (لذّته).

(٤) روض الجنان٤: ٢٦١. الكافي٨: ٢٤٣/ كتاب الروضة، قطعة من ح٣٣٧، عن خالد بن نَجيح، عن الإمام الصادق.

(٥) غريب الحديث لابن سلّام٢: ١٥٦. غريب الحديث للحربي٢: ٣٦٠. مجمع البيان٧: ١٥٤، والبيت للشمّاخ:

أبو خليفة بن محمد بن سلّام، الشّمّاخ بن ضِرار بن سنان بن أميّة. وهو أحد من هجا عشيرته: والشّماخ مخضرم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام. وجعل محمد بن سلّام في الطبقة الثالثة وقرنه بالنابغة ولَبيد وأبي ذؤيب الهُذليّ، ووصفه فقال: كان

قال الشاعر:

لَمالُ المرء يُصلحه فيُغني مَفاقِرَه أعفُّ من القُنوع[(١)]

ومن أحسن ما قيل في القناعة قول بعض الشعراء الحكماء:

قنعتُ بالقوت من زمان	وصُنتُ نفسي عن الهوان
مخافةَ أن يقول قومٌ	فضْلُ فلان على فلان
فلن تراني أَمُدّ كفّي	إلى لئيم ولا هَجان
ولا أَجُوبُ الفلا لرزق	حسْبي من الرزق ما كفاني
مَن كنتُ عن ماله غنيّاً	رأيته كالذي يراني
أَبَرُّه إنْ أراد بَرّي	وأقطع البَرَّ إن جفاني
كم كُربةٍ قد خشيتُ منها	فانكشفت لي على المكان
وكم أمورٍ حذَرت منها	فكنت من ذاك في أمان

شديدُ متونِ الشعر [أي: عباراته وألفاظه وصياغته] أشدّ كلاماً [أي: في بناء الكلام وتركيبه] من لبيد، وفيه كزازة [أي: قبض وتيبّس]، ولبيد أسهل منه منطقاً. أُنظر: الأغاني٩: ١٠٩- ١١٠.

(١) يتيمة الدّهر١: ٢٥٨. التذكرة الحمدونية١: ٢٦٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١: ٣٢٩، وفيها (حاجته) بدل (لذّته). (مال) مبتدأ وخبره (أعفُّ)؛ أي: لأن يُصلح المرءُ مالَه ويقوم عليه ولا يُضيعُه خيرٌ من القُنوع وهو المسألة. والمَفاقر جمع فقْر على غير قياس، كالمَلامح والمَشابه، ويجوز أن يكون جمع مَفقر، مصدر من أفقره الله، أو مفقتر بمعنى الافتقار، أو مُفقِر، وهو الشيء الذي يورِث الفقر). الفائق للزمخشري ١: ٢٥٩ (حفف).

فلـــو رأيـــتُ المنـــون حَلَّـــتْ بـــأكثر الخلـــق مـــا عنـــاني
يـــا جـــاهلاً بالزمـــان غِـــرّاً أُنظـــر إلـــى الـــدُّور والمغـــاني
فإنهـــا وهْـــي صـــامتاتٌ أبلـــغُ مـــن كـــل ذي لســـان
ألـــم تكـــن معـــدِنَ الغـــواني الـــ ـــبيضِ والخُـــرَّدِ الحِســـان
وكـــلِّ نهـــدٍ أقـــبَّ طِـــرْفٍ وصـــارمٍ مُرهَـــفٍ يمـــاني
ولـــوا وبـــادَ الجميـــعُ مـــنهم واخْتَـــرَمَتْهم يـــد الزمـــان[١]

وهذه الأبيات جامعة لفنون الحِكمَة ومحاسن الأخلاق.

٤١١. طُوبىٰ لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلامِ، وَكانَ عَيْشُهُ كَفافاً وَقَنِعَ بِهِ.

اللام وإلى متعاقِبان، يُقال: هديته لكذا وإلى كذا ودعوتهُ لكذا وإلى كذا، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي هَدانا لِهذا﴾[٢][٣]، وقال: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِراطِ الْجَحيمِ﴾[٤].

ومعنى الهداية في الحديث: اللّطف والتوفيق والبيان، فإنّ العبد إنّما يهتدي بهداية الله ممّا لا يتمّ التكليف إلّا به من الإقدار والتمكين وإزاحة

(١) روض الجنان٢: ٣٢٥. يتيمة الدّهر٥: ٣٩، وفيه البيت الأوّل والخامس نسبه لمحمّد بن أيمن الرهاوي. المستطرف٢: ٥٠٠، وفيه بعض الأبيات نسبه للشافعي.

(٢) سورة الأعراف٧: ٤٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس٤: ٣٨٦. تفسير الطبري٤: ٢٨١. التبيان في تفسير القرآن٣: ٨٤، سورة آل عمران وفيها: (أي: إلى هذا).

(٤) سورة الصّافّات٣٧: ٢٣.

العلّة ونصب الأدلّة وخلق الحياة والقدرة وكمال العقل والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، فإنّ جميع ذلك ممّا يُقرِّب العبد إلى الإيمان والعمل الصالح، ويُبعّده من الكفر والأفعال القبيحة، وكان له من العيش ما يكفيه، لا يزيد عليه زيادةً تُطغيه، ولا ينقص نقصاناً يُشقيه.

ومن دعاء الأئمّة : **«اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ رزقَ يومٍ فيومٍ، لا قليلاً فأشقىٰ ولا كثيراً فأطغىٰ»**[1].

وللشافعي رحمة الله عليه:

أَمَتُّ مطامعي فأرحتُ نفسي	فإنّ النفس ما طمعتْ تَهون
وأحييتُ القنوع وكان ميْتاً	وفي إحيائه عِرضٌ مصونُ
إذا طمعٌ أحلَّ بقلبِ عبدٍ	عَلَتْهُ مذلّةٌ وعلاه هَونُ[2]

ولمحمّد بن حازم:

أشدُّ من فاقةٍ وجوعِ	مُقامُ حُرٍّ على خضوعِ
فاطلُبْ غِنًى ما بقدر قوتٍ	وأنت بالمنزل الرّفيعِ
ولا تُرِدْ ثَروةً بمالٍ	تَنال بالذّلّ والخشوع
وارحَلْ إذا أجدبتْ بلادٌ	عنها إلى الرّيف والربيعِ
لعلّ دهراً مضىٰ بنحسٍ	يَكِرّ بالسّعد في الرجوع[3]

(١) تهذيب الأحكام٣: ٧٥، ح٢٣٣، عن عبدالله بن السّرّاج. إقبال الأعمال١: ١٠٤، عن الإمام الصادق. المقنعة ١٧٧.

(٢) تاريخ دمشق١٨: ٣٣٠. طبقات الشافعيين: ٣٥.

(٣) روض الجنان٤: ٨٨، سورة البقرة.

وطوبىٰ اسم شجرة في الجنّة، أصلها في دار **رسول الله** ، وليس في الجنّة دار ولا قصر ولا بقعة إلّا وغصن من أغصانها ممتدٌّ إليه[١]. وقيل: **طوبىٰ** اسم الجنّة بلغة الهند[٢]. وقيل: **طوبىٰ**: الحياة[٣].

وقال ﷺ: «**طوبى شجرة في الجنّة، لو أنّ أحدكم ركب فرساً وهو شابّ يطوف بها لمات هَرَماً قبل أن يطوف بها، إقرءوا إن شئتم** ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[٤]»[٥].

---

(١) الكافي٢: ٢٣٩/ كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، قطعة من ح٢٩. الأمالي للصدوق: ٢٩٠، قطعة من ح٣٢٣. تفسير العياشي٢: ٢١٣، قطعة من ح٥٠، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٢) تفسير الطبري١٣: ١٩٢. تفسير الثعلبي٥: ٢٨٨. تفسير الرازي١٩: ٥١، سورة الرعد.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٦: ٢٥٠، سورة الرعد.

(٤) سورة الواقعة٥٦: ٣٠.

(٥) صحيح البخاري٤: ٨٧/ كتاب بدء الخلق. سنن الترمذي٥: ٧٤، سورة الواقعة، ح٣٣٤٦. سنن ابن ماجة٢: ١٤٥٠/ باب صفة الجنة، ح٤٣٣٥، عن أبي هريرة، باختلاف. الكافي٢: ٢٣٩ / كتاب الإيمان والكفر، قطعة من ح٣٠، عن أبي بصير، عن **الإمام الصادق** عليه السلام، وفيه: «**طوبىٰ شجرة في الجنة أصلها في دار النبي محمّد، وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها ...**» الحديث.

اَلْبَابُ الرَّابِعُ

[في الأحاديث المصدّرة بالأمر]

٤١٢. اِشْفَعُوا تُؤْجَرُوا[١].

قيل: في معنى قوله: «**اِشفعوا**»، قولان:

أحدهما: كونوا شفعاء لمن احتاج إلى شفاعتكم عند سلطانٍ أو أميرٍ في إسقاط عقوبةٍ أو وصول منفعةٍ.

وقيل: معناه: كونوا شفعاء للرَّجل المنفرد في صلاة الجماعة في الصفّ، وأصل المعنيين واحد؛ لأنّ الشَّفع اثنان، والوتر واحد، فالشفيع ثانٍ للمشفوع له، ولذلك قال **عليّ**ﷺ: «**الشفيع جناح الطالب**»[٢]؛ لأنّ المشفوع له يَصل إلى بُغيته بشفاعته. وقوله «**تُؤْجَرُوا**»، مِن أجره يأجره أجراً

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٦٣، ح٦١٩. صحيح البخاري٢: ١١٨. سنن أبي داود٢: ٥٠٥ / باب في الشفاعة، ح٥١٣١ ـ ٥١٣٢، عن أبي موسى، باختلاف يسير. سنن النسائي٥: ٧٨.

(٢) نهج البلاغة/ الحكمة٦٣. التذكرة الحمدونيّة٨: ١٦٦، ح٥٣١. ربيع الأبرار٣: ٩٠.

إذا أعطاه الأجر[(١)]، ومنه قوله ﷺ لمن يعزّيه: «**آجرك الله، ورحمك الله**»[(٢)].

وروى الحسن أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يقول الرَّجل مِن أهل الجنّة يوم القيامة: أي ربِّ، عبدُك فلانٌ سقاني شربةً من الماء في الدُّنيا فشَفِّعني فيه. فيقول: اذهبْ فأخرجه من النار. فيذهب فيتجسّس النار حتَّى يخرجه من النار**»[(٣)].

وقال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيّون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين حتّى لا يبقى في النار إلاّ الكافرون، ثمّ تلا قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ إلى قوله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[(٤)(٥)].

وقال الحسن: لأن أمشي مع أخٍ لي مسلم أقضي حاجته أحبّ إليّ من أن أُدرِك ليلة القدر في أحد المسجدين[(٦)].

وقال ﷺ: «**من سعى في حاجة أخٍ له، كان بكلّ عضوٍ تحرَّك منه صدقة**»[(٧)].

---

(١) النهاية١: ٢٥ (أجر).

(٢) التعازي: ٩٤، عن محمّد بن حرب الهلالي. ذكر أخبار أصبهان١: ٨٧، عن إبراهيم بن الحسن، عن أمّه فاطمة بنت الحسين، عن الإمام الحسين. ربيع الأبرار٥: ١٢٦.

(٣) تفسير الثعلبي١٠: ٧٧. مجمع البيان١٠: ١٨٨، سورة المدَّثِّر.

(٤) سورة المدَّثِّر٧٤: الآية ٤٢ ـ ٤٦.

(٥) تفسير الثعلبي١٠: ٧٧، سورة المدَّثِّر، باختلاف يسير.

(٦) لم نعثر على قول الحسن، قد روي عن **الإمام الصادق** عليه السلام: «**لأن أمشي مع أخ لي في حاجة حتَّى أقضي له أحبُّ إليَّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل على ألف فرس في سبيل الله مُسرَجة مُلجَمة**»، المؤمن: ٤٨، قطعة من ح١١٣.

(٧) لم نعثر عليه.

وقال أبو قلابة: مَن سعى في حاجة أخ له مسلم قُضِيَت أو لم تُقض، كتبَ الله له عبادة سنة قيامها وصيامها[١].

وقال أبو سعيد الخدري: مَن أغاث مكروباً، أعتقه الله من النار يوم الفَزَع الأكبر[٢].

٤١٣. سافِرُوا تَصِحُّوا وَتَغْنَمُوا[٣].

ويروى هذا الخبر على وجهٍ آخر: «**سافروا تغنموا، وصوموا تصحّوا**»[٤].

المسافرة من باب «**طارقتُ النعل**» و«**عاقبت اللصَّ**» و«**عافاه الله**» في أنّه لا يكون بين اثنين، ولم يأت منه الثلاثي المجرّد، وإنّما جاءت منه المفاعلة، والاسم السَّفَر، وأصله الكشف[٥]، يُقال: «**سَفَرَت المرأةُ**» إذا ألقتْ قناعَها عن وجهها[٦]، و«**أسفرَ الصبح**» إذا أضاء[٧]، والسَّفَرة الكُتّاب[٨]؛

(١) لم نعثر عليه.

(٢) تفسير القرطبي١١: ٣٤٦، سورة الأنبياء.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٦٤، ح٦٢٢. المعجم الأوسط٧: ٢٤٥، وفيه (تسلموا) بدل (تَغْنَمُوا)، عن ابن عمر. مسند ابن حنبل٢: ٣٨٠، عن أبي هريرة. المحاسن٢: ٣٤٥/ كتاب العلل، ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق، عن آبائه ، كلاهما باختلاف يسير.

(٤) دعائم الإسلام١: ٣٤٢، عن الإمام علي. تفسير السلَّمي٢: ٢٧٧.

(٥) النهاية٢: ٣٧٢. المفردات: ٤١٢ (سفر). الفائق في غريب الحديث٢: ١٤٤.

(٦) العين٧: ٢٤٦. تهذيب اللغة١٢: ٢٧٨. المصباح المنير١: ٢٧٩ (سفر).

(٧) النهاية٢: ٣٧٢ (سفر). معجم الفروق اللغوية: ٢٧٨، الفرق بين السفر والكتاب.

(٨) العين٧: ٢٤٦. المفردات: ٤١٢ (سفر).

لأنّ فيه كشفاً وبياناً، والمِسفَرة: المِكنَسة[١] لسَفْرها الموضع، والسُّفْرة: طعام المسافر[٢]، وإنّما سمّي ظرفها سُفْرةً على الاستعارة. والسفير: الساعي بين اثنين بصلحٍ أو خير[٣]. وتصحّوا وتغنموا مجزومان على جواب الأمر؛ لتضمّنه معنى الجزاء. ويمكن أن يكون الخبر مخصوصاً بقومٍ لم يوافقهم ذلك الهواء، فأمرهم بالارتحال عنه، وبمَن لم يتّفق لهم صلاحٌ في معيشتهم في بلدهم؛ فإنّ معيشتهم كان أكثرها في التجارة أو الغزو والغنيمة؛ ألا ترى إلى قول شاعرهم:

ولم أرَ مِثل الفقر ضاجَعَه الفتى ولا كسواد اللَّيل أخفقُ طالبه[٤]

وقيل: إنّما سُمّي سَفَراً لأنّه يكشف عن أخلاق المرء[٥]. قيل: يُري العجائب، ويكسِب التجارب، ويَفتح المذاهب، ويَجلِب المكاسب، ويَشدُّ الأبدان، ويُنشِط الكسلان، ويُسلّي الأحزان[٦].

---

(١) الصحاح٢: ٦٨٦. النهاية٢: ٣٧٢ (سفر).

(٢) الصحاح٢: ٦٨٦. النهاية٢: ٣٧٣ (سفر).

(٣) أُنظر: العين٧: ٢٤٧. المفردات: ٤١٢ (سفر).

(٤) الأغاني١٢: ٣٩١. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٤٢. التذكرة الحمدونية١: ٢٨٤، نسب فيها لأبي النشناش.

وكان من ملاصّ بني تميم، وكان يعترض القوافل في شُذّاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. أُنظر: الأغاني١٢: ٣٩١.

(٥) ربيع الأبرار٣: ١١. التذكرة الحمدونيّة٨: ١٣١/ الرقم٣٦٠. تنبيه الخواطر١: ٤٢، نسب فيها لابن الأعرابي.

(٦) اللطائف والظرائف: ٢٢٥، نسبه لأحد الحكماء.

وقال الشاعر:

تغرَّبْ عن الأوطان في طلب العُلى وسافِر ففي الأسفار خمسُ فوائدِ

تفـرُّجُ كـربٍ واكتسـابُ معيشـةٍ وعلـمٌ وآدابٌ وصُـحبةُ ماجِـدِ

فإن قيل: في الأسفار ذِلٌّ ومحنَةٌ وقطع الفَيافي[١] وارتكاب الشدائدِ

فموت للفتى خيرٌ له من مقامه بدارِ هوانٍ بينَ واشٍ[٢] وحاسدِ[٣]

وقال آخر:

سأحدث في بطون الأرض ضرباً وأركـبُ فـي العُلـى غِيَـر الليـالي

فإمّا في الثرى فبسطتُ عذري وإمّـا فـي الثُّريـا والمعـالي[٤]

---

(١) الفَيفاء: الصحراء الملساء، والفيافي: جمعها، وكذلك الفيفاة: المفارة لا ماء فيها، والفيافي جمعها. أُنظر: لسان العرب ٩: ٢٧٤ (فيف).

(٢) الواشي والوَشّاء: النَّمّام. والنمّام يَشي الكذبَ: يؤلّفه ويلوّنه ويزيّنه، ووَشى كلامَه: كَذِبَ. أُنظر: لسان العرب ١٥: ٢٩٢ ـ ٢٩٣ (وشي).

(٣) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ: ٧١. يتيمة الدّهر٥: ٤٠، نسبه لابن وكيع التنيسي، باختلاف يسير.

(٤) دمية القصر٢: ١١٩٦. نزهة الألبّاء: ٢٦٢، والشاعر: أبو منصور الخوافي.

الخوافي الكاتب هو عبدالله بن سعيد بن مهدي الخوافي، أبو منصور الكاتب، قدم بغداد أيام العميد الكندري، واستوطنها إلى أن مات سنة ثمانين وأربعمائة، وكان أديباً فاضلاً، فرضياً حاسباً كاتباً، ظريفاً شاعراً، حسن المعرفة باللغة، له فيها مصنَّفات. أُنظر: الوافي بالوفيات١٧: ١٠٣.

٤١٤. يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا[١].

حُذف المفاعيل من هذه الأفعال كلّها، أي يسّروا الأُمور ولا تعسّروها، وقاربوا الناس، وكونوا معهم على سَداد، وسكِّنوهم ولا تنفّروهم عنكم؛ لأنّ المفعول كالفضلة في الكلام؛ أي سامحوا في المعاملة ولا تستقصوا.

ومثله قوله ﷺ: «**السَّماح رَباح، والعُسر شؤم**»[٢]. قيل: طلب الغاية شؤم. وهذا معلومٌ بالتجربة؛ فإنّ المسامح إذا عُرف بذلك كثُر معاملوه، فأمَرَه بما فيه صلاحه ونفعه.

وروي أنّ أعرابيّاً تعلّق بأستار الكعبة وكان يقول: اللّهُمَّ اغفر لي ومحمّداً، ولا تغفر معنا أحداً! فقال ﷺ: «**يا أعرابيُّ، لقد حجرت واسعاً**»، فمالَ الأعرابي إلى ناحية المسجد وبال فيه، فهمَّ به عمر يضربه، فقال ﷺ: «**يسّروا ولا تعسّروا وعلّموه**»[٣].

وقوله: «**قارِبوا وسدّدوا**»؛ يعني: قاربوا الناس، واستأنسوا بهم، ولا تنفّروهم عنكم، وكونوا على السّداد والصلاح.

وقيل: إنّ الحديث ورد على سببٍ؛ وذلك أنّ أبا بكر سأله عن الإزار،

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٦٥، ح٦٢٤. صحيح البخاري٧: ١٠١. صحيح مسلم٥: ١٤١، عن أنس، و٨: ١٦. سنن الترمذي٤: ٣١٤، قطعة من ح٥٠٢٩، كلاهما عن أبي هريرة.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٨، ح٢٣. الفردوس٢: ٣٤٧، ح٣٥٧١، عن ابن عمر.

(٣) سنن أبي داود١: ٩٤/ باب الأرض يصيبها البول، ح٣٨٠. سنن الترمذي١: ٩٩/ باب ما جاء في البول يصيب الأرض، ح١٤٧. المؤتلف١: ١٧٣، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

فقال: «**سدِّد وقارب**»[١]، من السداد وهو القصد؛ أي اعمل بالقصد فيه، فلا تُسبله إسبالاً، ولا تقلّصه تقليصاً. وقارِب أي اجعله مقارباً وسطاً بين التشمير والإرخاء. ذكره الزمخشري في فائقه[٢].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «**لعن الله المنفِّرين**»، قيل: ومَن هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يقنِّطونَ العباد من رحمة الله**»[٣].

وقال ابن مسعود: مَن أذنبَ ذنباً، وعَلِمَ أنّ الله اطّلع عليه، غُفِر له وإن لم يستغفر[٤]. وقيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: «**حبّبني إلى عبادي. قال: وكيف بذلك؟ قال: بيِّن لهم عدلي**»[٥].

٤١٥. زُرْغِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً[٦].

الغِبّ: أن تأتي الرَّجل يوماً وتدَعه يوماً، مشبّهاً بحمى الغبّ وهي أن

---

(١) تهذيب اللغة١٢: ١٩٥ (سد). النهاية٢: ٣٥٢ (سدد).

(٢) الفائق في غريب الحديث٢: ١٣٢.

(٣) الفردوس٣: ٤٦٨، ح٥٤٥١، عن أنس بن مالك باختلاف يسير.

(٤) المعجم الأوسط٤: ٣٧٤، رواه ابن مسعود. المستدرك على الصحيحين١: ٥١٤. المعجم الأوسط٤: ٣٨٥، عن عائشة عنه، باختلاف يسير. ربيع الأبرار٥: ٢٨٧، عن الإمام الباقر .

(٥) إحياء علوم الدين١٣: ٢٣. تفسير السمرقندي٢: ٢٣٥، سورة إبراهيم وفيه «أوحى إلى موسى ... أنَّ ذكرهم نعمائي».

(٦) مسند الشِّهاب١: ٣٦٦، ح٦٢٩. المعجم الأوسط٢: ٢١٠، عن أبي هريرة. الإخوان: ١٦٥/ باب في إغباب الزيارة، ح١٠٤، عن عبدالله بن عمر. المستدرك على الصحيحين٣: ٣٤٧، عن حبيب بن مسلمة.

تأتي يوماً وتَدَع يوماً[١]، وليس المراد مراعاة اليوم فاليوم؛ يعني: لا تُداوِم الزيارة لإخوانك فيملّوك.

وقيل: إنّ الخبر قاله **النبيّ** لأبي هُريرة: «**أبا هِرٍّ، زُرْ غبّاً تزدد حبّاً**»، فقالت عائشة: يا أبا هريرة، أكثرتَ في زورته فَمَلَّكَ، ودمتَ في ذلك فاستقلّك، لو كنت ممّن يزور غِبّاً أثّر في قلبه محلُّك، فقال : «**يا عائشة، ما مللناهُ ولا قللناه؛ ولكن أدّبناه**»[٢].

وقال الشاعر في هذا المعنى:

إذا شـئت أن تَقــلي فـزر متواتراً	وإن شئت أن تزداد حبّاً فزر غبّاً[٣]

وقال آخر:

عليــك بــإقلال الزيــارة إنّهــا	تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فــإنّي رأيـت القطـر يسـئم دائبـا	ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا[٤]

---

(١) الصحاح١: ١٩٠. النهاية٣: ٣٣٦ (غبب). تهذيب اللغة٨: ٢٦ (غب).

(٢) أُنظر: الكامل في ضعفاء الرجال٣: ٢٢٢.

(٣) الموشَّى: ٣٦. تاريخ بغداد١٢: ٤٨٩، نسب فيهما لأبي عمرو العتابي. معجم الأدباء١٥: ١٤، نسبه لأبي حيّان التوحيدي.

والعتابي، كلثوم بن عمرو، أبو عمرو العتابي، كان شاعراً خطيباً بليغاً مجيداً، وهو من أهل قنسرين، وقدم بغداد، ومدح هارون الرشيد وغيره، وله رسائل. وكان يلبس الصوف، ويظهر الزهد. أُنظر: تاريخ بغداد١٢: ٤٨٦.

(٤) الموشَّى: ٣٤. معجم الأدباء١٩: ٢١١، نسبه لناصر بن أحمد. جمهرة الأمثال١: ٥٠٥، نسبه لابن دريد.

ولآخر:

أقلِل زيارتك الصديق تكون كالثوب استَجَدَه
وأمَلُّ شيء لامرئ أن لا يزال يراك عنده[١]

وقال آخر:

رأيتُ الناسَ مَن ألقى عليهم نفسَه هانا
فزر غبّاً تزد حبّا وإن جرّعت أحزانا[٢]

ويناسب هذا المعنى قول أبي تمّام من وجهٍ وهو:

وطول مقام المرء في الحيِّ مُخلِق لديباجتيه فاغترب تتجدَّد
فإنّي رأيت الشمس زيدت مودَّةً إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد[٣]

وانتصاب «**غبّاً**» على صفة مصدر محذوف؛ أي زيارة غبّاً، ويجوز أن ينتصب على الظرف. وانتصاب حبّاً على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً لتزدد؛ لأنّ «**ازداد**» يتعدَّى إلى المفعول به.

---

(١) جمهرة الأمثال١: ٥٠٥، وفيه (الحبيب) بدل (الصديق). عيون الأخبار لابن قتيبة٣: ٣٣. تاريخ بغداد٣: ١٧١، وفيهما (إنّ الصديق٩ يملّه) بدل (وأملّ شيء لامرئ).

(٢) الأوراق٣: ٧٩، نسبه لعلية بنت المهدي. وأخت الرشيد، الهاشمية العبّاسية، أديبة، شاعرة، عارفة بالغناء والموسيقي، رخيمة الصوت. وأمّها: مكنونة، كانت جميلةً بارعة الغناء، اشتريت بمئة ألف. أُنظر: سير أعلام النبلاء١٠: ١٨٧.

(٣) البيان والتبين: ٣٠٧. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٣٧. الأغاني١٦: ٥٢٧، البيتان لحبيب بن أوسي الطائي.

٤١٦. قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ[١].

الهاء ضمير الناقة، والخبر ورد على سببٍ وهو: ما روي أنّ أعرابيّاً أتى **رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم على ناقةٍ له، فنزلَ عن ناقته، وخلاّها ودخل المسجد، فقال: **يا أعرابيُّ، إلى مَن وكلتَ ناقتك؟** قال: توكّلت على الله. فقال: «**قيّدها وتوكّل على الله**». وهذا على سبيل التعليم والتوقيف والأخذ بالاحتياط، فصارَ مَثَلاً في كلّ أمرٍ يؤمَر فيه بالاحتياط.

وروي أنّ **أمير المؤمنين** عليه السلام كان جالساً بالقرب من المسجد الحرام، فجاء أعرابيّ على بعيرٍ له، وعليه متاعه وما كان يحتاج إليه، فنزلَ عنه ورفع رأسه إلى السماء، وقال: يا مَن لا تضيع الودائع عنده! أستودعكَ الراحلة بما عليها، ودخل المسجد وطافَ بالبيت وصلّى عند المقام، فجاء أعرابيّ فوجد راحلة عليها متاع وليس معها أحدٌ يحفظها، فأخذ بزمامها فخرج، فلمّا فرغ الأعرابيّ من الطواف والصلاة، فلم يجد الراحلة، فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا ربّ، استودعتك راحلتي، فردّها عَليَّ؛ فإنّ الودائع لا تضيع عندك. قال: فما كان بأسرع إذا رأينا أعرابيّاً ينحدر من الجبل وعلى عاتقه زِمام الناقة، ويده اليمنى مقطوعة، والدم يسيل منها، وقد حملها معه بيساره، فردَّ الراحلة إلى الأعرابيّ.

قال الراوي للحديث: فسألناه عن قصّته، فقال: أخذتُ الراحلة، فلمّا

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٦٨، ح٦٣٣. المستدرك على الصحيحين٣: ٦٢٣. الآحاد والمثاني ٢: ٢١٥، ح٩٧١، عن عمرو بن أمية.

بلغتُ موضع كذا، ناداني منادٍ من ورائي: قِف يا سارق! فوقفتُ فأخذني ووضع يدي على صخرة، وأبانها منّي بحجرٍ، وقال لي: رُدَّ الراحلة إلى صاحبها! فرددتها إليه، وبقيت هكذا. فاستدعاه **أمير المؤمنين**ﷺ، وقال: «**هذه عقوبة الدُّنيا فتُب إلى الله أن لا تعود إلى مثله في الآخرة من العذاب الأكبر**». فقال الأعرابي: تبت إلى الله، وعاهدتك أن لا أعود إلى مثله. فقال : «**ناوِلني يدك المقطوعة**»، فناوَلها، فأخذها وجعل يحرّك شفتيه، ويدعو بدعاءٍ لم نسمعه، ووضع اليد المقطوعة على موضع القطع، فالتأمَ بإذن الله تعالى كأنْ لم يمسّها قطعٌ، فانصرف الأعرابيّ بخيرٍ وهو يقول: ﴿رَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[١][٢].

٤١٧. ابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ[٣].

التقدير «**بمن تعولُهُ**»، فحُذف [الهاء] كما حذف في قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾[٤]، والتقدير بعثه الله[٥]، والمفعول يُحذف كثيراً من

(١) هود ١١: ٧٣.

(٢) أُنظر: تفسير الرازي١: ٢٤٩، سورة البقرة.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٦٨، ح٦٣٤. صحيح البخاري٢: ١١٧. صحيح مسلم٣: ٩٦، عن أبي هريرة. الكافي٤: ٢٦، فضل المعروف، قطعة من ح ١، عن عبد الأعلى، عن الإمام الصادق.

(٤) سورة الفرقان٢٥: ٤١.

(٥) التبيان في تفسير القرآن٨: ٤٥٦، سورة يس. حجّة القراءات: ٥٩٩. تفسير القرطبي١٣: ٣٥، سورة الفرقان.

الكلام؛ لأنّه فضلة في الكلام، وإنّما المهمّ ذكر الفاعل؛ إذ الفعل مفتقرٌ إليه في وجوده، يُقال: بدأتُ الأمر وبالأمر، وابتدأته وابتدأتُ به[١]. ويقال: «**عالَ الرجُلُ عيالَه**» إذا قام بأمرهم فيما يحتاجون إليه[٢]، والعيال فِعال بمعنى المفعول، كالحساب والكتاب بمعنى المحسوب والمكتوب، فالعيال معول، وصاحب العيال عائل، مِن عالَهم يعُولُهم، ويجوز أن تكون العيلة التي هي الفقر من هذا؛ لأنّه إذا كان ذا عيال، يحتاج إلى الإنفاق عليهم فيفتقر، وإن كان هذا لازماً وذاك متعدٍّ، يُقال: «**عالَ الرجلُ يعيل عيلةً**» إذا افتقر[٣]، قال تعالى: ﴿وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[٤]، و«**أعال**» إذا كثر عياله[٥]، والهمزة فيه للتعدية؛ لأنّه إذا كثر عياله كثر إنفاقه عليهم فيفتقر، فكأنّهم أفقروه.

فأمّا العول في الفرائض[٦] فقيل فيه وجوهٌ؛ منها: أن يكون من

---

(١) أُنظر: المفردات: ١١٣. المصباح المنير٢: ٤٠ (بدأ).

(٢) النهاية٣: ٣٢١ (عول).

(٣) الصحاح٥: ١٧٧٩. النهاية٣: ٣٣٠. المفردات: ٥٩٧ (عيل).

(٤) سورة التوبة٩: ٢٨.

(٥) النهاية٣: ٣٢١. المفردات: ٥٩٧. تهذيب اللغة٣: ١٢٤ (عول).

(٦) العول أن تزيد السهام على التركة، كما لو تَرَكَ الميّتُ زوجةً وأبوين وبنتين، ففرضُ الزوجة الثُّمن، وفرض الأبوين الثلث، وفرض البنتين الثلثان، والتركة لا تتَّسع للثمن والثلث والثلثين. وكذا لو ماتت امرأة وتركت زوجاً وأختين لأب، فإنَّ فرض الزوج النصف، وفرض المرأتين الثلثان، ولا تحتمل الفريضة نصفاً وثلثين. والعول لا يتحقّق إلّا بوجود الزوج والزوجة. واختلفوا: هل يدخل النقص على كل واحد من أصحاب الفروض، أو على بعض دون بعض؟.

النقصان، فيكون الاشتقاق ممّا أشرنا إليه. وقيل: إنّه من الميل، يُقال: «**عالَ يعُولُ**» إذا مالَ؛ لأنّه ميل من فريضةٍ إلى غيرها. وقيل: إنّه من العول الذي هو الغلبة من قولهم: «**عِيلَ صبره**» أي غلب؛ لأنّه إذا لم يفِ الفرائض بالورثة فكأنّهم يغلبونها[١].

ومعنى الحديث: إبدأ في النفقة بعيالك وبمَن تعوله، ثمّ إن فضل من ذلك شيء فتصدّق به إن شئت؛ فإنّ هذا واجبٌ عليك، وذاك تطوّعٌ وتبرّع.

٤١٨. أُخْبُرْ تَقْلِهِ، وَثِقْ بِالنَّاسِ رُوَيْداً[٢].

هذا الحديث من الحِكمَة والموعِظة، والمثل، يُقال: خبّرتُ الرّجل خبراً وخبرةً واختبرته اختباراً[٣]. والقلى: البغض، يُقال: قلاه يقليه، وقلى يقلي[٤]، والأوّل أفصح، قال الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٥]، وقليتُ اللحم والسويق قَلَوتُهما، وذاك مَقليٌّ ومقلوٌّ[٦]، ومنه القَليَّة فعيلة بمعنى مفعولة.

---

(١) أُنظر: معاني القرآن للنحّاس٢: ١٥. التبيان في تفسير القرآن٣: ١٠٨، سورة النساء. النهاية٣: ٣٢١ (عول).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٦٩، ح٦٣٦. العزلة للخطابي: ٥٤. مسند الشاميين٢: ٣٥٨، ح١٤٩٣، عن أبي الدرداء. نهج البلاغة/ الحكمة٤٣٤.

(٣) ترتيب اصلاح المنطق: ١٤٠. أساس البلاغة: ٢١٣.

(٤) الصحاح٦: ٢٤٦٧. النهاية٤: ١٠٥. المفردات: ٦٨٣.

(٥) سورة الضحى٩٣: ٣.

(٦) العين٥: ٢١٢. تهذيب اللغة٩: ٢٢٥ (قلا). المصباح المنير٢: ٥١٥ (قلو).

وقال بعض المحدّثين:

أكلتُ قليَّةَ الأُستاذ جهلاً فمِن أجل القليَّة قد قلاني[١]

فكأنّه قال: ربّما تَرى الرجلَ فيُعجبك منظره ويروقك ظاهره، فظننتَ به خيراً قبل أن تجرّبه، فأحببتَه لظاهره المونق ومنظره الرائق المعجب. فقال ﷺ: «**أُخبر تقلِه**»؛ أي: جَرِّبْ تُبغِض. والهاء للاستراحة[٢] لا للضمير ولو كان للضمير وجب أن يكون في الفعل الأوّل ضمير نحو: اخبُره تقله. ولو كان كذلك لكان مخصوصاً بواحدٍ مشار إليه، وليس الغرض ذلك؛ إنّما الغرض العموم والشِّياع.

قال أبو العتاهية:

ابْلُ مَن شئت تَقلِه عن قليل بفعله

وتُبدِله هجرةً بَعد وُدٍّ بوصله

ضاع معروفُ واضعِ الـ عُرفِ في غيرِ أهله[٣]

ومثله في المعنى قول أبي الطيّب:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدَّثوا شجعوا

أهل الحفيظة إلّا أن تجرِّبهم وفي التجارب بعد الغيّ ما يزع[٤]

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) النهاية٤: ١٠٦ (قلا).

(٣) فصل المقال: ٣٩١. بهجة المجالس ٢: ٣٠٣.

(٤) شرح معاني شعر المتنبّي لابن الإفليلي١: ٣٤٣. الحماسة المغربية: ٥٢٧. محاضرات الأدباء١: ٣٥٣.

فكأنّه لمّا جرَّبَهم وجدهم غير مرضيّ الفِعال ومستقيمي الأحوال.

قال الأمير أبو فراس للمتنبّي من قصيدة:

إذا ما الناس جَرَّبَهُم لبيبُ   فإنّي قد أكلتهم وذاقا

فلم أرَ وُدَّهم إلاّ خداعا   ولم أرَ دينهم إلاّ نفاقا[١]

ولآخر في معناه:

لكنّني جرّبتكم فوجدتكم   لا تصبرون على طعامٍ واحدِ[٢]

قال الأزهريْ: يعني أنّ مَن جرّبهم رماهم بالمقت؛ لخبث سرائرهم، وقلّة إنصافهم، وفرط استئثارهم[٣]. قال:

مَن حمدَ الناسَ ولم يَبلُهم   ثمّ بلاهم ذمَّ مَن يَحمَد[٤]

---

(١) يتيمة الدّهر١: ٢٥٥. شرح معاني شعر المتنبّي لابن الإفليلي١: ٢٨١. الإبانة عن سرقات المتنبّي: ٩٦. وأحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، أبو الطيب المتنبّي: ولد بالكوفة في سنة ثلاث وثلاثمائة، ونشأ بالشام، وأكثر المقام بالبادية، وطلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ فيه الغاية التي فاق أهل عصره، وعلا شعراء وقته. واتصل بالأمير أبى الحسن بن حمدان المعروف بسيف الدولة، وانقطع إليه وأكثر القول في مديحه. ثم مضى إلى مصر فمدح بها كافور الخادم، وأقام هناك مدّة، ثم خرج من مصر، وورد العراق، ودخل بغداد، وجالس بها أهل الأدب. أُنظر: تاريخ بغداد٤: ٣٢٤.

(٢) الشعر والشعراء٢: ٨٠٦. الأغاني١٧: ٥١. محاضرات الأدباء٢: ٨٤، والشاعر: أبو نواس.

(٣) أُنظر: امتاع الأسماع للمقريزي ٢: ٣٠١.

(٤) العزلة والانفراد: ٣٢. الموشَّى: ٢٢. العزلة للخطابي: ٨، ولم نهتد لقائله، والبيت الآخر:

وصار بالوحدة مستأنسا   يوحشه الأقرب والأبعد

وقال بعض العلماء: وجدتُ الناس «**اخبُر تَقلِه**».

وثِقْ بالناس رويداً[١]، يُقال: وَثِقَ يَثِقُ وثوقاً وثقةً، والأمر: ثِق. وأمّا رويداً فأصله: أُروِد إرواداً، ثمّ حُذفت زوائده فصار روداً، ثمّ صغّر فصار رويداً، وهو اسمٌ لأمهِلْ[٢]، وانتصابه في الخبر على الحال؛ أي: ثِق بهم مُروِداً، وهو مصدر في موضع الحال، ويجوز أن يكون من معنى الفعل لا من لفظه، كقولهم: أعجبني حبّاً شديداً[٣]! والتقدير: أروِد في الوثوق بالناس إرواداً. أو على أنّه صفة مصدر محذوف؛ أي: ثِق بهم وثوقاً رويداً، كأنّه أمرَ بأن لا يُوثَق بكلّ أحدٍ وثوقاً كليّاً ولا يتّكل على كلّ أحدٍ اعتماداً جملةً، وهو قريب في المعنى من الحديث الأوّل، ومن قوله ﷺ: «**الحزم سوء الظنّ**»[٤]، وقيل: يدلّ على حمق الرجُل إحدى ثلاث: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والثقة بكلّ أحدٍ[٥].

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك: ٦١، الرقم١٨٥. عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٣. تفسير الرازي٢: ٢٠٨، سورة البقرة، عن أبي الدرداء، وليس فيها ذيله.

(٢) أُنظر: الصحاح٢: ٤٧٩. النهاية٢: ٢٧٦. العين٨: ٦٣ (رود).

(٣) ما أضيف إلى المصدر ممّا هو وصف له في المعنى بمنزلة المصدر تقول: سرت أشدَّ السير، وصمت أحسنَ الصيام. فتنصب أشدّ وأحسن نصب المصادر، وتقول: إنّه ليعجبني حبّاً شديداً؛ لأنَّ أعجبني وأحببته في معنى واحد، تنصب حبّاً على المصدر بما دلّ عليه يعجبه. اللمع في العربية: ٤٩.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٨، ح٢٤، عن عبد الرحمن بن عائذ.

(٥) الأمالي للسيد المرتضى١: ١٩٨. مجمع الأمثال٢: ٤٢٥. روضة العقلاء: ١١٩.

٤١٩. قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ[١].

لفظ القيد في العلم مَجاز على طريق المبالغة تشبيهاً بقيد الفرس والرحل إذا خيفَ ذهابهما، وهذا يدلّ على أنّ العلم لا يبقى؛ لأنّه لو كان باقياً لم يُنسَ ولم يحتج إلى حفظه بالكتابة، ومثله قولهم: الشكر قيد النعمة؛ فهو للآتي قيد، وللنائي صيد[٢]. وقيل: الشكر قيد الإحسان، والإحسان قيد الإنسان. وإلى هذا أشار أبو الطيّب في قوله:

وقيّدتُ نفسي في ذراك محبّةً ... ومَن وَجد الإحسان قيداً تقيّدا[٣]

والكتاب هاهنا مصدر كتبتُ الشيء كَتْباً وكتاباً وكتابةً[٤]، والكتابة: الصناعة لها كالصباغة والخياطة والحياكة[٥]، وأصل الكَتْب: الجمع، ومنه الكتيبة للجيش المجتمع[٦]، ومثله في المعنى قوله ﷺ: **«مَثَلُ القرآن كمثل الإبل المعلَّقة، إن عقَّلها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت»**[٧].

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٧٠، ح٦٣٧. الناسخ والمنسوخ لابن شاهين: ٥٧٥، ح٦١٤، عن أنس بن مالك. الحد الفاصل: ٣٦٥، ح٣١٨، عن عبدالله بن عمرو. تحف العقول: ٣٦.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٤١٦. سحر البلاغة: ٧١. زهر الآداب٢: ٣٨٩.

(٣) يتيمة الدّهر١: ٢٥١. التمثيل والمحاضرة: ١١٢. شرح معاني شعر المتنبّي لابن الإفليلي٢: ٢٠٥.

(٤) الصحاح١: ٢٠٩ (كتب).

(٥) المصباح المنير٢: ٥٢٤ (كتب).

(٦) النهاية٤: ١٤٨. المصباح المنير٢: ٥٢٥ (كتب).

(٧) مسند ابن حنبل٢: ٢٣. صحيح البخاري٦: ١٠٩/ باب استذكار القرآن وتعاهده. صحيح مسلم٢: ١٩٠/ باب الأمر بتعهّد القرآن وكراهة قول: نسيت آية كذا! وجواز قول: أنسيتها. وفيهما (مثل صاحب القرآن)، عن ابن عمر.

وقال الشاعر في هذا المعنى:

العلمُ صيدٌ والكتابة قيده أحكِمْ صيودك بالقيود الواثقة

فمِن الجهالة أن تصيد غزالةً فتركتَها مثل الخليّة طالقة[1]

٤٢٠. أَقِلَّ مِنَ الدَّيْنِ تَعِشْ حُرّاً، وَأَقِلَّ مِنَ الذُّنُوبِ يَهُنْ عَلَيْكَ الْمَوْتُ[2].

الإقلال والتقليل متعدّيان للقلّة، يُقال: قَلَّ الشيءُ، وأقلَلته إقلالاً، وقَلَّلته تقليلاً[3]. و«**تعش**» مجزوم بجواب الأمر؛ لتضمّنه معنى الشرط والجزاء، وانتصاب «**حرّاً**» على الحال. ولقد أحسن من قال:

أكثِر من الدرهم والعين كيما تعش حرّاً من الدَّين

فقوّة العين بإنسانها وقوّة الإنسان بالعين[4]

ولآخر في هذا المعنى:

قد قال قومٌ بغير علمٍ ما المرء إلاّ بأصغريه[5]

---

(١) شرح كتاب الأنباء في تجويد القرآن لإبن طحان ١: ١٠٧.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٧٠، قطعة من ح٦٣٨. معجم ابن الأعرابي٢: ٥٠١، قطعة من ح٩٧٣، عن ابن عمر.

(٣) الصحاح٥: ١٨٠٤. المصباح المنير٢: ٥١٤ (قلل).

(٤) يتيمة الدّهر٤: ٣٨٢. اللطائف والظرائف: ١٣٥، نسب فيه لأبي الفتح البستي. وفيهما بدل بيت الأوّل:

أشفق على الدرهم والعين تسلم من العينة والدين

(٥) والمراد بهما: القلب واللسان، كما في المصادر والروايات، ومنها: الخصال: ٣٣٨، ح ٤٢.

فقلـــت قـــول امـــرئٍ حكـــيمٍ مـــا المـــرء إلاّ بدرهميـــه
مـــن لـــم يســـاعده درهمـــاه لـــم يلتفـــت عرسُـــه إليـــه
وصـــار فـــي بيتـــه مهانـــاً يبـــول ســـنوره عليـــه[١]

ومثله قوله ﷺ: «**الدَّين شين الدِّين**»[٢].

«**وَأَقِلَّ مِنَ الذُّنُوبِ**»، الخبر؛ وذلك أنّ الرجل إذا قلّت ذنوبه سهل حسابه، وإذا سهل حسابه هانَ عليه الموت؛ لأنّه يَعلم أنّ بعد الموت حساباً، ويثق بأنّ حسابه يكون سهلاً، ولم يُعرف أحدٌ اجترأ على أن يقول ما قاله **أمير المؤمنين عليّ**عليه السلام: «**والله لا أُبالي وقع الموت عَليَّ أم وقعت على الموت**»[٣]. وكثيراً ما كان يقول إذا ضاق قلبه عليه السلام: «**ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدمٍ؟!**»[٤]. إلى أمثال ذلك[٥]، وكان يقول عليه السلام: «**اللَّهُمَّ**

(١) معجم الأدباء٤: ٩٣، والشاعر: أحمد بن فارس.

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم٥: ٢٤٦٩، ح٦٠١٧، عن مالك بن يخامر. مسند الشِّهاب١: ٥٣، ح٣١. الفردوس٢: ٢٢٧، ح٣٠٩٩، عن معاذ بن جبل.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٢٠، عن سفيان بن عيينة، عن الإمام الصادق. شرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد٦: ١١٧.

(٤) الإرشاد١: ١٣، عن الأجلح، عن أشياخ كندة، قال: سمعتهم أكثر من عشرين مرَّةً يقولون: سمعنا **عليّاً**عليه السلام على المنبر يقول:... المصنَّف لعبد الرزّاق١٠: ١٥٤/ باب ما جاء في الحرورية، ح١٨٦٧٠. العزلة للخطابي: ٧٧، عن عبيدة.

(٥) قال **الإمام عليّ**عليه السلام: «**إن أَقُلْ، يَقولوا: حَرَصَ عَلَى المُلْكِ! وإن أسكُتْ، يقولوا: جَزِعَ مِنَ المَوتِ! هَيهاتَ! بعدَ اللّتَيا والّتي! واللهِ لَابنُ أبي طالِبٍ آنَسُ بِالمَوتِ مِن الطِّفلِ بِثَدي أمِّه**»، نهج البلاغة، قطعة من الخطبة٥. التذكرة الحمدونيّة١: ٩٠.

إنّ هؤلاء مَلُّوني ومللتهُم، وسئموني وسئمتهم! اللّهُمَّ أبدِلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منّي»[١]. ولو أنّ أحداً هانَ عليه الموت لقلّة ذنوبه، لحقيقٌ بأن لا يبالي به بالةً، من قيل فيه: «**ما همَّ بمعصية الله قطّ**»، قاله سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام[٢].

٤٢١. وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ؛ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ[٣].

النظر ههنا بمعنى الفكر، والنصاب: الشيء المنصوب المعدّ لأمرٍ من الأُمور، ومنه نصاب السكّين، والنُّصُب: الحجارة المنصوبة التي كانوا يذبحون عليها الذبائح للأصنام، واحدها نصاب[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[٥].

والعِرق: مشبَّه بعرق الشجر. دسّاس: يدسّ الطيب أو الخبث إلى الفرع، والدسُّ دسُّك الشيء في خلال الشيء على خِفيَةٍ، ومنه الدَّسيس للجاسوس؛ لأنّه يدسّ نفسه في الناس ليَسمع ما هناك وينقُل[٦].

---

(١) نهج البلاغة، قطعة من الخطبة٢٥. الغارات٢: ٤٥٨. تاريخ دمشق٤٢: ٥٣٤، عن أبي صالح الحنفي.

(٢) روض الجنان٤: ٣٠٦، سورة آل عمران.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٧٠، قطعة من ح٦٣٨. معجم ابن الأعرابي٢: ٥٠١، قطعة من ح٩٧٣، عن ابن عمر.

(٤) النهاية٥: ٦٠. العين٧: ١٣٦. المفردات: ٨٠٧ (نصب).

(٥) سورة المائدة٥: ٣.

(٦) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٢: ٢٥٦. تهذيب اللغة١٢: ١٩٧ (دس). المصباح المنير٢: ١٩٤ (دسس).

ومعنى الحديث: الأمر بالاحتياط في الاستيلاد من المَهيرات[١] والسَّراري[٢] لنجابة الأولاد؛ فإنّ عرق الشّبه ينزع من الأمّ إلى الولد، ويروى: «**العرق نزّاع**»[٣]، ومثله قوله ﷺ: «**تخيّروا لنطفكم**»[٤]؛ لئلاّ يكون الولد كما قال أخٌ في أخيه:

أبوكَ أبي وأنتَ أخي ولكن ... أبي قد كان يبذر في السِّباخ[٥]

تجاريني فلا تجري كجريي ... وهل تجري البَياذِق[٦] كالرِّخاخ[٧]

---

(١) المَهيرة: الحُرَّة. صحاح اللغة ٢: ٨٢١ (مهر).

(٢) السَّراري، وهي الأمة التي بوَّأتَها بَيتاً، وهو فُعْلِيَّة منسوبة إلى السرِّ، وهو الجماع أو الإخفاء؛ لأنَّ الإنسان كثيراً ما يُسِرُّها ويسترها عن حرَّته. الصحاح في اللغة ٢: ٦٨٢ (سرر).

(٣) إحياء علوم الدين٤: ١٣٢. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٢.

(٤) الكافي٥: ٣٣٢/كتاب النكاح، باب اختيار الزوجة، قطعة من ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق باختلاف يسير. دعائم الإسلام٢: ٢٠٠، قطعة من ح٧٣٣، عن الإمام الباقر. سنن ابن ماجة١: ٦٣٣/ باب الأكفاء، قطعة من ح١٩٦٨، عن عائشة.

(٥) السِّباخ: جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولاتكاد تنبت إلّا بعض الشجرة. النهاية ٢: ٣٣٣ (سبخ).

(٦) البياذق والبياذقة: الرجَّالة في الحرب، جمع بيذق، من أدوات الشطرنج، واللفظ فارسيَّة معرَّبة، وقيل: سُمُّوا بذلك لخفَّة حركتهم وأنَّهم ليس معهم ما يثقلهم. النهاية ١: ١٧١. الإفصاح ٢: ١٣٠٩ (بذق).

(٧) الرُّخُّ: من أداة الشطرنج، والجمع رِخاخ. المحكم والمحيط الأعظم ٤: ٥١٠ (رخخ). ومصادر الأشعار: يتيمة الدّهر٤: ٧٤. البصائر والذخائر٤: ٢١٩.

٤٢٢. كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعاً تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحْبِبْ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَأَحْسِنْ مُصَاحَبَةَ مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَاعْمَلْ بِفَرَائِضِ اللهِ تَكُنْ عَابِداً، وَارْضَ بِقَسْمِ اللهِ .تَكُنْ زَاهِداً[١].

الوَرَع: اجتناب المعاصي، يُقال: ورع الرجُلُ يَرِع ورعاً ورعةً فهو ورِع إذا كان عفيفاً حذراً عن محارم الله[٢]، فإن فَعَلَ ذلك كان أعبد الناس؛ وذلك لأنّ من اجتنب كبائر الذنوب وصغائرها لا يكون أحدٌ أعبد لله منه؛ لأنّ من الورع: أن لا يخلّ بواجبٍ، ولا يرتكب قبيحاً، فيكون مستعملاً لطَرَفَي متعلَّق التكليف من الفعل والترك.

ومن كان قانعاً برزق الله، راضياً بقضاء الله، شاكراً نِعَم الله، فماذا يصنع؟! فهو من أشكر الناس لله؛ من حيث عَلم أنّ الله لا يَختار له إلاّ ما كان أصلح له في دينه، ومن لم يَرض بقضاء الله، فإن سخط فذلك لم يُغنِه شيء، كما قال القائل:

فإن تغضبوا من قسمة الله حظَّكم فللّه إذ لم يرضكم كان أبصرا[٣]

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٧٢، ح٦٤١ ـ ٦٤٢. مسند ابن حنبل٢: ٣١٠. سنن ابن ماجة٢: ١٤١٠، باب الورع والتقوى، ح٤٢١٧، عن أبي هريرة.

(٢) أُنظر: النهاية٥: ١٧٤. تهذيب اللغة٣: ١١٢. المصباح المنير٢: ٦٥٥ (ورع).

(٣) التذكرة الحمدونيّة٥: ١٢٤. العقد الفريد٦: ١٥٠. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١١٥، والشاعر: جميل بن معمر.

«**وَأَحْبِبْ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ**» الخبر؛ وذلك أنّ مِن حُسن إسلام المرء أنّه إذا نظر إلى أخيه رأى نفسه، فيريد به ما يريد بنفسه، ويقدِّر فيه ما يقدّر لنفسه؛ لأنّ لُحمة الإسلام جمعتهم فهم كنفسٍ واحدة، والعاقل لا يريد بنفسه إلاّ الخير، فهذه إحدى خصال المؤمن الدالّة على إيمانه.

«**وَاعْمَلْ بِفَرَائِضِ الله تَكُنْ عَابِداً**»؛ وذلك لأنّ أفضل الأعمال العمل بالفرائض، فالفرائض لها حظّان: حظّ استحقاق الثواب بفعله، والأمن من العقاب بتركه. ورويَ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي لزوالها ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: أنّ المراد صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾[1] صلاة الغداة، فذكر الصلوات الخمس[2]. وروي: «**من صلّى العشاء الآخرة كُتِبَ عند الله من المصلّين بالليل**»[3].

جميل بن مَعمَر بن حبيب بن وهب، ولجميل خبر في إسلام عمر، وإخباره قريشاً بذلك معروف في المغازي، وكان يسمّى ذا القلبين، وفيه نزلت ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾، أسلم عام الفتح وكان مسنّاً، وشهد مع رسول الله حنيناً. أُنظر: الوافي بالوفيات١١: ١٤٠.

(١) سورة الإسراء١٧: ٧٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن٦: ٥٠٩. مجمع البيان٦: ٢٨٣. تفسير الرازي٦: ١٥٦، سورة الإسراء.

(٣) لم نعثر عليه بألفاظه، وقد روي عن **رسول الله** ﷺ: «**من صلّى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلّى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة**»، سنن أبي داود١: ١٣٤/ باب في فضل صلاة الجماعة، ح٥٥٥. سنن الدارمي١: ٢٧٨/ باب المحافظة على الصلوات، كلاهما عن عثمان بن عفان. مجمع البيان٢: ١٢٧.

فأمّا حسن الجوار لجارك وحسن المصاحبة لصاحبك، فهما خصلتان من خصال الخير تدلاّن على إيمان صاحبهما وإسلامه؛ وذلك لأنّ حقّهما واجبٌ على صاحبه، وهما أيضاً علامتان من علامات الإسلام والإيمان.

والرِّضا بقسمة الله من علامة الزهد والرغبة عن الدُّنيا؛ لأنّه إذا رضيَ بما قسمَ الله له، ولم يطلب الزيادة، كان زاهداً بعيداً عن الآفات المضرّة بدينه، وتفرّغ لعبادة الله.

٤٢٣. اِزْهَدْ في الدُّنْيَا يُحْبِبْكَ اللهُ، وَازْهَدْ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحْبِبْكَ النَّاسُ[١].

وذلك لأنّ الزهد في الدُّنيا علامة الرغبة في الآخرة، وإذا كان حبّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة[٢]، فمن اجتنب رأس الخطايا لا محالة يحببه الله. وقيل: سمع بعض العلماء رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدُّنيا، الراغبون في الآخرة؟ فقال له: يا هذا، اقلِب الكلام، وضَع يدك على من شئت[٣].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٧٣، ح٦٤٣. سنن ابن ماجة٢: ١٣٧٣/ كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، قطعة من ح٤١٠٢. المستدرك على الصحيحين٤: ٣١٣، عن سهل بن سعد. الأمالي للطوسي: ١٤٠، قطعة من ح٢٢٨، عن محمد بن عيسى الكندي، عن **الإمام الصادق** .

(٢) شعب الإيمان٧: ٣٣٨/ باب في الزهد وقصر الأمل، ح١٠٥٠١، عن الحسن، وفيه (الدينار). تاريخ دمشق٤٧: ٤٢٨، عن يحيى بن سعيد، عن عيسى . الكافي٢: ٣١٥/ كتاب الإيمان والكفر، باب حبّ الدنيا والحرص عليها، ح١، عن هشام، عن **الإمام الصادق** .

(٣) نثر الدرّ ٧: ٥٧. محاضرات الأدباء١: ٦١٣. هذا وقد روى المفيد بإسناده، عن زرارة بن أعين، قال: سمع سائل في جوف الليل وهو يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه: ذاك علي بن الحسين. الإرشاد٢: ١٤٤.

وعن الحسن البصري[1] قال: مرض سلمان الفارسي مرضه الذي مات عنها، فدخل عليه سعد يعوده وقال: يا سلمان، كيف تجدك؟ قال: فبكى، فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: واللهِ ما أبكي حبّاً للدُّنيا، وإنّما أبكي لهذه الأساود حولي! فقال سعد: فنظرتُ، فوالله ما رأيتُ حوله إلاّ إجّانةً[2] ومِطهَرةً[3]!

وروي أنّه لمّا بُعِث إلى المدائن، ركبَ حماره وحده، ولم يُصحبهُ أحداً، ووصل إلى المدائن خبرُ قدومه، فاستقبله أصناف الناس على طبقاتهم، فلمّا رأوه قالوا له: أيّها الشيخ، أين خلّفت أميرنا؟ قال: ومَن أميركم؟ قالوا: الأمير سلمان الفارسي، صاحب رسول الله. فقال: لا أعرف الأمير، وأنا سلمان، ولَستُ بأمير! فترجّلوا له وقادوا إليه المراكب والجنائب[4]، فقال: إنّ حماري هذا خيرٌ لي وأرفق وأوفق. فلمّا دخل البلد أرادوا أن ينزلوه دار الإمارة، فقال: ما لي ولدار الإمارة، ولَستُ بأمير؟! فنزل على حانوت في السوق، وقال: ادعوا صاحب الحانوت، فاستأجره منه، وجلس هناك يقضي بين الناس، وكان معه وطاءٌ يجلس عليه،

---

(١) رواه عن الحسن ابن عساكر، ولم يذكر فيه ذيله، أُنظر: تاريخ دمشق٢١: ٤٥٥.

(٢) الإجّانة: المِركن، والذي يُغسَل فيه الثياب. مجمع البحرين ٦: ١٩٧ (أجن).

(٣) المستدرك على الصحيحين٤: ٣١٧. الزهد لأحمد بن حنبل: ١٢٥، ح٨٢٥. روضة الواعظين: ٤٩٠، وزاد فيها: عَهِدَ [**رسول الله** ﷺ] إلينا عهداً حيّاً وميّتاً قال: «**لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب**».

(٤) الجَنائب: جمع الجنيبة، وهي الدابّة تقاد. لسان العرب ١: ٢٧٦ (جنب).

ومطهرةٌ يتطهّر بها للصلاة، وعكّازة يَعتمدُ عليها في المشي، فاتّفق أنّ سيلاً وقع في البلد، وارتفع صياح الناس بالويل والعويل يقولون: وا أهلاه! ووا ولداه! ووا مالاه! فقام سلمان، ووضع وطأه على عاتقه، وأخذَ مطهرتهُ وعكّازته، وارتفع على صعيدٍ، وقال: هكذا ينجو المُخفّون يوم القيامة[1].

وروي عن **النبيّ**ﷺ أنّه قال: «**ثلاثة لا حقّ لابن آدم في سواهنّ: ثوبٌ يواري عورته، وظِلٌّ يكنّه، وجِلْفٌ**[2] **من الخبز، وما فوق ذلك فليس له فيه حقّ**»[3].

وأنشد الخليل ابن أحمد:

يكـفي الفتى خليق وقوت ما أكثر القوت لمن يموت[4]

وعنه ﷺ أنّه قال: «**إنّ هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وإنّهما مهلكاكم، فانظروا كيف تعملون**»[5].

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمه. أُنظر: انوار النعمانية ١: ٤٣.

(٢) الجِلف: الخبر، والخبز الغليظ اليابس. النهاية ١: ٢٨٧ (جلف).

(٣) سنن الترمذي٤: ٣/ باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، ح٢٤٤٤. مسند ابن حنبل١: ٦٢. طبقات المحدّثين بأصبهان٣: ٢٠، عن عثمان بن عفان باختلاف.

(٤) الزهد الكبير للبيهقي: ٩٠. معجم ابن المقرئ: ٤٠٢/ الرقم١٣١٠. معجم الأدباء٣: ١٢٦٨، وفيها (حسبك من دهرك القوت) بدل المصراع الأوّل.

(٥) الكافي٢: ٣١٦/ كتاب الإيمان والكفر، باب حبّ الدنيا والحرص عليها، ح٦. الخصال: ٤٣، ح٣٧، عن الحارث الأعور، عن الإمام علي. صحيح ابن حبّان٢: ٤٦٩، عن أبي موسى الأشعري، عنه ، وليس فيها (فانظروا كيف تعملون).

وقال ابن الرومي:

إذا ما كساك الله سربال صحّةٍ ولم تخلُ من قوتٍ يلذّ ويعذبُ

فلا تغبطنّ المكثرين فإنّه على قدرِ ما يُكثرهم الدهر يسلب[1]

وإذا زهد فيما في أيدي الناس، وقطع الطمع عنهم، ولم يكن كِلاًّ عليهم، أحبّوه، وهذا معلوم ضرورةً.

٤٢٤. كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ[2].

هذا وعظ يعِظنا به، ونصيحة يَنصح لنا بها يقول: كونوا في الدُّنيا كالغرباء وأبناء السبيل. وقال في حديثٍ آخر: «**الدُّنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمّروها**»[3]، والعاقل لا يَبني على القناطر، ولا يتّخذها وطناً، وعابر السبيل لا يُقيم على قارعة الطريق في ممرّ السابلة.

---

(١) ربيع الأبرار٣: ١٦٢. المنتظم١٢: ٣٦٥. البداية والنهاية١١: ٨٥.

وابن رومي عليُّ بن العبّاس بن جريج، أبو الحسن، مولى عبدالله بن عيسى بن جعفر يعرف بابن الرومي: أحد الشعراء المكثرين المجودين في الغزل، والمديح، والهجاء، والأوصاف. روى عنه غير واحد من أهل الأدب. أُنظر: تاريخ بغداد١٢: ٢٣.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٧٣، ح٦٤٤. سنن الترمذي٣: ٣٨٨ / باب ما جاء في قصر الأمل، ح٢٤٣٥. سنن ابن ماجة٢: ١٣٧٨ / باب مثل الدنيا، ح٤١١٤. الأمالي للطوسي: ٤٠٢، ح٨٩٦، عن ابن عمر.

(٣) الفردوس٢: ٢٢٨، ح٣١٠٢، عن ابن عمر. الخصال: ٦٥، قطعة من ح٩٥، عن الزهري. الأمالي للمفيد: ٤٣، قطعة من ح١، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام السجّاد.

وقال عليّ عليه السلام: **«الدُّنيا دار ممرّ، والآخرة دار مقرّ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند ما لا يَخفى عليه أسراركم»**[(١)].

قال حمّاد بن إسحاق: رأيتُ إبراهيم بن المهديِّ في أيدي أبي العتاهية بمكّة وهو ينشده:

عجباً عجبت لغفلة الإنسان ... قطع الحياة بغرّةٍ وتواني
فكّرت في الدُّنيا فكانت منزلاً ... عندي كبعض منازل الرُّكبان
مجرى جميع الخلق فيها واحدٌ ... وكثيرها وقليلها سيّان
أبغي الكثير إلى الكثير مضاعفاً ... ولو اقتصرت على القليل كفاني
لله دَرُّ الوارثين كأنّني ... بأخصّهم متبرّماً بمكاني
قلقاً لتجهيزي إلى دار البلى ... متحرّياً لكرامتي بهواني[(٢)]

ولمحمّد بن حازم في قصيدة:

وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنّك بعدها محمولُ[(٣)]

---

(١) نهج البلاغة، قطعة من الخطبة٢٠٣. الإرشاد١: ٢٩٥. الأمالي للصدوق: ٢٨٩، قطعة من ح٣٢١، عن طاوس اليماني، عن الإمام السجّاد، باختلاف يسير.

(٢) كتاب الأوراق٣: ٤٦. إرشاد القلوب١: ٢٠، ذكر الأبيات دون صدره.

(٣) روضة الواعظين: ٤٩٤. بستان الواعظين: ١٩٣، لم ينسب فيهما لقائل.

محمّد بن حازم بن عمرو الباهليّ. يكنّى أبا جعفر، وهو من ساكني بغداد، مولده ومنشؤه البصرة، وهو من شعراء الدولة العبّاسيّة، شاعر مطبوع، إلّا أنّه كان كثير الهجاء للناس، فاطّرح، ولم يمدح من الخلفاء إلّا المأمون، ولا اتّصل بواحد منهم. أُنظر: الأغاني١٤: ٣١٤.

٤٢٥. دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلى مَا لَا يُرِيبُكَ[١].

يُقال: «**رابه كذا**» إذا أوقعه في الريبة وهي التهمة، و«**أرابَ**» إذا جاء بريبة، و«**رِبتُ فلاناً**» إذا اتّهمته بما رأيت فيه وعلِمته، و«**أرَبته**» إذا ظننت فيه[٢].

قال الشاعر:

أخوكَ الذي إن ربته قال إنّما   أربت وإن عاتبته لانَ جانبه[٣]

و«**ما**» يجوز أن تكون موصولةً أو نكرةً موصوفة، والموصولة أولى. ومعنى الحديث: دَع الشيءَ الذي تعلم فيه تهمةً وشبهةً إلى ما لا تعلم ذلك فيه؛ أي: دَع هذا، وخُذ ذاك. والأَولى أن تكون الأُولى موصولةً والثانيةُ نكرةً موصوفةً، وتقديره: دَع الشيءَ الذي يُريبك إلى شيءٍ لا يريبك.

وقال ﷺ: «**الأُمور ثلاثة: أمرٌ بيّنٌ رشده فاتّبِعوه، وأمرٌ بيّنٌ غيّه فاجتنبوه، وأمرٌ مختلَفٌ فيه فرُدُّوه إلى الله عزّ وجلّ**»[٤].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٧٤، ح٦٤٥، عن ابن عمر. سنن الترمذي٤: ٧٧، ح٢٦٣٧. سنن النسائي٨: ٣٢٧. سنن الدارمي٢: ٢٤٥، عن أبي الحوراء السعدي، عن **الإمام الحسن** .

(٢) أُنظر: الصحاح١: ١٤١. العين٨: ٢٨٧(ريب). عمدة الكتاب للنحّاس: ٣٩٧.

(٣) طبقات الشعراء١: ٢٧. تاريخ بغداد٧: ١١٨، نسبه لبشار بن برد. معاني القرآن للزجاج١: ٦٩.

(٤) معاني الأخبار: ١٩٦، ح٢، عن جميل بن صالح، عن الإمام الصادق. تحف العقول: ٢٧. تاريخ مدينة دمشق٥٥: ١٣٢، عن ابن عبّاس، وعنه فيما قال عيسى بن مريم في قومه.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾[(١)]، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾[(٢)].

٤٢٦. أُنْصَرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً[(٣)].

روي أنّه لمّا قال هذا الحديث قيل: يا رسول الله، ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال ﷺ: «**خذوا على يده؛ لئلاّ يظلِم**»[(٤)]؛ فإنّه نصرةٌ له؛ لأنّ الظالم مَلومٌ في الدُّنيا معذَّب في الآخرة، فإذا منعته من الظلم، نجّيته من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة.

وقال بعض أصحاب **جعفر بن محمّد** عليه السلام: أيجوز لنا أن نتولّى العمل من قبل آمر الجور؟ قال: «**نعم إذا نصرتَ المظلوم، وأغثت الملهوف**»[(٥)].

وقال بعضهم:

لا تظلمنَّ وإن نالتك مقدورة ... إنّ الظلوم على بالٍ من النِّقَمِ
نامَت عيونك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لَم تَنَمِ[(٦)]

(١) سورة النساء٤: ٥٩.

(٢) سورة الشورى٤٢: ١٠.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٧٥، ح٦٤٦. صحيح البخاري٣: ٩٨. سنن الترمذي٣: ٣٥٦، ح٢٣٥٦، عن أنس. سنن الدارمي٢: ٣١١، عن جابر باختلاف يسير.

(٤) صحيح البخاري٣: ٩٨/كتاب المظالم، باب أعِنْ أخاك ظالماً أو مظلوماً. مسند ابن حنبل٣: ٢٠١. صحيح ابن حبّان١١: ٥٧١، عن أنس باختلاف يسير.

(٥) لم نعثر عليه.

(٦) الديوان المنسوب إلى الإمام عليٍّ : ١٥٥. الكبائر للذهبي: ١٥٥. المستطرف١: ١٩٠، باختلاف في البيت الأول.

وليحيى بن خالد قاله في حبس الرشيد:

وحـــقّ الله أنّ الظلـــم لـــؤمٌ   ومـا زال المســيء هـو المَلـومُ
تنـام ولـم تـنم عنـك المنايـا   تنبّـــه للمنيّـــة يـــا نـــؤوم
تـروم الخلـد فـي دار المنايـا   فكـم قـد رام قبلـك مـا تـروم
إلـى ديّـان يـوم الـدين نمضـي   وعنـــد الله تجتمـــع الخصـــوم
سـتعلم فـي المعـاد إذا التقينـا   غداً عند الحسابِ مَن الظلوم[1]

وكلاهما واجبٌ؛ أعني نُصرة المظلوم والظالم على الوجه الذي بيّنه ؛ لأنّ أحدهما أمرٌ بمعروفٍ والآخر نهيٌ عن مُنكرٍ، وكلاهما واجبان بحسب المصلحة.

وقالت ليلى الأَخْيَلِيّة:

ومخـرَّقٌ عنـه القمـيص تَخالُـهُ   بـين البيـوت مـن الحيـاء سَـقيما
حتّــى إذا بــرز اللــواء رأيتــه   تحت اللواء على الخميس زعيما
لا تقـــربنَّ الـــدهرَ آلَ مطـــرِّفٍ   لا ظالمـــاً أبـــداً ولا مظلومـــا[2]

٤٢٧. اِرحَمْ مَنْ في الأرضِ يَرحَمْكَ مَن في السَّماءِ[3].

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمّد بيده لن تدخلوا الجنّة حتّى تَراحموا**»،

(١) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ : ١٦٢، خطاباً لمعاوية. الأغاني٤٠: ٣٠٦. الأمالي للشجري١: ١٠٧، نسب لأبي العتاهية.

(٢) الأمالي للسيد المرتضى١: ٤٣. تاريخ دمشق٧٠: ٦٣. التذكرة الحمدونيّة٤: ٢٣، وهي شاعرة عربية من بني عقيل.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٧٥، ح٦٤٧. مسند أبي يعلى ٨: ٤٧٤، ح٥٠٦٣. المعجم الأوسط٢: ١٠١، عن عبدالله بن مسعود. من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٩، ح٥٨٠٦.

قالوا: يا رسول الله، كلّنا رحيمٌ؟! قال: «**إنّه ليس برحمة أحدكم خاصّةً؛ ولكن رحمة العامّة**»[١].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «**يقِف العبد بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة فيقول: اللّهُمَّ ارحمني! فيقول الله: هل رحمتَ لي شيئاً من خلقي فأرُدّها عليك هات؟! فلو رحمت شيئاً من خلقي لأجلي فأرحمكَ ولو عصفوراً**».

ويروى: أنّ رجلاً كان يشتري الطيور فيعتقها، فلمّا مات اجتمعت الطُّيور على جنازته ما لا يحصى عددها تصيح، فلمّا قُبِر سَمعوا صوتاً: إلى كَم تصيحون؟! قد وهبتهُ لكم[٢]. وفي الخبر: «**أنّ من رحم ولو على ذبيحته، رحمه الله يوم القيامة**»[٣].

وقوله: «**مَن في الأرض**»؛ يعني خلق الله في الأرض، والشفقة على خلق الله. و«**مَن في السماء**» قيل: الملائكة. وقيل: أراد به الله ﷻ سلطانه على سبيل التوسّع والمجاز؛ يعني: في السماء ملكه وأمره وسلطانه، حيث لا أمر ولا سلطان لأحدٍ سواه.

---

(١) المستدرك على الصحيحين٤: ١٦٧، عن أبي موسى الأشعري. المنتخب من مسند عبد بن حميد ٤٢٤، ح١٤٥٤، عن أبي هريرة. شعب الإيمان٧: ٤٧٨/ باب في رحم الصغير وتوقير الكبير، ح١١٠٥٩، عن أنس بن مالك، باختلاف يسير.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) المعجم الكبير٨: ٢٣٤. شعب الإيمان٧: ٤٨٢/ باب في رحم الصغير وتوقير الكبير، ح١١٠٧٠. تاريخ دمشق٦٣: ١١٧، عن أبي أمامة باختلاف يسير.

وروي: أنّ حبراً من أحبار اليهود قال لبعض[١] أصحاب رسول الله: أين الله؟ قال: في السماء. قال: فأرى الأرض خاليةً منه! فقال: هذا كلام الزنادقة! اغرب عنّي، وإلاّ ضربت عُنقك! فخرج يستهزئ بالإسلام وأهله، فأُخبِر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فاستدعاه وقال: «**بَلَغَني ما سألتَ وأُجبت به يا أخا اليهود! لا يقال لله: أين؟! فإنّ الله أيَّن الأين؛ أين عبارة عن المكان، وكان الله ولا مكان، فخلقَ المكان، ولم يتغيّر عمّا كان. ثمّ** قال له: **لو أخبرتُك بما في التوراة، وتعلم أنّه حقّ آمنتَ؟**» قال: نعم، قال: «**أليس في سِفر كذا من التوراة: إنّ أربعة من الملائكة اجتمعوا عند موسى فقال لهم: من أين أقبلتم؟ قال أحدهم: من السماء السابعة من عند الله. وقال الآخر: من الأرض السابعة من عند الله. وقال الآخر: من أقصى المشرق من عند الله. وقال الآخر: من أقصى المغرب من عند الله. فقال موسى : سبحان من لا يحتاج إلى مكانٍ، ولم يكن إلى مكانٍ أقرب منه إلى مكان**». فقال اليهودي: صدقت. وآمنَ على يده[٢].

٤٢٨.اسمَحْ يُسمَحْ لَكَ[٣].

أي: سهِّلْ وسامِحِ الناس يسهَّل عليك[٤] وتُعامَل بمثل ما فعلت من

(١) المراد منه في المصادر: أبو بكر.

(٢) أُنظر: الإرشاد١: ٢٠١. الاحتجاج١: ٣١٢.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٧٦، ح٦٤٨. مسند ابن حنبل١: ٢٤٨. المعجم الأوسط٥: ٢١١. الآثار لأبي يوسف٨: ٤٠، عن ابن عبّاس.

(٤) النهاية٢: ٣٩٨ (سمح).

السماح. والمسامحة وهي المساهلة[١]. وطابقَ بين الجزاء والمجزيِّ عليه للازدواج. وبناء ما لم يسمِّ فاعله كثيراً يجيء في أفعال الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ في مواضع[٢]، والكاتب هو جلّ وعزّ. وقال: ﴿وَعُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣] يحرِّض الناس على المساهلة؛ ليُقابَلوا بمثلها.

٤٢٩. أسبِغِ الوُضوءَ يَزِدْ في عُمرِكَ، وَسَلِّمْ عَلى أهلِ بَيتِكَ يَكثُرْ خَيرُ بَيتِكَ[٤].

الإسباغ: الإتمام. والسوابغ: الدروع التامّة[٥]، قال الله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾[٦]، وقال:

وعليهما مسرودتان قضاهما　　　داود أو صنع السوابغ تُبَّع[٧]

المعنى: تمّمِ الوضوء، وأسبِغه بفرائضه وسننه وآدابه، يزد الله في عمرك

---

(١) النهاية٢: ٣٩٨. الصحاح١: ٣٧٦. المحيط في اللغة١: ٢٠٢ (سمح).

(٢) البقرة١: ١٧٨ و١٨٠ و١٨٣ و٢١٦ و٢٤٦.

(٣) سورة النمل٢٧: ١٦.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٧٦، ح٦٤٩. المعجم الأوسط٥: ٣٢٨. مسند أبي يعلي٧: ١٩٧، ح٤١٨٣، عن أنس بن مالك.

(٥) أُنظر: النهاية٢: ٣٣٧. الصحاح٤: ١٣٢١. المفردات: ٣٩٥ (سبغ).

(٦) سورة سبأ٣٤: ١١.

(٧) غريب الحديث لابن قتيبة١: ٢٩٩. الصحاح٣: ١٢٤٦ (صنع). التبيان في تفسير القرآن١: ٤٢٩، نسب فيها لأبي ذؤيب.

على الطريق الذي بيّنّاه، وهذا البناء يسمّى: الفعل المجهول، وما لم يُسَمَّ فاعله، والفعل المبنيُّ للمفعول، والمُسنَد إلى المفعول.

وعن أنس بن مالك قال: خدمتُ رسول الله وأنا ابن ثمان سنين، فكان أوّل ما علّمني أن قال ﷺ: «**يا أنس، أحسِن وضوءَك لصلاتك، تحبّك حفَظَتُك، ويزد في عمرك**»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن سمرة الأنصاري قال: خرج علينا **رسول الله** ﷺ ونحن في مسجد المدينة، قال: «**لقد رأيت البارحةَ عجباً! رأيت رجُلاً من اُمّتي قد بُسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**الطَّهور شطر الإيمان**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**ما توضّأ عبدٌ فأَسبَغَ وضوءَه، ثمّ قام إلى الصلاةِ، إلاّ غُفر له ما بينه وبين صلاة أخرى**»[(٤)]، والله تعالى يقول: ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾[(٥)]، ولا يتمّ النعمة على العبيد إلاّ بغفران ذنوبهم.

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي: ١٨٠، ح٢٢٧. تفسير الثعلبي٤: ٣٢.

(٢) الأمالي للصدوق: ٣٠١، قطعة من ح٣٤٢. تاريخ دمشق٣٤: ٤٠٦. تفسير الثعلبي٤: ٣٢.

(٣) صحيح مسلم١: ١٤٠ / كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء. سنن الدارمي١: ١٦٧/ كتاب الصلاة، باب ما جاء في الطهور. سنن البيهقي١: ٤٢ باب فرض الطهور ومحلّه من الإيمان، عن أبي مالك الأشعري.

(٤) مسند ابن المبارك: ٢٧، ح٣٧. شعب الإيمان٣: ٩/ باب في الطهارات، ح٢٧٢٨. مسند ابن حنبل١: ٦٧، باختلاف يسير، وعن عثمان.

(٥) سورة المائدة٥: ٦.

«**وسلِّم على أهل بيتك**»؛ من السنّة أنّ الرجُل إذا دخل بيته سلَّمَ على أهل بيته تبرّكاً به للسلامة[(١)]؛ لأنّ السلم مشتقٌّ منها[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[(٣)]، هذا واجب؛ لأنّه على سبيل الإعلام والاستيذان[(٤)]. وأمّا في الخبر فهو على طريق الاستحباب، ثمّ وعدَ عليه خيراً عاجلاً، وهو كثرة الخير والبركة في بيته، والبيت: موضع البيات والبيتوتة، وهو المقام بالليل والظُّلول بالنهار، يُقال: ظَلَّ يَفعل كذا، وبات يفعل كذا[(٥)].

٤٣٠. إستَعفِف عَنِ السُّؤالِ مَا استَطَعتَ[(٦)].

عَفَّ عن كذا واستعفَّ بمعنى، ويجوز أن يكون السين للطلب كأنّه

---

(١) روى الصدوق بإسناده عن أبي الصباح، قال: سَأَلتُ **أبا جَعفَرٍ** عليه السلام عَن قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿فَإذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة النور٢٤: ٦١]؟ قالَ: «**هُوَ تَسليمُ الرَّجُلِ عَلى أهلِ البَيتِ حينَ يَدخُلُ، ثُمَّ يَرُدّونَ عَلَيهِ، فَهُوَ سَلامُكُم عَلى أنفُسِكُم**». معاني الأخبار: ١٦٢/ باب معنى تسليم الرجل على نفسه.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٣: ٩١. تهذيب اللغة١٢: ٣١٠ (سلم). التبيان في تفسير القرآن٢: ٤١٨، سورة آل عمران.

(٣) سورة النور٢٤: ٢٧.

(٤) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٧: ٤٢٥. تفسير الطبري١٨: ١٤٥، سورة النور.

(٥) بات يفعل كذا: فعله ليلاً، كما يقال: ظلّ يفعل كذا، إذا فعله نهارا. الصحاح١: ٢٤٥. كتاب العين٨: ١٣٨ (بيت).

(٦) مسند الشّهاب١: ٣٧٨، ح٦٥٠. المستدرك على الصحيحين١: ٤٠٨. صحيح ابن خزيمة٤: ٩٦، عن عبد الله، والأخيرين باختلف يسير. الكافي٤: ٢٠/ باب كراهية المسألة، قطعة من ح٣، عن أحمد بن النضر رفعه.

قاصد للعفاف[١]، و«ما» للأمد؛ يعني ما دمت مستطيعاً. ومثله قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٢] كأنّه تعالى قال: فاتّقوا الله ما بقيتم وكنتم مستطيعين. ولا وقت إلاّ وهو مستطيع؛ لأنّه لا وقت إلاّ وهو مأمورٌ بالتقوى، والله ـ جلّ جلاله ـ لا يَأمر عبده بما لا يقدر عليه؛ لأنّه لا يليق بعدله[٣].

فأمّا في الخبر فمعناه: ما أمكنكم أن تقنعوا وترجوا أيّاكم بالقناعة، فلا تتعرّضوا للسؤال، فإذا اضطررتم فلا حَرَج عليكم فيه[٤]. وقد أحسنَ أبو تمّام في قوله:

ذُلُّ السؤال شجىً في الحَلق معترضٌ ... من فوقه شَرَقٌ[٥] من دونه جَرَض[٦]

ما ماء كفّك إن جادَت و إن بَخِلت ... من ماء وجهي إذا أفنيته عوضُ[٧]

---

(١) أُنظر: النهاية٣: ٢٦٤. الصحاح٤: ١٤٠٥. المصباح المنير٢: ٤١٨ (عفف).

(٢) سورة التغابن٦٤: ١٦.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن١٠: ٢٥، سورة التغابن. معاني القرآن للنحاس١: ٤٥٢.

(٤) راجع: وسائل الشيعة٩: ٤٣٨/ كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة مع الاحتياج حتى سؤال مناولة السوط والماء.

(٥) الشرق بالماء: الغصّ بالطعام وهو ان يقع في غير مساغر. كتاب العين ٥: ٣٨ (شرق). مقدّمة الأدب: ١٦٢.

(٦) الجَرَض: الغَصَص بالريق، وهو أن يبتلعه على همٍّ وحزن. تاج العروس ١٠: ٢٧ (جرض).

(٧) العقد الفريد١: ١٩٩. ثمار القلوب: ٦٧٤. روضة العقلاء: ١٤٦، نسبه لابن زنجي البغدادي، باختلاف يسير.

محمّد بن إسماعيل بن زنجي أبو عبد الله الكاتب، له نباهة وذكر في أيّام المعتضد وإلى آخر أيّام الراضي، وكان من جلّة الكتّاب ومشايخهم، معروف بجودة الخطّ، وله تصانيف؛

ولأبي العتاهية:

مـا تـرى عنـد لئـيمٍ منفعـة فسَـلِ الـرحمن رزقـاً فـي دَعَـة
إن يكـن أمسَـكَ عنّـا نفْعَـه فسـيُغني الله كـلاًّ مِـن سَـعَة[١]

٤٣١. قُلِ الحَقَّ وَإن كانَ مُرّاً[٢].

هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بيّنّا أنّهما يجبان بحسب التمكّن وأن لا يؤدّي إلى مفسدة، أمّا ظَلَمة زماننا هذا فلا يسوغ لهم الحلال الحلو والبارد العذب، فكيف بالمالح المرّ؛ يعني: إذا أمكنك فلا تداهن في قول الحقّ و إن كان مرّاً على من يسمع.

منها: كتاب الكتاب والصناعة، وله أخبار حسنة كثيرة، توفّي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وكان من الأنبار. أُنظر: الوافي بالوفيات٢: ١٥١.

(١) قاله في نفيع حاجب موسى الهادي، ولذا ذكر في المصدر (نفيع) بدل (لئيمٍ)، بهجة المجالس: ٣٥. إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية الشاعر: أصله من عين التمر، ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد. وأبو العتاهية لقبٌ لُقِّب به لاضطراب كان فيه. وقيل: بل كان يحبّ المُجُون والخَلاعة، فكُنِّي لعتوّه أبا العتاهية، وهو أحد من سار قوله، وانتشر شعره، وشاع ذكره، ويقال: إنّ أحداً لم يجتمع له ديوانه بكماله لعظمه، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء قديماً، ثم تنسَّكَ وعدل عن ذلك إلى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ، فأحسن القول فيه، وجوَّد وأربى على كلّ من ذهب ذلك المذهب. وأكثرُ شعره حكم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيداً من التكلّف، متقدّماً في الطبع. تاريخ بغداد٦: ٢٤٩/ الرقم٣٢٨٨.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٧٨، ح٦٥١. صحيح ابن حبّان٢: ٧٩. معاني الأخبار: ٣٣٥، قطعة من ح١، عن أبي ذرّ. المحاسن١: ١١، كتاب القرائن والاشكال، قطعة من ح٣٤، عن سلمان.

وروي: أنّ أبا ذرٍّ الغِفاري كان لا يُبالي بقول الحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى أخرجوه عن المدينة، فلمّا أرادوا ذلك اجتمع الناس وقالوا في ذلك، وكان يذهب به والنَّظّارة[1] على السطوح، فصاحت امرأة ذات جمال من سطح: صاحب **رسول الله** لم يُخرَج من جوار **رسول الله!** فقال أبو ذرّ: يا هذه، إن كان هذا يَعلم زوجُكِ فأنتما في لعنة الله! وإن كان من غير علمه فأنتِ في لعنة الله! قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[2]. فقالت: أخرجوا هذا الفضولي! فقال أبو ذرٍّ: ما زلتُ قائلاً للحقّ، حتّى حَرَجَ على كلّ أحدٍ، غير أنّي لا أُبالي[3].

يقال: «**مَرَّ الشيءُ وأمَرَّ**» إذا صار مُرّاً، فَعَلَ وأفعَلَ بمعنى[4]. والأصل: مَرِرَ يَمرَرُ قياساً على نقيضه من حَلِيَ يَحلَى.

٤٣٢. اِتَّقِ اللهَ حَيثُ كُنتَ، وَأَتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُها، وَخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ[5].

المعنى: اتّق معاصي الله، أو احذر عقاب الله؛ فإنّ الذات الباقية

(١) النظّارة: القوم يَنظرون إلى شيء. الصحاح ٢: ٨٣١ (نظر).

(٢) سورة النور٢٤: ٣١.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) كتاب العين٨: ٢٦١ (مرر).

(٥) مسند الشِّهاب١: ٣٧٩، ح٦٥٢. سنن الترمذي ٣: ٢٣٩/ باب ما جاء في معاشرة الناس، ح٢٠٥٣. سنن الدارمي٢: ٣٢٣. المستدرك على الصحيحين١: ٥٤، عن أبي ذرّ.

لا يتعلّق به الخوف، إنّما المخوف أمرٌ واقع من جهته من سطوةٍ أو عقابٍ أو مضرّة. وقوله: «**حَيثُ كُنتَ**»؛ المعنى: على جميع الأحوال. وإن كان أخرجه على المكان، فإنّما أراد استغراق أحوال المكلّف، أراد: كيف كنتَ، وأين كنت. «**وأتبع السيّئة الحسنة تمحها**»؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[(١)]، وظاهر الآية والخبر يوهم الإحباط، وليس كذلك؛ لما دلّت الأدلّة على بطلان الإحباط بما بُيّن في كتب الأُصول.

ومعنى الآية والحديث: أنّ الله سبحانه بفضله وكرمه يغفر للمذنب ذنبه عند فعله طاعةً من الطاعات؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[(٢)]؛ أي: أبطل أعمالهم[(٣)]. ومعلوم أنّ الكافر ليس له عملٌ صالح في كفره حتّى يبطله الله أو يبطله كفره، وما روي أنّ **النبيّ** سأله رجلٌ عن رجلٍ مسلم يُصلّي الخمس، ويأتي أحياناً لما يستحقّ العقاب، فقال له: «**هل ترى لو أنّ إنساناً كان على بدنه غبرة، وعلى باب داره عين من ماء، وهو يغتسل من ذلك الماء في اليوم خمس مرّات، فهل يبقى على بدنه شيء من الغبار؟**» قال: لا[(٤)].

---

(١) سورة هود١١: ١١٤.

(٢) سورة محمّد٤٧: ١.

(٣) تفسير القمي٢: ٣٠. معاني القرآن للنحاس٦: ٤٥٩. تفسير الثعلبي٩: ٢٨، سورة محمّد.

(٤) لم نعثر عليه هكذا، وقد قال **الإمام عليّ**عليه السلام: «**تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، ... وشبَّهها رسول الله بالحَمَّة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن**»، نهج البلاغة / الخطبة١٩٩.

فهو من باب إسناد الفعل إلى مسبّبه على طريق الاتّساع والتجوّز، كما بيّنّا[١] في قول الشاعر:

إذا رَدَّ عافي[٢] القِدر مَن يَستعيرها[٣].

وقد بيّنّا هذا الفصل فيما مضى من كتابنا هذا، وقلنا ما فيه مقنع، والله وليّ التوفيق.

«**خالِقِ النّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»؛ المخالقة: مفاعلة من الخلق؛ يعني عاشرهم وخالطهم بحسن العشرة وسهولة الخلق، وهذا من قضيّة العقل؛ فإنّ الرجُل إذا عاش الناس بخلقٍ حسن ولين جانبٍ، كثُرَ أصدقاؤه، فيتقوّى بهم، ويستظهر بمكانهم على أعدائه وأحداث الزمان، ومثله قوله صلى الله عليه وآله: «**رأس العقل بعد الإيمان التودّد إلى الناس**»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «**لِحُسن الخلق زمامٌ من رحمة الله في أنف صاحبه، والزِّمام بيد ملك، والملك يجرّه إلى الخير، والخير يجرّه إلى الجنّة؛ ولسوء الخلق**

---

(١) أُنظر: روض الجنان٩: ٨٥، سورة الأنفال.

(٢) العافي: ما يُرَدُّ في القِدر مِن مَرَقة إذا استُعيرت. القاموس المحيط ٤: ٤١٠ (عفو).

(٣) المفضليات: ١٧٦. الصحاح٦: ٢٤٣٢. الحماسة البصرية: ٢٤٣، والشعر لعوف بن الأحوص، وتمامه:

فلا تسأليني واسألي ما خليقتي إذا رَدَّ عافي القدر من يستعيرها

(٤) عيون أخبار الرضا ٢: ٣٨، ح٧٧، عن أحمد بن عامر بن سليمان الطائي وأحمد بن عبدالله الهروي الشيباني وداود بن سليمان الفرّاء، عن الإمام الرضا . سنن البيهقي١٠: ١٠٩، عن سعيد بن المسيِّب. المعجم الأوسط٦: ١٥٦، عن أبي هريرة.

زمام من عذاب الله سبحانه في أنف صاحبه، والزمام بيد شيطانٍ والشيطان يجرّه إلى الشرّ، والشرّ يجرّه إلى النار»[١].

وقال بعض الحكماء[٢]: «**سوء الخُلق يُفسِد العمل كما يفسد الخلّ العسل**»[٣].

وقال الشاعر:

وعَوراءَ جاءت مِن أخٍ فَرددتُها	ولم أتّخذ فيما مضى بيننا جُرْما
ولو أنّني إذا قالها قلتُ مثلها	ولم أعفُ عنها أحدثتُ بيننا صَرْما[٤]
ذكرتُ به الودَّ الذي كان بيننا	ولم أتّخذ ما زَلَّ عن حلمه غُنْما
ولولا الذي لم أخشَه ولَرَجَوتُه	لأظهرتُ للأقوام في وجهه وَسْما
وإنّي لأعفو عن ذنوبٍ كثيرةٍ	وأعطف من نفسي إذا لم يجد هضما

(١) شعب الإيمان٦: ٢٤٨/ باب في حسن الخلق، ح٨٠٣٧. الفردوس٢: ٢٠٠، ح٢٩٩٣، عن أبي موسى الأشعري. ربيع الأبرار٢: ٢٠٧.

(٢) روي في كتب الحديث عن رسول الله وعن الإمام الصادق كما يأتي في المصادر، ولم نعثر على مراده من بعض الحكماء.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢: ٤٠، ح٩٦، عن داوود بن سليمان الفرّاء، عن **الإمام الرضا** . التواضع والخمول: ٢٣٣، ح١٨٤، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن رجل من قريش. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢٥٥، ح٧٩٩، عن ابن عمر، عنه . الكافي٢: ٣٢١/ كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق، ح١، عن عبدالله بن سنان، عن الإمام الصادق.

(٤) الصَّرْم: القطع. صحاح اللغة ٥: ١٩٦٥ (صرم).

وكم من صديقٍ صالحٍ قد رَفَدْتُه[١] لساني وخصمٍ قد دَلَفتُ له خصما[٢]

٤٣٣. بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ[٣].

يُقال: بللت الشيءَ فهو مبلولٌ، وابتلّ هو، والبلّة والبلل: النداوة، وبَلَّ من مرضه يَبُلُّ بُلولاً[٤]. أي: صِلوا الأرحام[٥]. وإنّما أتى بلفظ البلل لأنّ الشيئين لا يلتئمان إلاّ بعد أن يبلّا ويرطبا، يأمرنا في صِلَة الرحم بما يمكن، فإن لم يَقدر على شيء من الصِّلات والمبارّ فبالسلام.

وقال ﷺ: «**يقول الله عزّ وجلّ: أنا الله، وأنا الرحمن؛ خَلقتُ الرحِم، واشتققتُ**

---

(١) رَفَدتُه: أنَلته بالرِّفد؛ أي المعونة والعطيّة. مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٠ (رفد).

(٢) الحلم لابن أبي الدنيا: ٦٠/ الرقم٨٣، وفيه البيت الأوّل والثاني باختلاف يسير، ونسبه لابن عائشة التيمي.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٧٩، ح٦٥٣. مسند إبن المبارك: ١٤٦، ح١١٧. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٧٢، ح٢٠٧، عن سويد بن عامر. الخصال: ٦١٣، قطعة من ح١٠، عن أبي بصير، ومحمّد بن مسلم، عن الإمام الصادق، عن آبائه ، وفيه (صِلوا) بدل (بلّوا).

(٤) أُنظر: النهاية١: ١٥٣. الصحاح٤: ١٦٣٨ (بلل).

(٥) قال أبو عمرو وغيره: يقال: بللت رحمي أبلُّها بَلّاً وبلالاً، إذا وصلتها ونديتها بالصلة، وإنّما شبهت قطيعة الرحم بالحرارة تطفأ بالبرد، كما قالوا: سقيته شربةً بردتُ بها عطشه، يقال: كان الصلة هي البرد، والحرارة هي القطيعة. غريب الحديث لابن سلّام١: ٣٤٨.

لها اسماً من اسمي، فمَن وصلها وصلتُه، ومَن قطعها قطعته»[١].

وعن عبدالله بن مسعود[٢]: مَن اتَّقى ربَّه ووصل رحمه، نُسِئَ[٣] له في عمره، وثري ماله، وأحبّه أهله[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تنزل الرحمة على قومٍ فيهم قاطع رحِم»**[٥].

وأنشدَ بعض الأُدباء:

إمَّا لِصاحب نعمةٍ بَللتَها ووصالَ رِحْمٍ قد بَرَدْتَ بِلالَها[٦]

وأبَلَّ الرجُلُ، إذا لعب وأعيى، ورجلٌ أبَلُّ: فاجرٌ شديد الخصومة[٧]، وقال:

ألا تتّقون الله يا آلَ عامر هل يَتَّقي اللهَ الأبَلُّ المصمَّمُ[٨]

---

(١) سنن الترمذي٣: ٢١٠/ باب ما جاء في قطيعة الرحم، ح١٩٧٢. المستدرك على الصحيحين٤: ١٥٧. مسند ابن حنبل١: ١٩١، عن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) الظاهر: أنّ المراد منه عبدالله بن عمر كما في المصادر، ولم نعثر على قول ابن مسعود هذه. وفي نسخة (ب): (عبدالله) من دون (بن مسعود).

(٣) نَسَأَ الشيءَ يَنسَؤه نَسْأً وأنسَأَه: أخَّرَه. المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٥٤٩ (نسأ).

(٤) مسند ابن المبارك: ١٦٥، ح١٩٩ و٢٠٠. الأدب المفرد: ٢٤/ باب من وصل رحمه أحبّه الله، ح٥٨ ـ ٥٩. المصنَّف لابن أبي شيبة٦: ٩٧، ما قالوا في البرّ وصلة الرحم، ح٥.

(٥) الأدب المفرد: ٢٥/ باب لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم، ح٦٣. الزهد لهناد٢: ٤٨٩. شعب الإيمان٦: ٢٢٣/ باب في صلة الأرحام، ح٧٩٦٢، عن عبدالله بن أبي أوفى.

(٦) غريب الحديث لابن سلّام١: ٣٤٨. الصحاح٥: ١٩٢٩ (رحم). تهذيب اللغة١٥: ٢٤٥ (بل) والمصراع الأوّل فيها: أما لطالب نعمة تممتها، والشاعر: الأعشى.

(٧) أُنظر: الصحاح٤: ١٦٤١ (رحم). مجاز القرآن لابن التيمي١: ٧١. الاشتقاق: ٣١٤.

(٨) ذكر في المصادر التي تقدّم في الرقم السابق، ونسب البيت لمسيّب بن علس.

ويُقال: (حيّةٌ لا يَبِلُّ سليمها)؛ أي: لا ينجو، من قولهم: (بَلَّ من مرضه إذا برأ)[١]، ويُقال: (اطوِهِ على بلله)؛ أي بقيّة مودّته[٢].

وقال:

ولقد طَوَيتُكم على بَلَلاتكم[٣] وعلمتُ ما فيكم من الأذراب[٤]

وهي فساد دخلة[٥].

٤٣٤. تَهَادُوا تَـزْدَادُوا حُبّاً، وَهَاجِرُوا تُورِثُوا أَبْنَاءَكُمْ مَجْداً، وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثَرَاتِهِمْ[٦].

التهادي: تعاطي الهديّة. والتفاعل تكون بين الجماعة كالتقاتل

---

(١) كتاب العين٨: ٣١٩. الصحاح٤: ١٦٣٩ (بلل). تهذيب اللغة١٥: ٢٤٤ (بل).

(٢) أُنظر: المحيط في اللغة٢: ٤٥٢ (بل).

(٣) قيل في قوله على بَلَلاتِكُم: إنه يُضْرَبُ مثلاً لإبْقاءِ المَوَدَّة، وإِخْفاءِ ما أَظْهَرُوه من جَفائِهِمْ، فيكون مثلَ قولهم: اطْوِ الثَّوْبَ على غَرّه، لينضَمَّ بعضُه إلى بعضٍ ولا يَتبايَنَ؛ ومنه قولهم أَيضاً: اطْوِ السِّقاءَ على بَلَلِه؛ لأَنه إِذا طُوِيَ وهو جافٌّ تَكَسَّر، وإِذا طُوِيَ على بَلَلِه لم يَتَكَسَّر ولم يَتَبايَنْ. لسان العرب١: ٣٨٧ (ذرب).

(٤) الاختيارين: ١٧٠. الصحاح١: ١٢٧ (ذرب). الفاخر: ١١٧، والشاعر: حضرمي بن عامر.

(٥) (في ألبان الإبل و أبوالها شفاء للذَّرَبِ) هو بالتحريك: الداء الذي يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، و يفسد فيها؛ فلا تمسكه. النهاية٢: ١٥٦. أُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٠٤. الصحاح١: ١٢٧ (ذرب).

(٦) مسند الشِّهاب١: ٣٨٠، ح٦٥٥. الأمثال لأبي الشيخ١: ٧٧، ح١٢٥. المعجم الأوسط٦: ٥٤، وليس فيه الفقرة الوسط، وعن عائشة. الكافي٥: ٨/ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح١٣، عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق، وفيه **«اغزوا تورثوا أبناءكم مجدا»**.

والتخاصم، والهديّة فعيلة بمعنى مُفعَلَة؛ يعني العطيّة المُعطاة. وتَهادَى المرأةُ الناعمةُ بين امرأتين: تَعتمد تارةً على هذه وتارةً على تلك من هذا[١]؛ لأنّ ذلك معاطاة فيما بينهنّ.

قال عمرو بن أبي ربيعة:

أبرَزوها مِثلَ المَهاة[٢] تَهادَى بين خَمَسٍ كَواعِبٍ أتراب[٣]

أمَرَنا بالتَّهادي ومعاطاة الهدايا بيننا لازدياد المحبّة؛ فإنّ المتحابَّين إذا كانت بينهما مهاداة تزداد محبّتهما بذلك، وهذا معلومٌ عقلاً وحسّاً، كقوله ﷺ: «**جُبِلت القلوب على حبّ مَن أحسنَ إليها، وبُغض من أساء إليها**»[٤].

«**وهاجِروا**»؛ أمرٌ من المهاجرة، والمراد بها الهجرة من مكّة إلى المدينة، واختَصَّ بعرف الشرع بهذه الهجرة المخصوصة، وهي من الأسماء المخصوصة، والمراد بالإيراث التعقيب من قولهم: أورثه أكلُ الطين صفرةَ اللون[٥]؛

---

(١) أُنظر: الصحاح٦: ٢٥٣٤. معجم مقاييس اللغة٦: ٤٢. المفردات: ٨٤٠ (هدي).

(٢) المَهاة: البقرة، وبقرة الوحش، والحجارة البيض التي تبرُق، وهي البلَّور. تهذيب اللغة ٦: ٢٤٩. معجم مقاييس اللغة ٥: ٢٧٩ (مهي).

(٣) الأغاني١: ١٣٠. الخصائص٢: ٢٨٣. الأمالي للسيد المرتضى٢: ٢١.

(٤) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨١، ح٥٨٢٦. تحف العقول: ٣٧. شعب الإيمان٦: ٤٨١، ح٨٩٨٤، عن عبدالله بن مسعود.

(٥) روض الجنان٣: ٢٩٣.

يعني: ليستفيد أولادكم بها المجدَ والشرف، فيُقال: هذا من ولد المهاجرين! فإنّ الهجرة في عهد **النبيّ** كانت لها منزلةٌ عظيمة. وقيل فيه وجهٌ آخر وهو: أنّه أراد: تَزَوَّجوا في الأجانب، تزدكم تلك المصاهرة شرفاً لأولادكم. وهذا القول بعيدٌ جدّاً؛ لأنّ الظاهر يأباه ويُنكره، وهو إطلاق لفظ الهجرة، وكذلك ذكر المجد والشرف، والوجه الأوّل هو المُعتَمَد.

«**وأقيلوا الكرام عثراتهم**»؛ بيّنّا معنى الإقالة وأصلها واشتقاقها فيما مضى من كتابنا هذا. والعثرة: السقطة[1]، يُراد بها الخطأ من غير قصدٍ وعَمد، وإنّما خَصَّ الكرام بذلك لأنّهم أحقّاء به لكرمهم، وهذا كقوله ﷺ: «**تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة ما لم تكن حدّاً**»[2].

وقال بعضهم:

إذا ما أَتَت من صاحبٍ لك زلّةٌ فكُن أنتَ محتالاً لزلّته عذراً[3]

ولإسحاق الموصلي:

عاشر أخاك على ذنوبه واصبر على بَهْت السفيه
واستر وغَطِّ على عيوبه وللزمان على خطوبه

(١) مختار الصحاح: ١٤٩ (سقط). شمس العلوم٥: ٣١١٦.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٢٢، ح٧٢٥، عن أبي بكر. المعجم الصغير٢: ٤٣، عن زيد بن ثابت.

(٣) الأمالي للقالي٢: ٢٢٨. التذكرة الحمدونيّة٤: ٣٦٦، والشاعر: سالم بن وابصة.

ودَعِ الجـــــوابَ تكرُّمـــــاً وكِــل الظَّلــومَ علــى حسـيبه[١]

ولآخر:

فخُذ من أخيك العفوَ واغفر ذُنوبَه ولا تــكُ فــي كــلّ الأُمــور تُعاتِبــه

فإنّــك لــن تَلقــى أخــاكَ مهــذَّباً وأينَ الذي ينجو من العيب صاحبُه[٢]

٤٣٥. تَهَادُوا تَحَابُّوا[٣]. تَهَادُوا؛ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ وَحَرَ الصَّدْرِ[٤]. تَهَادُوا؛

---

(١) العقد الفريد٢: ٢٥٩، عن الإمام عليّ. عيون أخبار الرضا ٢: ١٨٩، ح٤. الأمالي لابن بشران١: ٣٤١، ح٧٩٣، عن الحسين كاتب، عن الإمام الرضا، وفي صدرهما (حضرنا مجلس علي بن موسى ، فشكا رجل أخاه، فأنشأ يقول: ...)؛ هذا ولم نعثر على مصدر نسب الأبيات لإسحاق الموصلي، ولعلّه حضر مجلس الإمام الرضا، ونقل الأبيات عنه، ولم يصل إلينا، وممّا دلّ على صحّة قولنا هذا ما كان يقوله المأمون في وصفه: لولا ما سبق على ألسنة الناس، وشهر به عندهم من الغناء، لولَّيته القضاء بحضرتي؛ فإنَّه أولى به وأعَفُّ وأصدق وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القضاة. الأغاني٥: ١٧٧.

(٢) الأمالي للقالي٢: ٢٣٤. التذكرة الحمدونيّة٤: ٣٧٥. الحماسة البصرية٢: ٧٠، والشاعر: المغيرة بن حبناء.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٨١، ح٦٥٧. الأدب المفرد: ١٣٠ /باب قبول الهدية، ح٦٠٧. مسند أبي يعلى١١: ٩، ح٦١٤٨، عن أبي هريرة. الكافي٥: ١٤٤ / كتاب المعيشة، باب الربا، ح١٤، عن السكوني، عن الإمام الصادق.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٨٠، ح٦٥٦. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١٠٩، قطعة من ح٣٥٢.

فَـإِنَّ الْهَدِيَّـةَ تَـذْهَبُ بِالسَّـخِيمَةِ[١]. تَهَـادُوا؛ فَإِنَّـهُ يُضَـعِّفُ الْحُـبَّ، وَيَذْهَبُ بِغَوائِلِ الصَّدْرِ[٢]. تَهَادُوا؛ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالضَّغَائِنِ[٣].

هـذه الأحاديـث الخمسـة متقاربـة المعنـى، ونحـن نشـير إلـى معـاني بعض ألفاظه؛ قال شيخنا الزمخشري: الوَحر: دويبة تُعلِّق بكلّ شيء[٤]. فشـبّه الحقـد بـه لأنّـه يعلّـق بالقلـب[٥]. قـال: والسَّـخيمة: السـوداء، مـن السخام وهو السواد[٦]، وتقول العرب للعدوّ: أسود الكبد[٧].

وقـوله: «**فإنّه تضعّف الحبّ**»؛ الضـمير راجـع إلى مصدر تهـادوا ـ وهـو

مسند ابن المبارك: ١٧٤، قطعة من ح٢٣٦. سنن الترمذي٣: ٢٩٨ / باب ما جاء في حثّ النبيّ على الهدية، قطعة من ح٢٢١٣، عن أبي هريرة.

(١) مسـند الشِّـهاب١: ٣٨١، ح٦٥٨. عيـون الأخبـار لابن قتيبـة٣: ٤١، عـن مكحـول. مكـارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١١٢، قطعة من ح٣٦٩، عن أنس بن مالك.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٨٢، ح٦٥٩. المعجم الكبير٢٥: ١٦٣. معرفة الصحابة لأبي نعيم٣: ٣٤٨٥، ح٧٩٠٤، عن أمّ حكيم.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٨٣، ح٦٦٠. الكافي٥: ١٤٤ / كتـاب المعيشـة، بـاب الربا، ح١٤، عن السكوني، عن الإمام الصادق.

(٤) الفـايق فـي غريـب الحـديث٣: ٣٤٩. أُنظـر: الصـحاح٢: ٨٤٤. معجـم مقـاييس اللغـة٦: ٩١ (وحر).

(٥) وحر الصـدر: هـو بالتحريك: غشّـه ووساوسـه، وقيـل: الحقـد والغـيظ، وقيـل: العـداوة، وقيل: أشَدُّ الغضب. النهاية٥: ١٦٠ (وحر).

(٦) السخيمة: الحقد في النفس. النهاية٢: ٣٥١ (سخم).

(٧) الفايق في غريب الحديث٢: ١٣١.

التهادي ـ لا إلى الهديّة. والتضعيف: جعل الشيء مِثلَيه[1]، والتفعيل والمفاعلة في هذا الفعل بمعنى، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[2] وبَعِّد[3]. والغوائل: جمع غائلة ــ وهي المُهلكة ــ من قولهم: (غالَه) إذا أهلكه، ومنه الغُول[4]؛ لأنّ الحقد يُهلِك القلبَ ويُفسده. والضغائن: جمع ضغينة وهي الحقد[5]. ومعنى الجميع: الحَثّ على التهادي؛ فإنّه يورث المحبّة، ويَذهب بالأحقاد.

اعلم أنّ إهداء الهديّة كرمٌ، وقبولها كرَمٌ أيضاً، والعوض عنها من المروّة، وأن لا يريد الرجُلُ الكريم أن يكون لأحدٍ عليه مِنّةٌ. وفي كتب الأوائل: من علامات **النبيّ** في آخر الزمان أن يقبل الهديّة ولا يأكل الصَّدقة[6]، وبذلك جرّبه سلمان الفارسي لمّا قدِمَ المدينة،

---

(١) المصباح المنير٢: ٣٦١ (ضعف).

(٢) سورة سبأ٣٤: ١٩.

(٣) كتاب العين٢: ٥٣ (بعد). التبيان في تفسير القرآن١: ٢٣٦، سورة البقرة. معاني القرآن للزجاج٤: ٢٥٠.

(٤) النهاية٣: ٣٩٧. كتاب العين٤: ٤٤٧. المفردات: ٦١٩ (غول).

(٥) النهاية٣: ٩١. الصحاح٦: ٢١٥٤. كتاب العين٤: ٣٦٦ (ضغن).

(٦) المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح: أن قُل لبني إسرائيل:... يا بني إسرائيل، آمنوا برسولي النبيّ الأميّ الذي يكون في آخر الزمان صاحب الوجه الأقمر والجمل الأحمر، المشرب بالنور... تنام عيناه، ولا ينام قلبه، يأكل الهدية، ولا يقبل الصدقة...؛ الاختصاص: ١١٢. أُنظر: تاريخ دمشق٤٦: ١٥٢. وروى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله يقبل الهدية، ولا يأكل الصدقة. سنن أبي داود٢: ٣٦٩، ح٤٥١٢.

فقدّم إليه طبقاً من رطب، فقال له **رسول الله** ﷺ: «**ما هذا؟**» قال: هذه صدقة يا رسول الله. فنحّاه رسول الله وقال لأصحابه: «**كُلوا؛ فإنّ الله حرّم علينا وسخ أموال الناس**». فقدّمَ إليه طبقاً آخر وقال: هذه هديّة. فأكلها رسول الله وأهل بيته وأصحابه[١].

وروي أنّ أُمّ حكيم بنت وداع الخزاعي قالت: يا رسول الله أتكره الهديّة؟ قال: «**ما أقبح ردّ الهديّة! لو أُهديَ إليّ ذِراعٌ لقبلتُ، ولو دُعيت إلى كِراعٍ لأجبتُ**»[٢].

وروي أنّه قال ﷺ: «**مَن أُهديت إليه هديّةٌ وعنده جلساؤه، فهم فيها شركاؤه**»[٣]. فنظمه الصاحب[٤] قال:

رويت في السنّة المشهورة البركة ... أنّ الهديّة في الإخوان مشتركة[٥]

وقيل: أهدى إليه بعض الأشراف هدايا، وفيها ثياب السَّقلاطونيّة[٦]،

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ١٦١/ باب خبر سلمان الفارسي، ح٢١، عن عليّ بن مهزيار عمّن ذكره. روضة الواعظين: ٢٧٥، عن موسى بن جعفر .

(٢) المعجم الكبير٢٥: ١٦٢. عيون الأخبار لابن قتيبة٣: ٤٣. معرفة الصحابة لأبي نعيم٦: ٣٤٨٥، ح٧٩٠٤ ، باختلاف يسير.

(٣) المعجم الكبير٣: ٩٣، ح٢٧٦٢، عن طلحة بن عبيد الله. المعجم الأوسط٣: ٥٣، عن ابن عبّاس. تاريخ بغداد١٤: ٢٥٤، باختلاف يسير.

(٤) الصاحب أبي القاسم، إسماعيل بن عبّاد، المعروف بابن عبّاد.

(٥) يتيمة الدّهر٣: ٢٣٠. التمثيل والمحاضرة: ٤٦٨. المنتحل: ٣١.

(٦) سَقلاط: بلد بالروم تنسب إليه الثياب. مجمع البحرين٤: ٢٥٤ (سقلط).

فذكر بعض جلسائه هذا الحديث، فقال: ذاك فيما يُؤكَل[١] لا في الثياب السَّقلاطونيّة[٢].

٤٣٦.أُطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ[٣].

قيل في معنى هذا الحديث وجهان:

أحدهما: أنّه لم يرد بحسن الوجوه الصباحة؛ إنّما أراد وجوه القوم وأعيانهم وذوي الأقدار منهم، قيل: وهذا مثل قوله ﷺ: «**نضّر الله عبداً سمع مقالتي**»[٤]، لم يرد: حسّن الله وجهه؛ إنّما أراد: جعله ذا جاهٍ وقدر عند الناس، وهذا تأويلٌ بعيد؛ لأنّ ظاهر اللفظ ونظم الحديث لا يدلّ على ذلك؛ لأنّ إضافة الحُسن إلى الوجه لا تستعمل في القدر والجاه، وهذا الوجه يحكى عن صاحب الغريبين، ولا تشهد على ذلك

---

(١) الكافي٥: ١٤٤/ كتاب المعيشة، باب الهدية، ح١١، عن عثمان بن عيسى، قال: إذا أهدي إلى الرجل هديّة طعام، وعنده قوم، فهم شركاؤه فيها، الفاكهة وغيرها.

(٢) أُنظر: شرح صحيح البخاري لابن بطّال٧: ١٢٤. تفسير القرطبي١٣: ١٩٩، سورة النمل.

(٣) مسند الشّهاب١: ٣٨٤، ح٦٦١، عن ابن عمر. قضاء الحوائج: ٤٨، ح٥١. مسند أبي يعلى٨: ١٩٩، ح٤٧٥٩، عن عائشة. الخصال: ٣٩٤، ح٩٩، عن دارم بن قبيصة، ونعيم بن صالح الطبري، عن الإمام الرضا .

(٤) الكافي١: ٤٠٣/ كتاب الحجّة، باب ما أمر النبيّ بالنصيحة لأئمّة المسلمين، قطعة من ح١. الأمالي للصدوق: ٤٣١، قطعة من ح٥٦٩، عن ابن أبي يعفور، عن الإمام الصادق. سنن ابن ماجة١: ٨٤/ باب من بلغ علماً، قطعة من ح٢٣٠، عن زيد ابن ثابت.

ببيتين يدلاّن على خلاف ما ذهب إليه، وهما:

فـدَلَّ عــلى مــعروفه حُــسنُ وجهه وما زال حُسنُ الوجه إحدى الدلائل[(١)]

وقال آخر:

دَلَّ عــلى مــعروفه وجــهُه بورك هذا هادياً من دليل[(٢)]

وهذا لا يليق بالجاه والاحتشام.

والوجه: أن يُحمَل الخبر على ظاهره؛ لأنّه لا مانع منه، ولا يمتنع أن يكون ذلك دليلاً على الكَرَم في الأغلب، وإن لم يكن مطَّرداً في جميع الناس على العموم، ويمكن أن يكون الخبر خاصّاً في قومٍ حِسان الوجوه عرَّفهم رسول الله باصطناع البِرّ والإحسان إلى الناس، ويمكن أن يريد بحسن الوجه طلاقته واستبشاره ولا صباحته وجماله؛ فإنّ ذلك من علامات الكرَم.

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٧٨، باختلاف، والشاعر: الخنساء. وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن طلق بن غنام، قال: سألت حفص بن غياث، عن تفسير حديث النبيّ ﷺ: «**اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه**»، فقال: إنّه ليس من صباحة الوجوه، ولكنّه حسن الوجه إذا سئل المعروف. وروى أيضاً بإسناده، عن ابن عائشة أنّ رجلاً قال له: إنّ معنى ذلك أن تطلب من الوجوه الحسنة التي تحسن، فأنكر ذلك ابن عائشة ثم أنشد:

دل عـلى معـروفه وجـهه بورك هذا هاديا من دليل

قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: ٥٢ / رقم٥٥ ـ ٥٦.

(٢) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: ٥٣. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٧٨. الحماسة المغربية١: ١٦٢، والبيت للخنساء بنت عمرو بن الشريد.

٤٣٧. بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَلَا حَرَجَ[١].

أَمَرَنا بأن نُبلِّغ عنه ولو آيةً لنُحرِز به ثواب المبلِّغين، أراد دعوة الناس إلى الإسلام وتحريضهم على الأخذ بعبادات الشرع. و"لو" في مثل هذا الموضع يفيد معنى التقليل، يقول القائل: أعطني ممّا لي عليك شيئاً ولو درهماً، ونصبُه على بدلٍ محذوف منصوب بـ «**بلّغوا**»، والتقدير: بلّغوا عنّي ما أمكنكم تبليغه ولو آيةً.

«**وحَدِّثوا عن بني إسرائيل**» بما حدّثتم به وإن كان عجيباً مستبدعاً؛ فإنّ عجائبهم جمَّةٌ[٢]، ولا حَرجَ عليكم في ذلك[٣]؛ وإنّما كان ذلك لقلّة فهمهم وتركِ نظرهم فيما وجب عليهم النظر، وكانوا غلاظاً، وكيف لم يكونوا كذلك وقد أتاهم نبيُّهم موسى بالآيات البيّنات والمعجزات

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٣٨٧، ح٦٦٢. صحيح البخاري٤: ١٤٥. سنن الترمذي٤: ١٤٧ / باب ما جاء في الحديث، عن بني إسرائيل، ح٢٨٠٧. سنن الدارمي١: ١٣٦/ باب البلاغ، عن رسول الله وتعليم السنن، عن عبدالله بن عمرو.

(٢) أي لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدِّثوا عنهم ما سمعتم وإن استحال أن يكون في هذه الأمّة مثل ما روي أن ثيابهم كانت تطول، وأنّ النار كانت تنزل من السماء فتأكل القربان، وغير ذلك، لا أن يحدّث عنهم بالكذب، وقيل: معناه: أنّ الحديث عنهم إذا أدَّيته على ما سمعته ـ حقّاً كان أو باطلاً ـ لم يكن عليك إثم لطول العهد ووقوع الفترة، بخلاف الحديث عن **النبيّ** ؛ لأنَّه إنّما يكون بعد العلم بصحَّة روايته وعدالة رواته. وقيل: معناه: أنّ الحديث عنهم ليس على الوجوب؛ لأنَّ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أوّل الحديث (بلِّغوا عنّي) على الوجب. النهاية١: ٣٦١ (حرج).

(٣) ولا حرج؛ أي: حرج عليكم إن لم تحدِّثوا عنهم. النهاية١: ٣٦١ (حرج).

الخارقة للعادات مثل قلب العصا حيّةً، واليد البيضاء، وفلق البحر، والطوفان، والجراد والقمّل والضفادع والدم وغير ذلك، فاتّخذوا العجل إلهاً، وعبدوه وقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[1]، ولمّا فلق الله لهم البحر، وغرق فرعون وقومه، ونجّاهم، خرجوا من البحر ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[2].

ويروى أنّ يهوديّاً قال **لأمير المؤمنين**عليه السلام: ما دَفنتُم نبيَّكم حتّى اختلفتم؟! قال: «**اختلفنا عنه لا فيه؛ ولكن ما جفّت أقدامكم من البحر حتّى قلتُم لنبيّكم:** ﴿اجْعَل لَنَا إِلَها كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾»[3].

٤٣٨. اِتَّقُوا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تَعَالى[4].

قالت المتصوّفة وأهل الإشارات في الفراسة، وأكثَروا فيها من عباراتٍ خالية عن المعاني وما لا طائل فيه، فلم أرد أن أورد شيئاً من ذلك

(١) سورة طه٢٠: ٨٨.

(٢) سورة الأعراف٧: ١٣٨.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة٣١٧. التذكرة الحمدونيّة٧: ١٦٣، ح٧٩١. تفسير الرازي٢٢: ١٠٥، سورة طه.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٨٧ ، ح٦٦٣، عن أبي أمامة. سنن الترمذي٤: ٣٦٠، ح٥١٣٣، عن أبي سعيد الخدري. الكافي١: ٢١٨ / كتاب الحجة، باب أن المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة، قطعة من ح٣، عن محمّد بن مسلم، عن الإمام الباقر. معاني الأخبار: ٣٥٠، قطعة من ح١، عن محمّد بن حرب الهلالي، عن الإمام الصادق.

لمـا ذكـرت، والفراسَـةُ: مصـدر (فَـرَس فـي كـذا وتفـرَّس فيـه) إذا نظـر فيـه نظر متأمّلٍ متفكّر، والتوسّم قريب المعنى منها[١] وهو تفعُّلٌ من الوسم وهـو العلامـة[٢]، قـال الله تعـالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِـكَ لآيَـاتٍ لِلْمُتَوَسِّـمِينَ﴾[٣] أي المتفرّسين[٤].

وتقـول: رجـلٌ فـارِس بـيّن الفراسـة، وفـارِسٌ أي ذو فَرَس، مـن بـاب لابِـن وتـامِر، بـيِّن الفروسـيّة والفروسـة، والفَـرْس: دَقُّ العنـق، ومنـه فريسـة الأسـد، واسم الفاعل منه فارس، فالفارس على ثلاثة معانٍ كما ذكرت[٥].

ومعنـى الحـديث: أنّـه لا يمتنـع أن يَخُـصَّ الله بعـض المـؤمنين بعلـمٍ وإلهـامٍ إذا نظـروا في شيءٍ نظرَ متفرّسٍ، عَلموا منه مـا لـم يعلمـه غيـرهم. ويجـوز أن تخـتصّ الحـديث بالأئمّـة ومـن لهـم مزيّـة علـى سـائر النـاس، ويكـون ذلـك مـن آيـاتهم أو كرامـاتهم، يبـيّن هـذا قولـه ﷺ علـى سـبيل التعليـل: «**فإنّـه ينظر بنور الله تعـالى**». ومعلـومٌ أنّـه لـم يَـرد بـذلك شـعاع البصر؛ فإنّ النـاس فيه شَرعٌ سواء، إنّما أراد علماً في القلب وإلهاماً خصّـه

---

(١) أُنظر: المفردات: ٨٧٢ (وسم).

(٢) أُنظر: الصحاح٥: ٢٠٥١. النهاية٥: ١٨٦ (وسم).

(٣) سورة الحجر: الآية ٧٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن٦: ٣٤٩، سورة الحجر. تفسير الطبري١٤: ٦١، سورة الحجر، عن مجاهد. تفسير ابن أبي حاتم٧: ٢٢٧٠، ذيل ح١٢٤٢٧، عن أبي سعيد الخدري.

(٥) أُنظر: الصحاح٣: ٩٥٨. النهاية٣: ٤٢٨. المحيط في اللغة٢: ٢٥٧ (فرس).

الله تعالى، كما روي عن أئمّتنا : «**عِلمُنا غابرٌ ومزبور، ونكتٌ في القلوب، ونَقرٌ في الأسماع**»[١]، في حديث طويل.

٤٣٩.اِتَّقُوا الْحَرَامَ فِي الْبُنْيَانِ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْخَرَابِ[٢].

البُنيان: البناء[٣]. والأساس والأُسُّ: أصل الجدار. وجمع الأساس أُسُس، وجمع الأُسِّ إساس، و«**أَسَّسْت البناءَ**» إذا أحكمت البناءَ قواعده[٤]، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ...﴾[٥].

والخراب: ضدّ العمران[٦]، وخَرِبَتِ الدارُ وخرَّبتها أنا، قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٧]. أمَرَنا بأن نجتنب الحرام في الأبنية؛ فإنّه أصل الخراب.

---

(١) الكافي١: ٢٦٤/ كتاب الحجّة، باب جهات علوم الأئمّة ، قطعة من ح٣، عن المفضَّل بن عمر. الإرشاد٢: ١٨٦. الإحتجاج٢: ١٣٤، عن الإمام الصادق .

قال **الإمام الكاظم** بإسناد الكليني المتقدّم: «**أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا، وأمّا المزبور فما يأتينا، وأمّا النكت في القلوب فإلهام، وأمّا النقر في الاسماع فأمر الملك**».

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٨٨، ح٦٦٤. معجم ابن المقرئ: ٣٩٦، ح١٢٩٥. ذكر أخبار إصبهان٢: ١٥٥، عن ابن عمر.

(٣) أُنظر: الصحاح٦: ٢٢٨٦ (بنا). المفردات: ١٤٧ (بني).

(٤) أُنظر: الصحاح٣: ٩٠٣. كتاب العين٧: ١٣٤. مختار الصحاح: ١٦ (أسس).

(٥) سورة التوبة٩: ١٠٩.

(٦) المحيط في اللغة١: ٣٦١. المفردات: ٢٧٧ (خرب).

(٧) سورة الحشر٥٩: ٢.

وقال بعض الحكماء: الآجُرُّ من الحرام في البناء عُربون الخراب[١].

يُحكى أنّ رجلاً من الصالحين مرَّ بجماعة اجتمعوا يضربون بالدفوف والمزامير! فقال: ما هذه الحال؟! فقالوا: يَبنون بناءً؛ يريدون أن يبنوه على سرورٍ ونشاط! فقال: يا سبحان الله! ما يُبنى على التسبيح والتهليل لا يبقى، فكيف ما يُبنى على العيدان والمزامير! وقيل: كلّ بناءٍ إلى خراب، وكلّ باقٍ إلى زوال[٢].

وعن بعض الصالحين قال: قرأت على قصرٍ في أعالي الحجاز قد خرب وبادَ أهله:

بالله ربّك كم قصرٍ مررت به ... قد كان يُعمَر باللّذّات والطرب
طارت عُقاب المنايا في جوانبه ... فصار مِن بعده للويل والحرب[٣]

وعن مالك بن دينار قال: مررتُ بدارٍ في بعض سكك البصرة عليها أثر الجصّ، وجوارٍ يضربن بالدفّ ويقُلن:

ألا يا دار لا يَدخلكِ حزنٌ ... ولا يَذهب بساكنكِ الزمانُ

قال: فعبرتْ أيّام، ثمّ مررتُ على تلك الدار وقد تغيّرت حالها، فقمتُ على باب الدار مفكّراً، فقالت لي امرأة: يا عبد الله، ما لكَ؟ قلتُ: مررتُ

---

(١) البصائر والذخائر٧: ١٢٥. ربيع الأبرار١: ٢٧٥، وفي صدرهما: مكتوب في الإنجيل.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٣٢٧. تاريخ بغداد٦: ١٤٥. تاريخ مدينة دمشق٧: ١٨٧، والشاعر: إبراهيم بن المهديّ.

في وقت كذا فسمعت كذا. فقالت لي: لقد دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان، وخربَتِ الدار[١]!

ولبعض شعراء أصفهان وقد كتبها على دار أحمد بن عبد العزيز العجلي وقد خربت:

سَل دار أحمد أين السرور والعدد ... وأين ساكن رَبع[٢] الدار والدار

لو أنّها نطقتْ قالت لسائلها ... أفناهم الدهر إنّ الدهر غدّار

لم يبق منها سوى الأطلال دارسَةً ... ولا بقي من قَطين[٣] الدار ديّار

يا آل عجلٍ سَقى أوطانَكم غَدَقا ... نوءُ السّماك وإن لم تَبقَ آثار[٤]

٤٤٠. أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا آدَابَهُمْ[٥].

اعلم أنّ كرامة الوالد لولده أن يحسن أدبه، ويربّيه تربية الصالحين، وللولد على والده حقوق؛ كما أنّ للوالد عليه حقوقاً؛ فمِن حقوق الولد على والده: أن يضعه في منصبٍ زكيّ وأصلٍ طاهر؛ «**فإنّ العرق نزّاع**»[٦]، وإلى ذلك

(١) ربيع الأبرار١: ٤٥٤. أُنظر: الاعتبار لابن أبي الدنيا: ٣٥/ الرقم١٢.

(٢) الرَّبع: الدار والمنزل والمحلّة والوطن. كتاب العين ٢: ١٣٢. الصحاح ٣: ١٢١١ (ربع).

(٣) القَطين: الخَدَم والأتباع. الصحاح ٦: ٢١٨٢ (قطن).

(٤) لم نعثر عليه والعجلي، أميرٌ من بيت مجد ورياسة في أيام المعتمد والمعتضد العباسيين توفي سنه (٢٨٠ هـ). أُنظر: الأعلام ١: ١٥١.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٣٨٩، ح٦٦٥، عن أنس.

(٦) إحياء علوم الدين٤: ١٣٢. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٢، عنه .

أشار في قوله: «**تَخيّروا لنطفكم**»[1]؛ فإنّ ذلك مظنّة محمدة ومذمّة.

ومنها: أن يَختار له اسماً حَسناً كأحمد ومحمود ومحمّد، والأسماء الأنبياء والصالحين، ولا يسمّيه بخالد وحارث ومعمَّر؛ فإنّ ذلك منهيٌّ عنه[2].

ومنها: أنّه يسترضعه امرأةً عفيفةً حسنةَ الخَلق والخُلق؛ فإنّ «**الرِّضاع يُغيّر الطِّباع**»[3].

ومنها: أن يحفظه من أقران السوء إلى أن يبلغ ويكمل عقله.

ومنها: أن يعلّمه القرآن[4] وطرفاً من علم الدِّين وما لا غِنى به عنه من الأُصول والفروع قدر ما يخرج به عن حَدّ التقليد ويحتاج إليه في عبادته ومعاملاته.

ومنها: أن يَختار له حرفةً طيّبةً مرضيّةً في الشرع والعرف؛ ليكون سبب رزقه، فهذه إكرام الوالد لولده، وإحسان أدبه.

ويُروى أنّ عبد الملك بن مروان أوصى مؤدِّب ولده فقال: أوّل ما تَبدأ

(١) الكافي٥: ٣٣٢/كتاب النكاح، باب اختيار الزوجة، قطعة من ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق باختلاف يسير. دعائم الإسلام٢: ٢٠٠، قطعة من ح٧٣٣، عن الإمام الباقر. سنن ابن ماجة١: ٦٣٣/ باب الأكفاء، قطعة من ح١٩٦٨، عن عائشة.

(٢) أُنظر: الكافي٦: ١٨/ كتاب العقيقة، باب الأسماء والكنى.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٥٦، ح٣٥، عن ابن عبّاس. قرب الإسناد: ٩٣، ح٣١٢، عن الحسين بن علوان، عن **الإمام الصادق**عليه السلام، وفيه: «**تخيّروا للرضاع كما تتخيّرون للنكاح؛ فإنّ الرضاع يغيّر الطباع**». راجع: الكافي٦: ٤٢/ كتاب العقيقة، باب من يكره لبنه ومن لا يكره.

(٤) قال **الإمام عليّ**عليه السلام: «**حَقُّ الوَلَدِ عَلَى الوالِدِ أن يُحسِنَ اسمَهُ، ويُحسِنَ أدَبَهُ، ويُعَلِّمَهُ القُرآن**». نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٩.

به من إصلاحك بنيّ إصلاح نفسك؛ فإنّ أعينهم معقودة بعينك، فالحَسَن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، عَلِّمهم كتاب الله، ولا تُكرههم عليه فيملّوه، ولا تكثرهم منه فيهجروه، ولا تُخرجهم من علم إلى علمٍ حتّى يحكموه؛ فإنّ ازدحام العلوم مشغلة الذهن، هدّدهم بي، وأدِّبهم دوني، وكُن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتّى يَعرف موضع الداء، روِّهم من الشِّعر أعفَّه، ومن الحديث أشرفَه، وعلِّمهم سِيَر الحكماء، وجنِّبهم محادَثة النساء، ولا تتّكلنَّ على عذرٍ منّي، فقد اتّكلت على كفايةٍ منك، وإن تَزدني بزيادتك إيّاهم أزدك إن شاء الله[١]، فهذا فصل في حسن آداب الولد بليغ[٢].

٤٤١. قُولُوا خَيْراً تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا[٣].

الخير والشرّ ليسا للتفضيل؛ إنّما هو خيرٌ من جملة الخيرات، وشرٌّ من جملة الشرور، بخلاف قولك: هذا خيرٌ من هذا، وفلانٌ شرٌّ من فلان. ولا يُقال في التفضيل منهما: أخير وأشرّ. وإنّما يُعرف الفرق بينهما مع اتّفاق لفظيهما في الصورة بالمعنى، دون اقتران "مِن" بهما؛ فإنّه ربّما استعملا مع "مِن" ولا يراد بهما التفضيل كقولهم: فلانٌ خيرٌ من الأخيار، وهذا شرٌّ من

(١) العيال لابن أبي الدنيا١: ٥١٣/ الرقم٣٣٩. أنساب الأشراف٧: ٢٠٧، باختلاف. أُنظر: تاريخ دمشق٣٨: ٢٧١. تاريخ بغداد٣: ٤٠٤/ الرقم١٥٤٣.

(٢) راجع: الكافي٦: ٤٦/ كتاب العقيقة، باب تأديب الولد و٤٨، باب حقّ الأولاد.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٨٩، ح٦٦٦. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٨٧، عبادة بن الصامت.

الشرور. فيكون "مِن" هذه للتبعيض، وفي التفضيل يكون للتبيين.

أَمَرَنا بأن نقول ما لنا فيه خيراً ولغيرنا؛ لنغتنم ونجد به غنيمةً؛ إمّا عاجلاً من منافع الدُّنيا، أو آجلاً من ثواب الآخرة، أو بأن نسكت عن قولٍ فيه شرٌّ ومضرّة لنا أو لغيرنا لنسلَم؛ فإنّ ثمرة قول الخير غنيمة، وثمرة السكوت عن الشرّ سلامة.

وقال الحسن بن هاني في هذا المعنى:

خَلِّ جنبيك لرام وامضِ عنه بسلامِ
إنّما السالم مَن ألـ ـجَمَ فاه بلجامِ
مُت بِداءِ الصمت خيرٌ لكَ من داء الكلامِ
رُبَّ قولٍ جَرَّ آجا ل فئام لفئام[1]

وقال آخر:

وجواب الجاهل الصمت وفي الصمت سلامة[2]

٤٤٢. تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ[3].

يعني: اختاروا واجتهدوا في الاختيار؛ لأنّ في هذا البناء نوعاً من التكلّف كالتعسّف والتجشّم. والنطَف: جمع نطفة، وهي الماء القليل من «نَطَفَ

(١) البيان والتبيين: ٤٨٥. العقد الفريد٢: ٣٠٣. أدب الدنيا والدين: ٣١٠.

(٢) اللطائف للمديني: ٦٣.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٩٠، ح٦٦٧. سنن ابن ماجة١: ٦٣٣ / باب الأكفاء، قطعة من ح١٩٦٨. المستدرك على الصحيحين٢: ٣٢١. سنن الدارقطني٣: ٢٠٧، قطعة من ح٣٧٤٦، عن عائشة.

الماءُ» إذا قطر، فالنطفة فُعلة بمعنى مفعولة[١]. وفي **أمير المؤمنين** : «**مَصارعهم دون النطفة**»[٢]؛ يعني: مصارع الخوارج دون ماء الفرات. يعني: احتاطوا حقَّ الاحتياط في النكاح والتسرّي للاستيلاد لتنجبوا؛ **فإنّ العرق دسّاس**[٣].

٤٤٣. أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ وَمُنَغِّصِ الشَّهَوَاتِ[٤].

أراد بهادم اللذّات «**الموت**»؛ فإنّ العاقل وإن كان في فنونٍ من الطرب والفرح والمَرَح، إذا ذكرَ الموت تنغّص[٥] عليه العيش، وتكدّرت عليه الحياة، وتهدّم جميع ما كان عليه من السرور والفرح.

وروي عن ابن عمر: أنّ رجلاً أتى النبيَّ فقال: يا **رسول الله**، مَن أكيس الناس؟ قال ﷺ: «**أكثرهم ذكراً للموت، وأشدّهم استعداداً له، أُولئك هم الأكياس**»[٦].

---

(١) أُنظر: النهاية٥: ٧٥. المحيط في اللغة٢: ٣٢٤ (نطف).

(٢) نهج البلاغة/ الخطبة٥٩.

(٣) مرّ تخريجه وذيل الحديث: «**وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ؛ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ**».

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٩١، ح٦٦٨. سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٢/ باب ذكر الموت والاستعداد له، ح٤٢٥٨، عن أبي هريرة وليس فيهما (وَمُنَغِّصِ الشَّهَوَاتِ). العقد الفريد٣: ٢٥٧. نهج البلاغة، قطعة من الخطبة٩٩.

(٥) نَغِصَ الرجلُ نَغَصاً: إذا لم تتمّ له هناءته، وبالتشديد أكثر. ونَغَّصَ عليه عيشه بأذى ومكروه. كتاب العين٤: ٣٧٣ (نغص).

(٦) سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٣/ باب ذكر الموت والاستعداد له، ح٤٢٥٩. المستدرك على الصحيحين٤: ٥٤٠. الكافي٣: ٢٥٧/ كتاب الجنائز، باب النوادر، ح٢٧، عن الإمام الباقر.

وعن أنس قال: ذُكِر رجلٌ عند النبيّ فأثنوا عليه خيراً، فقال ﷺ: «**كيف ذِكره للموت؟**» فقالوا: ما نراه يذكر الموت! فقال: «**إنّ صاحبكم ليس هناك**»[١].

وقال ﷺ: «**اذكروا الموت؛ فإنّكم إن ذكرتموه في غنىً كدّره عليكم، وإن ذكرتموه في ضيقٍ وسّعه عليكم. الموت القيامة؛ إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته**»[٢].

وأنشد ابن البُناني:

ماذا تقول وليس عندك حجّة لو قد أتاكَ منغّص اللذّاتِ

ماذا تقول وقد دُعيت ولم تجِب وإذا سُئِلتَ وأنت في الغمراتِ

ماذا تقول إذا حللتَ محلّةً ليس الثقات لأهلها بثقاتِ[٣]

وقال آخر:

اذكر الموت هادم اللذّات وتجهّز لمصرعٍ سوف ياتي[٤]

وروي أنّ **عيسى بن مريم** عليه السلام قال للحواريّين: «**ادعوا الله أن يُخفّف عنّي سَكرة الموت، فلقد خفتُ الموت خوفاً أوقفني على الموت**»[٥].

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال٧: ١٥٣. المصنَّف لابن أبي شيبة٨: ١٢٩، ح٢٧، عن ابن سابط. الزهد لأحمد بن حنبل: ١٨، ح٩٠، عن سفيان، باختلاف يسير.

(٢) كنز العمّال١٥: ٥٤٨، ح٤٢١٢٣، نقلاً عن العسكري في الأمثال، عن أنس.

(٣) القبور لابن أبي الدنيا: ٩١/ الرقم٨٩.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى: ١٢٤. إرشاد القلوب١: ٤٩.

(٥) إحياء علوم الدين١٥: ١٢٧. تاريخ دمشق٤٧: ٤٦٩. العاقبة في ذكر الموت: ١١٣.

وعن الحسن في قوله: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[١] قال: يعني الموت[٢].

٤٤٤. رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً فَسَاعَةً[٣].

يروى: «سَاعَةً بِسَاعَةٍ»[٤] كأنّه أشار إلى أن يكون للقلوب إعياء[٥] ولُغوب[٦] كما للأبدان، فقال: روِّحوها ساعةً بعد ساعة بما يسكّنها ويُسلّيها من لذّةٍ في غير معصية، أو بأن لا تُعمِلوها بالفكر في أُمور الدِّين والدنيا.

وقال عليّ عليه السلام: «**القلب إذا أُكرِهَ عَمِيَ**»[٧]. وقيل: روّحوها بمزاحٍ مباحٍ. وقيل: إنّ رسول الله كان يمزح، ولا يقول كذباً ولا إثماً[٨].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥١.

(٢) تفسير الطبري١٥: ١٢٣/ الرقم١٦٨٧١ و١٦٨٦٩. المستدرك على الصحيحين٢: ٣٦٢، عن ابن عبّاس. تفسير القمي٢: ٢١، عن الإمام الباقر .

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٩٣، ح٦٧٢، عن أنس. العقد الفريد٨: ٩٠، باختلاف يسير.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٣٩٣، ح٦٧٢.

(٥) الإعياء: الكلال والعجز والتعب. وأعيى: عجز. وأعياه: أعجَزَه. تهذيب اللغة ٣: ١٦٥. شمس العلوم ٧: ٣ (عيي).

(٦) اللغوب: التعب والإعياء، أو شدَّة الإعياء. كتاب العين ٤: ٤٢١. صحاح اللغة ١: ٢٢٠ (لغب).

(٧) وقال عليه السلام: «**إنَّ لِلقُلوبِ شَهوَةً وإقبالًا وإدباراً، فَأتوها مِن قِبَلِ شَهوَتِها وإقبالِها؛ فَإِنَّ القَلبَ إذا أُكرِهَ عَمِيَ**»؛ نهج البلاغة/الحكمة ١٩٣. خصائص الأئمّة: ١١٢.

(٨) قال **رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**إنّي لأمزح ولا أقول إلّا حقّاً**»، المعجم الأوسط١: ٢٩٨، عن ابن عمر. تاريخ بغداد٤: ١٤٩، ح١٨١١، عن أنس بن مالك. مكارم الأخلاق: ٢١.

وروي أنّه ﷺ دخلَ يوماً على عائشة وعندها عجوزة، فقال لها: «**مَن هذه؟**» قالت: فلانة. قال: «**أما إنّها لا تعلم أنّ العجائز لا يَدخلن الجنّة!**»، فأخَذَت العجوزُ في البكاء، قال لها: «**لا تبكي؛ فإنّهنّ لا يَدخلن الجنّة وهُنّ عجائز؛ بل يَردُّهنَّ الله إلى أحسن حال الشباب، ثمّ يدخلن الجنّة**»، فتسلَّتِ العجوزة[1].

وقيل: إنّه أخرج يوماً إحدى رجليه، وقال ﷺ: «**بِمَ تشبه هذه**»؟ فكلّ أحدٍ كان يقول بكذا وبكذا، فأخرج رجله الأُخرى وقال: «**هذه تشبه هذه**»[2].

وقال ﷺ لأنس بن مالك: «**ياذا الأُذنين!**»[3].

وقال أنس: كان لي ابن أخٍ يُكنّى أبا عُمَير، وكان له طائر يسمّى النُّغَير، فمات، فحزنَ الصبيُّ لذلك، فرآه النبيّ فسأل عنه، فقيل له: ماتَ نغيره! فكان إذا رآه يقول ﷺ: «**يا أبا عُمَير، ما فعل النغير؟!**»[4].

ومثل هذا غير ممنوعٌ في حقّ النبيّ ؛ فإنّ هذا وأمثاله مباحٌ، والمباح

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٧١. تفسير الطبري١٧: ١٣٤، سورة الأنبياء. تفسير الثعلبي٩: ٢٠٩، سورة الواقعة، باختلاف.

(٢) لم نعثر عليه هكذا في المصادر.

(٣) سنن الترمذي٣: ٢٤١/ باب ما جاء في المزاح، ح٢٠٥٩، وزاد فيه عن أبي أسامة: إنّما يعني به أنّه يمازحه. مسند ابن حنبل٣: ١١٧. تاريخ دمشق٤: ٤٢.

(٤) سنن أبي داود٢: ٤٧٠/ باب ما جاء في الرجل يتكنّى وليس له ولد، ح٤٩٦٩. سنن ابن ماجة٢: ١٢٢٦/ باب المزاح، ح٣٧٢٠. الأدب المفرد: ١٨٢/ باب الكنية للصبيّ، ح٨٧١.

غير ممنوع فيهم؛ لأنّه لا يقدح في العصمة ما لم يَكثر ويبلغ حدّاً يستخفّ بصاحبه.

قال: والنغير طائرٌ صغير، ويُجمع على النِّغران[١].

وقال بعض الزهّاد[٢]: رأيتُ جاريةً تُباع بمصر بألف دينار، ما رأيتُ أحسن منها! فقال له بعض الحمقى: مثلك يقول هذا؟! فقال: نعم؛ صلّى الله عليها وعلى كلّ وجهٍ مليح[٣].

وقال **عليّ**عليه السلام: «**أجمّوا هذه القلوب، واطلبوا لها طرائف الحِكَم؛ فإنّها تَملّ كما تملّ الأبدان**»[٤].

وقال أبو فراس:

أروّح النفسَ ببعض الهزل ... تجاهلاً منّي بغير جهل

(١) الصحاح٢: ٨٣٣. النهاية٥: ٨٦ (نغر).

(٢) المراد منه: يحيى بن معين في المصادر، شيخ المحدِّثين، أبو زكريّا، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام. وقيل: اسم جدّه غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفاني ثمّ المرّي، مولاهم البغدادي، أحد الأعلام. ولد سنة ثمان وخمسين ومئة. وسمع من: ابن المبارك، وهشيم، وإسماعيل بن عياش. أُنظر: سير أعلام النبلاء١١: ٧١.

(٣) تاريخ دمشق٦٥: ٣٣. سير أعلام النبلاء١١: ٨٧.

(٤) مكارم الأخلاق للخرائطي: ٢٣٦، ح٧١٩، عن النجيب بن السَّريّ. العقد الفريد٨: ٩٠. نهج البلاغة/ الحكمة٩١، وفيه: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ**».

أمــزحُ فيــه مــزح أهــل الفضــل والهــزل أحيانــاً جــلاء العقــل[١]

٤٤٥. اِعْتَمُّوا تَزْدَادُوا حِلْماً[٢].

يُقـال: «**اِعـتمّ الرجُـلُ وتَعمَّـمَ**» إذا لـبس العمامـة[٣]، وهـذا مـن بـاب الآداب وممّـا يجده الإنسان من نفسه وإن كـان مرجعه إلى العرف؛ فإنّه إذا تعمّـم وجـد مـن نفسـه سـكينَةً ووقـاراً، وإذا تَقَلـنس وجـدَ مـن نفسـه خفّـةً وطيشـاً[٤]؛ فـإنّ القلانـس مـن حليـة الصـبيان وجُهّـال الشُّـبّان والحزاورة[٥] والمتجنّـدة، والتعمـيم مـن حليـة الشيوخ والحكمـاء وأهـل الجـاه والحُرمـة خصوصـاً فـي العـرب؛ فـإنّ العمـائم كانـت مـن لـبس

---

(١) يتيمة الدّهر١: ١١٢.

أبو فراس الحمداني، أبو فراس، الحارث بن أبي العلاء بن حمدان؛ برع في كلّ فضل، حسن الخلق، لم ير في عصره بالشام أحسن منه، مع خلق طاهر، وحسن باطن وظاهر، وفروسيّة تامّة، وشجاعة كاملة، وكرم مستفيض؛ لأنّه نشأ في تربية سيف الدولة وحجره، وأخذ أخلاقه، وتأدّب بآدابه، مع ملاحة خطٍّ، وترسّل، وشعر في غاية الجودة، وديوانه كبير، إلّا أنّه كان قبيل موته اختاره. أُنظر: الأغاني١: ٢٢٥.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٩٣، ح٦٧٣. المستدرك على الصحيحين٤: ١٩٣. المعجم الكبير١٢: ١٧١. الأمثال لأبي الشيخ١: ١٥٧، ح٢٤٨، عن ابن عبّاس.

(٣) كتاب العين١: ٩٤ (عمم).

(٤) الطَّيْش: خفَّة العقل. كتاب العين٦: ٢٧٦ (طيش).

(٥) الحزاور وهي الرَّوابي، واحدتها حزورة، ومنه الغلام الحزور، وذلك إذا اشتدّ وقوي، والجمع حزاورة. معجم مقاييس اللغة٢: ٥٥. الصحاح٢: ٦٢٩ (حزر).

ملوكهم حتّى قال ﷺ: «**العمائم تيجان العرب**»[١].

٤٤٦. اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ[٢].

فسَّرَ قومٌ هذا الحديث على أنّ المراد: فكلٌّ ميسّرٌ لما خلق له من السعادة والشقاوة. وهذا محض الجبر[٣]، ثمّ نقول لهم: فما فائدة قوله: «**اعملوا**» والعمل على هذه المقالة لغو وعبث لا فائدة فيه؛ فإنّ من خُلق سعيداً، ويُسِّر للسعادة، فالعمل لا يزيده سعادةً، وتركه العمل لا يدخله في الشقاوة؟ ومَن خُلِق شقيّاً فالعمل لا يزيده سعادةً ينفعه، ولا يخرجه من الشقاوة. فقوله: «**اعملوا**» أمرٌ بما لا فائدة فيه، وهو كلامٌ متناقض

(١) الكافي٦: ٤٦١/ كتاب الزيّ والتجمّل والمروءة، باب العمائم، ح٥، عن السكوني، عن الإمام الصادق. أمثال الحديث: ١٥١، قطعة من ح١١٧، عن معاذ بن جبل. مسند الشِّهاب١: ٧٥، قطعة من ح٦٨، عن موسى بن إبراهيم المروزي، عن الإمام الكاظم، عن أبيه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٩٣، ح٦٧٤، عن سعد. صحيح البخاري٦: ٨٦. صحيح مسلم٨: ٤٧، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن الإمام عليّ . التوحيد: ٣٥٦، قطعة من ح٣، عن محمّد بن أبي عمير، عن الإمام الكاظم .

(٣) روى ابن حنبل بإسناده: عن عمر أنّه قال للنبيّ : أرأيت ما نعمل فيه أ قد فرغ منه أو في شيء مبتدأ أو أمر مبتدع؟ قال ﷺ: «**فيما قد فرغ منه**». فقال عمر: ألا نتّكل؟ فقال: «**اعمل يا ابن الخطاب؛ فكلّ ميسّر؛ أمّا من كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة، وأمّا أهل الشقاء فيعمل للشقاء**». مسند ابن حنبل١: ٢٩. راجع: صحيح البخاري٦: ٨٥. تفسير الطبري٣٠: ٢٨١ - ٢٨٣، سورة الليل. تأويل مختلف الحديث: ١٣.

لا يشبه كلام العقلاء، فكيف يشبه كلام أفصح الفصحاء وأحكم الحُكماء وخير الأنبياء؟!

ومعنى الخبر: اعملوا بما أمركم الله به من العبادة؛ فكلٌّ ميسّر ـ أي موفَّق ـ لما خلق له من العبادة؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، ولا تَعَلَّلوا بأن تقولوا: ما وُفّقنا لهذا! والتوفيق عزيز، وكأنّ الله لم يرد بنا هذا الخير؛ فإنّ اللطف من الله للمكلّفين على حَدٍّ واحد، وهو ما يكون المكلَّف عنده أقرب إلى الطاعة وأبعد من المعصية، وأثره التقريب والتسهيل دون الإيجاب والحمل، فإذا فعل المكلّف عنده الطاعة يسمّى توفيقاً، وإذا امتنع من المعصية عنده يسمّى عصمةً.

ومعنى الخبر على هذا الوجه يوافق أدلّة العقل ومحكم التنزيل والسنّة المقطوع عليها وعَدل الباري تعالى وما يليق بحكمته[2].

وقوله: «**فكلٌّ**» التنوين فيه بدل من المضاف إليه، والتقدير: «**فكلّكم**»؛ لأنّ النكرة إذا لم تكُن منفيّةً ولا موصوفةً، لا تصحّ أن تكون مبتدأً[3]،

---

(١) سورة الذاريات٥١: ٥٦.

(٢) روى الصدوق بإسناده: عن محمّد بن أبي عمير، قال: سَأَلتُ **أبَا الحَسَنِ موسَى بنَ جَعفَرٍ** عليهما السلام عَن... مَعنى قَولِهِ : «**اعملوا؛ فكلّ ميسّر لما خلق له**»، فَقالَ: «**إنَّ اللهَ** عزّ وجلّ **خَلَقَ الجِنَّ وَالإِنسَ لِيَعبُدوهُ، ولَم يَخلُقهُم لِيَعصوهُ، وذلِكَ قَولُهُ** عزّ وجلّ ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، **فَيَسَّرَ كُلاًّ لِما خَلَقَ لَهُ، فَالوَيلُ لِمَنِ استَحَبَّ العَمى عَلَى الهُدى**». التوحيد: ٣٥٦، ح٣.

(٣) أُنظر: الأصول في النحو١: ٥٩. مغني اللبيب٢: ٤٦٧، مسوّغات الابتداء بالنكرة.

ولهذه العلّة جُعل ذا الحال في قولهم: مررتُ بكلٍّ قائماً[١].

٤٤٧. تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ[٢].

الوَدود: فعولٌ مبالغة في فاعل[٣]؛ أي شديد المودّة، ولذلك لم تدخل تاء التأنيث عليه، ومثله: امرأةٌ شكور وصبور[٤]. والوَلود: الكثيرة الولادة، فعول بمعنى فاعل[٥]؛ يعني: اختاروا من النساء مَن كانت موصوفةً بهاتين الصفتين. ثمّ قال على سبيل التعليل: «**فإنّي مُكاثرٌ بكم**»؛ أي مُفاخِرٌ بكم الأنبياء في الكثرة.

وروى معقل بن يسار قال: جاء رجلٌ إلى **النبيّ** ﷺ فقال: إنّي أصبتُ امرأةً ذات حَسَبٍ وجمال، إلاّ أنّها لا تلِد، أفأتزوّجها؟ قال: «**لا**»، ثمّ أتاه ثانيةً فنهاه، ثمّ أتاه ثالثةً فقال: «**تزوّجوا الودودَ الولود**»[٦] الخبر.

---

(١) أُنظر: كتاب سيبويه٢: ١١٤. الأصول في النحو١: ٣١٠.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٩٤ ، ح٦٧٥، عن أنس بن مالك. سنن أبي داود١: ٤٥٥، قطعة من ح٢٠٥٠. سنن النسائي٦: ٦٥، عن معقل بن يسار. الكافي٥: ٣٣٣ / كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العاقر، ح٢، عن محمّد بن مسلم، عن الإمام الباقر .

(٣) النهاية٥: ١٦٥ (ودد).

(٤) اعلم: أنّ فَعُولاً إذا كان بتأويلِ فاعلٍ لم تدخُلْه هاءُ التأنيث إذا كان نعتَ المؤنّث، تقول: امرأة ظَلُوم وغَضُوب. المخصَّص (السفر السادس عشر): ١٣٨.

(٥) شمس العلوم١١: ٧٢٨٥.

(٦) سنن أبي داود١: ٤٥٥/ باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ح٢٠٥٠. سنن النسائي٦: ٦٥. المستدرك على الصحيحين٢: ١٦٢.

وقال ﷺ: «**أعظم النساء بركةً: أحسنهنّ وجوهاً، وأرخصهنّ مهوراً**»[١].

وقال ﷺ: «**أيّما امرأة لم تستقرّ لزوجها ولم تسكن له، لم ينظر الله إليها يوم القيامة**»[٢].

وقال ﷺ: «**إنّما النساء لُعَبٌ، فمَن اتَّخذ لُعْبةً فليستحبّها**»[٣].

وقيل: جاءت امرأة إلى الحسن، وقالت: أتفتي الرِّجال ـ يا أبا سعيد ـ أن يتزوّجوا على النساء؟ فقال: نعم. فقالت: أعلى مثلي؟ ثمّ كشَفَت عن وجهٍ كالقمر ليلة البَدر، فلمّا ولّت قال الحسن: ما على رجلٍ مثل هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدُّنيا وما أدبَر[٤]!

قال بعضهم:

إنّ القباح وإن رخصن غوالي[٥].

وقيل لرجلٍ: أيّ النساء أشهى؟ قال: التي تخرج من عندها كارهاً، وترجع إليها والهاً[٦].

---

(١) البصائر والذخائر٩: ٢١. ثمار القلوب: ١٢٣. ربيع الأبرار٥: ٢٤٤.

(٢) لم نعثر عليه. وفي ضوء: «**ايُّما امرأةٍ لم تستغن بزوجها ولم تشكر له**».

(٣) بغية الباحث: ١٥٩/ باب في الزوجة الحسناء، ح٤٨٩، عن أبي بكر بن حزم. المحاسن والأضداد: ٢٠٠. البصائر والذخائر٩: ٢١ ، باختلاف يسير.

(٤) اعتلال القلوب للخرائطي١: ١٤٧/ الرقم٢٩٤. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٢.

(٥) أخبار مكّة للفاكهي٣: ٩٩. اعتلال القلوب للخرائطي٢: ٢٦٠. تاريخ دمشق٥٣: ٤٤٠، والبيت الكامل: وتركت أسواق القباح لأهلها... إنّ القباح وإن رخصن غوالي، والشاعر: أبو ميّاس.

(٦) مروج الذهب٤: ٧١، سأل أبو العبّاس المكّي، عن محمّد بن طاهر. الجليس الصالح: ٤٨٩. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٣، عن محمّد بن طاهر، والسائل: أبو العبّاس المكّي.

وقال بعضهم: إيّاك وكلّ مذكَّرةٍ[١] شَوهاء[٢] فوهاء[٣]، تُبطِل الحقَّ بالبكاء، لا تأكل من قلّة، ولا تعذر من علّة، إن أقبَلَت أعصفَت[٤]، وإن أدبرَت أغبرت[٥][٦].

وتَستدلّ على حالها في جمالها ببعض أعمامها أو أخوالها، وأنشد العجير:

إذا كنتَ تبغي أيِّماً[٧] بجهالةٍ من الناس فانظر مَن أبوها وخالها
فإنّهما مِن شكلها وهي منهما كما جذبت يوماً بنعلٍ مثالها[٨]

وقال الربيع بن زياد: من أراد النجابة فعليه بالطوال، ومن أراد اللذاذة فعليه بالقِصار.

وقال الحجَّاج: مَن تزوّج قصيرةً فلم يجدها على الموافقة فعليَّ مهرها[٩].

---

(١) امرأة ذَكِرَة ومذكَّرة ومتذكِّرة: متشبِّهة بالذُّكور. المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧٨٨ (ذكر).

(٢) الأشوه والشوهاء: القبيحا الوجه والخلقة. كتاب العين ٤: ٦٨ (شوه).

(٣) الفَوَه: عِظَم الفم واتّساعه، والنعت أفوَه وفوهاء. جمهرة اللغة ٢: ٩٧٣ (فوه).

(٤) عَصَفَت الريحُ وأعصفَت: اشتدَّت. واعصفَت الناقةُ: أسرعت. وأعصف الرجُلُ. جار عن الطريق. المحكم والمحيط الأعظم ١: ٤٤٨ (عصف).

(٥) أغبرَت: أثارت الغبارَ. الصحاح ٢: ٧٦٥ (غبر).

(٦) الدلائل في غريب الحديث١: ٢٤٣. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٣.

(٧) الأيِّم: المرأة لا بعل لها، والرجُل لا مرأة لها. جمعه: أيامى. معجم مقاييس اللغة ١: ١٦٦ (أيم).

(٨) محاضرات الأدباء٢: ٢٢٣. عيون الأخبار٤: ٨. المحاسن والأضداد: ٢٠٠، باختلاف في البيت الثاني.

(٩) محاضرات الأدباء٢: ٢٢٣.

ويستحسن في ذلك أن يكون كما قال ابن عجلان:

ومُخمَلَة[١] باللحم من دون ثوبها تطول القصار والطوال تطولها[٢]

وإيّاك والعجائز؛ قيل لرجلٍ: أيّ امرأة تزوّجت؟ قال: نصفاً. فقيل: شرّ النصفين حصل في يدك؟ ثمّ أنشد:

لا تنكحنّ عجوزاً إن أتيت بها واخلع ثيابك منها ممعناً هربا

وإن أتوك فقالوا إنّها نصف فإن أمثل نصفَيها الذي ذهبا[٣]

وقال بعض الأطبّاء[٤]: لا تركب ولا تأكل ولا تنكح إلاّ فَتيّاً[٥].

---

(١) الخَمْل: ما يُنسَج وتَفضُل له فُضولٌ، وقد أخمَلَه. والخَمْلة: ثوب مُخْمَل كالكساء ونحوه. المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٢١٤ (خمل).

(٢) محاضرات الأدباء٢: ٢٢٣. الصناعتين: ١٩٩. الكامل في اللغة والأدب٢: ٢١٧.

(٣) العقد الفريد٧: ١٢٢ وفيه: عن **جعفر بن محمّد**عليه‌السلام: «**إذا قال لك أحد: تزوَّجت نصفاً؛ فاعلم أنّ شرّ النصفين ما بقي في يده! وأنشد:**

وإن أتوك وقالوا إنّها نصف فإنَّ أطيب نصفيها الذي ذهبا».

وروي البيتان في: جمهرة الأمثال١: ٥٣. عيون الأخبار٤: ٤٤، باختلاف.

(٤) قال الحجّاج لتياذوق متطبّبه: صِف لي صفةً آخذ بها في نفسي ولا أعدوها.

قال تياذوق: لا تتزوّج من النساء إلّا شابّةً، ولا تأكل من اللحم إلّا فتيّاً. أُنظر: المصادر التالية.

تياذوق كان طبيباً فاضلاً، وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطبّ، وعُمِّر، وقد صحب الحجّاج بن يوسف الثقفي. أُنظر: عيون الأنباء: ١٧٩.

(٥) عيون الأخبار٣: ٢٩٢. العقد الفريد٨: ١٨. المجالسة وجواهر العلم٥: ١٥٩، الرقم١٩٨٥، باختلاف.

وقال الآخر:

لا تنكحنّ الدهر ما عشتَ أيِّما مجرَّبةً قد مُلَّ منها ومُلَّت[١]

وإذا كانت جامعةً لطرفي الخبر من الودادة والولادة فهي آخذة منهما بنصيب.

وقال ﷺ: **«سوداءُ ولودٌ خيرٌ من حَسناءَ عقيم»**[٢].

وذمَّ أعرابيٌّ امرأةً فقال: ما بطنها بوالدٍ، ولا ثديها بناهدٍ[٣]، ولا فوها ببارِدٍ، ولا شعرها بوارِدٍ[٤][٥].

وقيل لأعرابيّ: أيّ النساء أكرم؟ فقال: التي في حِجرها غُلام، وفي بطنها غلام ولهاً مع الغلمان غلامٌ[٦].

---

(١) التذكرة الحمدونيّة٥: ١٦٦. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٤. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤١٦.

(٢) محاضرات الأدباء٢: ٢٢٥. المعجم الكبير١٩: ٤١٦. تاريخ دمشق١٤: ٥٠، عن معاوية بن حيدة، وفيهما: (سوداء ولود خير من حسناء لا تلد).

(٣) الناهد: المرتفع، والتي قد عظم حجم ثديها حتّى بدا ولم يتكسّر. جمهرة اللغة ٢: ٦٨٧. النهاية ٥: ١٣٤ (نهد).

(٤) كلُّ طويل وارد، ومنه الشعر الوارد. تهذيب اللغة ١٤: ١١٧ (ورد).

(٥) إنّ عُيينة بن حصن أخذ عجوزاً من هوازن، فلمّا رَدَّ رسول الله السبايا بستّ قلائص، أبى أن يردَّها، فقال له أبو صرد: خذها إليك؛ فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد، ولا درّها بماكد. غريب الحديث لابن قتيبة٢: ٨٢. السيرة النبوية لابن هشام٤: ٢٩٧. تاريخ الطبري٢: ٣٥٧.

(٦) مروج الذهب٣: ١٥٠، فيما سأل الحَجّاج، عن الغضبان بن القَبَعْثَرى باختلاف يسير. درر الحكم: ٥٣. محاضرات الأدباء٢: ٢٢٥.

وقد خالف السنَّةَ مَن قال:

الزوج شؤم، وفي الأولاد منقصة | والله فردٌ يحبّ الفرد فانفرد
لو كان في كثرة الأولاد مَكرَمةٌ | ما قال ما اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدا[١]

لا جَرَم أجابه بعض أهل العلم فقال:

الزوجُ أُنسٌ وفي الأولاد مكرَمة | واللهُ فردٌ ومستغنٍ عن الولدِ
وليس للعبدِ تشبيهٌ بخالقه | ولا خلافُ **رسول الله** في الرشد[٢]

٤٤٨. تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً[٣].

التسحّر: الأكل وقت السحر، كالتغذّي والتعشّي في طعام الغداة والعشاء. والسَّحور: طعام السحَر كالغداء والعشاء. والسُّحور ـ بالضمّ ـ المصدر؛ أي الأكل[٤]، ومثله: الطُّهور والطَّهور، والوُضوء والوَضوء، والوُقود والوَقود؛ فإنّ الضمّ للمصدر، والفتح للاسم، والاختيار في الحديث الضمّ؛ لأنّ البركة في الأكل لا في الطعام، ومَن روى بالفتح فقد أخطأ لما ذكرناه، ومثله ما روي أنّ **عليّاً**عليه السلام قال: «**تعالوا حتّى**

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتقدِّمة، روي في: روض الأخيار: ٢٩٤.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٩٥، ح٦٧٦، عن عبد الله. صحيح البخاري٢: ٢٣٢. صحيح مسلم٣: ١٣٠، عن أنس. الكافي٤: ٩٥ / كتاب الصيام، باب أنه يستحبّ السحور، قطعة من ح٣، عن السكوني، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٤) النهاية٢: ٣٤٧. المفردات: ٤٠١ (سحر).

أُريكم طُهور رسول الله»[١]؛ يعني وُضوء رسول الله. فروى الفقهاء الذين لا علمَ لهم باللغة بفتح الطاء وهو خطأ؛ لأنّ الطَّهور: الماء[٢]، ولا يمكنه أن يريهم الماء الذي توضّأ به **رسول الله** بعد سنين متطاولة.

وقيل: هذا ممّا جعله الله لنا كرامةً لرسول الله، ولم يكن للأُمّة المتقدّمة؛ ليسهل علينا الصوم. وكانت الأُمم الماضية لا يحلّ لهم الطعام والشراب إلى العشاء الآخرة، وكان كذلك لنا في بداية الإسلام حتّى خفّف الله عنهم وسهّل عليهم بقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٣].

ومعنى الحديث: الحَثُّ على الأكل والشرب وقت السحر، وهذا أمرٌ على سبيل الندب دون الوجوب؛ بدليل الاجماع[٤].

وروي عنهم عليهم السلام: **«تَسحَّروا ولو بجُرَعٍ من الماء؛ ألا صلوات الله على**

---

(١) سنن أبي داود١: ٣٣/ باب صفة وضوء **النبي** ، ح١١٦. سنن الترمذي١: ٣٤/ باب ما جاء في وضوء النبي، ح٤٨. سنن ابن ماجة١: ١٥٥/ باب ما جاء في غسل القدمين، ح٤٥٦ ، عن أبي حيّة، قال: رأيت **عليّاً** عليه السلام توضّأ فذكر وضوءه كلّه ثلاثاً ثلاثاً، قال: ثمّ مسح رأسه، ثمّ غسل رجليه إلى الكعبين، ثمّ قال: **«إنّما أحببت أن أريكم طهور** رسول الله».

(٢) النهاية٣: ١٤٧. كتاب العين٤: ١٩ (طهر).

(٣) سورة البقرة٢: ١٨٧.

(٤) راجع: وسائل الشيعة١٠: ١٤٢/ كتاب الصيام، باب استحباب السحور لمن يريد الصوم ... .

المتسحّرين»[١]، وهذا يختصّ بشهر رمضان، فأمّا عدا ذلك فهو مخيّر بين فعله وتركه[٢].

٤٤٩. اِتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[٣].

المعنى: قُوا أَنفُسَكُم النارَ ولو بصدقة نصف تمرة.

وروي: أنّ المتصدّق إذا تصدّق بنصف تمرة أو كسرة خبز، يُربي الله ذلك حتّى يجعله كجبل أُحُد، فإذا حُوسِب واستحقّ العقاب فيُؤمَر به إلى النار، فجاءت تلك الصدقة، وتصير حائلاً بينه وبين النار[٤].

---

(١) المقنعة: ٣١٦، عن الإمام الصادق . تهذيب الأحكام٤: ١٩٨/كتاب الصيام، باب فضل السحور وما يستحبّ أن يكون عليه الإفطار، ح٢، عن عمرو بن جميع، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر. فضائل رمضان لابن أبي الدنيا: ٩٣، ح٦٢، عن أبي سعيد الإسكندراني، عنه .

(٢) روى الكليني بإسناده عن أبي بصير، عن **أبي عبدالله** عليه السلام قال: سألته عن السحور لمن أراد الصوم؛ أ واجب هو عليه؟ فقال: **«لا بأس بأن لا يتسحَّر إن شاء، وأمّا في شهر رمضان فإنّه أفضل أن يتسحَّر؛ نحبّ أن لا يترك في شهر رمضان»**. الكافي٤: ٩٤/ كتاب الصيام، باب أنّه يستحبّ السحور، ح١.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٣٩٥، ح٦٧٨، عن عائشة. صحيح البخاري٢: ١١٤. صحيح مسلم٣: ٨٦، عن عديّ بن حاتم. الأمالي للصدوق: ١٥٤، قطعة من ح١٤٩، عن الحسن بن علي بن فضال، عن الإمام الرضا، عن آبائه .

(٤) قال **رسول الله** صلى الله عليه وآله: **«كلُّ معروف صدقة إلى غنيٍّ أو فقير، فتصدّقوا ولو بشقّ تمرة، واتَّقوا النار ولو بشقّ تمرة؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يربّيها لصاحبها كما يربِّي أحدكم فلوه أو فصيله حتّى يوفّيه إيّاها يوم القيامة، وحتّى تكون أعظم من الجبل العظيم»**، الأمالي للطوسي: ٤٥٨، ح١٠٢٣، عن الحارث،

بيانه: قوله عزّ وعلا: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[١].

٤٥٠. اِتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[٢].

الشُّحُّ: أسوأ البخل وأقبحه[٣]، وقيل: البخل والضنّ والشحّ واحد، والشحّ أفحشه. وقيل: الشحّ: البُخل مع الحرص؛ يبخل بماله، ويحرص على أموال الناس[٤]. وقيل: الشحّ: أن يَبخل ويَأمر غيره بالبخل؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦]، وقيل: البخل منعٌ عارضيّ، والشحّ بخلٌ طبيعي[٧]. ولذلك قال تعالى: ﴿شُحَّ نَفْسِهِ﴾، وبيّنّا أنّ البخل منع الجواب؛ لأنّه اسم ذمّ، ولا يُذَمُّ

عن الإمام علي . وروى الكليني بإسناده، عن **الإمام الصادق** عليه السلام قال: «**إنّ الرجل ليتصدّق بالتمرة أو بشقّ تمرة فأُربّيها له، كما يربّي الرجل فلوه وفصيله، فيأتي يوم القيامة وهو مثل أحد وأعظم من أحد**». الكافي٤: ٤٧/ كتاب الزكاة، باب النوادر، ح٦، عن سالم بن أبي حفصة.

(١) سورة البقرة٢: ٢٧٦.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٩٨، ح٦٨٥. صحيح مسلم٨: ١٨. مسند ابن حنبل٣: ٣٢٣. الأدب المفرد: ١٠٦، باب الظلْمُ ظلمات، ح٤٩٠، عن جابر بن عبد الله.

(٣) النهاية٢: ٤٤٨ (شحح).

(٤) معجم الفروق اللغوية: ٢٩٥، الرقم١١٨١.

(٥) سورة النساء٤: ٣٧.

(٦) سورة الحشر٥٩: ٩.

(٧) اعلم أنّ الفرق بين الشحّ والبخل هو أنّ البخل نفس المنع، والشحّ هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع، ولمّا كان الشحّ من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ﴾. تفسير الرازي٢٩: ٢٨٧، سورة الحشر.

المكلّف إلاّ على ترك الواجب أو فعل القبيح. والإهلاك المستحقّ لا يكون أيضاً إلاّ على ترك الواجب، وقد أكثر العلماءُ في ذَمّ البخل نظماً ونثراً، غير أنّا تركنا ذكره؛ لأنّه من باب الهجاء، وليس هذا الكتاب موضعه، ونذكر أبياتاً ليس فيها ما هو في غيرها، قال الخليل بن أحمد:

وكفّاك لم تُخلَقا للنّدى[1] ولم يك لؤمُهما بدعة
فكَفٌّ عن الخير مقبوضة كما حطّ عن مائة سبعة
وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مائيها لها شرعة[2]

ولبعض المحدّثين وقد ملح فيه:

وكاتب حاسب إن رُحتَ ملتمساً ما في يديه إذا ما جئت مجتديه[3]
أضاف تسعين تقفوها ثلاثتها إلى ثلاثة آلاف وتسعمائة[4]

وممّا بلغ فيه قائله قوله:

كأنّما خُلقت كفّاه من حَجرٍ فليس بين يديه والنّدى عمل
يَرى التيمّم في بدو وحضر مخافة أن يُرى في كفّه بلل[5]

---

(١) النَّدى: الجود. الصحاح ٦: ٢٥٠٦ (ندو).

(٢) تهذيب اللغة١: ٢٧٢. كتاب العين١: ٢٥٣ (شرع). التوحيد للصدوق: ١٩٩، وفيهما (بخلهما) بدل (لؤمهما).

(٣) المجتدي: الطالب والسائل. مجمع البحرين ١: ٨٢ (جدو).

(٤) روض الجنان٧: ٥٢، سورة المائدة، نسبه لابن طباطبا و٩: ٢٨٧، سورة التوبة.

(٥) الأمالي للقالي١: ٤٩. المؤتلف والمختلف: ١١١. تفسير الرازي٦: ١٩٣، والشاعر: الحزين الكِنانيُّ.

وأبلغ منه قول الآخر:

فتى لو أدلج الحمام حولا ... وحولا بعد أحوال كثيره
وألبس ألف فرو بعد ألف ... ولحفا حشوها قطن الجزيره
وواقدت الجحيم عليه حتى ... تصير عظامه مثل الذريره
لما رشحتْ أنامله لبخل ... بعشر عشير معشار العشيره[1]

٤٥١. اِسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السِّوَاكِ[2].

قيل لابن عنبسة: ما شوص السواك؟ قال: أما رأيت الرجل يَستاك فيَبقى بين أسنانه شَظِيَّةٌ[3] من سواك، فلا ينتفع بشيء منها[4]؟

ويروى: «**بقِصْمة[5] السواك**»[6]، وهي ما يكسر منها، فُعلة بمعنى مفعولة. وأصحاب... يقولون: «**بشُوَيص السواك**» مضموم الشين. وقيل: الشَّوص: غيالة السواك؛ يعني المقدار الّذي يرطب به السواك إذا أرادو السوك. وقيل: الشوص: الغَسل، وكلّ شيء غسلته فقد شصته[7].

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٣٩٩، ح٦٨٧. المعجم الكبير١١: ٣٥١، عن ابن عبّاس. من لا يحضره الفقيه٢: ٧١، ح١٧٥٩.

(٣) الشظيّة: شقَّة من خشبة أو عظم أو قصبة. كتاب العين ٦: ٢٧٩ (شظي).

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) القِصمة: القطعة. جمهرة اللغة ٢: ٨٩٥ (قصم).

(٦) غريب الحديث لابن سلّام١: ٣٠٥. الصحاح٥: ٢٠١٣. النهاية٤: ٧٤ (قصم).

(٧) غريب الحديث لابن سلّام١: ٢٦١. الصحاح٣: ١٠٤٤. النهاية٢: ٥٠٩ (شوص).

قال أبو عبيد: الشوص مصدر «**شاص الرجُل**» إذا استاك، وتقول شصت إذا استكت[١]. والمعنى: ولو باستعمال السواك؛ يعني بنفس السواك؛ لأنّ السواك إنّما يُحتاج إليه لاستعماله والاستياك به.

وعن أبي هريرة قال: قال لي **النبيُّ**ﷺ: «**عليك بالسواك؛ فإنّ لك بكل صلاة سبعين صلاة**»[٢].

ومعنى الحديث: الحثّ على الاستغناء عن الناس وقطع الطمع عنهم.

وقال **عليٌّ**عليه السلام: «**استغنِ عمَّن شئت فأنت نظيره، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره، وامنن على من شئت فأنت أميره**»[٣].

٤٥٢. أَعْرُوا النِّسَاءَ يَلْزَمْنَ الْحِجَالَ[٤].

يقال: عَرِيَ الرجُلُ يَعرَى عُرْياً، فهو عُريان، وأعريتُه أنا إعراءً، وعرّيته تعريةً[٥]. والمراد بالإعراء أن لا يلبسن فيصلح للتبرّج والخروج فيها متزيّنةً بها، ولا يزدن على ما يستر أبدانهنّ في البيت؛ فإنهنّ إذا كنّ عاريات من

---

(١) لم نعثر على قول أبي عبيد، أُنظر: معجم مقاييس اللغة٣: ٢٢٧ (شوص).

(٢) لم نعثر على رواية أبي هريرة عنه ، بل روى عن عائشة، مثله: شعب الإيمان٣: ٢٦، ح٢٧٧٣.

(٣) الخصال: ٤٢٠، قطعة من ح١٤، عن عامر الشعبي. الإرشاد١: ٣٠٣. ربيع الأبرار٣: ١٨٦.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٠٠، ح٦٨٩. المراسيل لابن أبي حاتم: ٢١٧: ٨١٩. المعجم الأوسط٣: ٢٥٦، باختلاف يسير، عن مسلمة بن مخلد.

(٥) أُنظر: كتاب العين٢: ٢٣٣ (عرو). تهذيب اللغة٣: ١٠١.

لباس التبرّج لم يأشرن للخروج، وإذا كنّ ذوات ثياب حسان يطمعن في الخروج وعرض التجمّل على الناس. ثمّ ذكر الغرض في الإعراء وهو ملازمة الحجال، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى﴾[١]، والتبرّج: خروج المرأة متزيّنةً[٢].

٤٥٣.اِسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً؛ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ[٣].

استوصوا وأوصوا بمعنىً، كأجاب واستجاب، واستنبط الماء وأنبطه. وأوصى ووصّى بمعنىً، والوصيَّة اسم للإيصاء[٤]، ولم يُستعمل منه الثلاثي المجرّد. و«**خيراً**» منصوب على المفعول به، ويجوز أن يكون منصوباً على صفة مصدر محذوف؛ كأنّه قال: استيصاءً خيراً. ويقال: أوصيته بكذا وأوصيت إليه في كذا.

أَمَرَنا باستيصاء الخير فيهنّ، والمعنى باستعمال الخير فيهنّ، والأمرَ غيَّرنا بذلك. ثمّ بيّن عجزهنّ وضعفهنّ فقال ﷺ: «**إنّهنّ عوانٍ عندكم**»؛

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) أُنظر: النهاية ١: ١١٣ (برج). تفسير الطبري ٢٢: ٦، سورة الأحزاب.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ٤٠١، ح ٦٩٠، عن ضميرة، عن الإمام عليٍّ. سنن الترمذي ٢: ٣١٥ / باب ما جاء في حقّ المرأة على زوجها، قطعة من ح ١١٧٣. سنن ابن ماجة ١: ٥٩٤/ باب حقّ المرأة على الزوج، قطعة من ح ١٨٥١، عن عمرو بن الأحوص. العيال لابن أبي الدنيا ٢: ٦٦١، قطعة من ح ٤٧٤، عن الحسن.

(٤) أُنظر: كتاب العين ٧: ١٧٧ (وصي).

أي أسيرات، واحدتها عانية، والعاني: الأسير[١]، وجمعه عُناة كقاضٍ وقضاة، ورام ورماة. يقال: «**عنا يعنو**» إذا ذلّ وخضع[٢]. وهكذا هنّ؛ فإنّهنّ لا يملكن أنفسهنّ، مضروب عليهنّ الحجاب، مغلق دونهنّ الأبواب، فقال ﷺ: «**مازال يوصيني جبرائيل بالنساء حتّى ظننت أنّه يَحرُم طلاقهنّ**»[٣]، قال: «**ليس شيء أبغض إلى الله من الطلاق**»[٤].

وقال عمر بن الخطّاب: طلّقت إمرأة من غير ذنب لها، وأنا أستغفر الله منه[٥].

وعن **عليّ** عليه السلام وابن مسعود: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[٦] المرأة[٧].

٤٥٤. حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ[٨].

«**حصّنوا**» يعني اجعلوها في حصن وحرز. رَغَّبَ الناس في الزكاة بما

---

(١) كتاب العين٢: ٢٥٢. الصحاح٦: ٢٦٤٠. النهاية٣: ٣١٤ (عنو).

(٢) الصحاح٦: ٢٦٤٠. النهاية٣: ٣١٤ (عنو).

(٣) النفقة على العيال: ٦٧٠، ح٤٨٣، عن ابن عبّاس. من لا يحضره الفقيه١: ٥٢، ح١٠٨، باختلاف.

(٤) سنن أبي داود١: ٤٨٤/ باب في كراهية الطلاق، ح٢١٧٧. سنن البيهقي٧: ٣٢٢، عن محارب بن دثار. المستدرك على الصحيحين٢: ١٩٦، عن ابن عمر، باختلاف يسير.

(٥) لم نعثرعليه.

(٦) سورة النساء٤: ٣٦.

(٧) معاني القرآن للنحاس٢: ٨٤. تفسير الطبري٥: ١١٥.

(٨) مسند الشِّهاب١: ٤٠١، ح٦٩١. المعجم الأوسط٢: ٢٧٤، عن عبدالله بن مسعود. المحاسن١: ٢٩٤ / كتاب مصابيح الظلم، ح٤٥٨، عن إسحاق بن عمار. ثواب الأعمال: ٤٦، عن عمرو بن شمر، عن الإمام الصادق.

هو أدعى لهم إليها من نفع عاجل؛ وذلك أنّه أخبر أنّ الزكاة حصنٌ للمال، فمَن أودعه ماله فقد جعله في حصن حصين وحرز حريز.

ويحكى أنّ رجلاً من التجّار، وكان لا يتواني عن إيتاء الزكاة، ولا يؤخّر عن وقته، وَضَعَ مالاً في حانوت في بعض الخانات، فاتّفقت هناك غارة، وأُغيرَ على تلك المحلّة، فقيل له: إنّ مالَك قد أغير عليه. فقال: مالي لا يُغار عليه؛ فإنّه في حصن لا يوصل إليه، فاتّفق أنّ البيت الّذي كان فيه ماله سقط وانهدم، فلمّا وصل القوم إليه قالوا: هذه خربة لا يكون فيها شيء، فلمّا خرجوا وتفرّقوا جاء صاحب المال والناس معه، فوجدوا البيت قد انهدم، فنبشه صاحب المال وأخذ ماله، فقالوا له في ذلك، فقال: وثقت بأنّ مالي لا يضيع؛ لأنّي وضعته في حصن الزكاة، ورويت أنّ **النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**حصِّنوا أموالكم بالزكوة**».

ويحكى أنّ رجلاً كان متوفّراً على إيتاء الزكاة، فخرج من بلدةٍ للحجّ، فنزل بعض البلدان، فدخل سَرْباً[1] فيه نهر لوضوء الصلاة، وكان معه هميان فيه مالٌ كثير، فنسي وخرج وخرجت القافلة، فلم يَذكر حتّى سار مرحلةً، فقال: اللّهُمَّ أنتَ أمرتنا بتحصين المال بالزكاة، وقد فعلتُ ما أمرتني به، وقد رُوينا عن نبيّك: **حصِّنوا أموالكم بالزكاة**، فإن كان هذا الخبر صحيحاً فاجعل مالي في حِرزٍ حتّى توصِلهُ إليّ،

(١) السَّرْب: الطريق، والماء السائل. القاموس المحيط ١: ١٠٨ (سرب).

فلمّا خرج الرجلُ، وأراد أهل السوق والمحلّة أن يستقوا من ذلك النهر ماءً، خُيِّل إليهم أنّ هناك ثعباناً، فخافوا وسدّوا باب النهر، فلمّا قفل الرجل من الحجّ قصدَ ذلك الموضع، فلم يرَ لذلك السرب والنهر أثراً، فقال لمَن هناك: أليس كان هاهنا نهرٌ؟ فقالوا: بلى إلاّ أنّه ظهر فيه ثعبانٌ عظيم لم يَجرأ أحدٌ أن يَدخله، فسدَدنا طريقَه. فقال الرجل: ذلك الثعبان لي، أنا وضعته هناك. فقالوا له: أ جَننتَ؟ قال: افتحوا بابه حتّى أنظر ما هناك؟ ففتحوا باب النهر، فوجدوا هميانه برُمَّته، فقالوا له: ما هذه الحال؟ فقصَّ عليهم القصّة، فتعجّبوا من ذلك!

وقوله: «**وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»، المرضى: جمع مريض؛ كقتيل وقتلى، وجريح وجرحى.

روي عن **جعفر بن محمّد** عليهما السلام أنّه قال: «إذا مرض أحدكم فيدعو الطبيب، ويُعطيه أُجرةً، وإذا أمره بدواء، أخرج عليه شيئاً يستشفى بذلك، فهلاّ يَتصدّق بصدقة، ويَعتمد قول النبيّ : داووا مرضاكم بالصدقة»[1].

---

(١) لم نعثر عليه، روي عنه : «**إنَّ أحدكم إذا مرض دعا الطبيب وأعطاه، وإذا كانت له حاجة إلى سلطان رشا البوّاب وأعطاه، ولو أنّ أحدكم إذا فَدَحه أمر، فزع إلى الله تعالى، فتطهّر وتصدّق بصدقة...**»، من لا يحضره الفقيه١: ٥٥٧/ باب صلاة الحاجة، ح١٥٤٤. تهذيب الأحكام٣: ١٨٢/ باب صلاة الحوائج، ح٤١٥، كلاهما عن سماعة. المقنعة: ٢٢٠.

٤٥٥. وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ[١].

ما من شيءٍ أدفع للبلاء من الدعاء على ما جاء في الأخبار[٢]؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾[٣].

وفي الخبر: «**أنّ الله يحتم البلاء على عبدٍ، فيدعو الله بدعاء، فيصرف الله سبحانه بدعائه البلاء عنه**»[٤]. وهذا غير ممتنع؛ لأنّ إجابة الدعاء تتعلّق بالمصلحة، والمصالح تختلف باختلاف الأوقات والأشخاص والأسباب، ربّما كان مصلحة العبد في أن يُبتلى ببلاءٍ إن لم يدع، وإذا دعا صرف ذلك البلاء عنه بالدعاء.

وفي الخبر: «**أنّ الرجل إذا صلّى ولم يسأل الله حاجةً قال الله للملائكة: ملائكتي، كأنّ عبدي قد استغنى عنّي! وإذا دعا لنفسه، ولم يدع لإخوانه المؤمنين، قال الله تعالى: ظنّ عبدي أنّه يسأل بخيلاً! وإذا دعا لنفسه ولإخوانه المؤمنين قالت الملائكة: بدأ اللهُ بك! وإذا قال في دعائه: اللَّهُمَّ ابدأ بهم، وثَنِّ بي! قال الملك: بدأ الله بك**»[٥].

وعن سلمان الفارسي قال: قال لي **النبيّ**ﷺ: «**إذا أصبحت فقُل: أنتَ**

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٠١، ح٦٩١. المعجم الأوسط٢: ٢٧٤، عن عبدالله بن مسعود.

(٢) أُنظر: الكافي٢: ٤٦٩/ كتاب الدعاء، باب أنّ الدعاء يردُّ البلاء والقضاء.

(٣) سورة الفرقان ٢٥: ٧٧.

(٤) لم نعثر عليه بألفاظه. أُنظر: الكافي ٢: ٤٧٠ كتاب الدعاء / باب أنّ الدّعاء يردّ البلاء.

(٥) لم نعثر عليه في المصادر.

ربّي لا شريك لك، أصبحنا وأصبح الملك لك. وقلها ثلاثاً. وإذا أمسيت فقُل مثل ذلك؛ فإنّهنّ يكفّرن ما بينهنّ من خطيئةٍ»[١].

وروي عنه أنّه قال: مرضتُ فعادَني **رسول الله** ودعا لي، فقال ﷺ: **«كشف الله ضرّك، وعظّم أجرك، وعافاك في جسدك إلى مدّة أجَلك»**[٢].

وعن **عليّ** عليه السلام أنّه قال: **«دخل رسول الله على شابٍّ من الأنصار يعوده، فقال الشابُّ: ادعُ لي يا رسول الله. فقال : بل ادعُ أنت، وأؤمّن على دُعائكَ؛ فإنّ المُبتلى مُجاب»**[٣].

وروي أنّ رجلاً من الأنصار قال في دعائه: اللَّهُمَّ اجعل عقوبتي على ذنوبي في الدُّنيا؛ فإنّي لا أُطيق عذاب الآخرة! فمرض وبلغَ به المرض كلّ مبلَغٍ، فدخلَ عليه رسول الله يعوده فقال ﷺ: **«ما أصابك؟»** فقال: يا رسول الله، سألتُ الله أن يجعل عقوبتي في الدُّنيا. فقال : **«بئسَ الدعاء**

---

(١) الأمالي للمفيد: ٢٢٨، ح١. الأمالي للطوسي: ١٨٦، ح٣١٣. المصنَّف لابن أبي شيبة٦: ٢٤٣، ح٣، باختلاف.

(٢) الأمالي للطوسي: ٦٣٢، ح١٣٠٣. المرض والكفّارات لابن أبي الدنيا: ٨٨، ح٩١. تاريخ دمشق٢١: ٤١٧، عن يحيى بن أبي كثير، وفي صدرهما: (فَقَدَ **رسولُ الله** سلمانَ، فسأل عنه، فأُخبر أنّه عليل، فأتاه يعوده).

(٣) مسند زيد: ١٨١، باختلاف. المرض والكفارات لابن أبي الدنيا: ٨٨، ح٩١. تاريخ دمشق٢١: ٤١٧، عن يحيى بن أبي كثير، وفيهما **«إنّ لك من وجعك خلالاً ثلاثاً؛ أمّا واحدة فتذكرة من ربّك تذكر بها، وأمّا الثانية فتمحيص لما سلف من ذنوبك، وأمّا الثالثة فادع بما شئت فإنَّ دعاء المبتلى مجاب»**.

دعوتَ لنفسك! هلاّ قلت: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]؟» ثمّ دعا له **النبيّ** ، فعافاه الله سبحانه[2].

ومِن حقّ الداعي أن يبدأ دعاءه بحمد الله والثناء عليه بقدر وسعه، ثمّ بالصلاة على النبيّ وآله ، ثمّ بالدعاء للمؤمنين[3]؛ فإنّ **النبيّ**ﷺ قال: «**ما من دُعاءٍ إلاّ بينه وبين السماء حجاب، فإذا دعا الرجل ولم يصلِّ عَليّ صعدَ دعاؤه حتّى إذا بلغ الحجاب انصرف، فإذا بدأ بالصلاة عليَّ ثمّ دعا، صعدتْ تلك الصلاة، وجُعِلت تخرق الحُجب، وتصعد الدعاء معها فيجاب**»[4].

وروي: أنّ الرجُل إذا خرج من داره قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، قال**»، قال له المَلَك الموكّل: هُديت. وإذا قال: «**توكّلت على الله**»، قال الملك: كفيت. وإذا قال: «**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم**»، قال له الملك: وقيت[5].

---

(١) سورة البقرة٢: ٢٠١.

(٢) مسند ابن حنبل٣: ٢٨٨. مسند أبي يعلى٦: ٢٢٧، ح٣٥١١، عن أنس. الزهد لهنّاد١: ٢٥٤، ح٤٤١، عن الحسن، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: الكافي٢: ٤٩١/ كتاب الدعاء، باب الصلاة على النبيّ محمّد وأهل بيته ، و٥٠٧ / باب الدعاء للإخوان بظهر الغيب.

(٤) الفردوس٤: ٤٧، ح٦١٤٨، باختلاف. شعب الإيمان٢: ٢١٦، ح١٥٧٦، وفيه «**الدعاء محجوب عن الله حتّى يصلّى على محمّد وعلى آل محمّد** »، عن الإمام عليّ .

(٥) الأمالي للصدوق: ٦٧٥، ح٩١٥، عن أبي سعيد الخدري. سنن ابن ماجة٢: ١٢٧٨/ باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، ح٣٨٨٦. الدعاء للطبراني: ١٤٦، ح٤٠٩، عن أبي هريرة، باختلاف يسير.

٤٥٦. اِغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ؛ فَإِنَّها رَحْمَةٌ[١].

أراد رقّة القلب؛ وذلك لأنّ رقّة القلب لا تكون إلّا من خلوص الاعتقاد، والخوفِ من عقاب الله، والرجاءِ لرحمة الله؛ فإذا اجتمعتْ هذه الخصال الثلاث، ورقّ قلب الداعي، فذاك وقت يُغتنم فيه الدعاء؛ فإنّه مظنّة الإجابة، وعلامة ذلك أن تَسفَح[٢] عينُه عبرةً؛ فإنّ العين لا تدمع إلّا من حرقة في القلب.

ومعنى قوله: «**فإنّها رحمة**»؛ أي علامة الرحمة، أو تكون حاصلةً عن رحمةٍ ولطف يفعله الله بالعبد، يرقّ له قلبه من رغبةٍ أو رهبَةٍ[٣].

أجاب الله صالح دعاء المؤمن فينا، وصالح دعائنا فيهم، بفضله ورحمته.

٤٥٧. أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ[٤].

أي: ألزموا هذه الكلمات في الدعاء. يقال: أَلَظَّ وألَطَّ وألَتَّ، وهي أخوات

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٠٢، ح٦٩٢. الترغيب في فضائل الأعمال: ٥٥، ح١٥٢. تفسير الثعلبي٨: ٢٣١، عن زيد بن أسلم.

(٢) سَفَحَت العينُ الدموعَ سَفْحاً: صَبَّتها. جمهرة اللغة ١: ٥٣٢. وسَفَحَ الدَّمعُ نفسُه سَفَحاناً. المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٠٤ (سفح).

(٣) قال **الإمام الصادق**عليه السلام: «**إذا رقّ أحدكم فليدع؛ فإنّ القلب لا يرقّ حتّى يخلص**»، وقال أيضاً: «**إذا اقشعرّ جلدك، ودمعت عيناك، فدونَك دونك، فقد قُصِدَ قَصدُك**»، الكافي٢: ٤٧٧/ كتاب الدعاء، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها الإجابة، ح٥، عن أبي بصير و٤٧٨، ح٨، عن عليّ بن حديد.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٠٢، ح٦٩٣. مسند ابن حنبل٤: ١٧٧. المستدرك على الصحيحين١: ٤٩٨، عن ربيعة بن عامر. سنن الترمذي٥: ٢٠١، ح٣٥٩٣، عن أنس بن مالك.

بمعنى الدوام واللزوم[1]؛ يعني ذكرَ هذه الكلمات، وهي من أسماء الله الحسنى. والجلال: المراد به العظمة والكبرياء، وهي راجعة إلى ذات القديم تعالى. والإكرام: إكرامه العباد بإنعامه عليهم، وهو راجع إلى فعله تعالى.

وروي أنّه اسم الله الأعظم[2]، وروي أنّ الاسم الأعظم: الحيّ القيّوم[3].

وروي أنّ رجلاً سأل **رسول الله** ﷺ عن الاسم الأعظم، فقال: «**هو سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة طه**»[4]. قال الراوي[5] للحديث: تأمّلتُ هذه السُّوَر، فما وجدتُ فيها من الأسماء إلاّ الحيَّ القيّوم في سورة البقرة في آية الكرسيّ، وفي آل عمران في أوّلها، وفي طه في قوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[6].

وروي أنّ الاسم الأعظم هو «**الربّ**»، وهو دعاء الأنبياء[7]، فإذا دعا

---

(١) الفائق في غريب الحديث٣: ٢٠١.

(٢) تفسير الرازي١: ١١٥. ربيع الأبرار٢: ٤٥٦.

(٣) سنن الدارمي٢: ٤٥٠. مسند ابن حنبل٦: ٤٦١. المعجم الكبير٢٤: ١٧٤، عن أسماء بنت يزيد، وفيها قال **رسول الله** ﷺ: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم، وإلهكم إله واحد**».

(٤) المستدرك على الصحيحين١: ٥٠٥. سنن ابن ماجة٢: ١٢٦٧ / باب اسم الله الأعظم، ذيل ح٣٨٥٦. المعجم الأوسط٨: ١٩٢، عن أبي أمامة.

(٥) المراد منه: القاسم الّذي روى الحديث عن أبي أمامة؛ المستدرك على الصحيحين١: ٥٠٥.

(٦) سورة طه ٢٠: ١١١.

(٧) راجع: المصباح للكفعمي: ٣٠٧.

العبد ربّه بهذه الأسماء من نيّةٍ صادقة واعتقادٍ خالص، أجاب الله سبحانه دعاءه إن كان له فيه مصلحة، وإن لم يكن له فيه مصلحة في الدُّنيا لأجل التكليف، أعطاه في الآخرة خيراً ممّا سأل؛ على ما جاء في الأخبار[١].

٤٥٨. اِلْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ[٢].

الالتماس: افتعال من اللمس، وهو من الافتعال الذي يفعله الفاعل لنفسه، ومعناه الجرّ إلى نفسه والطلب لها. والخبايا: جمع خبيئة[٣] ـ أي مخبوءة ـ فعيلة بمعنى مفعولة، والمراد به الحَرث والبَذر[٤]؛ فإنّ الله تعالى يُخرج من حبّة واحدة ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾[٥]؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ﴾[٦]، ونِعْمَت التجارة تجارةٌ مع الله؛ فالعبد عبده،

---

(١) كما روي عن الإمام أميرالمؤمنين : «**ربما أخَّرت عنكَ الإجابة... لو أوتيته**». نهج البلاغة: ٣٩٨ / الكتاب ٣١، من وصيَّته **للحسن بن عليّ** .

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٠٤، ح٦٩٤. فضائل الصحابة لابن حنبل١: ٣١٣، ح٤٣١. مسند أبي يعلى٧: ٣٤٧، ح٤٣٨٤. المعجم الأوسط١: ٢٧٤، عن عائشة.

(٣) النهاية٢: ٣ (خبأ).

(٤) تهذيب اللغة٧: ٢٤٥ (خبأ). شعب الإيمان٢: ٨٧، ذيل ح١٢٣٣. التمثيل والمحاضرة: ٢٦.

(٥) البقرة٢: ٢٦١.

(٦) سورة البقرة٢: ٢٦٧.

والمال ماله، والنفع لا يعود إليه شيء، والربح لواحدٍ سبعمائة أو ضعفها، لهذا قيل: الدهقنة تجارةٌ مع الله، وما يحصل منه فهو حلالٌ طيّب إذا كان أصله حلالاً، وأخرج حقَّ الله منه من الزكاة والخُمس ممّا فضل من قوته وقوت عياله. وفي هذا المعنى أنشد الحسن أبي الطيِّب الباخرزي:

من يكن راضياً بإحراز حظّ ... من لئيم فإنّني غير راض

همّتي كفِّي الأذى واجتهادي ... طلب الرزق في خبايا الأرض[1].

٤٥٩. تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ[2].

أي: تكلّفوا الفراغ منها وإن لم تكونوا فارغين، وخالفوا طباعكم وأخلاقكم في حبّ الدُّنيا، وإيقاعِ النفس في التلف لطلبها، والهَمّ والحزن لفواتها، مفكِّرين في قوله: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[3]، وما بال العاقل يشغل قلبه بهمّ ما قلّ منه خير ممّا كثر؟!

وحال طالب الدُّنيا والمشغول بطلبها والمشعوف بجمعها لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يحصل مراده، أو لا يحصل؛ فإن لم يحصل فذاك حسرةٌ وضياع عمرٍ من غير وصولٍ إلى مراد، وإن حصل المراد فعن قريبٍ يُسلَب

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٠٤، ح٦٩٦. الزهد لابن أبي عاصم: ٨١، قطعة من ح١٦٧. الترغيب في فضائل الأعمال: ١٠٧، قطعة من ح٣٥٥. المعجم الأوسط٥: ١٨٦، عن أبي الدرداء.

(٣) سورة الحديد٥٧: ٢٣.

وينزع عن ذلك الحاصل، فهو أشدُّ حسرَةً وأعظم همّاً، ولأبي العتاهية:

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا وبنوا مساكنهم فما سكنوا

وكأنّهم كانوا بها ظعناً لمّا استراحوا ساعةً ظعنوا[(١)]

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تخالفوا على الله أمره، فمن الخلاف على الله أن تسعون في عمران دارٍ قد قضى الله فيها بالخراب»**[(٢)].

وجاء رجلٌ إلى **أبي عبدالله الصادق** عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله، تَعِبَ جسمي، وكثُرَ همّي؟ قال له: **«لأنّك تطلب في الدُّنيا ما لم يُخلق فيها»!** قال: وما ذاك؟ قال: **«الراحة، والراحة لم تُخلَق في الدُّنيا؛ إنّما هي دار تعبٍ ونصبٍ، وعناءٍ وفناءٍ، وزوالٍ وارتحالٍ، وتقلّبٍ من حالٍ إلى حال»**[(٣)].

وعن بعض مَن حضر وفاة المأمون: أنّه لمّا حضرته الوفاة أنشد هذين البيتين:

الآن يا دُنيا عرفتُكِ فاذهبي يا دارَ كلِّ تشتُّتٍ وزوال

قطعتُ منك حبائلَ الآمال وحططتُ عن ظهر المطيّ رِحالي[(٤)]

لم يكن هناك من يقول: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[(٥)].

---

(١) المنازل والديار: ٤٦.

(٢) الفردوس٥: ٢٨١، ح٩١٨٦، عن ابن عمر. التذكرة الحمدونيّة١: ٥٢، باختلاف.

(٣) أُنظر: تحف العقول: ٣٧٠. الخصال: ٦٤، ح٩٥.

(٤) الأغاني٤: ٢٦٩. مروج الذهب٣: ٣٥٧، وفيهما البيت الثاني، ونسب لأبي العتاهية.

(٥) سورة يونس١٠: ٩١.

وما في قوله: «**ما استطعتم**» للأمد؛ أي: مدّة استطاعتكم، والمعنى: مدّة عمركم؛ لأنّه لا يكون في حالٍ من الأحوال إلاّ وهو مستطيع؛ لأنّ وجود الاستطاعة من شرائط التكليف.

٤٦٠. كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ[١].

هذا من آداب الشرع وفقه التجارة؛ لأنّ بيع ما يُكال ويوزَن لا يصحّ جزافاً[٢].

ثمّ إنّه ﷺ وعدَ عليه البركة ـ وهي نفعٌ عاجل ـ تحريضاً منه على ذلك وتقريباً منه؛ فإنّ طباع البشر مجبولٌ على عاجل النفع وإن كان الآجل أكثر وأوسع. و«**يبارَكْ**» مجزوم بجواب الأمر؛ لتضمّنه معنى الجزاء كما بيّنّا في غير موضعٍ.

٤٦١. اُطْلُبُوا الْفَضْلَ عِنْدَ الرُّحَمَاءِ مِنْ أُمَّتِي، تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ[٣].

رُحماء: جمع رحيم، ككُرماء في جمع كريم، وظُرفاء في جمع ظريف.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٠٥، ح٦٩٧، عن أبي أيّوب الأنصاري. صحيح البخاري٣: ٢٢. مسند ابن حنبل٤: ١٣١، عن المقدام بن معدي كرب. سنن ابن ماجة٢: ٧٥٠ / باب ما يرجى في كيل الطعام من البركة، ح٢٢٣١، عن عبدالله بن بسر المازني.

(٢) اُنظر: رياض المسائل ٥١٤.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٠٦، ح٦٩٩. المعجم الأوسط٥: ٧٦. الفوائد لتمّام الرازي٢: ٧٤، ح١١٧٧، عن أبي سعيد الخدري.

وأراد بالفضل: الخير والنفع. وتعيشوا مجزوم بجواب الأمر. والأكناف: جمع كَنَفٍ، وهو الذَّرا[(١)] والناحية[(٢)].

إنّما قاله النبيّ ﷺ إذ الناس ناسٌ، والزمانُ زمانٌ، وكان في قلوب الناس رحمة ورقّة، فالآن قد قَسَت القلوب، وخشنت الأخلاق، وغلظت الطبائع، كأنّ الشاعر عناهم بقوله:

يُبكى علينا ولا نبكي على أحدٍ لنحنُ أغلظُ أكباداً من الإبلِ[(٣)]

فهم كما قال لبيد:

ذهب الّذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدِ الأجرب[(٤)]

فحقُّ العاقل في هذا الدور أن يَعرف زمانه، ويحفظ عن أهله لسانه، ويصون ماء وجهه، ولا يبذله إلاّ لمن يثق بكرمه؛ لئلاّ يحصل على ندمه، ويطالع قول القائل:

دَع الناس قد طال ما أتعبوكَ وردَّ إلى الله وجه الأمل

---

(١) الذَّرا: الكنَف والكنّ وما استُتِرَ به. المحيط في اللغة ١٠: ٩٥. الصحاح ٦: ٢٣٤٥ (ذرو).

(٢) النهاية٤: ٢٠٥. كتاب العين٥: ٣٨٢ (كنف).

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٢٠٩. أنساب الأشراف١٢: ٣٠٧. قواعد الشعر: ٥٠، والشاعر: المخبّل أو منيع بن معاوية أو مهلهل بن ربيعة على ترتيب المصادر.

(٤) الجَرَب: كالصَّدَأ يعلو باطن الجَفْن وربما ألبَسَه كلَّه. المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٤٠٠ (جرب). ومصادر الشعر: المصنَّف لعبد الرزّاق١١: ٢٤٦/ باب نقص الإسلام ونقص الناس، الرقم٢٠٤٤٨. المصنَّف لابن أبي شيبة٦: ١٧٦، الرخصة في الشعر، الرقم٣٦. التبيان في تفسير القرآن٥: ٢١.

ولا تطلب الرزق من طالبيه واطلبه ممّن به قد كفل[(١)]

ويقطع الطمع عن هؤلاء البخلاء ويصرف إلى الله وجه الرخاء

وينشد قول بعض الأُدباء:

إنّ لله غير مرعاك مرعىً ترتعيه وغير مائك ماء

إنّ لله بالبريّة لطفاً سبق الأُمّهات والآباء[(٢)]

ويُكتفى من القوت بما يكفيه ويَتّعَظُ[(٣)] بقول من قال فيه:

رضيتُ بعيش كفافٍ حلال وبعتُ المدام بماءٍ زلال

فمَن كان يحلو له ما يُصيب حراماً فإنّ حلالي حلالي[(٤)]

٤٦٢. اُطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ للهِ تَعَالى نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ[(٥)].

أراد بالخير خير الآخرة؛ فإنّ خير الدُّنيا لا يساوي الطلب، ولا يرغِّب فيه النبيُّ ؛ فإنّه غير مرغوبٍ فيه، خصوصاً وقد قيّده بقوله: «**دهركم**»؛

(١) ثمار القلوب: ٣٢٦. أحسن ما سمعت: ٩. ربيع الأبرار٣: ٢٧٨، والشاعر: ابن المعتز.

(٢) أدب الدنيا والدين: ١٩٩. التمثيل والمحاضرة: ١١. المنتحل: ٩٧، والشاعر: ابن الرومي.

(٣) في نسخة (أ): (تتعظ).

(٤) يتيمة الدّهر٤: ٣٧٩، والشاعر: ابوالفتح البستي.

(٥) مسند الشّهاب١: ٤٠٧، ح٧٠١. المعجم الكبير١: ٢٥٠، ح٧٢٠. معرفة الصحابة لأبي نعيم١: ٢٣٧، ح٧٧٩، عن أنس بن مالك. الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدنيا: ٤٤، ح٢٧، عن أبي هريرة، باختلف يسير.

يعني: طول عمركم. وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يأمر بصَرف العمر كلّه في طلب الدُّنيا الدنيّة، وقد نهانا عنه في غير موضع.

وانتصاب «**دهركم**» على الظرف. والتعرّض: طلب الشيء بجهد؛ كأنّه يَعرض نفسه عليه وعلى خطبته. والنفحة: هَبَّة من هبوب الرِّيح الطيّبة، والنفخة أشدّ منها(١). ورحمة الله واسعة كما قال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾(٢)، فهي في الدُّنيا تعمّ المؤمن والكافر والبِرّ والفاجر؛ وأمّا في الآخرة فلا ينالها إلاّ المؤمن المستبصر.

وعن **النبيّ** ﷺ أنّه قال: «**إنّ لله مائة رحمة ادَّخَر منها تسعةً وتسعين جزءاً في خزائن الرحمة، وفرّق جزءاً واحداً في الدُّنيا، فكلّ رحمةٍ ورقّة وشفقةٍ وعطفٍ في الناس من ذلك، فإذا أفنى الخلائق، وأعادها، جمعَ ذلك الجزء المتفرّق، وضمّه إلى الأجزاء المدَّخرة، وأمرَ أن تُرفع على رؤوس اُمّة محمّد**»(٣).

وقوله: «**من يشاء من عباده**»؛ ولا يشاء أن تُصيب رحمته إلاّ المؤمنين، ولا يُصيب الكفّار والمنافقين؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغۡفِرُ أَنۡ يُشۡرَكَ بِهِ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنۡ يَشَاءُ﴾(٤).

---

(١) اُنظر: النهاية٥: ٩٠ (نفح) و (نفخ).

(٢) سورة الأعراف٧: ١٥٦.

(٣) صحيح البخاري٧: ١٨٣/باب الرجاء مع الخوف. صحيح مسلم٨: ٩٦، عن أبي هريرة. سنن ابن ماجة٢: ١٤٣٥/ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، ح٤٢٩٤، عن أبي سعيد، باختلاف. اُنظر: تفسير ابن أبي حاتم٤: ١٢٦٨، سورة الأنعام/ الرقم٧١٤٢.

(٤) سورة النساء٤: ٤٨.

٤٦٣.اِجْمَعُوا وَضُوءَكُمْ، جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ[١].

«**الوَضوء**» بالفتح: الماء الذي يُتوضّأ به، وبالضمّ المصدر[٢]، ومثله الطُّهور والطَّهور والوُقود والوَقود؛ يعني: اجمعوا الماء الذي تغسلون به أيديكم في إناءٍ واحد، ومثله قوله ﷺ: «**املَؤوا**[٣] **الطسوسَ**[٤]، **وخالِفوا المجوس**»[٥]. وروي بالضمّ، ومعناه: تتابعوا وراعوا الموالاة بين غسل الأعضاء. والموالاة عندنا وعند الشافعي واجبة[٦]. والرواية بالفتح أليق بالمعنى؛ لقرينة قوله ﷺ: «**جمع الله شملكم**»، والشمل: الجمع، والاشتمال: الاجتماع[٧]، ومعناه الدعاء بجمع الشمل، وقيل: معناه الخبر، وموقعه موقع التعليل؛ كأنّه قال: ليَجمعُ الله شملكم.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٠٨، ح٧٠٢، عن أبي هريرة. الأمالي للطوسي: ٣٧٠، قطعة من ح٤٨، عن الإمام عليّ.

(٢) الصحاح١: ٨١. النهاية٥: ١٩٥ (وضأ).

(٣) وكذا في بحار الأنوار٦٣: ٣٦٦، ح ٤٤، وسفينة البحار٥: ٦٤٢. وفي مصادر العامَّة: (أترعوا) أو (انزعوا).

(٤) الطَّسُّ: الطَّست، وبالفارسية تشت، جمعه طُسوس. القاموس المحيط ٢: ٣٥٥ (طسس)، مقدَّمة الأدب: ٢٨.

(٥) من مصادرها: تاريخ بغداد٥: ٢١٢. تاريخ دمشق٥: ٣٥٢. شعب الإيمان٥: ٧١، ح٥٨٢٠، عن ابن عمر.

(٦) أُنظر: الخلاف١: ٩٣، مسألة٤١. كتاب الأم١: ٤٥/ باب تقديم الوضوء ومتابعته.

(٧) ترتيب اصلاح المنطق: ٢١٦. النهاية٢: ٥٠١ (شمل).

٤٦٤. نَوِّرُوا بِالْفَجْرِ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْأَجْرِ[١].

المراد: صلّوا صلاة الغداة عند طلوع الفجر الثاني وانتشارِ ضوئه حين تَستيقنون طلوعَه ولا ترتابون فيه؛ فإنّ صلوة الغداة قبل طلوع الفجر الثاني لا تصحّ، ووقتها ما بين طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس[٢]، والتغليس[٣] عندنا مستحبّ[٤]، غير أنّه يجب أن يكون بعد طلوع الفجر، والصلاة عندنا وعند أكثر العلماء تجب في أوّل الوقت، وعند أبي حنيفة يتعلّق الوجوب بآخر الوقت، قال: بدلالة أنّه إذا أخّرها إلى آخر الوقت لم يستحقّ الذمّ والعقاب[٥].

قلنا: الواجب على ضربين: مضيَّق وموسَّع، فالمضيَّق: ما لا يقوم مقامه غيره، ولا يجوز تأخيره عن وقته. والموسَّع: ما له بدل يقوم مقامه، والصلاة في هذه الساعات الكثيرة والأوقات الممتدّة واجبة موسّعة، والعزم يقوم

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٠٨، ح٧٠٣. سنن الترمذي١: ١٠٣/ باب ما جاء في الإسفار بالفجر، ح١٥٤. صحيح ابن حبّان٤: ٣٥٧. مسند ابن حنبل٤: ١٤٢، وفي الثلاثة: «أسفروا» بدل «نوّروا»، عن رافع بن خديج.

(٢) راجع: وسائل الشيعة٤: ٢٠٧/ كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، باب أنّ وقت الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و٢٠٩، باب أنّ أوّل وقت الصبح طلوع الفجر الثاني ... .

(٣) الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. النهاية٣: ٣٧٧ (غلس).

(٤) أُنظر: الخلاف١: ٢٧٦، مسألة ١٨ و٢٩٢، مسألة٣٩.

(٥) الخلاف١: ٢٧٦٧. التبصرة في أصول الفقه: ٦٠. أُنظر: الذريعة١: ١٤٧.

مقامها، فإن تركها وترك العزم عليها استحقَّ الذمّ، وقال ﷺ: «**أوّل الوقت فضل الله، وآخره عفو الله**»[١]. والعفو لا يستعمل في فعل الواجب، ولا يليق به؛ بل هو بالجرم أليق؛ لأنّ مؤخِّر الصلاة من أوّل الوقت إلى آخره كالمجرم من حيث إنّه مقصّر فيها. والتنوير: تفعيل من النور، وهو نور طلوع الفجر لا حمرة الشمس.

٤٦٥. تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ؛ فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ[٢].

أراد : صلّوا على الأرض، ولا يكن بينكم وبينها حائلٌ، وعفِّروا وجوهكم في ترابها خشوعاً لله وتواضعاً له.

وفي أخبار **أهل البيت** عليهم السلام: «**علامة المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، وتعفير الجبين، والتختّم في اليمين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[٣].

وقوله: «**فإنّها بكم بَرَّة**»؛ أي بارّة، فهي كالأُمّ البارّة بنا من حيث إنّا خلقنا منها[٤]؛ قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[٥].

---

(١) لم نعثر عليه بهذه الألفاظ وروى عن **رسول الله** : «**أوّلُ الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله**». سنن الدارقطني ١: ٢٤٩ ح ٢٢.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٠٩، ح٧٠٤. المعجم الصغير١: ١٤٨، عن سلمان الفارسي. غريب الحديث للقاسم بن سلام٢: ١٩. المجازات النبوية: ٢٦٩، ح٢٠٩.

(٣) تهذيب الأحكام٦: ٥٢، ح١٢٢. روضة الواعظين: ١٩٥، عن الإمام العسكري.

(٤) غريب الحديث لابن سلّام٢: ١٩. النهاية١: ١١٦ (برر).

(٥) سورة طه٢٠: ٥٥.

وقال أُميّة بن أبي الصلت:

فالأرض مَعقِلنا[١] وكانت أُمّنا فيـها مقـابرنا وفيـهـا نُولـدُ[٢]

٤٦٦. دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ[٣].

وذلك لأنّ أسباب الرزق مختلفة، واحتياج الناس بعضهم إلى بعض ظاهرٌ غير خافٍ؛ لأنّ أصحاب الحِرَف والمِهَن كلّ واحدٍ لا يستغني في حرفتهِ عن غيره؛ بل يحتاج كلّ واحدٍ منهم إلى غيره في بعض آلته وأداته.

وسمع **أمير المؤمنين**ﷺ أحداً يقول: اللَّهُمَّ أغنني عن الناس! فقال له: «**مَهْ تسأل الله الموت؟**» قال: وكيف يا **أمير المؤمنين**؟ قال: «**لأنّ الله تعالى خلق الناس محتاجاً بعضهم إلى بعض، فإذا سألت الله الاستغناء عنهم فكأنّك سألته الموت**»[٤].

---

(١) المَعقِل: المَلجأ. تهذيب اللغة ١: ١٦٠ (عقل).

(٢) الحيوان ٣: ١٧٣. تفسير الثعلبي ١: ١٢٧.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ٤١٠، ح ٧٠٦. صحيح مسلم ٥: ٦. سنن أبي داود ٢: ١٣٣ / باب في النهي أن يبيع حاضر لباد، ح ٣٤٤٢، عن جابر بن عبد الله. الكافي ٥: ١٦٨/ كتاب المعيشة، باب التلقّي، قطعة من ح ١، عن عروة بن عبد الله، عن **الإمام الباقر** باختلاف يسير.

(٤) لم نعثر لرواية الإمام عليّ، روي مثله عن عمر في: الذريعة إلى مكارم الشريعة: ٢٦٠. أُنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٢، ح ٦٩٥.

وللشاعر في هذا المعنى:

لو كان لي بدٌّ من الناس قطعت حبل الناس باليأس
العزّ في العزلة لكنّه لابدّ للناس من الناسِ[١]

٤٦٧.اِسْتَعِينُوا عَلى اُمُورِكُمْ بِالْكِتْمَانِ، اِسْتَعِينُوا عَلى إِنْجاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ لَهَا[٢].

الاستعانة: طلب الإعانة، ولم يستعمل من هذا الفعل الثلاثي المجرّد، إنّما استعمل منه الإفعال والمفاعلة والتفاعل والاستفعال نحو الإعانة والمعاونة والتعاون والاستعانة، والسين للطلب؛ أي: اطلبوا الإعانة.

والكتمان: ضدّ الإظهار والإفشاء. والإنجاح: إفعال من النُّجح، وهو اتّصال المراد بالحصول[٣]، قال:

ومُبلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثلُ مُنجِحِ[٤]

---

(١) يتيمة الدّهر٤: ٤٦٩، والشاعر: الجوهري صاحب الصحاح.

(٢) مسند الشّهاب١: ٤١٠ ، ح٧٠٧ و٤١١، ح٧٠٨. المعجم الأوسط٣: ٥٥، عن معاذ بن جبل. عيون الأخبار١: ٩٦، عن بريدة. تحف العقول: ٤٨.

(٣) اُنظر: النهاية٥: ١٨. الصحاح١: ٤٠٩ (نجح).

(٤) الأمثال لابن سلّام: ٢٢٩. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٤٣. الأغاني٣: ٦٠ والشاعر: عروة بن الورد أو أوس بن حجر في الأغاني، والبيت الكامل:

ليبلغ عذراً أو ينال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح.

والحديثان من باب الحُكم والأدب، ومعناهما واحد؛ وذلك لأنّه إذا كتمَ أمره أو حاجته، ولم يُظهرها لأحدٍ، لم يَشعر بذلك منابذوه، ولم يهتدوا إلى فسخ ما عزم عليه ونقضِ ما أبرمَهُ، وقدّره في نفسه، وإن أفشاه وأظهره اهتدى كلّ أحدٍ إلى إبطاله وإفساده، فسعى فيه بقدر وسعه، فالاحتياط والحزم في كتمانه إلى تمامه[١].

٤٦٨.اِلْتَمِسُوا الْجَارَ قَبْلَ شَرَاءِ الدَّارِ، وَالرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ[٢].

الالتماس: الطلب، وقد بيّنّا أصله؛ وإنّما وجب التماس الجار قبل شراء الدار لأنّ الدار بموضع لا جيران لها صاحبها مستوحش كنازل ببيداء بَلقَع[٣] بحيث لا ماء ولا شجر ولا أنيس ولا مُعين، وكذلك الرجُل المسافر إذا لم يكن له رفيقٌ يُصاحبهُ ويؤنسه في استيحاشه، ويساعده على أُموره، كان كالأسير لا عون له على أُموره وحوائجه.

---

(١) عن رسول الله ﷺ: **«أربعة من كنوز البرّ: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان المرض، وكتمان المصيبة»**، الأمالي للمفيد: ٨، ح٤، عن عبدالله بن إبراهيم، **الإمام الصادق** .

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤١٢، ح٧٠٩. المعجم الكبير٤: ٢٦٩، عن رافع بن خديج. نهج البلاغة، قطعة من الكتاب٣١. الكافي٨: ٢٤، قطعة من ح٤، عن جابر بن يزيد، عن الإمام الباقر، باختلاف يسير.

(٣) البَلقَع والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها؛ يقال: منزل بلقع، ودار بلقع، بغير هاء إذا كان نعتاً، فإن كان اسماً قلت: انتهينا إلى بلقعة ملساء. الصحاح٣: ١١٨٨ (بقلع).

ويُحكى أنّ رجلين تصاحبا في بعض الأسفار؛ أحدهما عالم، والآخر عامّي، فقال العالم للعامّي: أحملك أم تحملُني؛ فإنّ المسافة بعيدة؟ فلم يَفهم العامّي ما قاله، فاستحمقه، غير أنّه لم يخبر بشيء، ثمّ مرّا بزرعٍ، فقال العالِم: لمَن هذا الزرع؟ فقال: لفلان. فقال: أحَصَدهُ وذرأه وطَحَنَهُ وخَبَزَه وأكله؟! فتحيَّر الرجل، وقال في نفسه: إنّ هذا مجنون؛ يرى الزرع وهو يقول: أخذه وخبَزه وأكله! فلمّا دخلا بعض القُرى ـ وكانت قريةً عامرةً مأهولةً ـ فقال: هذه القرية خرابٌ أم عامِرة؟ فلم يجبهُ بشيء، فتفارقا فظنَّ العامّي أنّه مجنونٌ في مسألته، حتّى رأى بعضَ العلماء، فقال له: يا فلان، صاحَبَني رجلٌ في الطريق ذو شارة[1] وهيئة العلماء، حتّى تكلّم بكلماتٍ، فوجدته مجنوناً! فقال له العالِم: بِمَ علمت أنّه مجنون، وما قالَ لكَ؟ فقصَّ عليه القصّة، فقال له الرجل: كان الرجل عالماً، وأنت لم تعرف معنى كلامه، فأنت الأحمق الجاهل! ثمّ قال له: ما قال لك أوّلاً من حمل أحدكما لصاحبه، إنّما أراد: أنا أُحدّثك أم تُحدّثني أنت؟ فإنّ المصاحبين في الطريق إذا حدَّث أحدُهما صاحبه كان المحدّث كالحامل للمستمع. فقال الرجل: صدقتَ ولم أعلم. وأمّا قوله للزرع: «**هل أخذه وطحنه وخبزه وأكله**»، إنّما قال ذلك لإطلاقك القول: بأنّه لفلانٌ، فقال: إنّما يكون له حين يرفعه ويتصرّف فيه وينتفع، وإلاّ فربّما تَصَرَّفَ فيه غيره، فهو له. قال: وهذه أيضاً حكمة، ولم أدرِ ما قال. وأمّا سؤاله عن

---

(١) الشارة: هي الهيئة. النهاية٢: ٥٠٨ (شور).

خراب القرية وعمارتها، أراد: هل فيها عالمٌ؟ فإن كان فيها عالِمٌ فهي عامِرَةٌ، وإن لم يكن فيها عالم فهي خَرِبة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[1]؟ قالوا: موت العلماء[2]، فاستحمد الرجل ما سمعه ولم يفهمه[3]. وعلى هذا قول أبي الطيّب:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيمِ[4]

٤٦٩. تَدَاوُوا؛ فَإِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ[5].

أمَرَنا بالتداوي وأن لا يُترك المريض بمرضه ويُقال: أمره إلى الله؛ فإن كان من أهل الشفاء يشفه، وإن لم يكن من أهل الشفاء فالدواء لا ينفعه! فإنّ هذا ليس برأيٍ ولا حَزمٍ؛ بل يجب أن يتداوى المرضى بالأدوية المجرّبة في ذلك؛ فإنّ الله تعالى كما أنزل الداء أنزل الدواء للداء، وبيّنه وأرشد إليه وقدّره.

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٤١.

(٢) الكافي١: ٣٨/ كتاب العقل والجهل، باب فقد العلماء، ح٦، عن جابر، عن الإمام الباقر، عن الإمام السجّاد. تفسير القمي١: ٣٦٧، عن عبدالله بن مسكان، عن الإمام الصادق. المستدرك على الصحيحين٢: ٣٥٠، عن ابن عبّاس.

(٣) الفاخر: ٤٧. جمهرة الأمثال٢: ٣٣٧. التذكرة الحمدونيّة٨: ٣٢١، باختلاف.

(٤) يتيمة الدّهر١: ٢٥٨. إعجاز القرآن للباقلاني: ٣٠٠، والشاعر: المتنبّي.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٤١٢، ح٧١٠. معجم ابن الأعرابي٢: ٨٢٣، ح١٦٨٨، عن أبي هريرة. المصنَّف لابن أبي شيبة٥: ٤٢٢، قطعة من ح٧، عن زيد بن أسلم. المعجم الكبير٨: ٦٩، عن صفوان بن عسّال.

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «**العِلم عِلمان: علم الأبدان، وعلم الأديان**»[(١)].

فكما نحتاج إلى علم الدِّين لصلاح أمر الآخرة، نحتاج إلى علم الطبّ ليستقيم به المزاج وتحفظ به الصحّة؛ فإنّ العمل بالشرائع من الصلاة والصوم والحجّ والجهاد لا يمكن إلاّ مع الصحّة ليؤتى به على الوجه المشروع. والمرض والشفاء من الله سبحانه على الحقيقة، إلاّ أنّه تعالى أجرى العادة أن يُسَقِّم عند تناول بعض الأغذية، ويَشفى عند تناول بعض الأدوية، وليس للطعام والدواء أثرٌ على الحقيقة، والمؤثِّر على الحقيقة هو الله عزّ وجلّ، وهو الفاعل المختار بحسب المصلحة.

وقيل: إنّ بعض العلماء مرض، فدخلَ عليه بعض الناس يعوده، فقال له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أشتهي! فقال: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، وهو أعلمُ بدائي ودوائي، وبيده شفائي، ثمّ أنشد:

بِيَدِ الله دوائـــي   وبعلمِ الله دائي[(٢)]

٤٧٠. أُحْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ[(٣)].

الحثو: إثارة التراب[(٤)]؛ وإنّما قال ﷺ ذلك لأنّ أكثر المَدح كذب؛

---

(١) كنز الفوائد: ٢٣٩. بحار الأنوار ١: ٢٢٠، ح ٥٢.

(٢) أُنظر: ترتيب المدارك ٤: ٣٧٩.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ٤١٣، ح ٧١١، عن ابن عبّاس. صحيح مسلم ٨: ٢٢٨، عن أبي موسى. سنن أبي داود ٢: ٤٣٧/ باب في كراهية التمادح، ح ٤٨٠٤، عن همّام. الأمالي للصدوق: ٥١٢، قطعة من ح ٧٠٧، عن الحسين بن يزيد، عن الإمام الصادق، عن آبائه ، باختلاف يسير.

(٤) أُنظر: النهاية ١: ٣٣٩ (حثو).

يقول المادح لممدوحه الذميم المشوَّه الخِلقة: أنتَ بدرٌ! وللجبان الضعيف: أنتَ ليثٌ! وللدنيء البخيل: أنتَ بحرٌ وغَيثٌ! وما أشبه ذلك. ثمّ إنّه إذا لم يرضه بالصِّلة والعطاء، قلب ما قاله فيه، وهَجاهُ بعدما مدحه، كما فعل أكثر الشعراء؛ منهم أبو الطيّب؛ فإنّه مدح كافوراً[1] بقصائد، ثمّ هجاهُ فقال:

وماذا بمصرٍ من المضحِكات ... ولكنّه ضِحكٌ كالبُكاء

بها نَبَطيٌّ[2] مِن أهل السواد ... يدرِّس أنسابَ أهل الفلات

وأسوَدُ مِشفَرٌ[3] نِصفُه ... يُقال له أنتَ بدرُ الدُّجا

وشعرٌ مَدَحتُ به الكَرَكَدَّنَ ... بينَ القَريضِ[4] وبين الرُّقى[5]

فما كان ذلك مدحاً له ... ولكنّه كان هَجْوَ الورى[6]

---

(١) كافور الإخشيدي اللابيّ: أمير مصر، معروف، وهو الذي هجاه المتنبِّي. تاج العروس ٧: ٤٥٦ (كفر).

(٢) النَّبيط والنَّبَط: قوم يَنزلون سوادَ العراق، وبالبطائح بين العراقين. العين ٧: ٤٣٩. الصحاح ٣: ١١٦٢ (نبط).

(٣) المِشفر والمَشفر للبعير: كالشفة الإنسان. الحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٦ (شفر).

(٤) القَريض: الشِّعر. والقريض: الجِرَّة؛ أي ما يفيض به البعير من كرشه وجِرَّته فيأكله ثانياً. المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٩٩ (جرر). لسان العرب ٧: ٢١٨ (قرض).

(٥) الرُّقْيَة والرُّقي: العوذة التي يُرقى به صاحب الآفة. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٢٥٤ (رقي).

(٦) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي ٢: ٥٠. قشر الفسر ١: ٢٤. شرح ديوان المتنبي للواحدي ١: ٣٤٨.

وقد كنتُ أحسَبُ قَبل الخَصِيِّ[١] أنّ الـــرؤوس مَقَـــرُّ النُّهَـــى
فلمّـــا نظـــرتُ إلـــى عقلـــه رأيت النُّهى كُلَّها في الخُصَى[٢]

وقال: ما عقدتُ بلساني شيئاً إلاّ حَلَلتُه به. فقيل: بِمَ حللتَ ما قلتَ في بدر بن عامر:

إنّكَ مـن مَـعشَرٍ إذا وَهـبوا ما دون أعمارِهم فقد بَخلوا[٣]

قال: حللته بقصيدةٍ قُلتُ فيهم ولم أُظهِرها، فقلت فيها:

أحمـقُ يَقومُ إذا تحـد لهـم عنهم بما ليس فيهم قبلوا[٤]

وقيل: أحسَنُ الشِّعرِ أكذَبُه[٥]. وذلك أنّ الشعر إنّما يحسن بالغلوّ والمبالغة، فإذا أطلقوا ألسنتهم قالوا للبخيل الشحيح: بحرٌ! وللذّميم القبيح: بدرٌ! وللجبان الرِّعديد: أسدٌ، وهو غيثٌ وليثٌ، ومعدن الوفاء، ومَنبَت السخاء، وأصل الحياء! إلى ما أشبه ذلك.

وقيل لكُثَيِّر: أتمدَح عبد الملك بن مروان وأنت متشيّع مائل إلى أهل البيت؟ قال: ما قلتُ له: أنت إمام الهُدى ومَعدن التقى! ولكن قلت

(١) المراد منه كافور الخَصيّ، كما في المصادر.

(٢) الخُصَى: جمع خصية. لسان العرب ١٤: ٢٣٠ (خصي). ومصادر الشعر: يتيمة الدّهر١: ٢٦٧. محاضرات الأدباء١: ٢٦٦. التذكرة الحمدونيّة٣: ٢٩٤.

(٣) يتيمة الدّهر١: ٢٣٦. دلائل الإعجاز: ٥٠٦. قشر الفسر٢: ٢٦٨.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) نقد الشعر: ١٩. إعجاز القرآن للباقلاني: ١١٤. ربيع الأبرار ٥: ٢١٨، والقائل: ابن عمرو الكندي.

له: أنت شجاعٌ، والشجاع حيّة! وأنتَ أسدٌ، والأسد كلبٌ! وأنت غيثٌ، والغيث موات! فاستحمدوا ذلك منه[١].

ومثل ذلك في الاعتذار حديث أبي تمّام حين مدح المعتصم بقصيدته السينيّة، فلمّا أنشدها إيّاهُ، وبلغَ إلى قوله:

إقدامُ عَمرٍ وفي سماحةِ حاتَم　　في حلم أحنَفَ في ذكاءِ إياس[٢]

وكان الكندي حاضراً، فقال له: ما صنعت شيئاً. قال: كيف؟ قال: لأنّ شعراءنا قد تجاوزوا بمدوحهم منزلة من قبلهم، هلاّ قلتَ كما قال أبو العَكَوَّك:

رجلٌ أبرُّ على شجاعة عامرٍ　　بأساً وغير في محيا حاتم

فأطرقَ أبو تمّام ساعةً، ثمّ رفع رأسه وقال:

لا تُنكِروا ضربي له من دونه　　مَثَلاً شروداً[٣] في النَّدى[٤] والباس

فاللهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لنوره　　مَثَلاً من المشكاة والنِّبراس[٥]

فاستحسنه الجماعة[٦].

(١) الأمالي للسيد المرتضى١: ٢٠٧. المناقب لابن شهرآشوب٣: ٣٣٧ والسائل عنه **الإمام الباقر** .

(٢) عمرو؛ يعني به عمرو بن معديكرب. وإياس؛ يعني به إياس بن معاوية، قاضياً كان بالبصرة، يوصف بالذكاء، وكان من قوم يظنّون الشيء فيكون كما يظنّون حتى شهر أمرهم في ذلك.

(٣) النَّدى: المطر والبلل، ويُضرب مثلاً للجود. لسان العرب ١٥: ٣١٥ (ندي).

(٤) النبراس: السراج. كتاب العين ٧: ٣٤٣ (نبرس).

(٥) قافية شرود: سائرة في البلاد، من شَرَدَ البعيرُ: نَفَرَ. الصحاح ٢: ٤٩٤ (شرد).

(٦) الأمالي للسيّد المرتضى١: ٢٠٩. البيان والتبين: ٥٩٧. التذكرة الحمدونيّة٧: ٢٠٢.

وقال عُبادةُ لأبي العَتاهيةَ: واللهِ ما أُبالي مُدِحتُ أم هُجيتُ! قال: استرحتَ مِن حيثُ تَعِبَ الكرام[١].

ويُروى أنّ شاعراً مدحَ عاملاً لعثمان بن عَفّان، فأنشده القصيدة، وكان مقداد بن الأسود حاضراً، فعَمَدَ إلى ترابٍ فأخذه وحثا في وجهه، فقال له عثمان: ما تصنع؟! قال: سمعتُ النبيَّ يقول: «**احثُوا في وجوه المدّاحين الترابَ**»[٢].

وروي أنّ شاعراً أنشد رجلاً قصيدةً بحضرة **النبيّ**ﷺ، فقال له **النبيّ** : «**يا هذا، قطعت عنق صاحبك!» ـ قاله ثلاثاً ـ فإذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقُل أحسبَهُ كذلك والله حسيبه ولا أُزكّي أحداً على الله سبحانه**»[٣].

وقد ذمَّ الله تعالى الشعراء، واستثنى منهم جماعة، فقال: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَى أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[٤].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٤٩. التذكرة الحمدونيّة٥: ٩٧، نسب إلى أحنف بن قيس.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة٦: ٢٠٥، ح٢. مسند ابن حنبل٦: ٥. الجمل: ٩٥.

(٣) صحيح مسلم٨: ٢٢٧/باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط .... صحيح البخاري٧: ٨٧. سنن أبي داود٢: ٤٣٧/ باب في كراهية التمادح، ح٤٨٠٥، عن أبي بكرة باختلاف يسير.

(٤) سورة الشعراء٢٦: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

وروي أنّ كعب بن زهير رَثى أهل بدرٍ بأبيات، فبَلَغَ **النبيَّ** ﷺ فشقَّ عليه، وأهدرَ دمَه، وكان له أخٌ مؤمن، فجاء إليه وقال: يا شقيّ! بَلَغَ شعرك النبيَّ، وأهدرَ دمك! فقال له: ما الحيلة؟ قال: إنّه رجلٌ كريم، اعملْ قصيدةً في مدحه، وآمِن بالله، وأنشِد القصيدة؛ فإنّي أظُنُّ أنّه يعفو عنك. فعَمِل فيه قصيدته اللاميّة، وقصد رسولَ الله في حجرته، فاستأذن عليه فقال ﷺ: «**مَن أنت؟**» قال: مستأمنٌ يا رسول الله! فقال: «**ادخل**». فقال: أدخُلُ آمناً؟! فقال: «**ادخُلْ آمناً ولو أنّك كعب بن زهير**». فدخل وقال: أشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأنّك رسول الله. ثمّ استأذنه في إنشاد القصيدة، فقال: «**في المسجد بمَلَإ المهاجرين والأنصار**»، فخرج رسول الله ومعه كعب بن زهير، وأنشد رسولُ الله القصيدة، وأوّلها:

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مبتولُ، حتّى بلغ:

يَسعَى الوُشاةُ[1] جنابَيها وقيلهم	إنّك يا بنَ أبي سُلمَى لَمقتولُ
فقلتُ: خَلُّوا طريقي لا أبا لكم	فكلّما قَدَّر الرحمنُ مفعول
كلّ ابن أُنثى وإن طالتْ سلامته	يوماً على آلةٍ حدباء محمول
نُبّئتُ أنّ رسول الله أوعدني	والعفو عند رسول الله مأمولُ
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم	أذنب وإن كثُرتْ عنّي الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به	أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

(١) الوُشاة: جمع الواشي بمعنى النمَّام والساعي فاعل السعاية. النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ١٩٠ (وشي).

لظـلّ يرعـد إلاّ أن يكـون لـه ... مـن الرسـول بـإذن الله تنويـلُ[١]

حتـى وضـعتُ يمينـي لا أُنازعـه ... في كفّ ذي نقماتٍ قيلُه القيل

إنّ الرسـول لَسـيفٌ يُستضـاءُ بـه ... مهنّدٌ[٢] مـن سـيوف الله مسـلولُ

في عُصبَةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... بـبطن مكّـة لمّـا أسـلموا: زولـوا

زالوا فما زالَ أنكاسٌ[٣] ولا كُشُفٌ ... يـوم اللِّقـاء ولا مِيـلٌ[٤] مَعازيـلُ[٥]

شُـمُّ العَـرانينِ[٦] أبطـالٌ لُبوسـهُمُ ... من نسجِ داودَ في الهَيجاءِ[٧] سَرابيلُ

روي: أنّ رسول الله خَلَعَ عليه رداءه[٨].

فإن قيل: هذا ينافي الخبر الذي أنتم فيه؟ قلت: إنّما سامَحَه الرسول لإسلامه واستئمانه، وأنّه مدح رسول الله بأقلّ ما فيه، ومدحُ رسول الله طاعة من أكبر الطاعات، فلا تَنافي بينهما، وهو داخل

(١) نوَّلتُه المالَ تنويلاً: أعطيتُه. المصباح المنير: ٦٣١ (نول).

(٢) هَنَّدَ السيفَ: شَحَذَه، فهو مهنَّد. وكذا المهَنَّد: السيف المطبوع من حديد الهند. لسان العرب ٣: ٤٣٨ (هند).

(٣) النَّكْس: السهم الذي يُنكَّس أو يَنكسر فوقه فيُجعل أعلاه أسفله. لسان العرب ٦: ٢٤٢ (نكس).

(٤) مِيلٌ: جمع أميَل وهو الكَسل الذي لا يُحسِن الركوبَ. لسان العرب ١١: ٦٣٨ (ميل).

(٥) المَعازيل: القوم الذين لا رماح معهم. الصحاح ٥: ١٧٦٤ (عزل).

(٦) شُمٌّ: جمع أشَمّ، والعَرافين: الأنوف، وهو كناية عن الرفعة والعلوّ وشرف الأنفس. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٥٠٢ (عرن).

(٧) الهَيجاء: الحَرب تُمَدُّ وتُقْصَر. كتاب العين ٤: ٦٨ (هيج).

(٨) أُنظر: المستدرك على الصحيحين٣: ٥٧٩. سنن البيهقي١٠: ٢٤٣. المصون في الأدب: ٢٠٠.

في الاستثناء في قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية[(١)].

٤٧١. أَحْسِنُوا إِذَا وُلِّيتُمْ، وَاعْفُوا عَمَّا مَلَكْتُمْ[(٢)].

إحسان الوالي إلى رعيّته سببٌ لبقاء الولاية عليه، وإساءته إليهم سببٌ لانقطاع ولايته عنهم، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حُسْنُ الملَكة**[(٣)] **نَماء، وسوء الملَكة شُؤم**»[(٤)]. وعفو المالك عن مملكوكه إذا جنى جنايةً أحسن منه[(٥)].

وقد مضى فيما تقدّم حديث **عليٍّ** حين نادى غلامَه فلم يُجبه.

وبيت الحماسة الذي ذمَّ به الشاعر[(٦)] قومه:

يَجزُونَ مِن ظلمِ أهل الظلم مغفرة ومِـن إسـاءة أهل السوء إحسانا[(٧)]

---

(١) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧، من قوله تعالى: ﴿والشعراء يتّبعهم الغاوون * ألم تر أنّهم في كلّ واديهجون ... أي منقلب ينقلبون﴾.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤١٣ ، ح٧١٢. مكارم الأخلاق للخرائطي: ١٣٠، ح٣٧٤، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) يقال: فلان حَسَنُ المَلَكة، إذا كان حَسَنَ الصنع إلى مماليكه. الصحاح ٤: ١٦١١ (ملك).

(٤) سنن أبي داود٢: ٥١١/ باب في حقّ المملوك، ح٥١٦٢. المصنَّف لعبد الرزّاق١١: ١٣١/ باب برّ الوالدين، قطعة من ح٢٠١١٨. الأموال لابن زنجويه٢: ٧٦٠/ باب: فضل الصدقة والثواب في إعطائها، قطعة من ح١٣١٢، عن رافع بن مكيث.

(٥) أي: من إحسان الوالي إلى رعيّته.

(٦) هو قريط بن أنيف العنبري التميمي، شاعر جاهلي. وسبب قوله هذه الأبيات المشهورة أنّ بعض بني شيبان أغاروا على إبله، وأخذوا ثلاثين بعيراً له، فاستنجد بقومه فلم ينجدوه، فاستنجد ببني مازن فنهبوا من بني شيبان مئة بعير ودفعوها إليه. وهذا الشعر من عيون الشعر العربي. أنظر: العقد الفريد٣: ٣٣١.

(٧) عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٢٨٥. الصناعتين: ٣١٦. العقد الفريد٢: ٣٣٢.

مدحٌ عند أهل الإسلام، وهو من أخلاق الأنبياء وسيَر الأولياء.

والبيت الآخر الذي هو:

ولا يَجزون مِن حسنٍ بسيّءٍ   ولا يَجـزون مِن غلظٍ بلين[(١)]

هو مدحٌ لهم ووصفهم بالإنصاف وأنّهم يَضَعون الأشياء مواضعها، ويَجزون كلَّ فعلٍ بما يليق به.

وقالت عائشة[(٢)] **لعليٍّ** عليه السلام: «**إذا مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ**[(٣)]»[(٤)].

وقال عليه السلام: «**إذا قَدَرتَ على عدوّك، فاجعل العفوَ شكرَ القدرة عليه**»[(٥)].

والعفو عن قدرة فضلٌ من الكرَم[(٦)]

---

(١) الشعر والشعراء١: ٤١٩. الأمالي للقالي١: ٢٦٤. الصحاح١: ٥٦، والشاعر: أبو الغول الطهوي.

(٢) قالته **لعليّ** يوم الجمل حين ظفر ؛ أي: قدرتَ فسهِّلْ وأحسِن العفو. النهاية٢: ٣٤٢ (سجح).

(٣) الإسجاح: حُسنُ العفو. كتاب العين ٣: ٧٠ (سجح).

(٤) معاني الأخبار: ٣٠٤، معنى الإسجاح، ذيل ح١. الأمالي للمفيد: ٢٤. مسند ابن راهويه٢: ٣٣.

(٥) نهج البلاغة/ الحكمة١١.

(٦) مروج الذهب٣: ٤١، فيما قاله معاوية لصعصعة نقلاً عن أبي طالب بلفظ: لولا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب، حيث يقول:

قابلت جهلَهمُ حلماً ومغفرةً   والعفو عن قدرةٍ ضربٌ من الكرم

محاضرات الأدباء١: ٢٩٨. التذكرة الحمدونيّة٢: ١٢٥، والبيت الكامل فيهما:

إنّ من الحلم ذلاًّ أنت عارفه   والحلم عن قدرة فضل من الكرم

والشاعر: سالم بن وابصة.

٤٧٢. أَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الأَتْقِيَاءَ، وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ[١].

هذا على سبيل الأولى والأفضل، وإلاّ فإطعام المسكين المحتاج وإن لم يكن تقيّاً، وإيلاء المعروف المؤمن والكافر من الفضل والكرم؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾[٢].

وعليٌّ عليه السلام أطعَمَ المسكينَ واليتيم والأسير كافراً[٣].

وروي[٤] أنّ مُنشداً أنشد بين يدي عبدالله بن جعفر ـ رضي الله عنهما ـ قول القائل:

إنّ الصنيعة لا تَكُونُ صنيعةً حتّى يصاب بها طريق المَصْنَع[٥]

فقال: قبّح الله قائله؛ دعى الناسَ إلى البُخل! ولكن اصنعِ المعروفَ إلى من هو أهله وإلى من ليس من أهله؛ فإن أصبتَ أهله فهو أهله، وإن

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤١٤، ح٧١٣. مسند ابن حنبل٣: ٥٥. الإخوان: ٢٢٥، ح١٩٦. صحيح ابن حبّان٢: ٣٨١، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) سورة البقرة٢: ٢٧٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج٥: ٢٥٩. الحاوي الكبير٣: ٣٩٢.

(٤) أُنظر: الفاضل للمبرد: ٣٥. إحياء علوم الدين١٠: ٣١. ربيع الأبرار٥: ٢٨٠.

(٥) المَصنَع: ما يُصنَع لجمع الماء نحو البِركة، وما فيه مُستملَح. المحكم والمحيط الأعظم ١: ٤٤٣. المصباح المنير١: ٣٤٨. ومصادر الشعر: كتاب العين١: ٣٠٥ (صنع). عقلاء المجانين: ٧٩. معجم الشعراء للمرزباني: ٤٨٢، والشاعر: الهذيل الأشجعي.

لم تُصِب أهله فأنتَ من أهله. فهلاّ قال كما قلت:

يد المعروف غُنمٌ حيث كانت تلقّاها كفورٌ أم شكورُ

فعند الشاكرين لها جزاء وعند الله ما جهل الكفورُ[١]

ويُروى أنّه[٢] نزل بأعرابيّ في يومٍ مَطير، والأعرابيّ لم يعرفه، فأضافه وذبحَ له عنزاً، فلمّا أراد الخروج قال لغلامه مِقسَم: كَم معك؟ قال: خمسمائة دينار. قال: أعطِها الأعرابي. فقال الغلام: تعطي أعرابيّاً خمسمائة دينار على عنزٍ ذبحها لك وهو لا يَعرفك؟! قال: فإن لم يعرفني هو، فأنا أعرف نفسي! وأعطاه الخمسمائة، فأنشأ الأعرابي يقول:

توسَّمتُ فيه الخيرَ لمّا رأيتُه وقلتُ لعِرْسي المرءُ من آل هاشمِ

وإلاّ فمِن آلِ المرَّارِ فإنّهم مُلوكٌ عِظامٍ من ملوكٍ أعاظم

فقمتُ إلى عَنزٍ بقيّةِ أعنُزٍ لأذبَحَها فعلَ امرئٍ غيرِ عالِم

فعوَّضَني منها غِنايَ ولم يكن يُساوي لحومُ العنزِ خَمس دراهم

بخَمسِ مِئَينِ مِن دنانيرَ عُوِّضَتْ من العَنزِ ما جادَت به كفُّ آدميّ

فقلتُ لعِرْسي في الخلاءِ وصِبَيتي أحقّاً نَرى، أم مِن أحلامِ نائم[٣]

---

(١) اصطناع المعروف: ٤٨، نسبه لعبدالله بن مبارك. شعب الإيمان٦: ٥٢٢، ذيل الرقم٩١٣٩. محاضرات الأدباء١: ٦٨٤.

(٢) أراد عبدالله بن جعفر كما في الغارات، وفي بعض المصادر عبيدالله بن العبّاس على ما يأتي في الرقم التالي.

(٣) أُنظر: الغارات٢: ٦٩٨. أنساب الأشراف٤: ٥٧. الفاضل للمبرَّد: ٣٠.

٤٧٣. اِسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلى طَبَعٍ[١].

أمَرَنا ـ عليه السلام والصلاة ـ بالاستعاذة بالله من طمعٍ يؤدّي إلى عارٍ وشنار[٢]، فَكنّى عن ذلك بالطبَع، وهو صداء الحديد[٣]. قال ثابت بن قطنة العتكي:

لا خيرَ في طمعٍ يَهدي إلى طَبَعٍ وغُفَّةٍ[٤] مِن قَوامِ العَيشِ تَكفيني[٥]

وبعض الرواة يروي هذا البيت لعروةَ بنِ أذينةَ[٦]، وهو يَليق بأبياتٍ له على هذا الوزن والرَّوِيِّ[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤١٥، ح٧١٥. مسند ابن حنبل٥: ٢٣٢. المستدرك على الصحيحين١: ٥٣٣، عن معاذ. المجازات النبوية: ٢٣٨، ح١٩٣.

(٢) الشَّنَارُ: العيب والعار. النهاية٢: ٥٠٤ (شنر).

(٣) أُنظر: كتاب العين٢: ٢٢. الصحاح٣: ١٢٥٣. النهاية٣: ١١٢ (طبع).

(٤) الغُفَّة: البُلْغة من العيش ومن كلّ شيء، وشيء قليل من العلف. كتاب العين ٤: ٣٤٩. الصحاح ٤: ٤١١ (غفف).

(٥) الكنز اللغوي: ٣٤. القلب والإبدال: ١٠. الأمالي للسيّد المرتضى١: ١٧٢.

(٦) الفرج بعد الشدَّة للتنوخي٣: ١٤٧. التذكرة الحمدونيّة٣: ١٢٢. هو عروة بن أذينة، وأذينة لقبه، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث، شاعر وفقيه ومحدّث ويكنّى عروة بن أذينة أبا عامر، وهو شاعر غزل مقدّم، من شعراء أهل المدينة، وهو معدود في الفقهاء والمحدّثين. أُنظر: الأغاني١٨: ٤٦٨.

(٧) الرويُّ: حروف قوافي الشِّعر اللازمات، تقول: [هاتان] قصيدتان على رويٍّ واحد. كتاب العين ٨: ٣١٣ (روي).

وهي جامعة لمحاسن الأخلاق، وهي:

لقد علمتُ وما الإشراف من خُلقي ... إنّ الذي هو رِزقي سوف يأتيني

أسعَى له فيُعنّيني[١] تَطَلُّبُه ... ولو قَعَدتُ أتاني لا يُعنّيني

كم قد أفَدتُ وكم أتلفتُ مِن نَشَبٍ[٢] ... ومن معاريض رزقٍ غير ممنونِ

فما أَشِرتُ[٣] على يُسرٍ وما ضَرِعَتْ[٤] ... نفسي لخلّةِ عُسرٍ جاء يَبلوني

خِيمي[٥] كريمٌ ونفسي لا تُحدّثني ... أنّ الإله بلا رزقٍ يخلّيني

ولا اشتريتُ بمالي قطُّ مَكرَمةً ... إلاّ تبيّنتُ أنّي غير مغبون

ولا دُعيتُ إلى مجدٍ ومَحمَدةٍ ... إلاّ أجبتُ إليه مَن يناديني

لا أبتغي وصلَ مَن يَبغي مُفارَقتي ... ولا أَلينُ لمَن لا يبتغي لِيني

إنّي سيَعرفني مَن سوف أعرِفُه ... ولو كَرِهتُ وأبدو حين يُخفيني[٦]

---

(١) يعنّيني: يكلّفني ما يشقّ عليّ، من العَناء بمعنى المشقَّة. الإفصاح في فقه اللغة ١: ٢٧٩ (عني).

(٢) النَّشَب: المال الأصيل والعَقار. كتاب العين ٦: ٢٦٩. الصحاح ١: ٢٢٤ (نشب).

(٣) الأَشَر: البَطَر والنشاط. جمهرة اللغة ٢: ١٠٩١. الصحاح ٢: ٥٧٩ (أشر).

(٤) ضَرِعَتْ: استكانت وذلَّت وخضعت. جمهرة اللغة ٢: ٧٤٧. الصحاح ٣: ١٢٤٩ (ضرع).

(٥) الخِيم: السجيّة والطبيعة. الصحاح ٥: ١٩١٦ (خيم).

(٦) الأغاني ١٨: ٤٦٩. المستجاد: ٩٨. الأمالي للسيّد المرتضى ٢: ٦٩.

وقيل: صاحَبَ الخضرَ موسى ، فلمّا طمع في الأُجرة، وقال له: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[١]، قال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[٢][٣].

وقيل في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٤] أراد مِن دَنَس الطمع[٥].

وقيل في قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[٦] قيل: فكُّه مِن ذلّ الطمع[٧].

وللشافعي رحمة الله عليه:

أمَتُّ مطامعي وأرحتُ نفسي ... فإنّ النفس ما طمعتْ تَهونُ

وأحييتُ القنوعَ وكان ميّتاً ... وفي إحيائه عِرضي مصونُ

إذا طمعٌ أحلَّ بقلبِ عبدٍ ... عَلَتْهُ مَذَلَّةٌ وعَلاه هَونُ[٨]

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٧٧.

(٢) سورة الكهف١٨: ٧٨.

(٣) سورة الكهف١٨: ٧٧.

(٤) سورة الأحزاب٣٣: ٣٣.

(٥) تفسير السلمي٢: ١٤٥. الرسالة القشيرية١: ٢٩٦.

(٦) سورة البلد٩٠: ١٣.

(٧) تفسير السلمي٢: ١٤٥. الرسالة القشيرية١: ٢٩٦.

(٨) تاريخ مدينة دمشق١٨: ٣٣٠.

٤٧٤. أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ مِنْهَا[١].

أمرَنا ﷺ بالمجامَلة في طلب الرزق وجمعِ الدُّنيا وحطامِها أيّاماً يَتعيّش به المرءُ فلا بدّ له منه؛ وأمّا الزيادة فلا حَدّ لها، فما من زيادةٍ إلاّ والإنسان لحرصه يستزيد عليها، ولا يزال ذلك دأبه إلى أن لا يبقى له في الدُّنيا راحة ولا دِين ينجو به في الآخرة، فيبقى ولا دنيا معه ولا دين؛ ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبين﴾[٢]، فيكون كما قال الشاعر:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا دينُنا يَبقى ولا ما نُرقّع[٣]

فمَن أجمَلَ في طلبِ الدُّنيا، قَنَعَ بقوتٍ يُقيم ظَهرَه، وخِرقةٍ تَستر سَوْأتَه؛ ألا ترى إلى **عليّ ابن أبي طالب** عليه السلام كيف يقول: «**وإنّ إمامكم قد اكتفى مِن دنياه بطِمرَيْه، ومِن قوتِه بقُرصَيه**»[٤]؟ «**واللهِ لو شِئتُ للبستُ العَبقريَّ من ديباجِكم، ولأكلتُ لبابَ البُرِّ بصدور دُجاجكم، ولشربتُ عليه الماءَ برقيق زجاجكم**»[٥]، «**وما لي للدنيا؟! وقد طلّقتُها ثلاثاً لا رجعة**

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤١٦، ح٧١٦. سنن ابن ماجة٢: ٧٢٥ / باب الاقتصاد في طلب المعيشة، ح٢١٤٢. السنة لابن أبي عاصم: ١٨٢، ح٤١٨. المستدرك على الصحيحين٢: ٣، عن أبي حميد الساعدي.

(٢) سورة الحج٢٢: ١١.

(٣) البيان والتبين: ١٤١. عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٣٥٥. العقد الفريد٣: ١٢٤، والشاعر: إبراهيم بن أدهم العجليّ.

(٤) نهج البلاغة، قطعة من كتاب٤٥. ربيع الأبرار٣: ٢٤١.

(٥) الأمالي للصدوق: ٧١٩، قطعة من ح٩٨٨، عن المفضّل بن عمر، عن الإمام الصادق، عن آبائه باختلاف يسير.

إليها»[١]، ثمّ قرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ إلى قوله ﴿وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾[٢][٣].

ثمّ بيّن أنّ كلّ إنسانٍ ميسَّر ـ أي مسهَّل له ـ لما خلق له من الدُّنيا، وجُعِلَ منها حظُّه ورزقه؛ ليَعلم الناسُ ويَتيقّنوا بأنّ الرزق المقسوم، لا يَفوتُهم ولا يفوتونه.

٤٧٥. أَصْلِحُوا دُنْيَاكُمْ، وَاعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ[٤].

لمّا عَلم أنّه لا غنى بنا عن قُوتٍ وكسوة ومعاشٍ ورياش، رخّص لنا في طلب ذلك فقال ﷺ: «**أصلحوا دنياكم**»؛ ولكن إصلاحاً لا يُفسِد دينكم، لا كمَن قال:

عَمَدْنَ لإصلاح أوتارِهنَّ فأصلَحْنَهنَّ وأفسَدْنَني[٥]

إنّما تُصلِح دنياك لصَلاحِ نفسك، وصلاحُ نفسك في صلاح دينك؛ فما قَدَحَ في دينك، وثَلَمَ في يقينك، فذاك عين الفساد والإفساد وشرُّ الزاد ليوم المعاد، فهو كما قال أبو الفتح البستي:

زيادةُ المرء في دنياه نقصان وربحُه غير محض الحقّ خسرانُ[٦]

---

(١) الأمالي للصدوق: ٣٥٧، قطعة من ح٤٤٠، عن الأصبغ بن نباتة. نهج البلاغة، قطعة من حكمة٧٧. مروج الذهب٢: ٤٢١، عن ضرار بن ضمرة، باختلاف يسير.

(٢) سورة القصص٢٨: ٨٣.

(٣) نهج البلاغة، قطعة من خطبة٣.

(٤) مسند الشّهاب١: ٤١٦، ح٧١٧، عن أبي هريرة.

(٥) التمثيل والمحاضرة: ٢٠٨، والشاعر: كشاجم.

(٦) تاريخ مدينة دمشق٤٣: ١٦٧.

ثمّ قال: «**واعملوا لآخرتكم**»؛ فإنّ المرجع إليها، والمقام فيها، وإنّما الدُّنيا دار ممرٍّ إلى دار مقرّ، فالعاقل من يأخذ الزادَ لسفره، ويُعِدُّ الأهبّةَ مِن ممرّه لمقرّه[١]، ويَعلم أنّ مَثَل الدُّنيا والآخرة كمثل الميزان ذي الكفّتين، فما وُضع في إحداهما تَبيَّنَ في الأُخرى، وما يَعمل في الدُّنيا يوضَع في ميزانه غداً، فأيّة الكفّين رَجَحَت كان الحكم لها، بيانه: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون * وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ في جَهَنَّمَ خالِدُون﴾[٢].

٤٧٦. أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا[٣].

المعنى: لا تَبخَلوا بالسلام، وعُمُّوا به، وسَلِّموا على كلّ أحدٍ، تسلموا مِن شرّه؛ فإنَّ السلام اشتَقَّ من السلامة[٤]، وشُرّع لها، وعلى هذا فُسِّر

علي بن محمّد أبو الفتح البستي، الكاتب الشاعر، له أسلوب مشهور في التجنيس، سمع الكثير من أبي حاتم بن حبّان، وتوفّي سنة إحدى وأربعمائة. أُنظر: الوافي بالوفيات٢٢: ١٠٥.

(١) روي عن **الإمام زين العابدين**عليه السلام: «**مَعاشِرَ أصحابي، الدُّنيا دارُ مَمَرٍّ، وَالآخِرَةُ دارُ مَقَرٍّ، فَخُذوا مِن مَمَرِّكُم لِمَقَرِّكُم**»، الأمالي للصدوق: ٢٨٩، ح٣٢١، عن طاووس اليماني.

(٢) سورة المؤمنون٢٣: ١٠٢ و ١٠٣.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤١٧، ح٧١٨. مسند ابن حنبل٤: ٢٨٦. الأدب المفرد: ١٧٠، ح٨٠٨. صحيح ابن حبّان٢: ٢٤٤، عن البراء بن عازب.

(٤) أُنظر: كتاب العين٧: ٢٦٥. النهاية٢: ٣٩٢ (سلم).

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾[١] أي دار السلامة[٢] في أحد الأقوال، وقيل: إلى دار الله[٣] من قوله: ﴿السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ﴾[٤]. وقيل: إلى دارٍ تحيّةُ أهلِها السلام[٥] في مواضع عند دخولها في قوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ﴾[٦]، وعند حصولهم فيها في قوله: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾[٧]؛ أي: يقولون: سلام عليكم. والعرب تحذف القول من الكلام كثيراً، وله في القرآن نظائر، وعند تلاقي بعضهم بعضاً في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾[٨]، وعند بلوغهم إلى منازلهم واستقرارهم في مراتبهم في قوله: ﴿سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[٩].

فالمراد في الخبر إفشاء السلام دون تخصيصه؛ فأمّا على المؤمن

---

(١) سورة يونس١٠: ٢٥.

(٢) دار السلام الجنّة، وأهلها لهم السلامة من جميع الآفات والعاهات والأمراض والأسقام، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغيُّر الأحوال عليهم. معاني الأخبار: ١٧٦/ باب معنى دار السلام، قطعة من ح١، عن ابن عبّاس.

(٣) المحيط في اللغة٢: ٢٦٥ (سلم). مجمع البيان٥: ١٧٧. تفسير الطبري١١: ١٣٦، سورة يونس.

(٤) سورة الحشر٥٩: ٢٣.

(٥) التبصرة لابن الجوزي: ٤٤١.

(٦) سورة الحجر١٥: ٤٦.

(٧) سورة الرعد١٣: ٢٣ و٢٤.

(٨) سورة يونس١٠: ١٠.

(٩) سورة يس٣٦: ٥٨.

للديانة والكرامة، وأمّا على مَن سواه فلطلب السلامة. وقال **النبيّ**ﷺ: **«إنّ أولى الناس بالله من بدأ بالسلام»**[(١)]. وقالﷺ: **«السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، فافشوه بينكم؛ فإنّ الرجُل المسلم إذا مرَّ بقومٍ، فسلّم عليهم، فردُّوا عليه، كان له عليهم فضلُ درجةٍ بذكره إيّاهم بالسلام، فإن لم يَرُدّوا عليه رَدَّ عليه مَن هو خيرٌ منهم وأطيب»**[(٢)]؛ يعني الملائكة.

وروى أبو هريرة قال: قال **رسول الله**ﷺ: **«إذا وقفَ أحدكم على مجلسٍ فليُسلِّم، فإن بدا له أن يَقعد فليقعد، وإن قام فليُسلِّم، فإنّ الأُولى ليست أحقّ من الأخيرة»**[(٣)].

وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾[(٤)] قال: إذا دخلتَ المسجد فقُل: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)[(٥)].

---

(١) الكافي٢: ٦٤٤/ كتاب العشرة، باب التسليم، ح٣، عن السكوني، عن الإمام الصادق. مسند ابن حنبل٥: ٢٥٤. المعجم الكبير٨: ١٧٩، عن أبي أمامة، باختلاف يسير.

(٢) المعجم الكبير١٠: ١٨٢، ح١٠٣٩١. تفسير الثعلبي٧: ١١٩، سورة النور، عن عبدالله بن مسعود. روضة الواعظين: ٤٥٩.

(٣) الآداب للبيهقي: ٨٥/ باب السلام عند دخول المجلس وعند القيام منه، ح٢١٢. شرح مشكل الآثار٣: ٣٨٠، ح١٣٥٠. تفسير الثعلبي٧: ١٢٠، سورة النور.

(٤) سورة النور٢٤: ٦١.

(٥) تفسير الطبري١٨: ٢٣٠. تفسير ابن أبي حاتم٨: ٢٦٥٠، الرقم١٤٨٩٤. تفسير الثعلبي٧: ١٢٠، سورة النور.

وقال ﷺ: **«إنّ اليهود ما حسدونا على شيء كحَسَدهم على السلام والتأمين»**[١].

٤٧٧. أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ[٢].

عن عبدالله بن سلام قال: لمّا قدِمَ **النبيُّ** ﷺ المدينةَ أجفَلَ[٣] الناسُ إليه وقالوا: قَدِمَ رسولُ الله! فجئتُ في الناس لأنظر إليه، فلمّا تَبيَّن وجهُ رسول الله عَرفتُ أنّه ليس بوجه كذّاب، وكان أوّل شيء سمعته يقول: **«أيّها الناس، أفشوا السلام ...»**[٤]، الخبر بتمامه.

عن عمران بن حُصَين، قال: دخل رجلٌ على **النبيّ** ﷺ وقال: السلام عليكم. فرَدَّ عليه، ثمّ قال **النبيُّ** ﷺ : **«عَشرٌ»**، ثمّ جاء آخَرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله. ثمّ قال: **«عشرون»**، ثمّ جاء آخَرُ وقال: السلام عليكم

---

(١) سنن البيهقي٢: ٥٦. الفردوس٣: ٤٥١، ح٥٣٩١، عن عائشة باختلاف يسير. التأمين: من قولك: آمين. كتاب العين ٨: ٣٨٩ (أمن).

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤١٨، ح٧١٩. سنن ابن ماجة٢: ١٠٨٣/ باب إطعام الطعام، ح٣٢٥١. سنن الدارمي١: ٣٤٠، عن عبدالله بن سلام. المحاسن٢: ٣٨٧، كتاب المآكل، ح٣، عن سماعة بن مهران، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٣) أي: ذهبوا مُسرِعين نحوه. النهاية١: ٢٧٩ (جفل).

(٤) مسند ابن حنبل٥: ٤٥١. المصنَّف لابن أبي شيبة٨: ٣٣٨، ح١١٥. مكارم الأخلاق للطبراني: ٣٦٩، ح١٥٣.

ورحمة الله وبركاته. فردَّ عليه، ثمّ قال: «**ثلاثون**»[(١)]، ثمّ جاء آخَرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته. فقال **النبيُّ**ﷺ: «**أربعون**»، وقال: «**هكذا تكون الفضائل**»[(٢)].

وقال ابن عبّاس: مَن سَلَّمَ عشر مرّات، فله من الأجر عتق رقبة، وكذلك لمَن رَدَّ السلام عشر مرّات، فإن كان من أهل دينه فليردّ عليه بأحسن منها، وإن كان من غير أهل دينه فليقل: «وعليكم»، لا يزيد على ذلك[(٣)].

وروت عائشة: أنّ جماعةً من اليهود دخلوا على **رسول الله**ﷺ فقالوا: السام عليكم! فقال **النبيّ**ﷺ: «**وعليكم**»، فما ملكت أن قلت: وعليكم السام واللعنة! فقال لي: «**اسكتي**»، ثمّ قال: «**أما سمعتِني قلتُ: وعليكم؟!**»[(٤)]. والسام بِلغتهم: الموت[(٥)].

---

(١) روي عن عمران بن حصين إلى هنا في: سنن أبي داود٢: ٥١٨/ باب كيف السلام، ح٥١٩٥. سنن الترمذي٤: ١٥٦/ باب ما جاء في إفشاء السلام، ح٢٨٣٠. سنن الدارمي٢: ٢٧٧/ باب في فضل التسليم وردّه.

(٢) سنن أبي داود٢: ٥١٨/ باب كيف السلام، ح٥١٩٦. شعب الإيمان٦: ٤٥٥، ح٨٨٧٦، عن معاذ بن أنس.

(٣) تفسير الثعلبي٣: ٣٥٤، سورة النساء.

(٤) صحيح البخاري٧: ٨٠. صحيح مسلم٧: ٤. الكافي٢: ٦٤٨/ كتاب العشرة، باب التسليم على أهل الملل، ح١، عن زرارة، عن الإمام الباقر، مع اختلاف يسير.

(٥) النهاية٢: ٤٢٦ (سوم). كتاب العين٧: ٢٠٦ (سمم).

«وأطعِموا الطعام»؛ كُلُّ بِرٍّ وصِلّة وصدقة وإحسانٍ يفعله الرجل بصاحبه لا يقع موقعَ الإطعام؛ لأنّه ربّما ذخره إن كان دنانير أو دراهم أو ثياباً أو أثاثاً فلا ينتفع به، وربّما لم يصل إلى الانتفاع به؛ فأمّا الطعام فإنّه لا يصلح للادّخار، فإذا أكله صار من جواهر جسده، وبه يَتقوّى على طاعة الله والأُمور الدينيّة والدنيويّة، فأفضلُ شيء يعطيه الإنسان الطعام.

وكفى بذلك الحكاية عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَقَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[1].

فأمّا صِلَة الرحِم، فإنّها من منافع الدِّين والدنيا؛ فإنّه إذا وصل رحِمَهُ بأحد أقربائه، أضاف إلى قرابة النسب قرابة السبب، فتتواشَجُ[2] القرابات، وتتواصل الأرحام، ويكون كلّ واحدٍ من المتواصلين ظهيراً لصاحبه، وعوناً له على نوائب الدهر وحوادث الزمان، وهذا نفعٌ عاجلٌ ظاهرٌ، و إذا تقرّب بذلك إلى الله سبحانه، ونوى القُربة فيها، استحقَّ جزيل الثواب وكريم المآب[3].

فأمّا صلاة الليل والناس نيام، فالله تعالى يُباهي به ملائكته، وقد مدحه في كتابه فقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا﴾[4] الآية، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدا وَقَائِما﴾[5] الآية، وقال

(١) سورة المدّثّر٧٤: ٤٢ و٤٣.

(٢) وَشَجَت العروق والأغصان وغيرها: اشتبكتْ. كتاب العين٦: ١٥٧ (وشج).

(٣) راجع: الكافي٢: ١٥٠/ كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم.

(٤) سورة السجدة٣٢: ١٦.

(٥) سورة الزمر٣٩: ٩.

سبحانه: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

وعن **الصادق**عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن **رسول الله**صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**عليكم بصلاة الليل؛ فإنّ فيها رضاً لربّكم، وصحّةً لأبدانكم، وزيادةً في أرزاقكم**»[2].

وعن ابن عبّاس، أنّه قال: مَن صلّى بالليل ركعتين أو أكثر، فقد بات لله ساجداً أو قائماً[3].

وعن أبي هريرة، عن **النبيّ**صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**مَن باتَ طاهراً باتَ في شِعاره**[4] **مَلكٍ لا يستيقظ ساعةً من الليل إلاّ قال المَلَك: اللّهُمَّ اغفر لعبدك فلان؛ فإنّه باتَ طاهراً**»[5].

وروي أنّه: مَن توضّأ عند منامه، ونام على طهارته، كان كمَن صلّى جميع الليل[6].

---

(١) سورة الذاريات٥١: ١٧ و١٨.

(٢) علل الشرائع٢: ٣٦٢، ح١. تهذيب الأحكام٢: ١٢٠، ح٤٥٣، عن آدم بن إسحاق، عن **الإمام الصادق**عليه السلام، قال: «**عليكم بصلاة الليل؛ فإنّها سنّة نبيّكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومطردة الداء عن أجسادكم**». و١٢١، ح٤٥٧، عن أبي بصير، عن **الإمام الصادق**عليه السلام، عن آبائه، قال: «**قيام الليل مَصَحَّةُ البدن، ورضا الربّ، وتمسُّكٌ بأخلاق النبيّين، وتعرّض لرحمته**».

(٣) تفسير الثعلبي٧: ١٤٦، سورة الفرقان.

(٤) الشِّعار: الثياب الذي يلي الجسد؛ لأنّه يلي الشَّعر. النهاية ٢: ٤٨٠ (شعر).

(٥) مسند ابن المبارك: ٣٨، ح٦٥. شعب الإيمان٣: ٢٨، ح٢٧٨٠. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٢٦٧، ح٣٥٧.

(٦) قال **رسول الله**صلى الله عليه وآله وسلم: «**من بات على طهر، فكأنّما أحيا الليل كلّه**»، الأمالي للصدوق: ٨٦، ح٥٤. معاني الأخبار: ٢٣٥، ح١، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق، عن آبائه .

وقال ﷺ: «**ركعتان يَركعهما العبد في النصف الأخير من الليل خيرٌ له من الدُّنيا والآخرة، لولا أن أشقّ على أُمّتي لفرضتهما عليهم**»[١].

«**تَدخُلوا الجنّة بسلام**»، مجزومٌ بجواب الأمر، ومعنى السلام هاهنا: السلامة، ويجوز أن يريد سلام الملائكة كما مضى[٢].

٤٧٨. اِحْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُ أُمَّتِي[٣].

بيَّن في هذا الحديث أنّ محبّة أصحابه وحُسنَ القول لهم والاعتقاد فيهم هي حفظ جانبه، وأنّ حفظهم هذه المعاني حفظه ؛ لأنّ لهم ـ رضي الله عنهم ـ حقّ الصُّحبة، وقدم القدمة، والاختصاص بنوع من الخدمة، ومنازلهم ودرجاتهم عند الله وعند رسوله غير خافية لمَن تَأَمَّلَ الأخبارَ وتتبَّعَ.

وروي عن **الصادق جعفر بن محمّد** عليه السلام أنّه قال: «**اجتمع آل محمّد على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وعلى قضاء ما فات في الليل بالنهار، وقضاء ما فات في النهار بالليل**»[٤] ....

---

(١) التهجُّد وقيام الليل لابن أبي الدنيا: ٣٥٥، ح٢٩٤. مختصر قيام الليل: ٩٥. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٤٥٦، ح١٢٨٩، عن حسّان بن عطيّة، باختلاف يسير.

(٢) مضى في شرح الحديث السابق.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤١٨، ح٧٢٠. سنن ابن ماجة٢: ٧٩١ / باب كراهية الشهادة لمن لم يُستشهد، قطعة من ح٢٣٦٣. المستدرك على الصحيحين ١: ١١٥. المعجم الأوسط٢: ٣٠، عن عمر.

(٤) روض الأخيار١: ٤٩. الحاوي الكبير١: ٣٥١.

٤٧٩. اِحْفَظُونِي فِي عِتْرَتِي؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُ أَصْحَابِي[١].

عِترة الرجل أولاده وأولاد أولاده[٢]، وإذا كان محبّة الأصحاب وحسن الاعتقاد فيهم محافظةً لجانب **النبيّ** ، فما ظنُّك بأولاده، ومَن هو قطعةٌ من كبده، وبضعةٌ من جسده؟!

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: بينا أنا في المواسم أُحدِّث الناسَ، فإذا برجلٍ في هيئة أعرابيّ متعمِّم بعمامةٍ سوداء، كلّما حدَّثتُ الناس بحديثٍ، حَدَّثَهم بحديث، حتّى إذا فرغ قال: معاشر الناس، مَن عَرَفني فقد عرفني، ومَن لم يَعرفني فأنا أُنبئهُ باسمي؛ أنا جُنْدَبُ بن جُنادَةَ البدريُّ الغفاريُّ صاحب رسول الله، رأيتُ **رسول الله** ﷺ يقول في هذا المكان، وإلّا صَمَّتْ أُذناي، وعَمَتْ عيناي: «﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[٣]؛ **أمّا الذرّيَّة فمن نوح، وأمّا الآل من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل**[٤]، **والعترة الهادية والذرّيَّة الطاهرة من محمّد والصدِّيق الأكبر عليّ ابن أبي طالب، فيا أيّتها الأُمّة المتحيِّرة بعد نبيّها! لو قَدَّمتُم مَن قَدَّمه الله ورسوله، وأخَّرتُم مَن أخَّر الله**

(١) مسند الشِّهاب١: ٤١٩، ح٧٢١، عن أنس. الأمالي للطوسي: ٧٠٣، قطعة من ح١٥٠٤، عن زيد بن عليٍّ، عن الإمام السجّاد، عن الإمام عليّ، وليس فيهما ذيله.

(٢) النهاية٣: ١٧٧. كتاب العين٢: ٦٦ (عتر).

(٣) سورة آل عمران ٣: ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) في المصدر: **فمحمّد** من نوح والآل من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل.

ورسولُه، لما عالَ وليُّ الله، ولا طاش سهمٌ في سبيل الله، ولا اختلفت الأُمّة بعد نبيّها في شيء احتاج إلاّ كان تأويله عند أهل البيت، فذوقوا بما كسبتم، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾»[1][2].

وما روي في فضائل أهل البيت ومناقبهم أكثر من أن يُحاط به، لأجل ذلك لم نشرع فيه.

٤٨٠. اِسْتَشِيرُوا ذَوِي الْعُقُولِ تَرْشُدُوا، وَلَا تَعْصُوهُمْ فَتَنْدَمُوا[3].

الاستشارة: طلب الإشارة، وأصله استخراج الرأي، من شُرْتُ العسلَ وأَشَرتُه واشتَرْتُه إذا استخرجته[4]، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[5]، مع أنّ الوحي يَنزل عليه من السماء؛ وإنّما كان ذلك لأحد شيئين: أحدهما أنّه لم يَستشرهم فيما يتعلّق بأحكام الشرع؛ إنّما يستشيرهم في أمر الحروب والوقائع وتقديم ذلك وتأخيره وما يتعلّق بالأمور الدنيويّة؛ وذلك[6]

---

(١) سورة الشعراء٢٦: ٢٢٧.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٨٢، ح٥٩، عن عبيد بن وآيل. تاريخ اليعقوبي٢: ١٧١. الإحتجاج١: ٢٣١، عن عبدالله بن الصامت، باختلاف، ولم نعثر على رواية ابن عبّاس عنه.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤١٩، ح٧٢٢. المتفق والمفترق١: ٤٦٦، ح٢٤٣، عن أبي هريرة.

(٤) أُنظر: كتاب العين٦: ٢٨٠. النهاية٢٣: ٥٠٨ (شور).

(٥) سورة آل عمران٣: ١٥٩.

(٦) الظاهر أنّ المراد: ثانيهما عطفاً لقوله: أحدهما.

أنّ العرب كانت تستشير ذوي العقول والآراء في أُمورهم، فمَن لم يَستشر منهم شَقَّ ذلك عليه وظَنَّه نقصاً منه واستخفافاً به.

ثمّ قال: «**ذوي العقول**»؛ فإنّ مَن كان ناقص العقل، ضعيف الرأي، قليل البصيرة، لا يصلح للاستشارة. ثمّ بَيَّنَ الغرضَ فيه فقال: «**تَرشدوا**»؛ أي تُصيبوا الرشادَ والصلاح. ثمّ أكّد ذلك بقوله: «**ولا تعصوهم فتندموا**»؛ لأنّ عصيان ذوي العقول وأهل الرأي الصائب يورِث الندامة، وقد مضى ما يَتعلّق بالمشورة فيما مضى.

٤٨١. تُوبُوا إِلى رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ[١] بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ[٢].

بيّنّا أنّ التوبة في اللغة: الرجوع على الإطلاق، ثمّ اختَصَّت في الشرع بالرجوع عن المعصية إلى الطاعة؛ قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعا﴾[٣] و ﴿تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحا﴾[٤]، والتوبة إلى الله: الرجوع من مكارهه إلى محابّه، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة.

وقوله: «**من قبل أن تموتوا**»؛ أي: بادِروا الموتَ بالتوبة لا يُدرككم دونها،

---

(١) أي: (بينكم وبين ربّكم) كما في بعض المصادر، وكما سيأتي في شرحه.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٢٠، ح٧٢٣ ـ ٧٢٤. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٣٤٤، ح١١٣٦. مسند أبي يعلى٢٣: ٣٨١، ح١٨٥٦، عن جابر بن عبد الله.

(٣) سورة النور٢٤: ٣١.

(٤) سورة التحريم٦٦: ٨.

والمراد مقدّمات الموت وأعلامه؛ لأنّ التوبة كما لا تمكن بعد الموت، لا تصحّ عند ظهور أماراته؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتُ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1].

«**وبادِروا**»؛ أي سارِعوا وسابِقوا، والمبادَرة: المسابقة[2]، قال: فبادَرَها وَلَجاتِ[3] الخَمَر[4][5]، أي: سابَقَها.

«**قبل أن تشغلوا**» وتصيروا مشغولين؛ فإنّ الفراغ فرصة مغتنمة، وحقيقٌ على من غفلتْ عنه خُطوبُ[6] الدهر، ولم تسر إليه طوارق الفكر، وكان في محلٍّ تسمو[7] إليه نواظر الآمال، وتنتهي إليه رغائب الرجاء: أن يرتبط ما خوّله الله من الثروة والرفد بما يستديم من أنواع المزيد بالحمد؛ فربّما

---

(١) سورة النساء٤: ١٨.

(٢) أُنظر: كتاب العين٨: ٣٥ (بدر). الصحاح٣: ١٢٢٨ (سرع).

(٣) وَلَجات: جمع وَلَجَة، وهو موضع أو كهف تَستتر فيه المارَّةُ مِن مطر وغيره، والمراد هنا: مداخل. الصحاح ١: ٣٤٧ (ولج).

(٤) المعاني الكبير١: ٣٩. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢١٦، والشاعر: أُبيّ بن سُلمِيّ الضَّبّيّ، والبيت الكامل:

رأى أَرَنَباً سنَحتْ بالفضاء فبادَرَها وَلَجاتِ الخَمَر

(٥) الخَمَر: ما واراك من الشجر. جمهرة اللغة ١: ٥٩٢ (خمر).

(٦) الخَطْب: الأمر العظيم، والجمع خطوب. جمهرة اللغة ١: ٢٩١ (خطب).

(٧) تَسمُو: ترتفع. كتاب العين ٧: ٣١٨ (سمو).

ركدت ريح النباهة، وسكَنَت دولة المهلة والمكانة، كما يقول القائل:

لـيس فـي كـلّ وَهلـةٍ وأوانٍ تَتهيَّـأ صـنائعُ[١] الإحسـان
فـإذا أمكنَـتْ تَقـدَّمْ إليهـا حَـذَراً مِـن تعـذُّرِ الإمكـان[٢]

ويجب أن يكون في حال الإمكان كما قال بعض أهل الزمان:

بـدا حـين أثـرى[٣] بإخوانـه فقلَّـل عـنهم شِـياتِ[٤] العـدمِ
وذكَّـره الحَـزمُ صـرفَ الزمـان فبـادَرَ بـالعُرْف[٥] قبـل النَّـدَمِ[٦]

«**وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الله**»؛ وهو: حقّ الربوبيّة، وذلّة العبوديّة؛ فهو الربّ، ونحن العبيد، وإنّما تبيَّن ذلك بأن لا تنسى مَن لا يزال مُنعِماً عليك بضروب النِّعَم، ولا تتغافلَ عن شكره، ولا تتوانى عن ذكره؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٧].

(١) الصنائع: جمع الصَّنيعة، وهو ما أعطيته وأسديته من معروفٍ أويدٍ إلى إنسان تصنعه به. تهذيب اللغة ٢: ٢٥ (صنع).

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٤٣٢. شعب الإيمان٦: ١٢٦/ الرقم٧٦٩٠. تاريخ دمشق٢٩: ٢٣٧، نسب فيهما إلى عبدالله بن طاهر، باختلاف يسير.

(٣) أثرى الرجلُ: كثُر أمواله. الصحاح ٦: ٢٢٩٢ (ثرا).

(٤) الشِّيات: جمع الشِّيَة بمعنى العلامة، وهي في ألوان البهائم سواد في بياض أو بالعكس. المصباح المنير: ٦٦١ (وشي).

(٥) العُرف: المعروف، وهو الخير والرفق والإحسان. المصباح المنير: ٤٠٤ (عرف).

(٦) قضاء الحوائج: ٦٩. الأمالي لسيِّد المرتضى١: ١٤١. المحاسن والأضداد: ٩٣، باختلاف يسير.

(٧) سورة الأحزاب٣٣: ٤١ ـ ٤٢.

وروى الضحّاك بنُ مزاحم، عن ابن عبّاس قال: أتى ميكائيلُ **رسول الله** ﷺ فقال: «**قُل يا محمّد: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، عَدَدَ ما عَلِمَ، وزِنَةَ ما علم، ومِلأَ ما علم؛ فإنّ من قالها كُتِبَ له ستُّ خصال: كُتِبَ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وكان أفضلَ مَن ذكره بالليل والنهار، وكان له عُرشٌ في الجنّة، وتَحاتَتْ عنه ذنوبُه كما تحاتت ورقُ الشجرة اليابسة، ونظرَ الله إليه، ومَن نَظَرَ إليه لم يعذِّبه**»[١].

٤٨٢. تَجَافُوا عَنْ عُقُوبَةِ ذَوِي الْمُرُوَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ حَدّاً[٢]، تَجَافُوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ؛ فَإِنَّ اللهَ آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ[٣].

التجافي: النبو والارتفاع[٤]؛ قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[٥] أي: تَرتفع ولا تستقرّ، والمراد هاهنا: العفو والتجاوز؛ أي: تجاوزوا عن عقوبته واتركوها.

---

(١) تفسير الثعلبي٨: ٤٦. مجمع البيان٨: ١٦٧، وفيهما «إسرافيل» و«جبرائيل» بدل «ميكائيل» على ترتيب المصدرين.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٢٢، ح٧٢٥، عن أبي بكر.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٢٣، ح٧٢٦. مكارم الأخلاق للخرائطي: ١٨٩، ح٥٧٠. ذكر أخبار إصبهان٢: ٣١٩. المعجم الأوسط٦: ٣٣، وليس فيه ذيله، عن ابن عبّاس.

(٤) النَّبْو: العلوُّ والارتفاع. جمهرة اللغة ١: ٣٨٢. أُنظر: كتاب العين٦: ١٨٩ (جفو) و٨: ٣٧٩. النهاية١: ٢٨٠ (جفا) و٥: ١١ (نبو).

(٥) سورة السجدة٣٢: ١٦.

والمروَّة في العرف: الجود والسخاء، وفسّرها الشافعي بنفي الريبة والتهمة، واستدلّ بهذا الخبر على أنّ الإمام مخيَّرٌ في التعزير؛ إنْ شاء عَزَّر، وإن شاء ترك؛ فلو كان التعزير واجباً كالحَدّ لكان ذو المروءة وغيره فيه سَواء[١]، وعندنا وعند أبي حنيفة التعزير إلى الإمام؛ إن رأى أنّه أصلح في الحال عزّره ولم يجز له تركه، وإنْ رأى أنّ غيره يقوم مقامه من الكلام والتعنيف جاز له أن يعدِل إليه[٢].

وقوله: «**تَجَافُوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ**»؛ معناه معنى الحديث الأوّل؛ لأنّ السخيَّ وذا المروءة واحد.

روي أنّ **النبيّ** ﷺ أُتيَ سبعةً من الأُسارى، فأَمَرَ بضرب أعناقهم، فأتاه جبرئيل وقال: «**إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يأمرك أن تَقتل هؤلاء الستّة، وتَخلِّي سبيل السابع**، فقال **النبيُّ** : **ما بالُ هذا من بينهم؟** فقال: **لأنّه حَسَنُ الخُلق، سخيٌّ على الطعام، سَمْحُ الكفّ**». فخَلَّى سبيلَه، وقَتَلَ الباقين، فصارَ ذلك سبباً لإسلامه[٣].

وقال حذيفةُ بنُ اليمان: رُبَّ رجلٍ فاجرٍ في دينه، سَمْحٌ في معيشته، دخلَ بسَماحته الجنّة[٤].

---

(١) معالم السنن٣: ٣٠٠.

(٢) الخلاف٥: ٤٩٧، مسألة ١٣.

(٣) العلل المتناهية٢: ٢٣٨، ح١٢٠٩، عن هارون بن الجهم، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه ، عن عليّ بن أبي طالب.

(٤) إحياء علوم الدين١٠: ٣٠. التذكرة الحمدونيّة٢: ٢٩٩.

وقال أنس بن مالك: جاء سائلٌ فسأل **النبيَّ** شيئاً، فأعطاه **النبيّ** ﷺ أربعين شاةً، فرَجَع إلى قبيلته، وقال: يا قوم، أسلموا؛ فإنّ **محمّداً** يُعطي عطاءَ مَن لا يَخشى الفقر[1].

وقال ﷺ: «**يقول إبليس: الناس ثلاثة أصناف: صنفٌ قد فَرَغتُ منهم وهم الفاسقون، وصنف أرجوهم وهم البُخلاء يموتون على بخلهم فيدخلون النار، وصنفٌ قتلوني وكسروا ظهري وهم الأسخياء، يموتون على سخائهم، ويدخلون الجنّة**»[2].

وما قاله الشعراء في السخاء ومدحِ السخيّ لا يُحاط به، ولقد بالغ أبو تمّام في قوله:

هو البحر مِن أيِّ النَّواحي أتيتَه ... فَلُجَّتُه[3] المعروفُ، والجُود ساحِلُه

تَعوَّدَ[4] بَسطَ الكفِّ حتّى لو أنّه ... ثَناها[5] لِقَبضٍ لم تُجِبه أناملُه

ولو لم يكن في كَفِّه غيرُ روحه ... لَجادَ[6] بها فليَتَّقِ اللهَ سائِلُه[7]

والنبيُّ ذَكَرَ في هذا الحديث بما هو بشارة له من قوله: «**فَإِنَّ اللهَ آخِذٌ**

(١) صحيح مسلم٧: ٧٤. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ١١٨، ح٣٨٨. مسند ابن حنبل٣: ١٠٨، باختلاف يسير.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) اللُّجَّة: معظم الماء. ولُجّة البحر: حيث لا يُدرَك قعره. لسان العرب ٢: ٣٥٤ (لجج).

(٤) تَعَوَّدَه: صار عادةً له. الصحاح ٢: ٥١٤ (عود).

(٥) ثَنَيتُ الشيءَ ثَنياً من باب رمى: عطفته ورددته. المصباح المنير: ٨٥ (ثني).

(٦) جادَ الرجل بالمال جوداً: بذله. المصباح المنير: ١١٤ (جود).

(٧) ديوان المعاني١: ٢٥. حلية الأولياء١٠: ٣٧٣. المنتظم١١: ١٣٦، قاله أبو تمّام في المعتصم.

بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ»، شَبَّهَه بمَن عثر بذيله، وسقط لوجهه، وجَعَلَ القديمَ تعالى كالآخذ بيده عن عثاره.

والمعنى: أنّ الله يُغنيه ويُنجيه كلّما وقع في مِحنَةٍ وبليّة، وهذا مجاز من طريق التشبيه، أمرَنا بالعفو ممّا هو حقٌّ لنا كحَدّ القاذف وقِصاص الجراح.

٤٨٣. عُودُوا الْمَرِيضَ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ، تُذَكِّرْكُمُ الْآخِرَةَ[١].

«**عُودوا**» أمرٌ لنا بعيادة المرضى، يُقال: عادَ المريضَ يَعوده عيادةً، وعادَ إلى الشيء إذا رجع إليه يَعُود عَوداً، والعُود: ما يُتبخَّر به[٢]، والعُود: المِزهَر[٣]، والعُود: الخشب، وسُمِّي العيد عيداً؛ لأنّه يَعود كلَّ سنة، والعيد: الخيال؛ لأنّه يَعود كلَّ وقت[٤].

قال تَأَبَّطَ شرّاً:

يا عِيدُ[٥] ما لكَ من شَوقٍ وإيراقٍ[٦] مَرِّ طَيفٍ[٧] على الأهوال طَرّاقِ[٨][٩].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٢٣، ح٧٢٧. الأدب المفرد: ١١٤، ح٥٢٧. مسند ابن حنبل٣: ٣٢. مسند أبي يعلى٢: ٣٦٤، ح١١١٩، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الصحاح٢: ٥١٣. المفردات: ٥٩٣ (عود).

(٣) النهاية٤: ٣٢٥ (مزهر). غريب الحديث لابن سلّام٢: ٢٢٩.

(٤) أُنظر: تهذيب اللغة٣: ٨٠ - ٨٥ (عود).

(٥) العِيد: ما يعتاده من الحزن والشوق. تهذيب اللغة ٣: ٨٤ (عود).

(٦) الإيراق: الإسهار وهو إنفار النوم والمنع منه ليلاً. معجم مقاييس اللغة ١: ٨٢ (أرق).

(٧) الطيف: الخيال الطائف في المنام. جمهرة اللغة ٢: ٩٢٢ (طيف).

(٨) الطَّرّاق: من يَطرُق ويأتي ليلاً، وكلُّ آتٍ بالليل طارق. النهاية ٣: ١٢١ (طرق).

(٩) المفضَّليات: ٢٧. الأغاني٢١: ٨٥. الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢١٦.

ووَحَّدَ **«المريضَ»**، وجَمَعَ **«الجنائز»**؛ لدخول لام الجنس في المريض، والجنس صالح للواحد والجمع، ويجوز أن تكون العيادة من العَود، وهو أمرٌ لنا بأن نَعود إليه كلَّ يومٍ، ولا نَترك تفقُّدَه وتفقُّدَ أحواله، وإذا كان كذلك فالمريض منصوب بنزع الخافض.

وقال ﷺ: **«من تمام عيادة المريض أن يَضَعَ أحدُكم يده على جبهته أو على يده، فيقول له: كيف أنت؟ وتمامُ تحيّاتكم بينكم المصافحة»**[١].

وقال ﷺ: **«عائد المريض يخوض في الرحمة، ووضع يده على وِركه وقال: هكذا مقبلاً ومدبراً، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة»**[٢].

رويَ أنّ **رسول الله** ﷺ كان إذا عادَ مريضاً، وَضَعَ يده على وجهه وصدره، وقال: **«أَذهِبِ البَأسَ رَبَّ الناس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلاّ شفاؤُك، شفاء لا يغادِر**[٣] **سُقماً»**[٤].

---

(١) سنن الترمذي٤: ١٧٣ /باب ما جاء في المصافحة، ح٢٨٧٤. مسند ابن حنبل٥: ٢٦٠. الزهد لهناد١: ٢٢٦، ح٣٧٤، عن أبي أمامة.

(٢) مسند ابن حنبل٥: ٢٦٨، عن أبي أمامة و٣: ١٧٤، عن أنس بن مالك. المعجم الأوسط٢: ٣٥٢، عن أبي هريرة. الأمالي للطوسي: ١٨٢، ح٣٠٦، عن أبي قلابة، وليس فيها قوله: «ووضع يده».

(٣) لا يُغادِر: لا يَترك. كتاب العين ٤: ٣٩٠ (غدر).

(٤) صحيح البخاري٧: ١٠. صحيح مسلم٧: ١٥. سنن ابن ماجة١: ٥١٧، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله، ح١٦١٩، عن عائشة باختلاف يسير.

قال أبو حاتم: اتّباع الجنائز فضيلة، والصلاة عليها سُنّة، ومداواة القلب بها فريضة(١).

وقال الحَسَنُ: في الميّت ثلاثة قراريط: قيراطٌ منها لمَن عَزَّى، وقيراطٌ لمَن صَلَّى، وقيراطٌ لمَن وارى(٢).

وعن عليّ عليه السلام قال: **«ما من رجُلٍ يَعود مريضاً محتسباً إلاّ خرجَ له سبعون ألفَ مَلَكٍ يستغفرون له حتّى يصبح، وكان له خريفٌ في الجنّة»**(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: **«إذا صَلُّوا على جنازة، وأثنَوا عليه خيراً، يقول الربُّ: أَجَزتُ شهادتَهم»**(٤).

وقال صلى الله عليه وآله: **«ما من نفسٍ تموت، فصَلَّى عليه ثلاثةُ صفوف، إلاّ أوجبَ الله لهم المغفرة»**(٥).

---

(١) ربيع الأبرار٥: ١٣٦.

(٢) لم نعثر على قول الحسن. روي هذا المعنى في عدَّة من الروايات، أُنظر: الكافي٣: ١٧٢/ كتاب الجنائز، باب ثواب من مشى مع جنازة. المصنَّف لعبد الرزّاق٣: ٤٤٩ — ٤٥١/ باب فضل اتِّباع الجنائز.

(٣) الأمالي للطوسي: ٤٠٣، ح٩٠١. سنن أبي داود٢: ٥٨/ باب في فضل العيادة على وضوء، ح٣٠٩٨، عن عبدالله بن نافع. سنن الترمذي٢: ٢٢٢/ باب ما جاء في عيادة المريض، ح٩٧٧، عن ثوير، عن أبيه، عن الإمام عليّ، عن رسول الله، باختلاف يسير.

(٤) التاريخ الكبير٣: ١٦٨، ح٥٧٤، عن الرُّبيع بنت معوِّذ.

(٥) سنن أبي داود٢: ٧٢/ باب في الصفوف على الجنازة، ح٣١٦٦. سنن الترمذي٢: ٢٤٦/ باب كيف الصلاة على الميّت والشفاعة له، ح١٠٣٣. سنن ابن ماجة١: ٤٧٨/ باب ما جاء فيمن صلّى عليه جماعة من المسلمين، ح١٤٩٠، عن مالك بن هبيرة باختلاف يسير.

ورأى سفيانُ جماعةً يَزدحمون على جنازة، فقال: عُلوجٌ يَتنافسون في حملهِ، ولا يتنافسون في عملهِ[١].

أمَرَ النبيُّ ﷺ بعيادة المرضى لنعتَبِر ويكون لطفاً لنا؛ فإنّ المرض من علامات الموت، ولذلك قال ﷺ: «**الحُمَّى رائِدُ الموت**»[٢]؛ فإنَّ من عادَ مريضاً، وتأَمَّلَ حاله، يأمَن أن يصير إلى مثل حاله، وكان لطفاً له، ولذلك قلنا: إنّ الغرض في إيلام الله الأطفالَ وغيرَ الأطفال اللطفُ والاعتبار دون العوض؛ لأنّ الابتداء بمثل العوض يَحسُن، فلا يجوز أن يكون غرضاً، وإنّما اعتبرنا العوض ليَخرُج به من كونه ظالماً، ويَخرج بالاعتبار من كونه عَبَثاً، والاعتبار باتّباع الجنائز أكثر وأبلغ منه بعيادة المرضى؛ وذلك لأنّ الميّت بموته صار من أهل آخرة، ولهذا قال ﷺ: «**مَن مات فَقَدْ قامت قيامتُه**»[٣].

والغرض فيه الاتّعاظ بالموت، وأن يُعلَم أنّ من كان في مثل حاله أو أحسن لم يَنْجُ من الموت، فلا ينجو هو أيضاً.

---

(١) ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة للبلوي ٢: ١١٦.

(٢) الكافي٣: ١١٢/ كتاب الجنائز، باب علل الموت وأنّ المؤمن يموت بكلِّ ميتة، ح٧. ثواب الأعمال: ١٩٢/ ثواب الحمَّى، عن رجل، عن الإمام الصادق. المرض والكفّارات لابن أبي الدنيا: ٧٣، ح٧٣، عن الحسن.

(٣) إحياء علوم الدين١٥: ١٨٤. الفردوس١: ٢٨٥، ح١١١٧، عن أنس. تفسير الرازي٩: ٩٢.

وقال:

وإذا حملت إلى القبور جنازةً فاعلم بأنّك بَعدها محمولُ[(١)]

وقال آخر:

إنّ المَسرَّة للمَساءة مَوعِدٌ أُختان تَأتي في العَشِيَّة أَوْغدِ

فإذا سَمعتِ بهالَكٍ فتَعلَمَن أنّ السبيلَ سبيلُه فتَزوَّدِ[(٢)]

ولمحمَّد بن يسير:

كلَّما مُرَّ بي على أهل نادٍ[(٣)] كنتُ حيناً بهم كثيرَ المُرورِ

قيل مَن ذا على سَرِير المَنايا[(٤)] قيل هذا محمّد بن بشيرِ[(٥)]

ولأبي العَتاهِية:

ورُبّما غُوفِصَ[(٦)] ذو شِرَّة[(٧)] أَصحَّ ما كان ولم يَسقَم

يا واضعَ الميّت في لَحدهِ خاطَبَكَ اللَّحدُ ولم تَفهَمِ[(٨)]

---

(١) الديوان المنسوب إلى الإمام عليٍّ : ١٢٧. روضة الواعظين: ٤٩٤، لم ينسب فيه لقائل.

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤٦٥. التذكرة الحمدونيّة١: ٢٢٤، باختلاف يسير.

(٣) النادي: مجلس القوم ومجتمعهم. جمهرة اللغة ٢: ١٠٦١ (ندي).

(٤) المَنايا: جمع المَنِيّة، وهي الموت؛ لأنّها مقدَّرة، بمعنى التقدير. الصحاح ٦: ٢٤٩٧ (منا).

(٥) الكامل في اللغة٢: ١٣. البيان والتبين: ١٧٦.

(٦) غُوفِصَ: أُخذ، يقال: غافصته مغافصة: أخذتُه على غِرَّة ورَكِبتُه بمَساءة. كتاب العين ٤: ٣٧٣ (غفص).

(٧) الشِّرَّة: النشاط والرغبة والحرص. وهو أيضاً مصدرُ شَرَّ. لسان العرب ٤: ٤٠١ (شرر).

(٨) القبور لابن أبي الدنيا: ٩٠/ الرقم٨٦. معجم الشعراء: ٤٣٢. الديباج للختلي: ٣٦، باختلاف يسير.

٤٨٤. لِيَكُنْ بَلَاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ الرَّاكِبِ[١].

اللام لأمر الغائب، وتفسير هذا القول على أحد وجهين؛ قولك: لِيضربْ زيد؛ أي: قُل له يكن ضارباً. أو من حقّه أن يكون ضارباً. و«**البلاغ**»: ما يُبلّغك المنزلَ، كقول القائل: حَسْبُك ما بلّغك المَحَلاّ[٢].

أمرَنا ﷺ بالتخفيف والتقليل من متاع الدُّنيا وحطامها إلاّ مقدار ما يَحتاج إليه المسافر في سفره، وإنّما نحن مسافرون في الدُّنيا إلى الآخرة.

وقال: «**زاد الراكِب**»؛ يعني راكب الفرس أو البعير؛ لأنّه لا يمكنه أن يَحمل على مركوبه حملاً ثقيلاً، فهو أمرٌ له بالتقليل والقناعة بما لابدّ منه ولا غِنىً عنه، كمَزادة[٣] ومِطهَرة، وما زاد على ذلك يكون وبالاً عليه في الدُّنيا، من الاشتغال بحفظه والتصرّف فيه طمعاً في الزيادة وحرصاً عليها وطول حسابٍ في الآخرة، فما قَدَّمتَ فهو لك، وما خَلَّفت فنفعُه لغيرك، ووبالُه عليك.

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٢٤، ح٧٢٨، عن سلمان. الزهد لأحمد بن حنبل: ١٢٥، قطعة من ح٨٢٥. المصنّف لابن أبي شيبة٨: ١٢٦، قطعة من ح١١. المستدرك على الصحيحين٤: ٣١٧، عن أبي سفيان، عن أشياخه.

(٢) في جميع المصادر: (شَرْعُك ما بَلَّغَكَ المَحَلَّا)؛ أي حَسبُك وكافيك، وهو مَثَلٌ يُضرَب في التبليغ باليسير. النهاية٢: ٤٦١ (شرع). وروي عن الإمام عليّ في غريب الحديث للخطابي٢: ٥٠١.

(٣) المَزادة: الظرف الذي يُحمل فيه الماء. النهاية٤: ٣٢٤ (مزد).

٤٨٥. اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ؛ شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ[١].

الاغتنام: اتّخاذ الغنيمة، وحذف الهاء من العدد لأنّه أراد الحالة. والشباب: خلاف الشيب، وأصله الرفع، يقول: «**شَبَّ الغلامُ**» إذا تَرعرَعَ، و«**شَبَّ الفَرَسُ**» إذا رفع يديه، وفَرَسٌ شَبوب، و«**شَبَّ النارَ يَشُبُّها شَبّاً**» إذا رفعها وأوقدها[٢]. والهَرَم: غاية في الشيب المؤدِّي إلى الخرف. والصحّة: سلامة البُنية، والسقم: نقيضها[٣]. والغِنى مقصوراً: نقيض الفقر. والغَناء: الكفاف. وبالكسر والمدّ ما يُتغنَّى به من الأغاني[٤]، وغنى بالمكان إذا قام به[٥]، قال تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾[٦].

والفقر: الحاجة[٧]. والفراغ: خلوّ المكان أو المحلّ ممّا كان فيه، ونقيضه

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٢٥، ح٧٢٩، عن عمرو بن ميمون الأودي. قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ٨٩، ح١١١. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٠٦، عن ابن عبّاس. الأمالي للطوسي: ٥٢٥، قطعة من ح١١٦٢، عن أبي ذرّ.

(٢) أُنظر: كتاب العين٦: ٢٢٣. النهاية٢: ٤٣٨. معجم مقاييس اللغة٣: ١٧٧ (شبب).

(٣) أُنظر: كتاب العين٣: ١٤ (صحح). النهاية٢: ٣٨٠ (سقم).

(٤) الأغاني: جمع الأُغنية والإغنية بمعنى نوع من الغناء يتغنَّون بها. لسان العرب ١٥: ١٣٩ (غنو).

(٥) الصحاح٦: ٢٤٤٩. كتاب العين٤: ٤٥٠ (غني). الفائق في غريب الحديث٢: ١٧.

(٦) سورة الأعراف ٧: ٩٢.

(٧) كتاب العين٥: ١٥٠. تهذيب اللغة٩: ١٠٢ (فقر).

الشغل[١]، وبالضمّ: ما يُشتغَل به، فِعلٌ بمعنى مفعول. والحياة: معنى تَصير به الجملة حيّةً. والموت: انتفاء الحياة، ولو كان معنى كان: ضدّ الحياة.

وهذه الخمسة التي ذكر **النبيُّ** مع الخَمس الأُخَر لا يعرف قدرَها إلاّ مَن فاتته الخمس الأُوَل، وحصل في ربقة[٢] الخمس الأُخَر؛ فإنّ الشابَّ إذا كان في سُكر شبابه على تعاطي شرابه مع معاشريه من أحبابه وأترابه، حَسِبَ أنّ ذلك أمرٌ يدوم، فيقعد به ويقوم، وظنَّ أنّه عيشٌ يَبقى ولا يفنى، فيشتغل باللهو والبَطَر، عن الفكر والنظر في العاقبة والمآل، وانقلاب الدهر من حالٍ إلى حال، فبينا هو إذ وَخَطَه[٣] القَتير[٤]، ووافاه النذير، فندم على فَوته، حين عَلِمَ أنّ الشيب رسولُ موتِه، وهو مطيّة الأجل، وطريدة الأمل.

وقال بعض الحكماء: الشيب واعِظٌ نصيح، ومجادِلٌ فصيح، وهو للجاهِل نذير، وللعاقل بشير[٥].

وقيل: الشَّيب مَركَب الحِمام[٦]، والشباب حُلْمُ[٧] النِّيام[٨].

وعن عكرمة في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

---

(١) المفردات: ٦٣٢ (فرغ).

(٢) الرِّبْقَةُ في الأصل: عروة فى حبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها. النهاية٢: ٩٠ (ربق).

(٣) وَخَطْتُهُ بالسيف وَخْطاً: تناولته من بعيد. كتاب العين٤: ٢٩٣ (وخط).

(٤) القَتِير: الشَّيب. كتاب العين٥: ١٢٦. النهاية٤: ١٢ (قتر).

(٥) التذكرة الحمدونيّة٦: ١٠، وفيه بعضه.

(٦) الحِمام: قضاء الموت. كتاب العين ٣: ٣٣ (حمم).

(٧) الحُلْم و الحُلُم: الرؤيا وما يراه النائم. الصحاح ٥: ١٩٠٣. لسان العرب ١٢: ١٤٥ (حلم).

(٨) أُنظر: البيان والتبين: ٣٧٨. عيون الأخبار٢: ٣٤٩.

قال: الشباب، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[١] يعني الشَّيب[٢].

فقال بعضهم:

نَعى[٣] نفْسي إلى نفْسي المَشيبُ وعنـد الشَّـيب يَـتَّعِظُ اللَّبيـبُ
لـئن كـان الشبابُ مَضى حبيباً فـإنّ الشـيبَ أيضـاً لـي حبيـبُ
سأَصـحَبُه بتقـوى الله حتّـى يُفـرِّق بيننـا الأجـلُ القريـبُ[٤]

وقيل: الشَّيب ضيفٌ إذا نزلَ بمنزلك لا يَرتحل إلاّ معكَ[٥].

وأنشَدَ ابنُ الأنباري:

واسَوأَتا[٦] مِن مَشيبٍ ضافَ[٧] أَرحُلَنا[٨] لـم نَقـرِه[٩] نُهيَـةً[١٠] مِنّـا ولا وَرَعـاً

---

(١) سورة التين٩٥: ٤ ـ ٥.

(٢) العمر والشيب: ١٥. الزهد لأبي داود: ٣٦٩/ الرقم٤٤٧.

(٣) النَّعي: خبر الموت، نَعَى الميّتَ لهم وإليهم: أخبرهم بموته. شمس العلوم ١٠: ٦٦٧٤؛ القاموس المحيط ٤: ٤٥٧ (نعي).

(٤) روى الصدوق بإسناده عن إبراهيم بن محمّد الحسني، قال: بعث المأمون إلى أبي الحسن الرضا جاريةً، فلمّا أدخلت إليه اشمأزّتْ من الشيب، فلمّا رأى كراهيتها ردَّها إلى المأمون، وكتب إليه بهذه الأبيات شعراً. عيون أخبار الرضا ٢: ١٩١، ح٨.

(٥) لم نعثر عليه.

(٦) السَّوأَة: كلّ عمل وأمر شائن. كتاب العين ٧: ٣٢٨ (سوأ).

(٧) ضِفتُ الرجلَ ضِيافةً: نزلتُ عليه ضَيفاً. الصحاح ٤: ١٣٩٢ (ضيف).

(٨) الأرحُل: جمع الرَّحل، وهو كلُّ شيء يُعَدُّ للرحيل من وِعاءٍ للمتاع ومَركبٍ للبعير وحِلسٍ ورَسَنٍ. المصباح المنير: ٢٢٢ (رحل).

(٩) القِرى: الإحسان إلى الضيف، قراه يَقربه قِرىً: أضافه. المحيط في اللغة ٦: ٧ (قري).

(١٠) النُّهية بالضمِّ: الاسم من النَّهي، وغاية الشيء وآخره. القاموس المحيط ٤: ٤٥٩ (نهي).

والشَّيبُ ضَيفٌ إذا ما حلَّ رُبعَ فتىً أَعيا[١] ترحّلُه أو يَرحَلان معا[٢]

الشبابُ غُرور، وصاحبه مغرور، والشَّيب توأم الموت[٣].

ومُزعِج المرء من البيت، وإبياض السواد نذير بقرب الحصاد، وقال:

وما الشَّيبُ إلّا تَوأَمُ الموت فاعتبِر فما لكَ عن وِرد المَنِيَّةِ[٤] مَهرَبُ[٥]

ولآخر:

والشَّيبُ إحدى المِيتَتَين تَقدَّمتْ أُولاهما وتَأخَّرتْ أُخراهما[٦]

والشباب يؤدّي إلى أحد أمرين: إمّا هَرَمٍ مُعجِز، أو موت مُجْهِز، ولابدّ من تركِكَ إحدى اثنتين؛ إمّا الشباب، وإمّا العمر.

فأمّا الصحّة فهي نعمةٌ من الله تعالى من أعظم نعمهِ على عباده، وهو من باب التمكين في التكليف؛ لأنّ كثيراً من العبادات لا تتأتّى بدونها، ولا يَعرف قَدْرَها إلاّ مَن ابتُلي بضدّها. والسُّقْم الذي يعدّه الإنسان مِحنَةً

---

(١) أعياني كذا: أتعَبَني، فأعييتُ: فتعبتُ، يُستعمل لازماً ومتعدّياً. المصباح المنير: ٤٤١ (عيي).

(٢) حلية المحاضرة١: ٧٢. ربيع الأبرار٣: ٤٤، ولم يذكر البيت الثاني.

(٣) البيان والتبيين: ٣٧٨. عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٣٤٩. التمثيل والمحاضرة: ٣٨٥، عن مالك بن أنس.

(٤) المَنِيَّةً: الموت؛ لأنّها مقدَّرة، والجمع: المَنايا. الصحاح ٦: ٢٤٩٧ (منا).

(٥) أُنظر: البيان والتبين: ٣٧٨. البصائر والذخائر٢: ٦١. التمثيل والمحاضرة: ٣٨٥.

(٦) الأمالي للسيّد المرتضى٣: ٦٦. معجم الشعراء: ٤٩٩. البصائر والذخائر٨: ٥٢، والشاعر: يحيى بن خالد.

فهو أيضاً نعمة؛ لأنّ في خلاله لطفاً واعتباراً، وفي مآله أعواضاً كِباراً، فمِن حقّ العاقل أن يغتنمها قبل فوتها؛ أعني الصحّة؛ فإنّها إذا فاتت، لم يبق في يده إلاّ حسرة لا تنقضي، وندامة لا تنحسر. وأمّا الغنى فإنّه آلةٌ وعُدَّةٌ يُتوصّل بها إلى كثيرٍ من المطالب والمنافع الدينيّة والدنيويّة؛ فإنّ الإنسان إذا كان له مالٌ يَتقوّى به على معيشته، كان في رفاهيةٍ من العيش، وفي استغناءٍ عن الناس؛ فإنْ أنفَقَه في مرضاة الله، وصَرَفه في وجوه البِرّ من الصلاة والزكاة والصدقات وصِلَة الإخوان والمتاجر الدينيّة التي وَعَدَ اللهُ سبحانه على واحدٍ سبعَمائة، مع المضاعفة لِمن يَعلم استحقاقه لذلك[1]، فإذا فات عنه يكون من أعظم الناس حسرةً، وأفظعهم خسراناً؛ ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبين﴾[2].

وأمّا الفراغ فهو أيضاً نعمةٌ مغتنَمة يجب أن يقترصها العاقل قبل فواتها؛ فإنّه إذا كان مشغول القلب، لا يَتأتّى منه شيء، وإن كان مشغول الجوارح لا يمكنه أن يستعملها في غير ما كان مشغولاً به في حالةٍ واحدة.

وأمّا الحياة فهي من أُصول النِّعَم التي لا يمكن الانتفاع بنعمةٍ مُنعمٍ إلاّ بها، وأُصولُ النِّعَم هي الحياة والقدرة والشهوة والنفار وكمال العقل والتمكين من نيل المشتهى؛ وإنّما سُمّيت هذه «**أُصول النِّعَم**» لأنّه

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللهُ واسِعٌ عَليم﴾، البقرة٢: ٢٦١.

(٢) سورة الحج٢٢: ١١.

لا يمكن الانتفاع بنعمةِ مُنعمٍ إلاّ بها، فهي إذاً ـ أعني الحياة ـ أصلٌ لأصول النعم؛ لأنّ جميع ما عددناه وجودُه متضمِّن لوجود الحياة.

فهذه الخمس يجب أن تكون مُغتَنَمَةً قبل طروّ أضدادها عليها من طريق التوسع في العبادة؛ فإنّها إذا فاتت، لا تُستدَرك ولا يَحصل صاحُبها منها إلاّ على تلهُّفٍ وتحسُّر، ولا سيّما الحياة. فقد قيل:

إنّما أنتَ أنتَ ما دُمتَ حيّاً فإذا مُتَّ صِرتَ تأويلَ رُؤياً[1]

٤٨٦.لِيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ[2].

اللام لأمر الغائب، وقد بيَّنّا معناه، وهي تَعمل الجزم في الفعل المضارع؛ لأنّ مأخذ الأمر من المستقبل، والكسرة إنّما جاءت لالتقاء الساكنين على غير حدّه، والمجزوم إذا حُرِّك حُرِّك إلى الكسر؛ لمناسبته بينها وبين الجرّ الذي هو من خصائص الأسماء؛ ليُعلم أنّها حركة

(١) روض الجنان٢: ١١٤.

(٢) مسند الشّهاب١: ٤٢٥ ، ح٧٣٠، عن ابن عائشة، عن أبيه. قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ١٢٩، قطعة من ح١٩٠، عن الحسن البصري. الكافي٢: ٧٠ / كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، قطعة من ح٩، عن حمزة بن حمران، عن الإمام الصادق. تاريخ اليعقوبي٢: ٨٩، باختلاف يسير.

مُستعارة؛ أي: ينبغي للعبد أن يأخذ من نفسه لنفسه؛ لأنّ العبادات على ضربين: عبادةٌ تتعلّق بالأبدان، وعبادةٌ تتعلّق بالأموال. ولا يمكن للمكلّف أن يأخذها إلاّ من نفسه ليَدَّخرها لنفسه؛ لأنّ ما كُلِّف به لا يقوم به غيره من نوعَيِ العبادة، فالمراد أنّه يجب عليه عقلاً وشرعاً أن يكتسب ويعمل نفسه فيما ينفعه من أداء الواجبات واجتناب المقبِّحات والقيام بالتكاليف الشرعيّة؛ ليكون خيراً له في الدُّنيا، وذُخراً في العُقبى.

«**ومن دنياه لآخرته**»؛ معناه معنى الحديث الأوّل، وقد أجمع العلماءُ والخطباء على ذَمّ الدُّنيا، غير أنّ **أمير المؤمنين** خطبَ خطبةً يمدَح فيها الدُّنيا، وقد صدقَ فيما قال، فهو في ذلك وغير ذلك، كما قال القائل:

إذا قالت حَذامِ[١] فَصَدِّقوها فإنّ القول ما قالت حَذامِ[٢]

فقال ﷺ: وقد سمع رجلاً يذمّ الدُّنيا: «**أيُّها الذامّ للدُّنيا، تَغتَرُّ بالدُّنيا ثمّ تذمّها؟! أنتَ المتجرّم عليها، أم هي المتجرّمة عليك؟! متى استهوتْك؟ أم متى غرّتك؟! أفبمَصارع آبائك في البلى، أم بمضاجع أُمّهاتك تحتَ الثَّرى؟! كم عَلَّلتَ بكَفَّيك، ومَرَّضتَ بيديك، تبتغي لهم الشفاءَ، وتَستوصِف لهم الأطبّاءَ، لم يَنفع أحدَهم إشفاقُك، ولم تُسعَف فيه**

(١) حَذامِ: اسم من أسماء النساء، مبنيّ على الكسر. شمس العلوم ٣: ١٣٧٤ (حذم).

(٢) كتاب العين٣: ٢٠٤ (حذم). الاشتقاق: ١١٨. الفاخر: ١٤٦ وفيه: (حكى أبو عبيدة أنّه سمع ابنَ الكلبي يقول: إنَّ هذا البيت للُجَيم بن صعب والد حنيفة وعِجْل ابني لجيم، وكانت حذام امرأته).

بطلبتك، ولم تَدفع عنه بقوّتك، قد مَثَّلَتْ لك به الدُّنيا نفْسَك، وبمَصرعه مصرعَك! إنّ الدُّنيا دار صدقٍ لمَن صدق بها، ودار عافيةٍ لمَن فهم عنها، ودار غنىً لمَن تَزَوَّدَ منها، ودار موعِظَة لمَن اتَّعَظَ بها؛ مسجدُ أحبّاء الله، ومُصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومَتجَر أولياء الله، اكتَسبوا فيها الرحمة، ورَبِحوا فيها الجنّة، فمَن ذا يَذُمّها؟ وقد آذَنَت بينَها، ونادَت بفِراقها، ونَعَتْ نفسَها وأهلَها، فمَثَّلَتْ لهم ببلائها البلاءَ، وشَوَّقَتْهم بسُرورها إلى السُّرور، راحتْ بعافيةٍ، وابتَكَرتْ بفجيعةٍ، ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذَمَّها رجال غداةَ الندامة، وحَمِدَها آخرون يوم القيامة، ذَكَّرتْهم الدنيا فتذكَّروا، وحدَّثَتْهم فصَدَّقوا، ووَعَظَتْهم فاتَّعَظوا»[1].

ولقد خطبَ عليه السلام خُطَباً طويلةً في ذمّها[2]، فهذا لَعَمري هو البلاغة البليغة، والفصاحة الظاهرة؛ مدحُ الشيء بمحامِده، وذمُّه بمَذامّه!

وفي الخبر: أنّ الرجلُ إذا قال: لعن الله الدُّنيا! قالت الدُّنيا: لعنَ الله أعصانا لله[3]!

---

(١) نهج البلاغة / الحكمة١٣١.

(٢) راجع: نهج البلاغة/ خطب ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا تَسُبُّوا الدُّنيا؛ فَنِعمَت مَطِيَّةُ المُؤمِنِ، فَعَلَيها يَبلُغُ الخَيرَ، وبِها يَنجو مِنَ الشَّرِّ. إنَّهُ إذا قالَ العَبدُ: لَعَنَ اللهُ الدُّنيا، قالَتِ الدُّنيا: لَعَنَ اللهُ أعصانا لِرَبِّه»**. أعلام الدين: ٣٣٥. بحار الأنوار٧٧: ١٧٨/ باب ما جمع من مفردات كلمات **الرسول** وجوامع كلمه، ح ١٠، عن أبي موسى الأشعري. المستدرك على الصحيحين٤: ٣١٢، عن طارق باختلاف.

وهَبْ أنّ الدُّنيا جامعة لجميع المعايب؛ أَلَيس لها مَحمَدةٌ توازيها وترجح عليها؟ وهي أنّ الآخرة الباقية وثواب الأبد لا يُنال إلّا بها وفيها، ولذلك قال ﷺ: «**ومن دُنياه لآخرته**»؛ فإنّ زاد الآخرة لا يؤخذ ولا يُعَدُّ إلّا في الدُّنيا؛ ألا ترى إلى قوله تعالى حكايةً عن المنافقين والمؤمنين: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورا﴾[١].

«**وَمِنَ الشَّبِيبَةِ**»، وهي الشباب، يُقال: رجلٌ شابٌّ بين الشباب والشبيبة. وأراد بالكِبَر: الشَّيب وكبَر السنّ؛ فإنّ ما يَعمل الرجُلُ في أيّام شبابه لا يمكنه أن يَعمل أيّامَ الشَّيب؛ لفَقْد القوّة، وضعف الآلة، وقلّة النشاط[٢].

وقال بعضهم في مدح الشيب:

كفى بالشَّيبِ مِن ناهٍ مُطاعٍ على كُرهٍ ومِن داعٍ مُجابِ
فقلتُ مُسلِّماً للشَّيبِ: أهلاً بهادي المُخطِئين إلى الصوابِ[٣]

«**وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ**»؛ لأنّك إنّما تكتسب ما تنجو به في حياتك، وتعمل ما تحوز به أجراً في عمرك، فإذا مُتَّ وفاتتك الحياة، فاتكَ طريق الفوز والنجاة[٤]، فما بعد الدُّنيا من دارٍ إلّا

---

(١) سورة الحديد٥٧: ١٣.

(٢) راجع: النهاية ٢: ٤٣٨. مجمع البحرين٢: ٨٥ (شبب).

(٣) التبصرة لابن الجوزي: ١٨٧.

(٤) وزاد في تحف العقول (ص ٢٨) بهذا الحديث: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ)؛ أي: ليس بعد الموت من استرضاء؛ لأنّ الأعمال بطلت و انقضى زمانها. وما بعد الموت دار جزاء لا دار عمل. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٧٥ (عتب).

الجنّة أو النـار، ومَن أخـطأ الـجنّة دخـلَ النـارَ؛ لأنّ الـدار داران؛ دار ثـواب ودار عقـاب، والرجـلُ رجـلان؛ مـؤمنٌ مسـتحقّ للثـواب، وكـافرٌ مستحقٌّ للعـقاب، فهـذا ما عـليه إجماع المسلمين. فأمّا فُسّاق أهل الصلاة إن مـاتوا عـلى التوبـة، فـلا خـلاف فـيهم أنّـهم مـن أهـل الـجنّة. وإن مـاتوا مصـرّين علـى فسـقهم، فـأمرهم إلـى الله؛ إنْ شـاءَ عَذَّبَهم بعدلِهِ، وإنْ شاءَ عفا عنهم بفضله[1].

وقال الشاعر في هذا المعنى:

الموتُ بابٌ وكُلُّ الناس داخلهُ ... يالَيتَ شِعري بَعدَ البابِ ما الدارُ

الدارُ جَنَّةُ عَدنٍ إن عَمِلتَ بما ... يُرضِي الإلهَ وإن خالفتَ فالنارُ

هما مَحلّانِ ما للناسِ غيرُهما ... فَاختَر لنفسِك ماذا أنت تَختار[2].

٤٨٧. كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافاً، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً، وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمُ الرِّقَّةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ، لَا يَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ[3].

هذا الحديث وارد أيضاً على معنى الحديث الأوّل في الحَثّ على

---

(١) أُنظر: التبيان٢: ٥٢٤، سورة آل عمران. جمل العلم والعمل: ٣٨. تفسير فخر الرازي٣٠: ١٦٥، سورة الجنّ.

(٢) كتب رجل إلى صالح بن عبد القدّوس البيت الأوّل فأجابه بالبيتين. أدب الدنيا والدين: ١٢٦. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٦٩٥ رقم١٢٣٧، وليس فيه البيت الأخير.

(٣) مسند الشّهاب١: ٤٢٦، ح٧٣١. حلية الأولياء١: ٣٥٨. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٣٠٣، ذيل ح٤٢٨، عن الحكيم بن عمير. كنز الفوائد: ١٦٠.

الزُّهد في الدُّنيا واتّخاذها دار ضيافةٍ؛ فإنّ الضيف لا يَلبَث في منزل المُضِيف إلّا مقدار ما يَتناول شيئاً، ثمّ يَرتحِل، فقال: كونوا في الدُّنيا كذلك، ولا تَتَّخذوها منزل مقامٍ؛ فإنّكم إن لم تفعلوا يُفعَل بكم على رغمكم، وأنتم غيرُ محمودين. واجعلوا المساجد بيوتكم بكثرة الجلوس فيها؛ فإنّ الجلوس فيها عبادة(١).

وروى الأصبغ بن نباتة عن **أمير المؤمنين**عليه السلام أنّه قال: «**من اختلفَ إلى المسجد أصابَ إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو أخاً مستطرَفاً، أو آيةً مُحكَمةً، أو يَسمع كلمةً تَدلُّه على الهُدى، أو كلمةً تَرُدُّه عن ردىً، أو رحمةً مُنتظَرةً، أو يَترُك ذنباً خشيةً أو حياءً**»(٢).

وروي عن **الصادق جعفر بن محمّد**عليهما السلام أنّه قال: «**مَنْ مَشَى إِلَى**

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «**قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَ تَعَالَى - إِنَّ بُيُوتِي فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ؛ تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ النُّجُومُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ. أَلَا طُوبَى لِمَنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُ. أَلَا طُوبَى لِعَبْدٍ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي ...**» الحديث. المحاسن ١: ٤٧ / كتاب ثواب الأعمال، ح٦٤. من لا يحضره الفقيه١: ٢٢٨/ بَابُ فَضْلِ الْمَسَاجِدِ وَحُرْمَتِهَا وَثَوَابِ مَنْ صَلَّى فِيهَا، ح٧٢٠. ثواب الأعمال: ٢٦/ ثواب إتيان المساجد، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٧ /بَابُ فَضْلِ الْمَسَاجِدِ وَحُرْمَتِهَا وَثَوَابِ مَنْ صَلَّى فِيهَا، ح٧١٣. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٧، ثواب الاختلاف إلى المساجد. مسند ابن حنبل٢: ٤١٨، عن أبي هريرة، عن رسول الله، باختلاف يسير.

الْمَسْجِدِ، لَمْ يَضَعْ رِجْلاً عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ، إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ الْأَرْضُ إِلَى الْأَرَضِينَ السَّابِعَةِ»[١].

وقال **أمير المؤمنين**ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَلْفُ صَلَاةٍ، وَ صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِائَةُ صَلَاةٍ، وَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْقَبِيلَةِ خَمْسٌ وَ عِشْرُونَ صَلَاةً، وَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ السُّوقِ اثْنَتَا عَشْرَةَ صَلَاةً، وَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ وَحْدَهُ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ**»[٢].

«**وعَوِّدوا قلوبكم الرِّقة**»: تعويدُ القلوب الرقَّةَ إنّما يكون بالمداومة على النظر والاعتبار بتقلّب الدهر وما يَحدُث في الأيّام والليالي من أنواع العِبَر، فمَن داوَمَ على ذلك رَقَّ قلبُه، ومَن غَفَلَ قسا قلبُه؛ فرقَّةُ القلب داعيةٌ إلى الطاعة، وقَسوَتُه داعية إلى العصيان والطغيان.

وفي الخبر: «**عليكم بأكل العدس؛ فإنَّه يُرِقُّ القلبَ، ويُكثِر الدَّمعة**»[٣].

---

(١) تهذيب الأحكام ٣: ٢٥٥/ بَابُ فَضْلِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا وَفَضْلِ الْجَمَاعَةِ وَأَحْكَامِهَا، ح٢٦، عن عليِّ بن الحكم. ثواب الأعمال: ٢٧/ ثواب المشي إلى المساجد، عن محمّد بن هارون. فلاح السائل ونجاح المسائل: ٩١/ ذكر فضل بعض المساجد وتفاوت الصلاة فيها.

(٢) تهذيب الأحكام ٣: ٢٥٣/ بَابُ فَضْلِ الْمَسَاجِدِ وَ الصَّلَاةِ فِيهَا وَ فَضْلِ الْجَمَاعَةِ وَ أَحْكَامِهَا، ح١٨. جامع الأخبارللشعيري: ٦٨ /فصل في فضائل المساجد، عن أبي جعفر . سنن ابن ماجة ١: ٤٥٣ / باب ما جاء في الصلاة في المسجد الجامع، ح١٤١٣، عن رسول الله مع اختلاف.

(٣) قال **الإمام الصادق**ﷺ: «**شَكَا رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ قَسَاوَةَ الْقَلْبِ، فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ بِالْعَدَسِ؛ فَإِنَّهُ يُرِقُّ الْقَلْبَ، وَيُسْرِعُ الدَّمْعَةَ**»، الكافي٦: ٣٤٣/ باب العدس، ح٣. المحاسن ٢: ٥٠٤ / كتاب المآكل، ح٦٣٧، عن عبد الرحمن بن زيد. مكارم الأخلاق: ١٨٨، باختلاف يسير.

وأدعى شيء إلى رقّة القلب ما ذكره من كثرة التفكّر؛ فإنّ التفكر في آلاء الله من أعظم العبادات وعنه ﷺ: «**تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة**»[١].

وروي أنّ **رسول الله** ﷺ خرج إلى أصحابه فرآهم يتحدّثون، فقال لهم: «**فيم أنتم؟**»، قالوا: في التفكُّر في الله. فقال: «**تَفَكَّروا في آلاءِ الله، ولا تفكَّروا في الله؛ فإنّ التفكُّرَ في الله لا يزيد إلّا حَيرةً**»[٢].

وأمّا البكاء من خشية الله فقد روي: أنّ العبد إذا ذَكَرَ ذنبَه، وبكى من خشية الله، تَبادَرَتِ الملائكةُ لأخذ تلك العبرات، فأَخَذوها وجعلوها في حُقَّةٍ مِن نور، وادَّخروها له في خزائن الرحمة، فإذا حوسب العبد، وخَفَّ ميزانُ حسناته تعلّقت به ملائكة العذاب، وجَرُّوه إلى جهنّم، فإذا أرادوا إلقاءه فيها، قال تعالى: لا تَعجلوا بعبدي؛ فإنّ له عندي وديعةً فوقِّفوه. فإذا ملكٌ يأتي تلك الحقّةَ الّتي فيها عبراته، فيصبّها على النار، فتخمد وتتباعد عنه مسيرة سبعين سنةً، فيؤمر به إلى النار[٣].

«**لاَ يَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ**»؛ نهى عن اختلاف الرجُلِ في أهوائه، وأن يَضَعَ زمامه في يد هواه حتّى يَقوده إلى مهالكه؛ فإنّه قيل في مَثَلٍ: هَوَى مَن اتَّبع

---

(١) تفسير القرطبي٤: ٣١٤، سورة آل عمران. تفسير الفخر الرازي٢٢: ٤٤، سورة طه. تفسير العياشي٢: ٢٠٨، سورة الرعد، ح٢٦، عن أبي العبّاس، عن الإمام الصادق.

(٢) تفسير الثعلبي٩: ١٥٥، سورة النجم، عن أبي هريرة. تفسير ابن أبي حاتم٣: ٨٤٢، سورة آل عمران، ح٤٦٥٩، عن عبدالله بن سلام. ربيع الأبرار١: ٨٩، عن أبي برزة، باختلاف. الكافي١: ٩٢/ كتاب التوحيد، باب النهي عن الكلام في الكيفية.

(٣) لم نعثر عليه.

الهوى، ووقع في الردى! وقد ذَمَّ الله الهوى في كتابه في مواضع؛ منها: قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾[١] و ﴿اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾[٢] ﴿وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ الله﴾[٣].

قوله ﷺ في الحديث: «**كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافاً**»؛ الأضياف: جمع ضَيفٍ، ويُجمَع أيضاً على الضيوف والضِّيفان، والأوّل جمع القلّة، والثاني جمع الكثرة. ومن العرب من يقول: الضيف على لفظ المصدر لا يُثنَّى ولا يُجمَع، يقول: رجُلٌ ضَيفٌ، ورجُلان ضيف، ورجال ضيف، وامرأة ضيف، وامرأتان ضيف، ونسوة ضيف[٤]. والمساجد: جمع مسجد، وهو موضع السجود الّذي يُسجَد عليه، ويقال للأعضاء السبعة الّتي يُسجَد عليها أيضا: «مساجد»، إلّا أنّ واحدها مسجَد[٥]. والبيوت: جمع بيت، وهو موضع البَيتوتة[٦]. والتعويد: جعلُ الشيء عادةً. والعادة: سجيَّةٌ يُعادُ إليها[٧]. والتفكّر: تفعُّلٌ من الفكر، وهو معنى يُفعَل بالقلب. والبُكاء: إراقة الدَّمع مع

---

(١) النجم٥٣: ٢٣.

(٢) القصص٢٨: ٥٠.

(٣) ص٣٨: ٢٦.

(٤) أُنظر: الصحاح٤: ١٣٩٢. العين٧: ٦٦ معجم مقاييس اللغة٣: ٣٨٠ (ضيف).

(٥) أُنظر: العين٦: ٤٩. المحيط في اللغة٢: ٨٨ (سجد).

(٦) الصحاح١: ٢٤٤. معجم مقاييس اللغة١: ٣٢٤ (بيت).

(٧) شمس العلوم٧: ٤٨٢٠ (العادة). لسان العرب٣: ٣١٦ (عود).

تشنّج في الوجه[١]. والأهواء: جمع هوًى، مقصور، كرَحى وأرحاء، والهواء ممدودٌ يُجمَع على أهوية، كدواء وأدوية، يُقال: هَوى يَهوي هَوى إذا عشق، وهَوَى يَهوي هُويّاً إذا سقط[٢].

٤٨٨. أَكْرِمُوا الشُّهُودَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَسْتَخْرِجُ بِهِمُ الْحُقُوقَ، ويَدْفَعُ بِهِمُ الظُّلْمَ[٣].

الشهود: جمع شاهد، وهو من جُموع الكثرة، وجمع قليله: أشهاد[٤].

أمَرَنا ﷺ بإكرام الشهود واحترامهم، خصوصاً إذا كانوا عدولاً؛ فإنّ العدالة شرطٌ في الشّهادة[٥]، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٦]، ثمّ بيّن جهة استحقاقهم للإكرام والاحترام فقال: فإنّ الله يستخرج بهم الحقوق؛ لأنّ مَن يدّعي

(١) أُنظر: الصحاح٦: ٢٢٨٤. المفردات: ١٤١(بكي).

(٢) الصحاح٦: ٢٥٣٧ (هوي).

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٢٦، ح٧٣٢. طبقات المحدِّثين بأصبهان٤: ٢١٩. تفسير الثعلبي٢: ٢٩٣، عن ابن عبّاس.

(٤) الاسم المجموع على ضربين: ما صحّ فيه واحدُه، و ما كسر فيه... والثاني يعمُّ من يَعلم وغيرهم في أسمائهم وصفاتهم كرجال وأفراس وجعافر وظراف وجياد... وينقسم إلى جمع قِلَّة وجمع كثرة. فجمع القلَّة العشرة فما دونها، وأمثلته أفعُل أفعال أفعِلَةْ فِعْلة، كأفلُس وأثواب وأجرِبَة وغِلْمَة. ومنه ما جمع بالواو والنون، والألف والتاء. وما عدا ذلك جموع كثرة. المفصل في صنعة الإعراب: ٢٣٥.

(٥) راجع: الاستبصار ٣: ١٢ /كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الْعَدَالَةِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الشَّهَادَة. جواهر الكلام ٤١: ٢٥ /كتَابُ الشَّهَادَاتِ، الوصف الرابع العدالة.

(٦) سورة الطلاق٦٥: ٢.

على غيره حقّاً لا يمكنه استخراجه إلّا ببيّنةٍ لقوله ﷺ: **«البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه»**[١]. ويروى: **«واليمين على مَن أنكر»**[٢]. والبيّنة هي شهادة شاهدين، وإنّما سمّيت الشّهادة بيّنة؛ لأنّ بها يتبيّن الحقُّ من الباطل، والصّدق من الكذب. وأراد بالحقوق حقوق المدّعين على المدّعى عليهم.

«**وَيَدْفَعُ بِهِمُ الظُّلْمَ**»؛ أراد ظلم المدّعى عليه بأن لا ينصف المدّعي ولا يقرّ بحقّه، أو ينقص من حقّه شيئاً، أو يحلف كاذباً، فإذا شهد للمدّعي شاهدان لا يمكنه أن يظلم هذا الظّلم، الشهادة عندنا ليست شرطاً في انعقاد شيء من العقود، وبه قال جميع الفقهاء إلّا في النكاح[٣]، فإنّ أبا حنيفة والشافعي، قالا: من شرط انعقاده الشهادة. وقال داود وأهل الظاهر: الشهادة على البيع واجبة. وبه قال سعيد بن المسيّب[٤].

لا يُثبَت الطلاق والنكاح والخلع والرجعة والقذف والقتل الموجب

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢ / بَابُ الصُّلْح، ح٣٢٦٧. الكافي٧: ٤١٥/كِتَابُ الْقَضَاءِ وَالْأَحْكَام، بَابُ أَنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْه، ح١، عن رسول الله، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق. سنن الترمذي٢:٣٩٩/ باب ما جاء في البيّنة على المدَّعي واليمين على المدَّعي عليه، ح١٣٥٦، عن عبدالله بن عمرو.

(٢) الخلاف٣: ١٤٨، مسألة ٢٣٦، عن ابن عبّاس. فقه الرضا : ٣١١/ باب الديات. سنن البيهقي٨:١٢٣/ كتاب القسامة، باب أصل القسامة والبداية فيها مع اللوث بأيمان المدَّعي، عن عبدالله بن عمرو.

(٣) راجع الخلاف٦: ٢٤٦/ كتاب الشهادات، مسألة ١.

(٤) راجع كتاب الأمّ ٥: ١٧٨/باب نكاح الولاة والنكاح بالشهادة. المجموع١٦: ١٩٩.

للقود، والوكالة والوصيّة إليه والوديعة عنده والوثوق والنَّسَب والكناية ونحو ذلك ممّا لم يكن مالاً ولا المقصود منه المال ويَطَّلع عليه الرِّجال إلّا بشهادة رجلين، ولا تثبت بشهادة رجلٍ وامرأتين، وبه قال الشافعي، وزاد الشافعي: لا ينعقد النكاح إلّا بشهادة رجلين. وقلنا: لا يثبت الطلاق إلّا بشهادة رجلين، ولا مدخل للنساء في الأشياء التي ذكرناها، وبه قال مالك والأوزاعي والنخعي. وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه: هذه كلّها تثبت بشهادة رجلٍ وامرأتين إلّا القصاص؛ فإنّه لا خلاف فيه[1]. ومسائل الشهادة كثيرة، وهذا القَدر كافٍ هاهنا.

٤٨٩. اِتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ؛ يَقُولُ اللهُ تَعَالى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ[2].

الاتّقاء: الاحتراز والحَذَر[3]. والدعوة: الواحدة من الدعاء[4]، وهذا يدلّ على أنّ الألف في الدعاء منقلبة عن الواو، وكذلك في دعاء، ويدلّ عليه أيضاً يدعو في المستقبل. والمظلوم: الذي أصابه الظلم. والغمام:

(١) الخلاف٦: ٢٥٢/ كتاب الشهادات، مسألة٤.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٢٦، ح٧٣٣، خزيمة بن ثابت. مسند ابن حنبل٢: ٣٠٥. صحيح ابن حبّان٣: ١٥٨. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٤٢٦، قطعة من ح١٤٢٠، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٦: ١٣١. مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨١ (وقى).

(٤) النهاية في غريب الحديث٢: ١٢٣ (دعو).

السحاب؛ لأنّه يَغُمُّ السماءَ أي يَستره[١]، وهو كناية عن رفعها إلى السماء، وأنّها لا تُردّ ولا تُحجَب؛ بل تُقرَن بالإجابة. والواو في «**وعزّتي وجلالي**» للقَسَم، واللام جوابه، ونون التأكيد مؤكِّدة للقَسَم. والحين: الزمان غير المعيَّن.

وروي: أنّ رجلاً عاهدَ الله أن لا يُكلِّم امرأته حيناً من الزمان، فجاء إلى أبي بكر فسأله، فقال: لا يحلُّ لك أن تكلّمها إلى يوم القيامة. قال: من أين قلت؟ قال: من قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٢]. فجاءَ إلى عمر فسأله، فقال: لا يحلّ لكَ أن تكلّمها إلى أربعين سنة. قال: من أين قلت؟ قال: من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾[٣]، والمراد بالحين هاهنا أربعون سنة التي كان فيها طين آدم مطروحاً بين مكّة والطائف. فجاء إلى عثمان وسأله عنها فقال: لا يحلُّ لكَ أن تكلّمها إلى سنة من قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٤]. فجاءَ إلى **عليّ** عليه السلام فسأله، فقال: «**إن قلتَ هذا القول بالغداة فكلّمها وقت الظّهر، وإن قلتها وقت الظهر فكلّمها بالمساء**». فقال: من أينَ قلت؟ قال: من قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ

(١) مجمع البحرين٦: ١٢٨. لسان العرب١٢: ٤٤٤ (غمم).

(٢) سورة البقرة٢: ٣٦.

(٣) سورة الإنسان٧٦: ١.

(٤) سورة إبراهيم١٤: ٢٥.

الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[١]. فسَمَّى هذه الأوقات حيناً من الزمان[٢].

ولو أنّ إنسانا نذر أن يصوم حيناً، فروي عن أئمّتنا أنّه يجب عليه أن يصوم ستّة أشهر؛ لقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٣][٤]. والنخل ترجع إلى الحمل كلّ ستّة أشهر، وأوقات النهار لا تتأتّى في الصوم. وجاء الحين بمعنى مدّة غير معيّنة في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[٥].

ومعنى الخبر: التحذير عن دعاء المظلوم؛ فإنّه يُستجاب ولو بعد مدّة بحسب المصلحة. وقال ﷺ: «**ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربّ: وعزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين**»[٦].

---

(١) سورة الروم٣٠: ١٧ و ١٨.

(٢) راجع بحار الأنوار١٠١: ٢٤٤/ باب ٤ أحكام اليمين و النذر و العهد ... ، ح١٦٥.

(٣) سورة إبراهيم١٤: ٢٥.

(٤) سئل **الإمام الصادق**عليه السلام عمَّن نذر أن يصوم حيناً ولم يُسَمِّ شيئاً بعينه، فقال: «**كان أمير المؤمنين يلزمه أن يصوم ستّة أشهر، ويتلو قول الله**عزّ وجلّ: ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها﴾». المقنعة: ٣٧٨/باب آخر من الزيادات.

(٥) سورة ص٣٨: ٨٨.

(٦) سنن الترمذي٥: ٢٣٦، ح٣٦٦٨، سنن ابن ماجة١: ٥٥٧/ باب في الصائم لا تُرَدُّ دعوته، ح١٧٥٢، مسند ابن حنبل٢: ٣٠٥، عن أبي هريرة.

ولبعضهم في هذا المعنى:

لئن أُبطِئَتْ صِرعةُ[١] الظالمين على ما ترى من جناياتها
فليس بمُغفِلها ربُّها ولكن إلى حينِ ميقاتها[٢]

٤٩٠. ارْحَمُوا ثَلَاثَةً: غَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرَ، وَعَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ، وَعَالِماً يَلْعَبُ بِهِ الحَمْقى وَالْجُهَّالُ[٣].

أمَرَنا ﷺ بالرحمة على هؤلاء الثلاثة؛ من حيث إنّهم بمكان الرحمة والعطف عليهم؛ لأنّ الغنيَّ إذا كان مدّةً مِن عمره في خفض عيشٍ ورفاهيّة غير محتاج إلى أحدٍ، ثمّ افتقر فصارَ في ذلٍّ ومهانة وخشونة عيشٍ يحتاج إلى الناس، صار بمكان الرحمة، وكذلك العزيز إذا ذلّ. وكفى في هذا المعنى حديث البرامكة وأنّهم كيف كانوا في المُلك والعزّ والنعمة، وصاروا في الحبس والذلّة والحاجة.

قال أحمد بن عبيد: لمّا سخط الرشيد على البرامكة، وقتل جعفر بن يحيى، وحبسَ يحيى بن خالد، كَتب يحيى إليه من الحبس بقصيدةٍ أوّلها:

قل للخليفة ذي الصنا ئع[٤] والعَطايا الفاشيه

---

(١) الصرع بالفتح: الطرح بالأرض. والصرعة بالكسر للنوع. القاموس المحيط ٣: ٦٤ (صرع).

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) مسند الشِّهاب ١: ٤٢٧، ح٧٣٤، عن عبدالله بن مسعود.

(٤) الصنائع: جمع الصَّنيعة، وهو ما اصطنعتَ من خير إلى غيرك. كتاب العين ١: ٣٠٥ (صنع).

وابنِ الخَلائفِ من قُري شٍ والمـلوكِ الهاديه
أيـنَ البَرامِكة الـذي نَ رُمُوا[١] لَـدَيكَ بداهية
عمَّتهم لـك سَخطةٌ لـم تَبقَ منهم باقية
فكأنَّهم ممّا بهم أعجازُ[٢] نَخلٍ خاوية[٣]
صُفر الوجوه عليهم خِلَعُ المذلَّة بادية
متفرِّقين مُشَتَّتِي نَ بكلّ أرضٍ قاصية
بَعدَ الإمارة والوزا رة والأُمور السامية
ومنازلَ كانوا بها فوقَ المنازلِ عالية
أَضحَوا وجُلُّ مُناهم منك الرِّضى والعافية
فانظُر إلى الشيخ الكب يرِفنفسُه لك راجية
فاليومَ قد سَلَبَ الزما نُ كرامتي وبَهائيه

في قصيدةٍ طويلة قال: فلمّا قرأها هارون بكى رقّةً لتلك الحال، ثمّ قال: تلكَ نِعْمةٌ زالت! وقال لمسرور الخادم: قُل له: إنّما مَثَلي ومثلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً

(١) رُمُوا: قُذِفوا ونُسِبوا، رَمَى فلان فلاناً: قذفه. تهذيب اللغة ١٥: ١٩٩ (رمي).

(٢) الأعجاز: جمع العَجُز، وهو مِن كلِّ شيء: مؤخَّره. والمراد أُصول النخل. المصباح المنير: ٣٩٤ (عجز).

(٣) الخاوية: المنقلقة والساقطة. لسان العرب ١٤: ٢٤٥ (خوا).

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١][٢].

في قصّتهم مُعتبَرٌ لمن اعتبر بها، وعِظَةٌ لمَن اغترَّ بالسلطان والعزّة الحاصلة من قِبلِهِ، ولهذا قال: «**مَن اعتزَّ بالعَبيد، أذَلَّه الله**»[٣].

وأمّا العالم في أيدي الجهّال والحمقى فهو أيضاً بمكان الرحمة؛ لأنّهم لا يعرفون قَدرَه، ولا يحترمونه حقّ حُرمته؛ لأنّ العلم لا يحترمه إلّا مَن كان مِن أهله، ولهذا قال ﷺ: «**إنّما يَعرف الفضلَ لأهل الفضل ذوو الفضل**»[٤].

وقيل: إنّ بعض الملوك صادَرَ رجلاً من أهل العلم، فعُوقب بأنواع العقوبة، فلم يَرشَح لهم بشيء فأعياهم أمرُهُ، فقال بعض أعوانه: ما هكذا يُعذَّب مثلُه. قيل له: كيف؟ قال: اجمعوا بينه وبين أضداده من السُّفهاء وأوباش الناس! ففَعَلوا ذلك، وحبسوه في سجن العامّة، فجعلوا يسخرون منه ويستهزؤون ويصفعونه[٥]، فأرسل إليهم وقال: أخرجوني من بين هؤلاء، ولكُم ما تريدون! فأُخرج، وبذلَ ما أرادوا.

---

(١) سورة النحل١٦: ١١٢.

(٢) المحاسن والمساوئ١: ٢٢٨. العقد الفريد٥: ٣٢٧، باختلاف يسير.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٢٢٧، ح٣٥٠. أحكام القرآن ٢: ٣٦٢. قوت القلوب٢: ٦، عن عمر بن الخطّاب.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ١٩١، ح١١٦٤، عن أنس بن مالك. فضائل الصحابة لابن حنبل٢: ٦٦٥، ح١١٣٣، عن الحسن. عيون الحكم والمواعظ: ١٨٠، ح٣٦٩٠.

(٥) الصَّفع: الضرب على القفا. شمس العلوم ٦: ٤ (صفع).

وفُسِّر قوله تعالى في أحد الأقوال: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾[١] لأجمعنَّ بينه وبين ضدّه[٢].

ورويَ: أنّ رجلاً سأل في مسجد رسول الله بحضرته فقال: رجلٌ غريب! فقال ﷺ: «**يا هذا، لا تقُل: غريب؛ فقد قَطعتَ أنياطَ قلبي! إنّما الغرباء أربعة**»، قيلَ: مَن هُم يا **رسول الله**؟ قال: «**مسجدٌ بين ظَهرانَي قومٍ لا يُصلّون فيه، ومُصحَفٌ في بيت رجلٍ لا يُقرأ به، وأسيرٌ في بلاد الكفر في أيدي قومٍ لا يَعرفون مَن ربُّهم، وعالِمٌ بين جُهّال وحَمقى يلعبون به**»[٣].

تَعَشُّوا وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشَفٍ؛ فَإِنَّ تَرْكَ الْعَشَاءِ مَهْرَمَةٌ[٤].

أمَرَنا ﷺ بالتعشّي، وهو الأكل بالعِشاء، والعَشاء بالفتح: طعام العِشاء[٥]، وإذا قيلَ لكَ: هَلُمَّ تَغدَّ وتَعَشَّ. قلتَ: ما بي [مِن] تَغَدٍّ ولا

(١) سورة النمل٢٧: ٢١.

(٢) كشف الأسرار وعدّة الأبرار٧: ٢٠٢.

(٣) مستدرك الوسائل٧: ٢١٦/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِيْثَارِ عَلَى النَّفْسِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ لِغَيْرِ صَاحِبِ الْعِيَال، ح٨٠٧٥، عن عبدالله بن مسعود باختلاف، نقلاً عن تفسير أبي الفتوح. تنبيه الغافلين للسمرقندي١: ٣٠٥، ح٤٣٢. الفردوس٣: ١٠٨، ح٤٣٠١، عن أبي هريرة.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٢٨، ح٧٣٥. سنن الترمذي٣: ١٨٨ / باب ما جاء في فضل العشاء، ح١٩١٧. مسند أبي يعلى٧: ٣١٤، ح٤٣٥٣. المعجم الأوسط٦: ٣٥٠، عن أنس بن مالك.

(٥) الصحاح٦: ٢٤٢٧. النهاية٣: ٢٤٢. المفردات: ٥٦٨ (عشا).

تَعَشٍّ. ولا تقل: ما بي غَداء ولا عَشاء؛ لأنّهما الطعام[١]. وعَشَّيتُه: أطعمتُه العَشاء[٢]. وغَدَّيتُه: أطعمته الغداء[٣]. وعَشِيَ الرجُلُ يَعشَى: إذا صار أعشى. وعشا يَعشو: إذا قصد ضوء النار بالعشيّ[٤]، قال:

متى تَأتِهِ تَعشُو[٥] إلى ضَوء ناره تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خَيرَ مَوقِدِ[٦]

وقيل: إنّ ابن المقفَّع[٧] قرأ القرآن ولم يتعلّمه، فصحّف في قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾[٨]؛ قرأها بالعين غير المعجمة، وهو قريبٌ من حيث المعنى[٩]. و«لو» هاهنا للتقليل. وأراد بالكفّ ملء الكفّ وما تَسَعُه. والحَشَف: الرديء من التمر. وفي المَثَل: أحَشَفاً وسوءَ كِيلةٍ؟!

---

(١) الصحاح٦: ٢٤٤٤ (غدا). ترتيب إصلاح المنطق: ٩٣ (تغدى). المخصَّص، السفر الرابع١٢٢.

(٢) تهذيب اللغة٣: ٣٨ (عشا). المصباح المنير٢: ٤١٢ (العشي).

(٣) المصباح المنير٢: ٤٤٣ (غدا).

(٤) تهذيب اللغة٣: ٣٧ (عشا).

(٥) عَشَوتَ إلى النار أعشو إليها عَشواً: استدللتَ عليها ببصر ضعيف، والمعنى: متى تأته عاشياً. الصحاح ٦: ٢٤٢٧ (عشا).

(٦) المَوقِد والمُستوقِد: موضع النار. كتاب العين ٥: ١٩٧ (وقد).

(٧) لم نعثر على قوله؛ ولكن روي عن ابن ابن عبّاس في: تفسير الطبري٢٢: ٩٩. وعن عكرمة في: التفسير الكبير للطبراني٥: ٢٧٤. وعن الحسن وأبي رجاء في: إعراب القراءات السبع وعللها٢: ٢٢٩.

(٨) يس٣٦: ٩.

(٩) مجمع البيان٨: ٦٤٩. معاني القرآن للفرّاء٢: ٣٧٣ وفيه: لأنَّ العشو بالليل، إذا أمسيت وأنت لا ترى شيئاً فهو العشو.

قيل: ذلك لرجلٍ يبيع التمر، وكان تمره حَشَفاً، ومكيالُه ناقصاً! يعنون الجمع بين الخصلتين، يُضرب لمَن يَجمع بين خَلَّتَي سوء[١].
والمهرَمة: مَفعلة من الهَرَم، وهو غاية الشَّيب، والوصف منه هَرِمٌ[٢].
والمعنى: أنّ ترك العشاء يورث الهرم، ويُسرع الشيبَ إلى صاحبه[٣]، وهو من الطبّ: الوَجَى.

وقيل: إنّ أصحاب **النبيّ**ﷺ كانوا يجتهدون ويبالغون في قلّة الأكل فيما يأكلون بالغداة طعاماً قليلاً، وكانوا لا يَتعشّون، فأضعَفَهم ذلك عن القيام آخر الليل، فقال : «**تعشّوا...**» الخبر، ليقووا على قيام الليل، لا أنّه أمرهم بكثرة الأكل.

٤٩١. اُنْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ[٤].

يجوز في قوله «**أسفل**» الرفع والنصب؛ الرفع على خبر الابتداء، [وَ] جعله اسماً، وأخرجه من الظرفيّة، ثمّ جعله خبراً للمبتدأ الذي هو

(١) راجع: معجم مقاييس اللغة ٢: ٦٢. لسان العرب ٩: ٤٧ (حشف). مجمع البحرين ٥: ٤٦٧ (كيل).

(٢) راجع: لسان العرب١٢: ٦٠٧. المصباح المنير ٢: ٦٣٧ (هرم).

(٣) راجع: الكافي٦: ٢٨٨/ بَابُ فَضْلِ الْعَشَاءِ وَكَرَاهِيَةِ تَرْكِه.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٢٩ ، ح٧٣٦. صحيح مسلم٨: ٢١٣. سنن الترمذي٤: ٧٥ ، ح٢٦٣٢. سنن ابن ماجة٢: ١٣٨٧ / باب القناعة، ح٤١٤٢ ، عن أبي هريرة.

النصب على الظرف؛ لأنّه من الجهات الستّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[(١)] والتقدير: كائنٌ أسفل منكم.

ومعنى الخبر: النصيحة، بأن يَنظر الإنسانُ إلى من هو دونه في الرتبة، ويتأمّل حاله؛ ليَستعظم حال نفسه وما هو فيه. و«**النظر**» في الحديث بمعنى الفكر، ولو حُمل على النظر بالعين جاز أيضاً، إلّا أنّ الأوّل أليَقُ بالمعنى[(٢)].

«**وَلاَ تَنْظُرُوا**»: نهيٌ عن النظر الذي هو خلاف النظر الأوّل؛ لئلاّ يتمنّوا مثل حاله[(٣)]؛ فإنّه يذهب بكم عن الرضا بقضاء الله وحكمه فيما هو أصلح لكم من الغنى أو الفقر والصحّة والمرض والضِّيق والسَّعَة[(٤)].

---

(١) الأنفال٨: ٤٢.

(٢) أُنظر: كتاب العين٨: ١٥٤. لسان العرب ٥: ٢١٥ (نظر).

(٣) أُنظر: النساء٤: ٣٢.

(٤) قال **الإمام الصادق**عليه السلام: «**يا حُمرانُ، انظُر إلى مَن هُوَ دونَكَ فِي المَقدُرَةِ، ولا تَنظُر إلى مَن هُوَ فَوقَكَ فِي المَقدُرَةِ؛ فَإِنَّ ذلِكَ أقنَعُ لَكَ بِما قُسِمَ لَكَ، وأحرَى أن تَستَوجِبَ الزِّيادَةَ مِن رَبِّك**». الكافي ٨: ٢٤٤/كِتَابُ الرَّوْضَة، ح ٣٣٨، حَدِيثُ الْقِبَاب. علل الشرائع: ٥٥٩/ باب العلّة التي من أجلها أمر الإنسان أن ينظر إلى من هو دونه ... ، ح١. الاختصاص: ٢٢٧ ، عن هشام بن سالم.

وقال **الإمام الباقر**عليه السلام لِعَمرو بنِ هِلالٍ: «إيّاكَ أن تُطمِحَ بَصَرَكَ إلى مَن هُوَ فَوقَكَ! فَكَفى بِما قالَ اللهُ عزّ وجلّ لِنَبِيِّه صلى الله عليه وآله: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ﴾، التوبة٩: ٥٥ وقالَ: ﴿وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ طه٢٠: ١٣١، فَإِن دَخَلَكَ مِن ذلِكَ شَيءٌ فَاذكُر عَيشَ رَسولِ الله؛ فَإِنَّما كانَ قوتُهُ الشَّعير، وحَلواهُ التَّمر، ووَقودُهُ السَّعَفَ إذا وَجَدَه». الكافي ٢: ١٣٧/ باب القناعة، ح١. مشكاة الأنوار: ١٣٠/ الفصل السابع في القناعة.

ثـمّ بـيّن الغـرض فيـه فقـال: «**فَإِنَّـهُ أَجْـدَرُ**»؛ أي أولـى وأحـقّ، يُقـال: فـلانٌ جـديرٌ بهـذا الأمر، وهـو أجـدر بـه منـه؛ أي أحقّ وأولى[١]؛ يعنـي: أنّ هذا النظر الثاني يؤدّيك إلى استحقار ما أنعم الله به عليك في جنب ما نَظرتَ إليه من حال من هو فوقك في الرتبة. ونَظَمَ هـذا المعنى محمودٌ الورّاق فقال:

لاتَنظُـرَنَّ إلـى ذَوي المـالِ المؤثَّـل[٢] والرِّيـاشِ[٣] فتَظِـلُّ موصـوفَ النهـار بحسـرةٍ قَلِـقَ[٤] الفِـراشِ

وانظُر إلى من كان دونك أو نَظيرَك في المَعاش تَقنَعْ بعَيشك كيف كان وترْضَ منه بانتعاش[٥][٦]

ولأبي الفتح البستي:

مَن شاء عَيشاً رَخِيّاً[٧] يَستَفيد به فـي دينـه ثـمّ فـي دنيـاه إقبـالاً

---

(١) أُنظر: كتاب العين٦: ٧٤ (جدر).

(٢) يقال: مال مُؤَثَّل ومَجد مُؤَثَّل؛ أي: مجموع ذو أصل. النهاية ١: ٢٣ (أثل).

(٣) الرِّياش: اللباس الحَسَن. كتاب العين ٦: ٢٨٣ (ريش).

(٤) القَلِقُ: المضطرب، قَلِقَ قَلَقاً فهو قَلِقٌ من باب تَعِبَ: اضطرب. المصباح المنير: ٥١٤ (قلق).

(٥) الانتعاش: الارتفاع، نَعَشَه الله فانتعش: رفعه فارتفع. وسدّ فقره وتداركه من هلكة. لسان العرب ٦: ٣٥٥ ـ ٣٥٦ (نعش).

(٦) ربيع الأبرار٥: ٩٢. الأمالي للشجري٢: ٤٣٣.

(٧) الرخيّ: الواسع، من الرَّخاء بمعنى سعة العيش. كتاب العين ٤: ٣٠٠ (رخو).

فَـلا ينظـرنّ[١] إلـى مَـن فوقـه أدبـاً ولـيَنظُـرَنّ إلـى مـن دونـه حـالاً[٢]

ولآخر:

المرءُ يَسعى ويَسعى الرّزقُ يَطلُبه ورُبَّما اختلفا في السَّعي والطَّلَبِ

حتّى إذا قدَّر الرّحمنُ جمعَهما على اتّفاقٍ أتاه الرّزق مِن كَثَبِ[٣][٤].

٤٩٢. أَمِطِ الْأَذى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ تَكْثُرْ حَسَنَاتُكَ[٥].

المَيط: البُعد والزوال. والإماطة: الإبعاد والإزالة[٦]. والأذى: كلُّ ما يُكرَه ويُغتمّ به[٧]، ويُكنَّى به عن الحدث وعن الحيض في قوله: ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى فَاعۡتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الۡمَحِيضِ﴾[٨]. و «تَكْثُر» مجزوم بجواب الأمر على تضمين الشرط والجزاء.

---

(١) في نسخة: (لا ينظرنَّ)، فصحَّحناه بما في جميع المصادر.

(٢) يتيمة الدّهر٤: ٣٧٨. تاريخ دمشق٤٣: ١٦٦. أدب الدنيا والدين: ٧٣.

(٣) الكَثَبُ بالتحريك: القُرب، يقال: رماه من كَثَبٍ. الصحاح ١: ٢٠٩ (كثب).

(٤) بهجة المجالس٢: ١٤٣، والبيت لعلي بن هشام.

(٥) مسند الشّهاب١: ٤٣٠، ح٧٣٨ عن أنس. صحيح مسلم٨: ٣٤. سنن ابن ماجة٢: ١٢١٤، باب إماطة الأذى عن الطريق، قطعة من ح٣٦٨١. مسند ابن حنبل٤: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، عن أبي برزة الأسلمي، وليس فيها ذيله.

(٦) راجع: كتاب العين٧: ٤٦٤. النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٨٠ (ميط).

(٧) راجع: كتاب العين ٨: ٢٠٦. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤ (أذي). مجمع البحرين١: ٢٤ (أذا).

(٨) سورة البقرة٢: ٢٢٢.

ويروى عن **النبيّ** ﷺ أنّه قال: «**إنّ للإسلام نيّفاً وسبعين شعبةً؛ أعلاها شهادة أن لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(١).

وروي أنّ رجلاً مرَّ بطريقٍ وقع فيه الماء، فوضع حَجَراً في الماء؛ ليضع المارّة أرجلها عليه، فلمّا جَفَّ الطريقُ، مرَّ به رجلٌ آخر فرفعه، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان: إنّي قد غفرتُ لهما.

وقيل: إنّ رجلاً نَزَلَ يوماً بمنزلٍ، فوتَّدَ وتداً، وشَدَّ دابَّتَه فيه، فلمّا أراد الارتحالَ، قصد إلى الوَتَد ليقلعه، فقال في نفسه: ربّما نزل بهذا المكان إنسان، ولم يكن معه وَتَد، فأَترُكه له؛ ليَشدَّ دابَّتَه إليه! وخرجَ وتركه، فاتّفق أنّ رجلاً مرَّ بذلك المكان ليلاً، فعَثَرَ بذلك الوَتَد، فقلعه وطرحه؛ لئلاّ يَعثر به غيرُه، فأوحى الله إلى نبيٍ ذلك الوقت: إنّي قد غَفرتُ لهما(٢).

كان ذلك فيما مضى من الزمان، فالآن قد رَضينا من أهل زماننا هذا أن لا يُلقوا الأذى في طريق المسلمين، ولا يُرصِدوا لهم الحبائل، ولا يحفروا لهم الحفائر.

قال:

كفاني الله شرّك يابن عمّي فأمّا الخير منكَ فقد كفاني(٣)

---

(١) راجع: صحيح مسلم١: ٤٦/ باب شعب الإيمان. سنن أبي داود٢: ٤٠٧/ باب في ردّ الإرجاء، ح٤٦٧٦. مشكاة الأنوار: ٣٨/ الفصل العاشر في الإيمان والإسلام.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) جمهرة الأمثال١: ٤٨٥. ربيع الأبرار١: ٤٠٩، والبيت لأبي فرعون التيمي العدوي، من عدي، اسمه: شويس، أعرابي بدوي، قدم البصرة، وكانت له أشعار طريفة. اُنظر: الورقة: ١٣.

٤٩٣.أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا[١].

يُقال: حَبَّ الرجُلَ يَحِبُّه حُبّاً ومَحبّةً، والرجُلُ محبوب، وأحَبَّه يُحِبُّه إحباباً فهو محِبٌّ وذاكَ مُحَبٌّ، والحبيب: فعيل بمعنى مفعول. وبَغُضَ الرجُلُ فهو بَغيض، فَعيل أيضاً بمعنى مفعول، ولم يجئ منه مبغوض. وأُبغِضُه أنا، وأنا مُبغِضٌ له. والحُبُّ والبغض اسمان ضدّان، وحَبَّبَه وبَغَّضه إليه: إذا جعله محبوباً إليه أو مبغَّضاً[٢].

وقوله: «**هَوناً ما**»: أي على غير إسرافٍ وإفراط[٣]، وما في المواضع الأربعة إبهاميّةٌ، كقولهم في المَثَل: لأمرٍ ما جَدَعَ قصيرُ أنفه. وقال: لأمرٍ ما يُسوَّد من يَسُود[٤]. و«**عسى**» من أفعال المقاربة، ومعناه: الطمع والإشفاق. ويحتاج إلى خبر، وخبره الفعل المضارع، مع أنَّه في حال السَّعة والاختيار.

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٣٠، ح٧٣٩، عن ابن عمر. سنن الترمذي٣: ٢٤٣ / باب ما جاء في الاقتصاد في الحبّ والبغض، ح٢٠٦٥، عن أبي هريرة. الأدب المفرد: ٢٨٠/ باب أحبب حبيبك هونا ما، ح١٣٥٩، عن عبيد الكندي. نهج البلاغة/الحكمة ٢٦٨، عن الإمام عليّ .

(٢) راجع: الصحاح١: ١٠٥ و٣: ١٠٦٦ (بغض). كتاب العين٣: ٣١. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٢٦ (حبب).

(٣) راجع: النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٨٤ (هون). كتاب العين٨: ٢٣٤ (رثي).

(٤) راجع: أمالي المرتضى٢: ٣١٣.

و«**كاد**» في هذا المعنى بخلافه[(١)].

ومعنى الحديث: النهي عن الإفراط في الحبّ والبغض طمعاً في أن يصير البغيضُ حبيباً، وحذراً أن يصير الحبيب بغيضاً. وأخذ هذا المعنى بعضُ الشعراء فقال:

ولا تك في حُبِّ الأخلَّاء مُفرِطاً فإن أنت أبغضتَ البغيضَ فأجمِل

فإنَّك لا تدري متى أنت مُبغِض حبيبَك أو تهوى البغيضَ فاعقِل[(٢)]

وقال آخر:

وكُن مَعقِلاً[(٣)] للحِلْم واصفَح[(٤)] عن الخَنا[(٥)] فإنّك راءٍ ما عملتَ وسامِعُ

وأَحبِب إذا أَحبَبتَ حُبّاً مُقارِباً فإنّك لا تَدري متى أنت نازعُ

وأَبغِض إذا أَبغضتَ بُغضاً مُقارِباً فإنّك لا تدري متى الحُبُّ راجِعُ[(٦)]

وقال آخر:

إذا ما خليلي يَجنِي[(٧)] الذُّنوبَ ولم أَجنِ ذَنباً، تأَنَّيتُه[(٨)]

---

(١) راجع: شرح الرضي على الكافية٤: ٢١١ أفعال المقاربة.

(٢) روضة العقلاء: ٢٠٥. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٢١٧، والبيت لحميد بن عيّاش.

(٣) المَعقِل: الملجأ. تهذيب اللغة ١: ١٦٠ (عقل).

(٤) صفحتُ عن الأمر، من باب نَفَعَ: أعرضت عنه وتركته. المصباح المنير: ٣٤٢ (صفح).

(٥) الخَنا: الفُحش في القول. النهاية ٢: ٨٦ (خنا).

(٦) الأمالي للقالي٢: ٢٠٦. مختصر تاريخ دمشق٢٧: ٧٤، باختلاف يسير، والبيت لهدبة بن الخشرم العذري.

(٧) جنى جنايةً: فعل ذنباً وارتكبه. راجع: النهاية ١: ٣٠٩ (جني).

(٨) تأنّيتُ الرجلَ: انتظرتُه وتأخّرتُ في أمره ولم أعجَل. تهذيب اللغة ١٥: ٣٩٧ (أني).

لعـــلَّ العواطـــفَ يَعطِفنَـــه عَلَـــيَّ وبـــالرِّفقِ داويتُـــه

وإن لَـجَّ فـي هِجرنـا مُجمِعـاً صـــرفتُ الـــوِداد ونحَّيتُـــه

إلـــى غيـــرِهِ ثُـــمَّ آخيتُـــه أخـــاً كريمـــاً وصـــافيتُه[١]

و«**الإسراف مذمومٌ في كلّ أمرٍ**»[٢]، و«**خير الأُمور أوساطها**»[٣].

٤٩٤. أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ[٤].

٤٩٥. وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي، وَلْيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ، وَاخْزُنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ؛ فَإِنَّ بِذلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ[٥].

الإيصاء والتوصية: إلقاؤك إلى إنسانٍ أمراً فيه صلاحه أو صلاحك[٦]،

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) قال **الإمام عليّ**ﷺ: «**الإسرافُ مَذمومٌ فى كُلِّ شَىءٍ إلّا فى أفعالِ البِر**»، غرر الحكم، ح١٩٣٨.

(٣) سنن البيهقي٣: ٢٧٣، عن عمرو عنه . الكافي ٦: ٥٤٠/ باب النوادر في الدواب، قطعة من ح١٨. الإرشاد ٢: ٢٣٤، عن الإمام الكاظم .

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٣١، ح٧٤٠. المعجم الكبير٢: ١٥٧. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٥٨٥، قطعة من ح٩٣٩. الأمالي للطوسي: ٥٤١ ، قطعة من ح١١٦٣، أبي ذرّ.

(٥) مسند الشِّهاب١: ٤٣١ ، ح٧٤٠. مسند ابن حنبل٣: ٨٢. صحيح ابن حبّان٢: ٧٩. المعجم الكبير٢: ١٥٧. الأمالي للطوسي: ٥٤١، ح١١٦٣، باختلاف يسير، عن أبي ذرّ.

(٦) راجع: مفردات الفاظ القرآن: ٨٧٣. لسان العرب١٥: ٣٩٤ (وصي).

والوصيّة تحتاج إلى موصٍ وهو فاعل الوصيّة، وموصى إليه وهو الوصيُّ، وموصى به وهو المال أو غيره ممّا أوصيتَ به، وموصى له وهو الذي توصى في حقّه، يقال: وصَّيت لفلانٍ إلى فلان بكذا. ولم يأت منه الثلاثيُّ المجرَّد، وإنّما أتى منه للإفعال والتفعيل والاستفعال والتفاعل، قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]. وتقوى الله هي اتّقاء محارمه واجتناب مناهيه[2]؛ فإنّه رأس أمرك ـ أي رأس مالك في العمل ـ وزادك لسفر الآخرة؛ لقوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[3].

ومَرَّ **أمير المؤمنين** عليه السلام بمقبرةٍ فقال: «**السَّلامُ عَلَيكُم يا أهلَ القُبور؛ أَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ، وَأَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَ أَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ! هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟**» ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَقَالوا: تَزَوَّدُوا؛ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى**»[4].

والتقوى: خصلة جامعة لخِصال الخير؛ فإنّ المتّقي إذا اتّقى المحارِم كلّها، واتّقى الإخلال بالواجبات، كان معصوماً، وإذا كان معصوماً موفَّقاً فقد رُزِقَ خير الدارين، و«**عليك**» من أسماء الأفعال، ومعناه: «**الزَمْ**»،

---

(١) سورة العصر١٠٣: ٣.

(٢) راجع: مفردات الفاظ القرآن: ٨٨١. كتاب العين ٥: ٢٣٨ (وقي).

(٣) سورة البقرة٢: ١٩٧.

(٤) نهج البلاغة/ الحكمة١٣٠. الأمالي للصدوق: ١٠٧ /المجلس الثالث و العشرون، ح١، باختلاف يسير.

وتُستعمل بمعنى «**خُذ**»، تقول: عليكَ زيداً؛ أي: خُذه والزمه[١].

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إنّ التخلُّق يأتي دونه الخُلُق[٢]

وأراد بالجهاد: المجاهدة في سبيل الله وقتال أعداء الدِّين من المشركين وأهل الحرب إذا حصلت شرائطه؛ فأمّا الآن فجهاد الرجُل: مجاهدته نفسه، ومجاهدته الشيطان ومكائده، خلاف الهوى؛ فإنّ الرجُل إذا جاهد نفسه فقد جاهد أعدى عدوّه؛ لقوله ﷺ: «**أعدى عدوِّك نفسُك التي بين جنبيك**»[٣].

ثمّ قال: «**فإنّه رهبانيّة أمّتي**»، وهي مصدر الراهب، وجمعه الرُّهبان، تقول: هو راهبٌ بَيِّنُ الرهبانيّة. وهو من الأسماء الغالبة على عُبَّاد النصارى وزهّادهم[٤]؛ قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[٥]. أراد جهادهم في سبيل الله يقع في مقابلة رهبانيّتهم[٦]، بل هذا أشَدُّ وأشَقُّ؛ لأنّ هذا قتال إلى أن يَقتل أو يُقتل؛ قال الله تعالى: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[٧] الآية.

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٩٦. لسان العرب١٥: ٨٨ (علا).

(٢) جمهرة الأمثال١: ٢٠. بهجة المجالس١: ١٤١. التذكرة الحمدونيّة٢: ٤٠٦، والبيت لسالم بن وابصة.

(٣) تنبيه الخواطر١: ٢٥٩، بحارالأنوار٦٧: ٦٤، ح١. الكافي١٢: ٥/ بَابُ وُجُوهِ الْجِهَاد، ح٣.

(٤) كتاب العين٤: ٤٧. النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٨١ (رهب).

(٥) سورة الحديد٥٧: ٢٧.

(٦) أُنظر: مجمع البيان٩: ٣٦٦، سورة الحديد.

(٧) سورة التوبة٩: ١١١.

«**وَلْيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ**»، اللام لأمر الغائب، وأصلها أن تكون مكسورةً، وإنّما تسكُن إذا اتّصلت بها الواو أو الفاء أو ثُمَّ[1]، نحو قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾[2]، وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[3]، وقد ذكرنا معناه؛ يعني: ينبغي ويجب أن لا تَعيب الناسَ بخَصلَةٍ هي فيك.

وقال بعض الصالحين: ما رأيتُ أحداً إلّا اعتقدتُ فيه أنّه خيرٌ منّي. قيل له: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّي أعلم وأتيقّن من نفسي ما أظنّه فيه، والعلم أقوى من الظنّ.

قال الشاعر:

لا تَنهَ عن خُلُقٍ وتَأتِي مِثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فَعلتَ عظيمُ[4]

«**وَاخْزُنْ لِسَانَكَ إلّا مِنْ خَيْرٍ**»؛ قيل في المَثَل: لسانك سبُعٌ، إن أهملته أكلَلَكَ[5]، فاخزنْه وقيّده وشدِّده بالسكوت، وسدّده بالكلام السديد.

---

(1) راجع: كتاب اللامات: ٨٨ /باب لام الأمر.

(2) سورة قريش١٠٦: ٣.

(3) سورة الحجّ٢٢: ٢٩.

(4) جمهرة الأمثال٢: ٣٨. معجم البلدان٥: ٥٥. تاريخ دمشق٢٤: ٤٦٧. هذا البيت روي في عدَّة قصائد لعدَّة شعراء؛ نسب إلى الأخطل، ونسب إلى المتوكّل الليثي، ونسب إلى سابق البربري، ونسب إلى الطرماح، ونسب إلى أبي الأسود الدؤلي.

(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٣٧/ فصل في فضل الصمت والاقتصاد في المنطق.

ولهذا قَيَّدَ فقال: «**إلاّ من خيرٍ**»، فمِن حقّك أن لا تَحمل لسانك بما لا يَعنيك[١]، ولا تُمهله عمّا يَعنيك من ذكر الله.

وروي أنّ **الصادق جعفر بن محمّد**عليهما السلام خرجَ ذات يومٍ من الحمّام، فجاء المزيّن ليأخذ من شاربه، وكان يُحرّك شفتيه بالتسبيح والتهليل، فقال له: يا ابن رسول الله، سكِّن شفتيك ساعةً؛ لئلّا يعوج ما أقصّه. فقال له: «**هل تَقدر أن تَضمن لي ساعةً إلى ساعة أُخرى؟**» قال: لا. قال: «**دَعني وشأني؛ فإنّي لا أُبالي باستقامة ما تفعله واعوجاجه**»[٢].

وفي حديث المعراج: أنّ **النبيّ**صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**رأيتُ ليلة أُسريَ بي ملائكةً يَبنون قصوراً في الجنّة، يَبنون ساعةً ويستريحون ساعةً، قلت لجبرئيل: يا أخي، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء أُجَراء أُمّتك؛ يعملون ما تَواصل أُجورهم، فإذا لم يصِل إليهم أجرهم لم يعملوا. قلت: فما أجرهم؟ قال: قول الرجُل من أُمّتك: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر**»[٣].

---

(١) إرشاد القلوب ١: ١٩٩/ الباب الرابع والخمسون فيما سأل **رسول الله**صلى الله عليه وآله وسلم ربّه ليلة المعراج، وفيه «**يَا أَحْمَدُ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا مِنْ عَبْدٍ ضَمِنَ لِي بِأَرْبَعِ خِصَالٍ إِلَّا أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ: يَطْوِي لِسَانَهُ فَلَا يَفْتَحُهُ إِلَّا بِمَا يَعْنِيهِ، وَيَحْفَظُ قَلْبَهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ، وَيَحْفَظُ عِلْمِي وَنَظَرِي إِلَيْهِ، وَيَكُونُ قُرَّةُ عَيْنَيْهِ الْجُوعِ**». راجع: عيون الحكم والمواعظ: ٣١٣، ح ٥٤٧٥.

(٢) أُنظر: سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٢٥، باختلاف.

(٣) الأمالي للطوسي: ٤٧٤، ح ١٠٣٥. عدّة الداعي: ٢٤٩، عن حمّاد بن عثمان، عن الإمام الصادق عن آبائه ، تفسير القمّي٢: ٥٣ ، باختلاف يسير.

وقال الشاعر في حفظ اللسان:

احفَـظْ لسـانَك أيّهـا الإنسـانُ لا يَلسَـعَنَّك[١] إنّـه ثُعبـانُ[٢]

كَـم فـي المـقابرِ مِـن قَتيـلِ لسانِه كانـت تَهـابُ[٣] مَقامَـه الأقـرانُ[٤]

٤٩٦. اِقْرَأ الْقُرْآنَ مَا نَهاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَأُهُ[٥].

أصل القراءة: الجمع، من قولهم: «**قَرَأَتِ الناقةُ**» إذا حَمَلتْ فضمَّتْ رحمها على جنين[٦]، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ذِراعَي عَيطَلٍ[٧] أَدماءَ[٨] بِكرٍ[٩] هِجانِ[١٠] اللَّونِ لم تَقرأ جَنِيناً

---

(١) اللَّسع: الضرب بالذَّنَب. واللَّدغ: الضرب بالفم. أساس البلاغة: ٥٦٤ (لسع).

(٢) الثُّعبان: الحيَّة العظيمة، يقع على الذكر والأُنثى، والجمع: الثَّعابين. المصباح المنير: ٨١ (ثعب).

(٣) هابَ الشيءَ يهابه هَيبَةً: خافَه، وحَذَره، ووقَّره وعظَّمه. النهاية ٥: ٢٨٦. المصباح المنير: ٦٤٤ (هيب).

(٤) مجمع الأمثال ٢: ٢٥٩. بحر الدموع ١: ١٢٦. اللطائف والظرائف: ١٠٤ وفيها «يلدغنك» بدل «يلسعنّك».

(٥) مسند الشِّهاب ١: ٤٣٢، قطعة من ح ٧٤١. مسند الشاميّين ٢: ٢٨٢، قطعة من ح ١٣٤٥، عن عبدالله بن عمر. فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٣٣، عن نافع، عن الإمام الحسن .

(٦) راجع: كتاب العين ٥: ٢٠٤. النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٠ (قرأ).

(٧) العَيطَل من النساء والنوق والخيل: الطويلة، أو طويلة العنق في حُسن جسم، أو هي الناقة الطويلة في حُسن منظر ويسمَنٍ. لسان العرب ١١: ٤٥٥ (عطل).

(٨) الأدماء: البيضاء من الإبل والظباء. تهذيب اللغة ١٤: ١٥٠ (أدم).

(٩) البِكر بالكسر من النساء والإبل: التي ولدت بطناً واحداً، أو لم تلد. والبَكر بالفتح: الفتيُّ من الإبل، والأُنثى: بَكرة. لسان العرب ٤: ٧٨ ـ ٧٩ (بكر).

(١٠) الهِجان من الإبل: البيض الكرام. كتاب العين ٣: ٣٩٣ (هجن).

أي: لم تضُمَّ رحِمُها على جنين[١].

والقُرآن: علم للكتاب الذي أنزله الله سبحانه على نبيّه سيّد المرسلين وخاتم النبيّين **محمّد** ﷺ مع [الألف و] اللام[٢]، كالنجم للثريّا[٣]، والدبران للعيّوق[٤]، والصعق لخويلد بن نقيل بن عمرو بن كلاب[٥]. وهو في الأصل مصدر (قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً) كالسبحان والقربان إلّا أنّه غَلَبَ بالعُرف الشرعي على هذا الكتاب دون القراءة[٦]، كما أنّ النجم غلب على الثريّا بنوعٍ من العرف وإن كان في الأصل اسماً لكلّ ما نجم وطلع من نجمٍ أو نباتٍ، وكذلك الصعق غلبَ على هذا الرجُل من بين من أُصيب بالصاعقة، وهي من الأسماء الغالبة على الشرح الذي ذكرتُ.

و «**ما**» للأمد؛ أي: ما دام ينهاك عن المحارِمِ؛ يعني: إنّ قارئ القرآن إنّما تقع قراءته موقع القبول إذا تأمّل أوامره ونواهيه، فعمِلَ بما أُمِر به، وانتهى عمّا نُهي عنه؛ ليَنتفع به ويستحقّ به الأجر والثواب، فإذا لم يقرأ على هذا الوجه، بل يقرأ مجرّدةً، فكأنّه لم يقرأ[٧]. ووصفُ

(١) معجم مقاييس اللغة٥: ٧٩ (قري). جمهرة اللغة١: ٢٨٤ (حلب). التبيان١: ١٨.

(٢) أي الألف واللام (ال) في لفظ (القرآن).

(٣) الصحاح٥: ٢٠٣٩. العين٦: ١٥٤. معجم مقاييس اللغة٥: ٣٧٩ (نجم).

(٤) أُنظر: العين٨: ٣٣. معجم مقاييس اللغة٢: ٣٢٤ (دبر).

(٥) أنساب الأشراف١١: ٣٦٤. الاشتقاق: ٢٩٧. القاموس المحيط٣: ٢٥٣.

(٦) راجع: مفردات الفاظ القرآن: ٦٦٨. المصباح المنير٢: ٥٠٢ (قرأ).

(٧) راجع: وسائل الشيعة ٦: ١٨١/ بَابُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِحَامِلِ الْقُرْآنِ مُلَازَمَةُ الْخُشُوعِ وَ الصَّلَاةِ ... .

القرآن بالنهي مَجاز، وهو من الإسناد المجازي؛ لأنّه في الحقيقة لا ينهى إلّا إذا انتهى القارئ المتأمّل عن محارِم الله عند قراءته، فكأنّه نهاه عنه كما بيّنّا في تفسير قوله: ﴿وَ إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[١]، وإنّما يأتمر وينتهي بأوامر القرآن وعن مناهيه مَن كان عالِماً بمعانيه، وعَلم [أنّ] القرآن بحرٌ عميق لا قعرَ له ولا ساحِلَ[٢]، رزقنا الله علمه والعمل به، ووفّقنا لذلك بِمَنّه.

٤٩٧.أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ[٣].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٤]. أداء الأمانة وَرَدُّ الوديعة من الواجبات العقليّة، وزادَهما الشرع تأكيداً وتغليظاً[٥] فقال ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنَكَ**»؛ أي: جَعَلَكَ أميناً

---

(١) سورة التوبة٩: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) راجع: نهج البلاغة/ الخطبة١٩٨.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٣٢، ح٧٤٢. سنن أبي داود٢: ١٥٠ / باب في الرجل يأخذ حقَّه من تحت يده، ح٣٥٣٥. سنن الترمذي٢: ٣٦٨، ح١٢٨٢. التهذيب٦: ٣٤٨، ح٩٨١، عن ابن أخي الفضيل بن يسار، عن الإمام الصادق .

(٤) سورة النساء٤: ٥٨.

(٥) راجع: الكافي٥: ٢٨٨/ كتاب المعيشة، باب أداء الأمانة.

عليها، يُقال: أمِنتُه على كذا وائتمَنته أمناً وأماناً وأمانَةً وائتماناً و إتماناً[١]، ثمّ استُعمل في المودَع على سبيل المجاز فيُقال: لي عند فلان أمانة.

المعنى: لا تُكذِّب ظنَّه فيك واعتقادَه في أمانتك؛ فإنّه إذا اعتقدك أو ظَنَّك أميناً، وأودَعَ عندك وديعةً، فخنتَ فيها، أفسدتَ ظَنَّهُ بكَ وبأمانتكَ[٢]، ثمّ أودعَ عندك وديعةً، وائتمنك عليها، فلا تَخنهُ ولا تَدخل في مثل ما دَخل فيه معك، ولا تُقابله بخيانَةٍ مثلها. وأصل الخيانة: النقصان[٣]، [و] ياؤه واو؛ بدلالة: يَخون خوناً، و إنّما قُلِبَت ياءً بالكسرة ما قبلها كالقيام والصيام. ومن عِظَم شأن الأمانة قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[٤] الآية.

٤٩٨. أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ[٥].

الأجير: المستأجر المأجور، فعيل بمعنى مفعول، والأجر: مصدر أجره

---

(١) راجع: الصحاح٥: ٢٠٧١. كتاب العين٨: ٣٨٩ (أمن).

(٢) قال **الإمام عليّ**ؑ: «**مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّه**». نهج البلاغة/الحكمة ٢٤٨. تحف العقول: ٦٨، كتابه إلى ابنه **الحسن**.

(٣) راجع: معجم مقاييس اللغة٢: ٢٣١ (خون).

(٤) سورة الأحزاب٣٣: ٧٢.

(٥) مسند الشّهاب١: ٤٣٣، ح٧٤٤. سنن ابن ماجة٢: ٨١٧/ باب أجر الأجراء، ح٢٤٤٣، عن ابن عمر. الأموال لابن زنجويه٣: ١١٢٦، ح٢٠٩١، عن عطاء بن يسار. الكافي٥: ٢٨٩/ كتاب المعيشة، كراهة استعمال الأجير قبل مقاطعته على أجرته ... ، ح٢، عن هشام بن الحكم، عن الإمام الصادق، باختلاف.

يأجُره أجراً، ثمّ استعمل فيما يُعطَى الأجيرُ مِن الأُجرة كما ذكرنا في الأمانة. والأجر والأُجرة: ما يستحقّه الأجير على عمله[١]، وإنّما يُرجَع بذلك إلى العادة، ولم يُرِدِ الشرعُ فيه بمقدار معيَّن.

وقوله: «**قبلَ أنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**» عبارة عن تعجيل توفية ما يستحقّه من الأُجرة؛ يعني عند الفراغ مِن عمله؛ لأنّه يَعرق ما دام في عمله، فإذا فرغ أمسك العرق، فإذا أتى عليه سُوَيعَة[٢] جَفَّ العرق[٣].

ويُحكى: أنّ رجلاً من الصالحين استأجر أجيراً، فلمّا كان وقت العصر اختلفا في النقد، فتَرَكَ الأجير أجره عند المستأجر متغاضباً، وخرج من البلد، فعزلَ المستأجِر أُجرته من ماله، فلمّا مضَت عليه أيّام، ولم يرجع الرجل، اشترى المستأجِر بتلك الأُجرة دجاجةً، فكانت الدجاجة تبيض حتّى اجتمع عنده عددٌ كثير، فوضع منها أعداداً تحت الدجاجة ففرخت أعداداً، ثمّ باع الدُّجَجَ والبيض، واشترى به شاةً، وجعلها في الرعي، فكانت نَتَجتْ في كلّ سنة مرّتينِ حتّى اجتمعت منها أعداد كثيرة، وكان الرجُل يَتمنّى رجوع الأجير، فلمّا مضَت على ذلك أعوام، وبلَغَت الغنمُ عدداً كثيراً، أتى ذات يوم شيخٌ ضعيف، وسَلَّم عليه،

---

(١) راجع: معجم مقاييس اللغة١: ٦٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٦٥. كتاب العين٦: ١٧٣ (أجر).

(٢) سويعة: تصغير ساعة. كتاب العين ٢: ٢٠٢.

(٣) راجع: الكافي٥: ٢٨٨/ بَابُ كَرَاهَةِ اسْتِعْمَالِ الْأَجِيرِ قَبْلَ مُقَاطَعَتِهِ عَلَى أُجْرَتِهِ .... .

وقال: يا عبد الله، أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الأجير الذي تركتُ أُجرتي عندك في سنة كذا، وأنا اليوم محتاجٌ إليها، فلو أعطيتنيها كان لك بذلك مِنّةٌ وثواب! فقال الرجل: عَزازَةٌ وكرامة! وأخذ بيده إلى الصحراء، وأراه الغَنم، وقال: هذه كلّها لكَ! فقال: يا عبد الله، أتهزأ منّي، وأنا رجلٌ فقير؟! أعطني ذلك المحقَّر؛ فأنا محتاجٌ إليه! فقال الرجل: معاذ الله! وحلفَ أنّ الغنم له بأسرها، وقَصَّ عليه القصّة، ففرحَ الرجُل بذلك، وشكرَ لله، ودعا له بخيرٍ، وساقَ الغنم، واستَغنى بها.

٤٩٩. اِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ[١].

يعني: احفَظْ رضا الله في أداء ما كَلَّفك، وتعبُّدَك باقتدائك به، من ائتمار أوامره، والانتهاءِ عن مناهيه، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. «**يَحْفَظْكَ**» جزاء لذلك ومقابلة له، وهذا من باب مجازاة الشيء بمثله على سبيل الازدواج[٢] كقوله جلّ وعزّ: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[٣] وقوله: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾[٤].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٣٤، قطعة من ح٧٤٥. مسند ابن حنبل١: ٣٠٧. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٤١، عن ابن عبّاس. من لا يحضره الفقيه٤: ٤١٢، قطعة من ح٥٩٠٠، عن عبدالله بن ميمون، عن الإمام الصادق .

(٢) أُنظر: المجازات النبويّة: ٣٣٣.

(٣) سورة البقرة٢: ٤٠.

(٤) سورة المجادلة٥٨: ١١.

وقوله: «**تَجِدْهُ أمامكَ**»؛ أي: دليلاً مُغيثاً مُعيناً لكَ على أُمورك كالدليل الذي يكون أمامك في الفلاة، أو كالحامي الذي يكون أمامكَ يدفع عنك ظلم مَن أراد أن يظلمك[١].

٥٠٠. تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ[٢].

يعني: راقِبِ الله، ولازِم بابَه وحضرته في حال الرِّضا والنعمة والصحّة وكثرة المال وسِعَة الحال، يعرفْك في الشدّة[٣]. جعل هذه الجملة جزاءً للشرط، وليس في الحقيقة كذلك؛ لأنّ الله تعالى يَعرفك على كلّ حالٍ، تَعرَّفتَ إليه أو لم تتعرّف؛ لأنّ المراد بالمعرفة: العلم، وهو تعالى عالمٌ بجميع المعلومات على كلّ وجهٍ يصحّ أن يعلم عليه، إلّا أنّه لمّا أوقعه موقع جواب الأمر جَزَمَه، كما يقول القائل: انظُرْ إلى الشمس تغربْ. والشمس لا تغرب لنظرك إليها، بل تغرب سواء نظرتَ إليها أو لم تنظر[٤]؛

(١) راجع: المجازات النبوية: ٣٣٣ / المجاز٢٨٦.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٣٤، قطعة من ح٧٤٥. مسند ابن حنبل١: ٣٠٧. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٤١ ، عن ابن عبّاس. من لا يحضره الفقيه٤: ٤١٢، قطعة من ح٥٩٠٠، عن عبدالله بن ميمون، عن الإمام الصادق .

(٣) راجع: الكافي٢: ٤٧٢/ بَابُ التَّقَدُّمِ فِي الدُّعَاء. وسائل الشيعة٧:٤٠/ بَابُ اسْتِحْبَابِ التَّقَدُّمِ بِالدُّعَاءِ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ نُزُولِ الْبَلَاءِ وكَرَاهَةِ تَأْخِيرِه. الدعاء للطبراني: ٣٣/ باب الحثّ على الدعاء في الرخاء.

(٤) أُنظر: تنزيه الأنبياء: ١١٠.

يعني: لا تكن كمَن قال: ﴿وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾[١]، وهو مثل قوله : «**اذكرِ الله يَذكُرْك**»[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٣]، ويجري مجرى الحديث الأوّل في مقابلة الجزاء بالمجزيّ عليه.

٥٠١. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئاً لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُعْطِيَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، أَوْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئاً أَرَادَ اللهُ أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلى ذلِكَ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ[٤].

روي عن عبادة بن الصامت أنّه قال: قال **رسول الله** ﷺ وسمعته إذ نادى يقول: «**إنّ أوّل ما خلق الله القَلم، فقال: اكتب الأبد. قال: وما الأبد؟ قال: القدر. قال: وما القدر؟ قال: أن تَعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليُصيبك،**

---

(١) سورة فصّلت٤١: ٥١.

(٢) أنساب الأشراف٤: ٣١. تاريخ اليعقوبي٢: ٢٦٣، عن ابن عبّاس.

(٣) سورة البقرة٢: ١٥٢.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٣٤، قطعة من ح٧٤٥. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٤٢. المعجم الكبير١١: ١٠١. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢١٤، قطعة من ح٦٣٦، عن ابن عبّاس.

وما أصابَكَ لم يكن ليُخطِئَك؛ إنْ مُتَّ على غير هذا عليَّ دخلتَ النار»[(١)].

ومعنى هذا الحديث: أنّ ما سبق في علم الله تعالى من الإصابة والإخطاء وغير ذلك وكلّ ما كان في سابق علمه قبل كونه فهو على ما كان، ومعلوماته لا تتغيّر عمّا تعلّق به كونه، وهذا ما لا خلاف فيه، غير أنّ الواقع من معلوماته لم يقع لأجل تعلّق علمه به، [و] علمه على ذلك الوجه لوقوعه لذلك؛ لأنّ العلم يتعلّق بالمعلوم على ما هو به، ولا يجعله على ما هو به، وقد بيّنّا هذا الفصل مستقصىً فيما تقدّم، وذكرنا أنّ العلم في هذا الباب يجري مجرى الإدراك؛ فإنّ الإدراك تعلّق بالمُدرَك على ما هو عليه، ولا يجعله على صفة، والمُدرَك لم يكن كذلك لتعلّق الإدراك به، بل الإدراك تَعَلَّق به على ذلك لأجل كونه على ذلك الوجه؛ فإنّا إذا رأينا شخصاً أسود، لم يكن أسود لرؤيتنا إيّاه، بل رأيناه أسود لكونه أسود، وهذا الأمر لا ينكره مَن كان له أدنى تأمّل، وهو الجواب عن كلّ شبهة تورَد في هذا الباب.

أمّا قوله: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلاَئِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا**» الخبر، هذا الحديث وأمثاله في باب إرادة الله تعالى لأفعال العباد، فتحقيقه أن يقال: إرادة الله لأفعال العباد على ضربين:

إحداهما: إرادة الاختيار، والثانية: إرادة القهر والجبر.

---

(١) سنن أبي داود٢: ٤١٣/ باب في القدر، ح٤٧٠٠. سنن البيهقي١٠: ٢٠٤. مسند الشاميين١: ٥٨، ح٥٩، باختلاف.

أمّا إرادة الاختيار: فهو كلّ فعلٍ أمر الله تعالى به ورغّب فيه، فهو تعالى لمّا كان آمراً به كان مريداً له؛ لما بيّنّا في غير موضعٍ أنّ الأمر يصير أمراً بإرادة الآمر المأمورَ به، وأنّ الآمر لابدّ أن يكون مريداً لما أمر به؛ لأنّ الأمر إنّما يتميّز من غيره ممّا له صورته وصيغته من الإباحة والتهديد والتحدّي والحكاية عن غيره بهذه الإرادة.

وأمّا إرادة الجبر: فهو أن يريد الله فعلاً من أفعال العبد لا محالة، وعلم أنّه إن خلاّه واختياره لم يفعل ذلك الفعل، فهو يجبر عليه لنوع من المصلحة، إلّا أنّ ذلك لا يكون ممّا يتعلّق به التكليف، وما تعلّق به التكليف من هذا النوع لا يكون إلّا مقدَّراً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾؛ يعني إرادةَ القهر والإجبار؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1]؛ يعني: أنّ ذلك ليس من شأنك؛ فإنّك لا تقدر عليه. والغرض في هذا أن يَعلم المكلّفون أنّ الكفّار والعصاة لم يُعجِزوا الله تعالى بمخالفتهم لإرادته، بل لو أراد أن يجبرهم على ذلك، لكان قادراً عليه؛ والدليل على ذلك الأمر فإنّ الأمر في هذا الباب أقوى وأظهر من الإرادة؛ ألا ترى أنّ الله أمرَ جميع المكلّفين بالإيمان والطاعة، وبَيَّن أنّ غرضه في خلقهم أن يَعبدوه في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، ومع ذلك فلم يَأتمروا ولم يطيعوا، ولم يكن في ذلك عجزٌ ولا وهنٌ له جلّ جلاله.

---

(١) سورة يونس١٠: ٩٩.

(٢) سورة الذاريات٥١: ٥٦.

«**أو يَصرِفوا عنك شيئاً أراد الله أن يُصيبك به**» على هذا الوجه؛ أعني إرادة قهر وإجبار. لم يَقدروا على أن يَغلبوا الله فيما أراده قهراً ومغالبةً. فأمّا على غير ذلك الوجه فقد علمنا خلافه بالأدلّة القاهرة على عدل الله وتنزيهه عن القبائح؛ لأنّ القبيح لا يختاره إلّا جاهلٌ أو محتاجٌ، والجهل والحاجة لا يجوزان عليه تعالى، فوجبَ أن تكون القبائح منفيّةً عنه.

وجملة الأمر: أنّ الحديث مأوّل في طرفَي الإعطاء والمنع على إرادة القهر، وفيه حَثٌّ للمكلَّفين على الفزع إلى الله سبحانه، والرغبة إليه، وأن لا يسألوا حوائجهم غيره، وأن لا يستعينوا فيما نابَهُم إلّا به.

٥٠٢. وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً[(١)].

أرادَ أنّ نصر الله العبدَ مقرونٌ بصبره، والمراد به الحَثُّ على الصبر، وأنّ عاقبة الصبر تؤول إلى النصر، وكذلك الفَرَج مع الكرب، كأنّه يُسلّيه ويَعِدُهُ بأن يَؤول عاقبةُ كربهِ إلى الفرج، وكذلك في العُسر واليُسر؛ يعني الشدَّة والرَّخاء[(٢)]. وإنّما أتى بلفظة «**مع**» ــ وهي للمصاحبة ــ على

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٣٤، قطعة من ح٧٤٥. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٤٢. المعجم الكبير١١: ١٠١. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢١٤، قطعة من ح٦٣٦، عن ابن عبّاس.

(٢) راجع: وسائل الشيعة١٥: ٢٦١/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الصَّبْرِ فِي جَمِيعِ الْأُمُور. بحار الأنوار٦٨: ٥٦/ باب الصبر واليسر بعد العسر.

طريق المبالغة والاتّساع تقويةً لتَسَلّيه، وهذا تنبيه على أنّ حوادث الدهر وصروف الزمان لا تَبقى على حاله، كما قيل:

فرحـــاً وحـــزناً مَـــرَّةً لا الحُزنُ دام ولا السُّرور[١]

وكما قيل:

ولا يَحسَبونَ الخيرَ لا شَرَّ بَعدَه ولا يَحسَبون الشرَّ ضَربَةَ لازبٍ[٢][٣]

قال مِسعَرُ بنُ كِدامٍ[٤]: إنّ رجلاً ركب البحر، فانكسرت السفينة، ودفع الرجل إلى جزيرة، فمكثَ ثلاثة أيّام؛ لا يَرى أحداً، ولم يذُق شيئاً، فتمثّلَ بهذا البيت:

إذا شابَ الغُرابُ أتَيتُ أهلي وصار القارُ[٥] كاللَّبَن الحَليب

فأجابه هاتفٌ:

عسى الهمُّ الذي أَمسيتَ فيه يكـــون وراءه فـــرجٌ قريـــب

---

(١) العقد الفريد٢: ٢٧٩. الفرج بعد الشدَّة ٢: ٤٦٢. روضة الواعظين: ٤٢٣.

(٢) اللازب: الثابت واللازم الشديد، يقال: ما هذا بضربة لازب؛ أي: ما هذا بلازم واجب؛ أي: ما هذا بضربة سيفٍ لازب، وهو مَثَلٌ. لسان العرب ١: ٧٣٨ (لزب).

(٣) مجاز القرآن٢: ١٦٧. البيان والتبيين: ١١٤. والبيت لنابغة بني ذبيان.

(٤) مسعر بن كدام الهلالي من كبار المحدثين الكوفيين وأحد شيوخ أبي حنيفة النعمان وسفيان بن عيينة والثوري. مات بالكوفة سنة ١٥٣ هـ أُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠: ١١٣. طبقات الحفاظ للذهبي ١: ١٦٩.

(٥) القار والقِير: شيء أسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل. لسان العرب ٥: ١٢٤ (قير).

فيَأمَنُ خائفٌ ويُفَكُّ عانٍ[(١)] ويأتي أهلَه الرجُلُ الغريب

فإنْ يَكُ صدرُ هذا اليوم يَمضي فإنّ غداً لِناظِرِهِ قريب

فلم يَلبَث أن فرّج عنه[(٢)].

وقال ﷺ: «**لو كان العُسر في جُحرِ فأرة، لدخل عليه اليسر حتّى يخرجه**»، ثمّ قرأ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[(٣)(٤)].

وقال بعض العلماء: في هذه الآية لن يغلب عُسرٌ يُسرَين[(٥)]. قال: وذلك لأنّه تعالى نَكَّرَ اليُسر فهما اثنان، وعَرَّفَ العُسر فهو واحد[(٦)]. وأنشد:

ألا يا أيّها المرء الذي الهَمُّ به بَرَّحَ[(٧)]

---

(١) العاني: الأسير، وقيل: والعبد أيضاً. تهذيب اللغة ٣: ١٣٣ (عنا).

(٢) أُنظر: أمالي ابن سمعون٢: ٣٩. حياة الحيوان الكبرى٢: ٢٤٤. تاريخ بغداد١٤: ٢٦٥. وقد ذكر الشيخ الطوسي بيت (إذا شابَ الغراب) في التبيان في تفسير القرآن٤: ٤٠٠. وقد روى البيهقي البيتين منه عن عليّ بن مهدي في شعب الإيمان٧: ٢٠٨، ح١٠٠٢٢.

(٣) سورة الشرح٩٤: ٥ و٦.

(٤) المستدرك على الصحيحين٢: ٢٥٥، عن أنس بن مالك. المعجم الكبير١٠: ٧٠، ح٩٩٧٧. شعب الإيمان٧: ٢٠٦، ح١٠٠١١، عن عبدالله بن مسعود، باختلاف يسير.

(٥) خرج النبيُّ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك، وهو يقول: «**لن يغلب عسر يسرين**؛ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾»، المستدرك على الصحيحين٢: ٥٢٨، عن الحسن. وأُنظر: التبيان في تفسير القرآن١٠: ٣٧٣. تفسير الطبري٣٠: ٢٩٧، سورة الانشراح.

(٦) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٣٥. لسان العرب٤: ٥٦٣ (عسر). مجمع البيان١٠: ٣٩٠، سورة الانشراح.

(٧) أصل التبريح: المشقَّة والشدَّة، يقال: برّح به، إذا شقّ عليه. النهاية ١: ١١٣ (برح).

إذا جَدَّ[١] بِكَ الهَمُّ ففكّر في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾
حَلِيف[٢] العُسر يُسران إذا هَمَّ بأن يَسنَح[٣][٤]

وهذا ليس بشيءٍ؛ لأنّ ذلك إنّما كان يستقيم إذا كانت اللام لتعريف العهد؛ فأمّا إذا كانت لتعريف الجنس فلا يطّرد هذا، والتقدير أنّ جنس العُسر يُسراً، ولذلك في الثاني، فهذا هو الوجه.

وقال آخر:

لا تَيأَسْ مِن رحمة الله إنّه قديرٌ على تَيسير كلّ عَسيرٍ
فبينَ تَرقّي جَوزةٍ وانحدارها فكاكُ أسيرٍ وانجبارُ كَسِيرِ[٥]

وقال آخر ـ وقيل هو **للصادق جعفر بن محمّد**عليهما السلام ـ :

فلا تَجزَع وإن أعسَرتَ يوماً فقد أَيسرتَ في الدهر الطويل
ولا تَيأَس فإنّ اليأسَ كُفرٌ لعلّ الله يُغني عن قليل
ولا تَظُنَّن بربّك ظَنَّ سُوءٍ فإنّ الله أولى بالجَميل[٦]

---

(١) جدَّ به الأمر: اشتدَّ. المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٨٧ (جدد).

(٢) كلُّ شيء لزم شيئاً لم يفارقه فهو حليفه. كتاب العين ٣: ٢٣١ ـ ٢٣٢ (حلف).

(٣) سنح لي رأي في كذا: عرض وظهر. وسَنَحَ الشيءُ يَسنَح سُنوحاً: سَهُلَ وتيسَّر. الصحاح ١: ٣٧٧؛ المصباح المنير: ٢٩١ (سنح).

(٤) الفرج بعد الشدّة١: ٢٦. تفسير الثعلبي١٠: ٢٣٥، سورة الانشراح، باختلاف يسير.

(٥) مفيد العلوم: ٢٨٨، باختلاف يسير والبيت للبستي.

(٦) كشف الغمة٢: ١٦٢. بحار الأنوار٧٥: ٢٠٣/ باب مواعظ الصادق جعفر بن محمّد ووصاياه وحكمه، ح٣٦.

ولأبي بكر العلاّف وقد عُوفي من مرضٍ أشفى[١] به على الموت وأَيِسَ منه، فقال في ذلك وأحسن:

قد ساقَ ربّي إليَّ خيراً فأَسأَلُ الله لي تمامه

وقُمتُ من مَرْضَةٍ أقامت عليَّ آفاتُها القِيامةَ

سَلَّ[٢] عليَّ البلاءُ فيها مُرهَفَه[٣] وانتَضَى[٤] حُسامَه[٥]

حتّى إذا قيل قد أَلَبَت[٦] تَنقُص مِن لَحمه عِظامَه

نَفَضتُها[٧] سالماً ولكن مَن لي من الموت بالسلامة

ولي غَرِيمٌ[٨] من المَنايا[٩] قد لَزِمَتني له الغَرامةُ

وبالتَّغاضِي[١٠] له أذانٌ وإنّما أرقب[١١] الإقامة

يا من تَقَضَّى الحياةُ منه بلا استواء ولا استقامة

(١) أشفى على الشيء: أشرف عليه. شمس العلوم ٦: ٣٥٠٧ (شفو).

(٢) السَّلُّ: إخراج الشيء من الشيء بجذب ونزع كسَلِّ السيف من الغِمد. المغرب ١: ٤٠٩ (سلل).

(٣) المُرهَف: المُرقَّق والمُحدَّد، والمراد: السيف، يقال: رَهَفَ السيفَ ــ كمنع ــ وأرهفه: رقَّقه. المحيط في اللغة ٣: ٤٧٧؛ القاموس المحيط ٣: ١٩٧ (رهف).

(٤) نضا السيفَ وانتضاه: أخرجه من غِمده. النهاية ٥: ٧٢ (نضا).

(٥) الحُسام: السيف القاطع. الصحاح ٥: ١٨٩٩ (حسم).

(٦) أَلَبَت: رجعت وعادت. معجم مقاييس اللغة ١: ١٢٩ (ألب).

(٧) نَفضتُها: نفضتُ منها؛ أي برئت منها. أساس البلاغة: ٦٤٨ (نفض).

(٨) الغريم: الذي له الدَّين. والغَرامة: أداء شيء لازم. الصحاح ٥: ١٩٩٦ (عزم).

(٩) المَنايا: جمع المَنِيّة وهي الموت؛ لأنَّها مقدَّرة، من المُنى بمعنى التقدير. الصحاح ٦: ٢٤٩٧ (منا).

(١٠) التغاضي: التغابي والتغافل. تهذيب اللغة ٨: ١٤٧ (غضا).

(١١) رَقَبتُ الشيء أَرقُبه رِقبة ورِقباناً: انتظرت. كتاب العين ٨: ١٥٤ (رقب).

تَركُكَ ما تَستَلِذُّ خيرٌ مِن لَذَّةٍ تَعقُب النَّدامَة

فالموت يَأتي بلا رسولٍ ولا دليلٍ ولا عَلامَة

فلَيتَ شِعري إلى هوانٍ يَنقُلُني أم إلى كرامَة[1]

وللأُستاذ أبي إسماعيل الأصفهاني[2] ما يقرُب منه:

لا تيأَسَنَّ إذا ما كُنتَ ذا أَدبٍ على خمُولِك[3] أن تَسمُو إلى الفَلَك

بَينا ترى الذهبَ الإبرِيزَ[4] مُطَّرَحاً في مَعدِنٍ إذ غدا تاجاً على مَلِك[5]

٥٠٣. وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرى بِمَا هُوَ كَائِنٌ[6].

يعني: القلم الذي خلقه الله فوق اللوح قد جرى بأمر الله سبحانه،

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الحسين بن عليّ بن محمّد بن عبد الصمد، أبو إسماعيل، الأصبهاني الطغرائي: شاعر شيعي، من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ. ولد بأصبهان سنة ٤٥٥ هـ. واتصل بالسلطان مسعود بن محمّد السلجوق فولاه وزارته. نسبه الطغرائي إلى كتابه الطغراء. له ديوان شعر وأشهر شعره (لامية العجم) ومطلعها: أصالة الرأي صانتني عن الخطل.
أُنظر: معجم الأدباء ١٠: ٥٦- ٧٩. أمل الآمل٢: ٩٥، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٢٣.

(٣) الخُمول: نقيض النَّباهة. شمس العلوم ٣: ١٩٢٤ (خمل).

(٤) الإبريز من الذهب: الخالص. تهذيب اللغة ١٣: ١٣٩ (برز).

(٥) أعلام الدين٨٩. روض الأخيار: ٣٠، باختلاف يسير.

(٦) مسند الشِّهاب١: ٤٣٤، قطعة من ح٧٤٥. المستدرك على الصحيحين٣: ٥٤٢. المعجم الكبير١١: ١٠١. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢١٤، قطعة من ح٦٣٦، عن ابن عبّاس.

وكَتَبَ على اللوح المحفوظ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، والغرض في ذلك أُمورٌ:

منها: أنّ الملائكة إذ رأتْ ذلك علِمَت وعرفت من ذلك ما كُلِّفوا معرفته، كالعلم بالآجال والأرزاق وغير ذلك ممّا يحتاجون إلى العلم بذلك.

ومنها: أن يكون في ذلك لطفاً لهم واعتباراً يدعوهم إلى ازدياد العبادة عنده، والانتهاء عن المعصية.

ومنها: أنّا إذا سمعنا ذلك من كتاب الله و إخبار **رسول الله**، وعلمنا بكون ذلك لطفاً لنا، يدعونا إلى الطاعة، ويَصرفنا عن المعصية، واعتباراً نَعتبر بأنّ الله تعالى قد ذكر أحوالنا وما يجري لنا أو علينا في الملأ الأعلى، وعَرَضَها على الملائكة المقرّبين، ثمّ إنّه ـ جلّ جلاله ـ يمحو من ذلك ما يشاء ويُثبت بحسب المصلحة عند أسباب تتغيّر المصلحة بتغيّرها؛ وذلك قوله: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

ومنه الحديث الآخر: «**جَفَّ القلمُ بما أنتَ لاق**»[2].

---

(١) سورة الرعد١٣: ٣٩.

(٢) صحيح البخاري٦: ١١٨/ باب ما يكره من التبتُّل والخصاء. السنن الكبرى للنسائي٣: ٢٦٤/ النهي عن التبتُّل، ح٥٣٢٣. مسند الشِّهاب١: ٣٥٣، ح٦٠٣، وفيها عن أبي هريرة قال: قلت: يا **رسول الله**، إنّي رجل شابّ، وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوّج به النساء! فسكت عنّي، ثمّ قلت مثلَ ذلك فسكت عنّي، ثمّ قلت مثلَ ذلك فسكت عنّي، ثمّ قلت مثل ذلك، فقال **النبيُّ**ﷺ: «**يا أبا هريرة، جفّ القلم بما أنت لاق فاختصَّ على ذلك أو ذر**».

٥٠٤. عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ[1].

صورة هذه الصيغ صورة الأمر، ومعناه التهديد والتحذير، والمعنى: إنّك وإن عِشت مَليّاً، وبَقيتَ عمراً طويلاً، فإنّ عاقبتك الموت! والخطاب لمخاطب منهم، والمرجع به إلى جميع المكلّفين؛ لأنّ مَن عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ[2]. ولقد قرأنا أخبار المعمَّرين[3] وأنّ فيهم من عاش ألف سنة وأقلّ وأكثر، لم يَنجُ أحدٌ منهم من الموت. وقد اشتهر بين العلماء قصّة لقمان بن عاد، وأنّه عاشَ عمر سبعة أنسُر، عمر كلّ نسر خمسمائة عام.

روي أنّ عاداً وبنيه خرجوا إلى مكّة، فهلكَ عاد في الطريق، وخرج بنوه إلى مكّة، فسأل الله كُلُّ واحدٍ منهم شيئاً؛ فسأل لقمان أن يطول عمره، فأعطاه الله عمر سبعة أنسر، فعاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، كلّما مات نسرٌ قام ولده مقامه، حتّى صارت النوبة إلى لُبَد، وهو آخر نُسوره السبعة، فمرض لبد ولقمان معه، فأتى لقمان لبد وقال: انهض لبد!

---

(١) مسند الشّهاب١: ٤٣٥، ح٧٤٦. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٢٤. المعجم الأوسط٤: ٣٠٦. معاني الأخبار: ١٧٨، ح٢، عن سهل بن سعد.

(٢) روي عن قس بن ساعدة الايادي، الأمالي للمفيد: ٣٤١، قطعة من ح٧. المعجم الكبير١٢: ٦٩. مروج الذّهب١: ٨٢.

(٣) أُنظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٥٥٥/ الباب الرابع والخمسون، ذكر المعمرين. الفاضل: ٦٨/باب في بعض أخبار المعمرين.

فأراد أن ينهض فلم يستطع، وكان ضَعُف أيضاً، فعلم أنّه دنا أجَلُه، فقال: أتى أبد على لبد[١]! أرسلَها مَثَلاً[٢]، والأبد الدهر[٣]؛ يعني: أتى حوادث الدهر على لبد.

وقال لَبيد في ذلك:

ولقد جَرى لُبَدُ فأَدرَكَ جَريَه ... رَيبُ الزمان[٤] وكان غَيرَ مُثقَّل

لمّا رأى لُبَدُ النُّسورَ[٥] تَطايرت ... رَفَعَ القَوادمَ[٦] كالفقيرِ الأعزَلِ

مِن تحته لقمانُ يرجو نَهضَه ... ولقد رأى لقمانُ أن لا يَأتلي[٧]

وقال النابغة:

أضحَتْ خَلاءً وأضحَى أهلُها احتَمَلوا ... أخنَى عليها[٨] الذي أخنَى على لُبَدِ[٩]

---

(١) أُنظر: الغيبة للطوسي: ١١٤. كمال الدين و تمام النعمة٢: ٥٥٩. الصحاح٢: ٥٣٤ (لبد).

(٢) أُنظر: إعلام الورى: ٤٧٣. أساس البلاغة: ٥٥٧.

(٣) الصحاح٢: ٤٣٩. النهاية١: ١٣. معجم مقائيس اللغة١: ٣٤ (أبد).

(٤) رَيبُ الزمان: صروفه و حوادثه. لسان العرب ١: ٤٤٢ (ريب).

(٥) النُّسور: جمع النَّسر، وهو طائر معروف. المصباح المنير: ٦٠٣ (نسر).

(٦) قادِمُ الإنسان: رأسه. والجمع: القوادم. المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٢٤ (قدم).

(٧) المعمَّرون والوصايا: ١. مجمع الأمثال١: ٤٤٣. الحيوان٦: ٤٨٦.

(٨) أخنَى عليها: أتى عليها وأهلكها، أو عطف عليها بشدائده. جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٦. الصحاح ٦: ٢٣٣٢ (خنو).

(٩) اللُّبَد: اللازم لموضعه لا يفارقه، وآخر نسور لقمان. المحيط في اللغة ٩: ٣١٥. الصحاح ٢: ٥٣٤. ومصادر البيت: الفاخر١: ٨٤. الصحاح٢: ٥٣٤ (لبد). مجمع الأمثال١: ١٣٩.

وقال بعضهم:

أَرَى كُلَّ ذي نفْسٍ وإن طالَ عُمرُه … يُشابُ له سمٌّ من الموت مِنقَع[(١)]

لكلّ امرئٍ حازٍ[(٢)] من الموت خلفه … وقُدّامه داعٍ إلى الموت يَتبَع

وكلّ امرئٍ لاقٍ من الموت سَكرَةً … له ساعةٌ فيها يَذِلُّ ويَضرَعُ[(٣)]

أَرَى الموتَ باباً مَن يَلِجْ فيه مرّةً … فليس إلينا آخِرَ الدهر يَرجع

وكيف اغتباطي بالحياة ولذّتي … وأسبابها حتّى أراها تقطّع

أراها وإن كانت تحبّ كأنّها … سحابة صيفٍ عن قليلٍ تقشعِ[(٤)]

وأمّا تفرقة الأحباب، فالدنيا على هذا بُنيتْ[(٥)].

قال أبو الطيّب:

على ذا مَضَى الناسُ اجتماعٍ وفُرقةٍ … ومَيِّتٍ ومولودٍ وقالٍ ووامقِ

---

(١) المِنقَع: الإناء الذي يُنقع فيه الدواء ونحوه، والموضع يَستنقع فيه الماء. الصحاح ٣: ١٢٩٢. شمس العلوم ١٠: ٦٧١٧ (نقع).

(٢) الحازي: الكاهن، والذي يَنظر في الأعضاء وفي خَيلان الوجه يَتهكّن. كتاب العين ٣: ٢٧٤ (حزي). لسان العرب ١٤: ١٧٤ (حزو).

(٣) يَضَرَعَ: استكانَ وذلَّ. جمهرة اللغة ٢: ٧٤٧ (ضرع).

(٤) أُنظر: قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ١٢٣. حلية الأولياء ٣: ١٦. روي البيت الأخير من سفيان الثوري في تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٤٩٧.

(٥) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ **أَبِي جَعْفَرٍ**ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَ قِيلَ مَنْ راقٍ وَ ظَنَ أَنَّهُ الْفِراقُ﴾ القيامة٧٥: ٢٧- ٢٨ قَالَ: «**فَإِنَّ ذَلِكَ ابْنُ آدَمَ إِذَا حَلَّ بِهِ الْمَوْتُ، قَالَ: هَلْ مِنْ طَبِيبٍ؟ إِنَّهُ الْفِرَاقُ، أَيْقَنَ بِمُفَارَقَةِ الْأَحِبَّةِ ...**». الكافي ٣: ٢٥٩/ بَابُ النَّوَادِرِ، ح٣٢.

تَغَيَّــرَ حــالي والليــالي بحالهــا وشِبتُ وما شابَ الزمانُ الغُرانِقِ[١]

الخزاعيُّ قال: أنشدتُ رسولَ الله ﷺ شعرَ سُوَيدِ بن عامرٍ المصطَلَقي:

لا تــأمَنَنَّ وإن أمسيتَ فـي حَـرَم إنّ المنايـا بَجَنْبَـي كـلِّ إنسـانِ

فكُـلُّ ذي صـاحبٍ يومـاً يفارِقـه وكـــلّ زادٍ وإن أبقَيتَـــه فـــاني

فاسلُكْ طريقَك تَمشي غيرَ مُختشِع[٢] حتّى تُلاقي ما يَمنِي لك الماني[٣]

والخيرُ والشرُّ مقرونـانِ في قَرَن[٤] بكُـلِّ ذلـك يَأتيـكَ الجديـدان[٥]

وقيل: إنّ امرأةً كانت لها دارٌ شارعة إلى سِكَّة المِربَد[٦]، فإذا أصبحتْ فتحتْ بابَها فيَمُرُّ بها الناسُ مُقبِلين ومُدبرين في حوائجهم، وكان يَمرُّ بها ثلاثةُ إخوةٍ يَبيعون السابريَّ[٧]، فإذا رأَتْهم أقبلوا قالت:

لن يلبث القُرَناءُ أن يتفرَّقوا لـيلٌ يَكُرُّ عـليهم ونهـارِ

(١) الغُرانِق: الشابُّ الأبيض الجميل. كتاب العين ٤: ٤٥٨ (غرنق). ومصادر الشعر: يتيمة الدّهر١: ٢٤٣. شرح ديوان المتنبي للواحدي١: ٦٣ ـ ٦٤. المنصف للسارق والمسروق منه: ٧٧١ ـ ٧٧٢، نسب فيها إلى المتنبِّي.

(٢) اختَشَع: خشع، وتخشَّع، وطأطأ صدره وتواضع، ورمى ببصره الأرض. تهذيب اللغة ١: ١٠٨. لسان العرب ٨: ٧١ (خشع).

(٣) يَمني لك الماني: يقدِّر لك المقدِّر، مِن: مَنَى اللّٰهُ يَمنيه: قَدَّره. الصحاح ٦: ٢٤٩٧. المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥١٠ (مني).

(٤) القَرَن: الحَبل يُقرَن به، والجعبة. كتاب العين ٥: ١٤١. صحاح اللغة ٦: ٢١٧٩ (قرن).

(٥) المعجم الكبير١٩: ٤٣٢. العقد الفريد٦: ١٢٥. أمالي المرتضى١: ٣٦٨، باختلاف يسير.

(٦) المِربَد: الموضع الذي تُحبَس فيه الإبل وغيرها. الصحاح ٢: ٤٧١ (ربد).

(٧) السابريُّ: ضربٌ من الثياب رقيقٌ، وضرب من التمر. الصحاح ٢: ٦٧٥. لسان العرب ٤: ٣٤٢ (سبر).

فما لبثوا أن مات أحد الثلاثة وبقي اثنان، فكانت إذا رأتْهما قالت:

وكُــلُّ أخٍ مفــارِقُه أخـوه لَعَمرُ أبيكَ إلّا الفَرقَدان

فمات أحدُهما، وبقي الآخَر، فكانت إذا رأته قالت:

كُلُّ بَني أُنثى وإن كَثُروا يوماً يَصيرون إلى واحدِ

فتَرَكَ الرجُلُ طريقَه إلى طريقٍ آخَر(١).

وقال بعض الحكماء: والله لو أُلهِمَت الجمادات وسائر الحيوانات حرارةَ الاشتياق ومرارة الفراق، لوَقَفَتِ المياهُ عن جَريها، وأمسكَتِ الشمسُ عن سَيرها، ولذابَت الجواهرُ في معادنها، وتقلَّعَت الجبالُ عن أماكنها، ولما انتَفَعَ الناسُ بالنهارِ المضيء، ولا اهتدى أحدٌ بالكوكب الدرّيّ(٢)، وأنشد:

شيئان لو بَكَتِ الدماءَ عليهما عَينايَ حتّى تُؤذِنا بذَهابِ

لم تَبلُغا المِعشارَ مِن حَقَّيهما فَقْدُ الشباب وفُرقةُ الأحباب(٣)

وقال بعضهم وقد فَسَّرَ قولَه ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾(٤) على أحد الأقوال: لأُفرِّقَنَّ بينه وبين قرينته(٥).

---

(١) التعازي والمراثي: ١١٢/باب من التعازي والتعزّي في الأشعار.

(٢) روض الجنان١٣: ١٧ و١٩: ١٤٢. تفسير گازر ٥: ٤٠٧.

(٣) اعتلال القلوب للخرائطي٢: ٣١٥، عن سلامة بن إسحاق الورّاق. يتيمة الدّهر٤: ٨٤. محاضرات الأدباء٢: ٣٥٦.

(٤) سورة النمل٢٧: ٢١.

(٥) أُنظر: تفسير الثعلبي٧: ١٩٨. تفسير البغوي٣: ٤٩٧، سورة النمل.

وقال بعضهم:[١]

إنّ يــومَ الفــراقِ قَطَّــعَ قلبــي　　قطَّــع اللهُ قلــبَ يــومِ الفِــراقِ

لــو وَجَــدْنا إلــى الفِــراقِ سـبيلا　　لَأذَقْنــا الفِــراقَ طَعــمَ الفِــراقِ

وقال آخر:

وادَّعــوني وأودَعــوني سِــقاماً　　ثــمّ بــانوا وبــانَ مِنّــي عَزائــي

لـيس مـا بـي مِـن السِّقامِ عجيباً　　عَجَبـي مِـن فـراقِهم وبقـائي[٢]

ولابدّ من مفارَقة الأحباب والأهلِ والأولاد؛ فإنّ الله بَنَى الدُّنيا عليها[٣]؛ قال الشاعر[٤]:

مَن لم يَمُتْ عُبطَةً[٥] يمُت هَرَماً　　للـموتِ كـأسٌ فالمرءُ ذائِقُها[٦]

---

(١) روض الجنان ١٣: ١٧. الأمالي للقالي ١: ١٦٦، ونسب إلى أبي الحسن المظفَّر بن عبدالله.

(٢) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني: ٥٦٤، عن أبي مسلم عبد الرحمن بن أبي بكر الكروي.

(٣) عنبسة بن بجاد العابد قال: لمـّا مات إسماعيل بن جعفر بن محمّد ، وفرغْنا من جنازته، جلس **الصادق جعفر بن محمّد** عليه‌السلام، وجلسنا حوله وهو مُطرِق، ثم رفع رأسه فقال: «**أيُّهَا النّاسُ، إنَّ هذِهِ الدُّنيا دارُ فِراقٍ ودارُ التِواءٍ لا دارُ استِواءٍ، عَلى أنَّ فِراقَ المَألوفِ حُرقَةٌ لا تُدفَعُ، ولَوعَةٌ لا تُرَدُّ**»، كمال الدين: ٧٤. الأمالي للصدوق: ٣٠٩، ح٣٥٦.

(٤) هو أمية بن عبدالله أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي، حكيم ومن أهل الطائف، شعره من الطبقة الأولى. توفّي سنة ٧٥ هـ. الأعلام ٢: ٢٣.

(٥) العُبطة: الطَّريُّ. القاموس المحيط ٢: ٥٦٦ (عبط).

(٦) عيون الأخبار ٢: ٤٠٥. الصحاح ٣: ٩٦٩. الاستيعاب ٤: ١٨٩٠.

فإذا عَلمتَ أنّ الدُّنيا لا تَبقى لك ولا تَبقى لها، فاترُكْها قبل أن تَترُكَكَ، ووَدِّعْها قبل أن تُوَدِّعَك، وطَلِّقْها قبل أن تُهلِكك، وخَلِّصْ نفْسَك منها، والخلاصُ منها لا يكون إلّا بالعمل الصالح؛ فإنّ الدُّنيا دار عملٍ، والآخرة دار جزاءٍ؛ لذلك قال ﷺ: «**اعمَلْ ما شِئتَ؛ فإنّك مَجزيٌّ به**»، خَيَّرك وجَعَلَ زمامَ الاختيار بيدك، فأنتَ مخيَّرٌ غير مُجبَرٍ، نَهَجَ لك السبيل، وأوضَحَ لك الدليلَ، وأنزلَ عليك الكُتب، وأرسلَ إليكَ الرُّسل، ووَعَدَكَ بالثواب، وأوعدكَ بالعقاب، ولم يَأْلُكَ[1] أمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، وترغيباً وترهيباً، وإعذاراً وإنذاراً؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[2]، فالقرآن مملوّ بجزاء الأعمال؛ من قوله: ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُون﴾[3] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4] ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[5] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[6] ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرا﴾[7] إلى ما لا يُحصى من الآيات المحكمة، فلا تُغالِطْ نفْسَك، ولا تُمَنِّها الباطل؛ فإنّك مَجزيٌّ بما عَملتَ، مُثابٌ أو مُعاقَبٌ على

---

(١) ألَا يألو: قَصَّر. الصحاح ٦: ٢٢٧٠ (ألو).

(٢) سورة الأنفال٨: ٤٢.

(٣) سورة السجدة٣٢: ١٧. سورة الأحقاف٤٦: ١٤. سورة الواقعة٥٦: ٢٤.

(٤) سورة التوبة٩: ٨٢.

(٥) سورة الأحزاب٣٣: ٢٤.

(٦) سورة النجم٥٣: ٣١.

(٧) سورة الإنسان٧٦: ١٢.

ما فَعلتَ، والحديث وارد مورد الوعظ والنصيحة والتذكير للناسي والتنبيه للغافل؛ وفّقَنا الله لما فيه المحبّة والرِّضا.

٥٠٥. اِصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلى مَنْ لَيْسَ أَهْلَهُ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ[١].

هذا المعروف مخصوص بالبِرّ والصِّلَة والعطيّة على سبيل التطوّع والتبرّع أو السخاء والمروءة، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[٢].

فأمّا الزكاة الواجبة، فلا يجوز أن تُعطى إلّا المؤمنَ المستبصرَ مِن الأصناف[٣] الذين ذكَرَهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[٤] الآية، وسهمُ العاملين عليها والمؤلَّفة قلوبُهم وسهمُ المجاهدين ساقطٌ اليومَ لفَقدِ شرائطها، فبقيت من الثمانية خمسة

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٣٦، ح٧٤٧، عن سعيد بن مسلمة. جزء نافع بن أبي نعيم: ٤٥، ح١٤، عن جهم بن عثمان، عن أبيه. الكافي٤: ٢٧ / باب فضل المعروف، ح٦، عن جميل بن درّاج. الاختصاص: ٢٤٠، جميعا عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٢) سورة البقرة٢: ٢٧٢.

(٣) راجع: الكافي٣: ٥٤٥/كتاب الزكاة، باب الزكاة لا تعطى غير أهل الولاية. وسائل الشيعة٦: ١٥١/ كتاب الزكاة، باب اشتراط الإيمان والولاية في مستحقّ الزكاة إلّا المؤلَّفة ... .

(٤) أُنظر: وسائل الشيعة١٦: ٢٩٤/ بَابُ اسْتِحْبَابِ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ مَعَ كُلِ أَحَدٍ ... .

وهـم: الفقـراء، والمسـاكين، والرِّقـاب، والغـارمون، وابـن السـبيل؛ فكأنّـه قـال: لا يخلـو معروفـك مـن أحـد أمـرين: إمّـا أن يقـع إلـى مـن هـو أهلـه مستحقّاً لذلك، فهو واقعٌ موقعه؛ لأنّه وقع إلى أهله، أو يقع إلى من لـيس مسـتحقّاً لـه، فـإن كـان كـذلك فأنـت أهـلٌ للصـنيعة والهِبَـة والإعطـاء والإحسان واكتساب الثناء الجميل وادّخار الثواب الجزيل.

ومعنى الحديث: الحَثّ على الإعطاء والسخاء على كلّ أحدٍ؛ لأنّ للسائل حقّ السؤال في عَرْض حاله عليك وإراقةِ ماءِ وجهه لديك، والله الكافي والمجازي على كلّ أحدٍ على حسب نيّته.

٥٠٦. اِشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجي[١].

الأزمَة: الشدَّة، وأصله الأزم وهو العضّ[٢]، قال:

إذا الدّهر عضتـك أنيـابه   لدى الشّر فأزم به ما أزم[٣]

أرادَ نكبات الزمان وشدائد الدهر ومصيبات الليالي والأيّام، يخاطبها على سبيل التوسّع، ويأمرها بالاشتداد؛ فإنّها إذا اشتَدَّتْ شَدَّتِ الرجُلُ،

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٣٦، ح٧٤٨، عن ضميرة. الفرج بعد الشدّة للتنوخي١: ٤٤، عن الإمام عليّ .

(٢) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ١: ٤٧. كتاب العين٧: ٣٩٥. معجم مقاييس اللغة١: ٩٧ (أزم).

(٣) شرح ديوان الحماسة للشيباني: ٢٤٩.

وإذا تناهتْ انتهت وأذِنَت بالانكشاف والانفراج[١]، كقول القائل:

إذا الحادثـاتُ بَلَغْـنَ المـدَى[٢] وكـادتْ تَـذوبُ لَهـُنَّ المهـج[٣]

وحَــلَّ الــبلاءُ وقَــلَّ العــزاء فعِنـدَ التَّنـاهي يكـون الفَـرَج[٤]

والعرب تقول: إنّ الشدّة إذا توالتْ تَوَلَّت[٥]، وإذا نقضتْ انقَضَتْ، وإذا جَلَّتْ انجَلَتْ، وقال بعضهم في معناه:

قُلْ للزمان الذي أبدَى عجائبَه الله منك ومن تصريفك الكافي

فاجهد بجهدِك فيما قد قصدتَ له ففُرجَةُ الله بين النونِ والكافِ

قال أبو عبيد: الأزمَة السَّنَة المُجدِبَة[٦]، والأزم: الإمساك عن الأكل[٧]، ومنه الحديث: «**نِعْمَ الدَّواء الأزْم**»[٨] أراد الحميّةَ، وهذا على طريق المَثَل، وهو معروفٌ عند العرب والعجم.

---

(١) قال **الإمام عليّ** : «**عندَ تَناهِي الشِّدّةِ تكونُ الفُرجَةُ، وعندَ تَضايُقِ حَلَقِ البَلاءِ يكونُ الرَّخاءُ**». نهج البلاغة/ الحكمة ٣٥١.

(٢) المَدَى: الغاية. الصحاح ٦: ٢٤٩٠ (مدي).

(٣) مَهَجَ وجهُه مَهْجاً: حَسُنَ بَعد علَّة. الطراز الأوَّل ٤: ٢٢٢ (مهج).

(٤) الفرج بعد الشدة للتنوخي٥: ٢٣.

(٥) تفسير الثعلبي١٠: ٢٣٦، سورة الانشراح. شعب الإيمان٧: ٢٢٥، ح١٠٠٩٨. والبيت الكامل لزيد بن محمّد العلوي:

فاصطبر وانتظر بلوغَ مَداها فالرزايا إذا توالت تولّت

(٦) النهاية في غريب الحديث ١: ٤٧ (أزم).

(٧) جمهرة اللغة٢: ١٠٧١. التبيان في تفسير القرآن١: ١٥٦، سورة البقرة.

(٨) مجمع الأمثال ٢: ٣٠٤.

٥٠٧. أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً[١].

يخاطِب بلالاً المؤذِّنَ، وهو من جملة المهاجرين، وله فضائل مشهورة[٢]، وحذفُ حرفِ النداء لما دلّ الكلام على حذفه، أراد «**يا بلال**» كما قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾[٣][٤].

وقيل: الحديث ورد على سببٍ، وهو أنّ جُلَّةً[٥] من التمر حصل، فأمر **النبيُّ** ﷺ بلالاً بتفريقها، فجعل يأخذ قبصةً ـ بالصاد غير المعجمة ـ وهو القبض بأطراف الأصابع، والقبض بالضاد المعجمة بجميع الكف، فقال له **النبيّ** : «**وَسِّعْ في تفريقك**»[٦]. ومثله الخَضم والقَضم[٧]، وقال ﷺ : «**يقول الله لعبده: أَنفِقْ يا ابنَ آدمَ، أُنفِقْ عليك**»[٨].

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٣٧، ح٧٤٩، عن عبدالله بن مسعود. مسند أبي يعلى١٠: ٤٣٠، قطعة من ح٦٠٤٠. المعجم الأوسط٣: ٨٦، عن أبي هريرة. الكافي٤: ٤٣ / باب الإنفاق، قطعة من ح٥، عن ابن أبي نصر، عن **الإمام الرضا** ، باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: سير أعلام النبلاء١: ٣٤٨. المعجم الكبير٥: ٢٠٩. تاريخ دمشق١٠: ٤٦٠ و... .

(٣) سورة يوسف ١٢: ٢٩.

(٤) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٦: ١٢٧. تفسير الطبري١٢: ٢٥٧، سورة يوسف.

(٥) الجُلَّة: وعاء التمر. الصحاح ٤: ١٦٥٨ (جلل).

(٦) تفسير البغوي ١: ٣٧٣. قوت القلوب ٢: ٤٩.

(٧) القَضْم: الأكل بأطراف الأسنان، والخَضْم بالفم كلّه. معجم مقاييس اللغة٥: ٩٩ (قضم).

(٨) صحيح البخاري: ٦: ١٨٩. صحيح مسلم ٣: ١٧٧. تفسير مجمع البيان ٨: ٢٢٢، عن أبي هريرة.

وقال الكلبي: ما تصدّقتم بصدقةٍ، وأنفقتم في الخير والبِرّ من نفقةٍ، فهو يخلفه؛ إمّا أن يعجّلَه في الدُّنيا، وإمّا أن يَدَّخِرَ له في الآخرة[١]. والإقلال: الفقر، يُقال: (أقَلَّ الرجُلُ) إذا قَلَّ مالُه، وقيل: هو من باب «**صار ذا كذا**»[٢] كقولهم: (أجرَبَ الرجُلُ) إذا صار ذا إبلٍ جَربَى[٣]، و«**أصَحَّ**» إذا صار ذا إبلٍ صِحاح[٤]، ومنه الحديث: «**لا يورِدَنَّ ذو عاهةٍ على مُصِحٍّ**»[٥]. و«**أعطَشَ الرجُلُ**» إذا صار ذا إبلٍ عِطاش[٦]. قال: كقِربةِ[٧] الثَّلَّةِ[٨] المعطّش[٩][١٠]. والخشية: الخوف[١١].

(١) تفسير الثعلبي٨: ٩١. تفسير البغوي٣: ٥٦٠. مجمع البيان ٨: ٢٢٢، سورة سبأ.

(٢) شمس العلوم٨: ٥٣٣٣. المصباح المنير٢: ٥١٤ (قلل).

(٣) جربَى: جمع أجرَب، والجَرَب معروف، بَثَرٌ يعلو أبدانَ الناس والإبل. أُنظر: الصحاح١: ٩٨ (جرب). شمس العلوم٢: ١٠٧٦. مقدّمة الأدب: ٤٢ و١٥٣.

(٤) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٣: ٢٨١. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٢ (صحح).

(٥) معاني الأخبار: ٢٨٢. غريب الحديث لابن سلّام٢: ٢٢١. الصحاح١: ٣٨١ (صحح).

(٦) أُنظر: الصحاح٣: ١٠١٢. لسان العرب٦: ٣١٨ (عطش).

(٧) القِربة: ما يُستقى به الماء. مجمع البحرين ٢: ١٤٢ (قرب).

(٨) الثَّلَّة: جماعة الغنم وأصوافها، والصوف، وظِمْء يومين بين شُربَين. المحيط في اللغة ١٠: ١٢٧؛ لسان العرب ١١: ٨٩ (ثلل).

(٩) المعطَّش: المحبوس عن الماء عمداً. لسان العرب ٦: ٣١٨ (عطش).

(١٠) شرح ديوان الحماسة١: ١٣١٧، والبيت الكامل: وثدي يجول على نحرها... كقربة ذي الثلّة المعطّش.

(١١) العين٤: ٢٨٤. المحيط في اللغة٤: ٣٧٥ (خشي).

والإنفاق: إخراج المال من اليد[١]، و(نَفَقَتِ الدابّةُ) إذا خرجتْ روحُه، و(نَفَقَ المتاعُ) إذا خرج مِن يدِ البائع[٢].

والعَرش يحتمل معنيين:[٣]

أحدهما: العرش الذي هو السماء فوق الكرسيِّ في قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٤].

والثاني: المُلك؛ في قول الشاعر:

رأوا عـرشي تَثَلَّمَ جانباه فلـمّا أن تَثَلَّمَ أفـرَدُوني[٥]

ومعنى الحديث: الحَثُّ للناس على إنفاق المال، وأن لا يُمسِكوا خوف الفقر وخشية الإملاق؛ فإنّ الله يعوِّض عليهم[٦]، وقوله ﷺ: **«مَن أيقَنَ بالخَلَفِ جادَ بالعَطيّة»**[٧].

---

(١) تفسير الفخر الرازي٢: ٣١. تفسير القرطبي١: ١٧٨، سورة البقرة.

(٢) أُنظر: معجم المقاييس اللغة٥: ٤٥٤. كتاب العين٥: ١٧٧ (نفق).

(٣) أُنظر: كتاب العرش: ١٢/ ذكر العرش في القرآن. مجمع البيان ٥: ١٤٩، سورة التوبة.

(٤) سورة التوبة٩: ١٢٩.

(٥) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٠٦. روض الجنان٨: ٢٢٠.

(٦) أُنظر الكافي٤: ٤٢/ بَابُ الْإِنْفَاق. وسائل الشيعة٢١: ٥٤٧/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْإِنْفَاقِ وَكَرَاهَةِ الْإِمْسَاك.

(٧) الكافي٤: ٢/ باب فضل الصدقة، ح٤، عن السكوني، عن الإمام الصادق وفيه (صدق) بدل (أيقن). مسند الشِّهاب١: ٢٣٣، ح٣٦٥، عن عبدالله بن الزبير، عن الإمام عليّ ، عن رسول الله . نهج البلاغة/ الحكمة١٣٧.

ولو لم يكن في السخاء إلّا حسن الثناء لكفى، ألا ترى أنّ عبدالله بن جعفر الطيّار ـ رضي الله عنهما ـ لُقِّب لجودِه بعبدالله الجواد؟ وحكاياتُه وأخباره في السخاء معروفة[١].

ورويَ أنّ رجلاً من بني أسد قَصَدَ عَمرو بن عثمان بن عفّان ـ وهو أمير مكّة ـ يستحمله فلم يحمله، فجاء إلى عبدالله بن جعفر، وأنشده:

أبا جعفرٍ بَخِلَ الأميرُ بمالهِ وأنتَ على ما في يدَيك أميرُ

أبا جعفرٍ إنّ الحَجيج تَرَحَّلوا وليس لرَحلي فاعلَمَنَّ بَعيرُ

أبا جعفرٍ مِن بيتِ صدقٍ مباركٌ صلواتُهم للمسلمين طَهورُ

فقال: دونَكَ البعيرُ وما عليه، وإيّاك أن تُخدَع عن السَّيف؛ فإنّي أخذته بألف! فقبضه الأعرابي وهو يقول:

حَباني[٢] عبدالله نفْسي فداؤُه بأعيَس[٣] مَيّاسٍ[٤] بسيطٍ مَشافِرُه[٥]

وأبيَضَ مِن ماءِ الحديدِ كأنّه شِهابٌ والليلُ داجٍ عساكرُه

وأيُّ امرئٍ يَرجو نوالَ ابنِ جعفرٍ سيَصحبُه بالخيرِ واليُمنِ طائرُه

---

(١) أُنظر: كتاب المحبر: ١٤٧/ أجواد الإسلام.

(٢) حباني: أعطاني، الصحاح ٦: ٢٣٠٨.

(٣) جَمَل أَعيَس: فيه عِيَسٌ؛ أي بياض يخالطه شيء من شُقرة أو ظلمة خفيَّة. لسان العرب ٦: ١٥٢ (عيس).

(٤) الميّاس: من يختال ويتبختر في مشيه. تهذيب اللغة ١٣: ٨١. لسان العرب ٦: ٢٢٤ (ميس).

(٥) المِشفَر والمَشفَر للبعير: كالشفَة للإنسان. المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٦ (شفر).

فيـا خيـرَ خلـقِ الله نفسـاً ووالـداً وأكـرمَهم للجـارِ حـين يُجـاورُه
سأُثني بما أولَيتَني يا ابنَ جعفرٍ فما شـاكرٌ عرفاً كمَن هو كـافره[١]

٥٠٨. بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيامَةِ[٢].

البِشارة خبرٌ متضمّن لنفع المبشَّر أو دفع ضررٍ منه يَظهر أثره على بشرته، وحقيقته في الخير؛ فأمّا في الشّر فتُستعمَل على التوسّع والمجاز[٣]، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤].

والمَشّاء بناء المبالغة في كثرة المشي، وكذلك جعل هذا البناء للمتحرِّفة لكثرة اشتغالهم بها في حرفتهم بها، نحو حمّال وجمّال ودلاّل، وقد يجيء هذا البناء فيمن يبيع ذلك الشيء ويتعاطاه، وكان ذلك عنده كالتمّار واللبّان، وهو بناء مبالغة في تامر ولابن.

وظُلَم: جمع ظُلمة[٥] قياسٌ مطّرد، كغرفة وغُرَف، ولقمة ولقم، وجرعة

(١) تاريخ مدينة دمشق٢٧: ٢٧٠. المنمق: ٣٧٨. الأوائل لأبي هلال: ٣٠٣. ولم يذكرا بعض الأبيات.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٣٩، ح٧٥١. سنن أبي داود١: ١٣٦/ باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، ح٥٦١. سنن الترمذي١: ١٤٢/ باب ما جاء في الجماعة في مسجد قد صلَّى فيه مرَّةً، ح٢٢٣، عن بريدة. المحاسن١: ٤٧ / كتاب ثواب الأعمال، ح٦٥، عن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه ، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٢٦. شمس العلوم١: ٥٣٢. لسان العرب٤: ٥٩ (بشر).

(٤) سورة آل عمران٣: ٢١.

(٥) لسان العرب١٢: ٣٧٣ (ظلم).

وجرع. راعَى المطابقةَ بين النور والظُّلمة من جهة اللفظ والمعنى، وهو أنّ في المشي في الظُّلمة جهداً ومشقّةً، وفي النور يوم القيامة راحةً ومَسَرَّة، قال الله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[١].

وروي عن **الأئمّة**عليهم السلام: «**أنّ مَن سَبَّحَ تسبيح الزهراء وعَدَّها بأصابعِه، جاء يوم القيامة يَتلألأ مِن كلّ إصبعٍ من أصابعه مشعلة نورٍ فيقطَعُ بها ظلمات يوم القيامة**»[٢]. ومعنى الحديث: الحَثّ والترغيب في الذهاب إلى المساجد لصلاة الليل وصلاة الغداة والعشاء الآخرة[٣].

٥٠٩. عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ[٤].

«**عليك**» مِن أسماء الفعل، ومعناه: خُذ واحفظ والزم[٥]، ويُستعمل مع الباء وغير الباء، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٦]،

---

(١) سورة الحديد٥٧: ١٢.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة ٥: ٢٠٠/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمَشْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ و٨: ٢٩٤/ بَابُ تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ حُضُورِ الْجَمَاعَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْعِشَاءَيْن.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٤٢، ح٧٥٧، عن طلق بن حبيب. صحيح البخاري٦: ١٢٣. صحيح مسلم٤: ١٧٥، عن أبي هريرة، باختلاف يسير. الكافي٥: ٣٣٢/ كتاب النكاح، باب فضل مَن تزوَّج ذات دين وكراهة من تزوَّج للمال، قطعة من ح١، عن محمّد بن مسلم، عن الإمام الباقر.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٩٦. لسان العرب ١٥: ٨٨ (علا).

(٦) سورة المائدة٥: ١٠٥.

وتقول: عليك زيداً، ودونَك زيداً[١]. «**بذات الدِّين**»؛ أي بالمرأة ذات الدِّين، صفة موصوف محذوف.

ورويَ أنّه قال عليه السلام: «**تُنكَح المرأةُ لأربع: لجمالها ومالها وحَسَبها ودينها، فعليك بذات الدِّين تَرِبَتْ يداكَ**»[٢]، وقوله «**تربتْ يداك**» من التَّرْب وهو التمرُّغ في التراب، يُقال: «**تَرِبَ الرجُلُ**» إذا لَصِقَ بالتراب من الفقر، و«**أتربَ**» إذا استغنى وزالَ الفقر عنه من باب «**عَرِبَتْ**» مَعِدَةُ الرجُلِ وأعربتها إذا صلحتها، وتسمّى هذه الهمزة همزة السلب والإزالة[٣].

وقيل: معناه. أترَبَ إذا استغنى وصار له من المال بِقَدر التراب[٤]، والأوّل أقيَسُ، كأنّه قال هذا الحديث على سبيل الضجر والتبرُّم بمَن يَنكح المرأة طمعاً في مالها، فدعا عليه بالفقر؛ لئلاّ يَفعل ذلك ويُمسِك عنه.

وقيل: لم يُرِد بهذا القول الدعاءَ عليه، وإنّما هو مثل قولهم: ما أشجعه؛ قاتله الله! وقولهم: لا أبا لك[٥]! قال: لا أُمّ لي إن كان ذاك، ولا أب![٦] والأوّل

---

(١) أُنظر: لسان العرب ١٣: ١٦٦ (دون).

(٢) صحيح ابن حبّان٩: ٣٤٤. صحيح البخاري٦: ١٢٣. صحيح مسلم٤: ١٧٥، عن أبي هريرة، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: شرح أدب الكاتب: ٥٩. أسرار العربية: ٤٤. اللمحة في شرح الملحة١: ١٤٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة١: ٣٤٦. مفردات ألفاظ القرآن١٦٥(ترب).

(٥) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ١: ١٨٤. العين٨: ١١٦ (ترب).

(٦) جمهرة الأمثال ١: ٤٢٤. شرح ديوان المتنبّي ٢: ٧١. الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٥. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ٢٣١. والبيت:

هذا وجدّكم الصغار بعينه لا أمَّ لي إلا كان ذاك ولا أب

أوجَه وأليق بنظم الحديث، فدعا على مَن فعل ذلك لهذا الغرض، وهو خلاف الشرع؛ فإنّ النكاح شُرّعَ للتناسل والتوالد[١]. بيانه قوله ﷺ: **«تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا؛ فَإِنّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٢][٣].

٥١٠. عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا[٤].

قيل في معنى هذا الحديث وجوهٌ[٥]:

أوّلها: أنّه أراد نفي المَلَل عنه تعالى رأساً وجملةً، فعلّقه بما لا يكون ولا يوجد أبداً، لينبّهنا على استحالته عليه تعالى كما قال: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٦]. وكقول الشاعر:

فإنّكَ سوف تَقصُد[٧] أو تَناهَى[٨] إذا ما شِبتَ أو شابَ الغرابُ[٩]

---

(١) أُنظر: الكافي٥: ٣٣٣/ بَابُ كَرَاهِيَةِ تَزْوِيجِ الْعَاقِرِ.

(٢) عوالي اللآلي ٣: ٢٨٦، ح ٢٩، بحار الأنوار ١٠٣: ٢٢٠، ح ٢٤. كتاب الأمّ ٥: ١٥٤.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة٢٠: ٤٩/ بَابُ اسْتِحْبَابِ تَزْوِيجِ الْمَرْأَةِ لِدِينِهَا وَ صَلَاحِهَا ... .

(٤) مسند الشِّهاب١: ٤٤٢، قطعة من ح٧٥٨، عن أبي هريرة. صحيح البخاري٢: ٤٨. صحيح مسلم٢: ١٨٨، عن عائشة. الأمالي للسيّد المرتضى١: ٤١، عن أبي هريرة.

(٥) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٦٠. لسان العرب١١: ٦٢٩ (ملل).

(٦) سورة الأعراف٧: ٤٠.

(٧) في المصادر: (تحلم) أو (تقصر) أو (تحكم).

(٨) في بعض المصادر: (تباهى).

(٩) حلية المحاضرة١: ٤٤. الصناعتين لأبي هلال: ٣٥٨. الكامل في التاريخ١: ٦٤٣، والشاعر نابغة بن ذبيان.

وكقول الآخر:

وحتّى يَؤوبَ القارظانِ[١] كلاهما ... ويُنشَرَ في القَتلى كُلَيبٌ لِوائلِ[٢]

فإن قيل له: قلتم إنّ مللنا محال حتّى يصير ما يعلّق به محالاً؟ قلنا: معلوم أنّ الملل لا يشمل البشر في أحوالهم وأوطارهم وأنّهم لا يعرفون من حرصٍ وأمل.

ومنها أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد: فإنّ الله لا يَمَلُّ عن خيركم ورزقكم حتّى أنتم هم الّذين تملّون عن سؤاله. وتسمية ذلك مَلَلاً إنّما هو على سبيل التوسّع والمجاز والتشبيه بمَن له مَللٌ عن كثرة فعلٍ من الأفعال.

ومنها: أنّ فعلنا مللٌ على الحقيقة، وسَمَّى فعله تعالى مللاً على سبيل الازدواج[٣] كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[٤]، وقال: ﴿وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[٥]، وكقول الشاعر:

ألا لا يَجهلَنْ أحدٌ علينا ... فنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهلينا[٦]

---

(١) القارظان: هما رجلان؛ أُحدهما يَقدُم بن عنزة، والآخر عامر بن هُمَيم يَقدُم بن عنزة، خرجا يجنيان القَرَظ فلم يرجعا فضُرب بهما المثل. جمهرة اللغة ٢: ٧٦٣ (قرظ).

(٢) الصحاح٣: ١١٧٧ (قرظ). جمهرة الأمثال١: ١٢٤. أنساب الأشراف١: ٢٠، والبيت لأبي ذؤيب.

(٣) أُنظر: غريب الحديث للخطابي٢: ١٢٨. أمالي المرتضى١: ٤٢. التبيان في تفسير القرآن١: ٦٩.

(٤) سورة الشورى٤٢: ٤٠.

(٥) سورة النحل١٦: ١٢٦.

(٦) التبيان في تفسير القرآن١: ٦٩. تنزيه الأنبياء١٣٠. عيون الأخبار لابن قتيبة٢: ٢١٠، والبيت لعمرو بن كلثوم.

وهذه طريقةٌ معروفة قد بيّنّاها وشرحناها في مواضعَ من كتابنا هذا وفي تفسير القرآن[١].

٥١١. إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا[٢].

الأمر على سبيل الندب والفضل دون الوجوب؛ لأنّ الواجب إعطاء الحقّ بلا زيادة ولا نقصان، يُقال: «**رَجَحَ الميزانُ**» إذا مالَ، وأرجحتُه: أَمَلتُه بأن وضعت في إحدى كفّتيه ما يزيد في الكفّة الأُخرى[٣]، فالهمزة للتعدية كذَهَبَ وأذهبته، وخَرَجَ وأخرجته. وهذا في معنى النهي عن البَخْس[٤] والتطفيف، قال: «**فأرجِحوا**»، فأمَرَهُم بالإرجاح؛ لئلاّ يطمعوا في التطفيف، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٥].

وقَنَعْنا مِن أهلِ زمانِنا هذا أن يَقنعوا في التطفيف على الطفيف، وفي التقليل على القليل، غير أنّهم لا يقنعون من الإقلال إلّا بالاستئصال.

---

(١) روض الجنان وروح الجنان ٣: ٧٧.

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٤٣، ح٧٥٩. سنن ابن ماجة٢: ٧٤٨ / باب الرجحان في الوزن، ح٢٢٢٢، عن جابر بن عبد الله.

(٣) كتاب العين٣: ٧٨. لسان العرب٢: ٤٤٥ (رجح).

(٤) بَخَسَه حقَّه بخساً: نَقَصَه. الصحاح ٣: ٩٠٧ (بخس).

(٥) سورة المطففين٨٣: ١ـ ٣.

٥١٢. إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ[١]، وَإِذَا جَاءَكُمُ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ[٢].

هذان الحديثان من باب الأدب؛ فإنّ من كان كريماً في أهله وعشيرته، لم يَعرفِ الهَوانَ ولم يَتعوَّدُه، فإذا أتاكَ ــ وهو كريمٌ في قومه ــ فقد أكرمَكَ، فمِن حقّك أن تزيدَ في كرامتهِ؛ لأنّ الكريم لا يَحتمل الهَوانَ ولا يتحمّله. قال الشاعر:

إنَّ الهــوانَ حمــارُ الأهــلِ يَعرفُــه ... والحُرُّ ينكِره والجَسْرَةُ[٣] الأُجُدُ[٤]

ولا يُقيم بدارِ الخَسْفِ[٥] يَعرفها ... إلَّا الأذَلَّانِ عَيْــرُ الأهــلِ والوَتِــدُ

هـذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِه ... وذا يَشِجُّ[٦] فما يَأوي له أَحَدُ[٧]

---

(١) مسند الشِّهاب١: ٤٤٣، ح٧٦٠، عن عديّ بن حاتم. سنن ابن ماجة٢: ١٢٢٣ / باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، ح٣٧١٢، عن ابن عمر. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٣٤، قطعة من ح٧١، عن جُرَيِّ بن عبدالله البجلي. الكافي٢: ٦٥٩ /كتاب العشرة، باب إكرام الكريم، ح٢، عن السكوني، عن الإمام الصادق .

(٢) مسند الشِّهاب١: ٤٤٥، ح٧٦٣. الأمثال لأبي الشيخ١: ٨٨، ح١٤٨. مكارم الأخلاق للخرائطي: ١١٥، ح٣٢٦، عن أنس.

(٣) الجَسْرَة: العظيمة من الناقة وغيرها. وناقة جَسْرَة: ماضية. كتاب العين ٦: ٥٠. الصحاح ٢: ٦١٣ (جسر).

(٤) الأُجُد: الناقة القويَّة المُحْكَمة الخَلق، والمحكَم الموثَّق من كلّ شيء. الطراز الأوّل ٥: ٢٠٤ (أجد).

(٥) خَسَفَ اللّهُ به الأرضَ خَسْفاً: غابَ به فيها، وساختِ الأرضُ بما عليها من الأشياء. كتاب العين ٤: ٢٠١. الصحاح ٤: ١٣٤٩ (خسف).

(٦) الشَّجُّ: كسرُ الرأس. كتاب العين ٦: ٤ (شجج).

(٧) أُنظر: المستقصى في أمثال العرب١: ١٣٣. تاريخ الطبري٢: ٤٤٩. مجمع الأمثال١: ٢٩٥.

خصَّ الكريم في الأوّل، ثمّ عمّ الزائر أيّ زائرٍ كان، فإنّ له حقّ الزيارة، فهو يستحقّ الإكرام أيضاً.

وروي أنّ عَديَّ بن حاتم دخل عليه النبيّ فألقى له عديٌّ وسادتَه، فلم يجلس عليها، وجلس على الأرض، فقال: أشهد أنّك لا تَبغي عُلوّاً في الأرض ولا فساداً، فأسلَمَ وحَسُنَ إسلامه[1].

وقال ﷺ: «**سيَطّلِعُ عليكم مِن هذه الثنيَّةِ خيرُ ذي يُمن**»، فإذا نحنُ بجرير بن عبد الله، فجاءَ حتّى يسلِّم، فبسطَ له **النبيُّ** ﷺ عرضَ ردائه، وقال: «**على هذا ـ يا جرير ـ فاقعد**»، فقالوا: يا رسول الله، لقد رأينا منك له ما لم نرَهُ لأحدٍ؟ قال «**نَعم، هذا كريمُ قومه؛ إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه، وإذا جاءكم الزائر فأكرموه**»[2]. والحديث من باب الأدب.

٥١٣. إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ[3].

هذا من باب الحكمة؛ فإنّ الكلام عند الغضب لا يأتي على وجه الصواب؛ لأنّ الشيطان يتسلّط على الغضبان، فيحمله على قول كلّ باطلٍ وزور، فأمّا إذا سكَتَ وصبر، حتّى يسكن غضبه، وثابَ إليه عقله،

(١) أُنظر: تاريخ دمشق٤٠: ٧٧. كنز العمّال٩: ٢٢٦، ح٢٥٧٦٥.

(٢) أُنظر: مكارم الأخلاق: ٢٤، في جمل من أحواله و أخلاقه. سنن البيهقي٨: ١٦٨. المعجم الكبير٢: ٣٠٤.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٤٦، ح٧٦٤. مسند ابن حنبل١: ٢٨٣. الأدب المفرد: ٢٨٠/ باب يسكت إذا غضب، ح١٣٥٨. المعجم الكبير١١: ٢٨، عن ابن عبّاس.

كان أبعد من قولٍ يوقعه في بلاء الدُّنيا وعذاب الآخرة[١]. والغَضب: إرادة المضرّة، أو فوتِ النفع بالمغضوب عليه. والسكوت: تسكين آلة الكلام[٢].

٥١٤. إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ[٣].

والغرض في ذلك مقابلته بالمحبّة والنظر إليه بعين الشفقة وتمييزه من سائر الناس.

وروي أنّه كان **لأمير المؤمنين** عليه السلام مؤذِّن يأتيه كلَّ وقت صلاة، ويؤذنه بالصلاة، وكانت في البيت خادمة تخدمهم، فوقَعت عينه عليها، فهواها، فجاء في اليوم القابل وقال: أعلِمي أميرَ المؤمنين بالصلاة، واعلمي أنّي أحبّك! فمضت على هذا مدّةٌ، وكان يقول لها كلّ وقتٍ رآها: أعلمي أمير المؤمنين بالصلاة، واعلمي أنّي أحبّك! فلمّا طالَ ذلك أخبَرَتِ الجاريةُ عليّاً بمقالة الرجُل، فقال لها: «**إذا قال لكِ هذا فقولي: وأنا أيضاً أحبّك! فما نصنع؟**». فلمّا كان في اليوم القابل قال لها الرجل مثل مقالته الأُولى، فقالت: يا هذا، وأنا أحبّك أيضاً، فما نصنع؟ قال لها: أصبِرُ وتَصبِرينَ إلى

(١) أُنظر: الكافي٢: ٣٠٢/ بَابُ الْغَضَب.

(٢) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٤: ٥٥٣، سورة الأعراف.

(٣) مسند الشِّهاب١: ٤٤٦، ح٧٦٥. سنن الترمذي٤: ٢٥ / باب ما جاء في إعلام الحبّ، ح٢٥٠٢. مسند ابن حنبل٤: ١٣٠، عن المقدام بن معديكرب. المحاسن١: ٢٦٦/ كتاب مصابيح الظلم، ح٣٤٩، عن عبدالله بن قاسم، عن الإمام الصادق، عن أبيه.

يوم ﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِساب﴾[١]، فأخبرتْ أمير المؤمنين بمقالة الرجل، فأعتق الجارية، وزَوَّجَها منه، ووزن لها الصِّداق من ماله وما احتاجا إليه من النفقة مدّة من الزمان[٢].

٥١٥. إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْأَخِيرَ مِنْهُمَا[٣].

وذلك لأنّ من قال في الخلافة بالبيعة، يقول: إنّ الخلافة لا تنعقد إلّا بإجماع جميع المسلمين عليه بالخلافة، فإذا بايعوا بأجمعهم، ثمّ بُويع الآخر، لابدّ أن يكون الذي بُويع أخيراً داخلاً في بيعة الأوّل؛ لأنّه لو لم يَدخل فيه لم تنعقد، خصوصاً من كان مؤهّلاً للخلافة مظنّةً لها، فإذا كان داخلاً في بيعة الخليفة الأوّل، وأعطى الصفة لبيعته، كان ناقضاً لبيعة الخليفة الأوّل، فاستحقّ القتل؛ لخلافه الجماعة والإجماع. هذا عند من قال بالبيعة.

٥١٦. إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّى؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ[٤].

التمنّي جاءَ على معانٍ مختلفة[٥]؛ جاء بمعنى التلاوة في قوله تعالى:

---

(١) سورة الزمر٣٩: ١٠.

(٢) الثاني من أمالي أبي مطيع المصري: ١١، ذم الهوى لابن جوزي: ٦٠٤، باختلاف.

(٣) مسند الشّهاب١: ٤٤٧، ح٧٦٧. المعجم الأوسط ٣: ١٤٤، عن أبي هريرة. صحيح مسلم٦: ٢٣. المستدرك على الصحيحين٢: ١٥٦، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) مسند الشّهاب١: ٤٤٨، ح٧٦٨. مسند ابن حنبل٢: ٣٥٧. الأدب المفرد: ١٧٢/ باب ما يكره من التمنّي، ح٨١٧، عن أبي هريرة. سنن الترمذي٥: ٢٤١، ح٣٦٨٠، كلاهما أبي سلمة.

(٥) أنظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٦٧. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٩ (منا).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[١]؛ أي: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، قال الشاعر:

تَمَنَّى كِتابَ الله أوَّلَ ليلِه وآخِرَه لاقَى حِمامَ[٢] المقادِر[٣]

وجاء بمعنى الكذب في قول عثمان بن عفّان: ما تمنَّيتُ منذ أسلمتُ[٤]! أي ما كَذِبتُ.

وقال بعض العرب لابن دأبٍ وهو يحدِّث: أهذا شيء رويته، أم شيء تمنَّيتَه؟! أي افتعلته واختلقته[٥].

وقد يجيء بمعنى تمنّي القلب، وهو ما يقدّره الإنسان في قلبه من مشتهياته، وهو في الحقيقة من قبيل الكلام، وهو قول الرجل لما كان: «**ليته لم يكن!**»، ولما لم يكن: «**ليته كان!**»[٦]، ويُشبِه أن يكون التمنّي في الحديث بمعنى الترجّي، والفرق بينهما أنّ التمنّي يقع على الصحيح والمُحال، والترجّي لا يقع إلّا على الصحيح دون المحال؛ لأنّ العاقل

(١) سورة الحجّ٢٢: ٥٢.

(٢) الحِمام: قضاء الموت وقدَره. كتاب العين ٣: ٣٣. الصحاح ٥: ١٩٠٦ (حمم).

(٣) تنزيه الأنبياء: ١٥٢، عن حسّان بن ثابت. كتاب العين٨: ٣٩٠ (منا). مجمع البيان١: ٢٧٤، عن كعب بن مالك.

(٤) النكت في القرآن الكريم: ٣٤٥. تفسير السمعاني١: ٩٩. تفسير القرطبي٢: ٦.

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة٢: ٧٢. الزاهر في معاني كلمات الناس: ٥١٠. الصحاح٦: ٢٤٩٨ (منا).

(٦) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن١: ٣٥٧. مجمع البيان١: ٣٠٨ سورة البقرة.

لا يرجو المحال، والنظر في الحديث بمعنى الانتظار، له نظائر كثيرة في القرآن وكلام العرب[١]، وقد بيّناه فيما مضى.

ومعنى الحديث: أنّ أحدكم إذا رجا أمراً من الأُمور، فلا يقطع رجاءه منه؛ فإنّه لا يدري ما كُتب له من الخير الذي يرتجيه، وهذا في المعنى نهيٌ عن اليأس والقنوط من رحمة الله ورَوحِه[٢]، قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤].

وقال الشاعر في الأماني:

مُنى إن تكنْ حقّاً تكنْ أحسنَ المُنى وإلّا فقد عِشنا بها زَمَناً رَغَدا

ولمّا نَزَلْنا مَنزلاً ظِلُّه[٥] النَّدى[٦] أنيقاً وبستاناً من النور حاليا

أجَدَّ[٧] لنا طِيبُ المكانِ وحُسنُه مُنىً فتمنَّينا فكنت الأمانيا[٨]

---

(١) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٣. لسان العرب٥: ٢١٦ (نظر).

(٢) أُنظر: وسائل الشيعة ٧: ٥٦/ بَابُ تَحْرِيمِ الْقُنُوطِ وَإِنْ تَأَخَّرَتِ الْإِجَابَة.

(٣) سورة الزمر٣٩: ٥٣.

(٤) سورة يوسف١٢: ٨٧.

(٥) في جُلِّ المصادر: طلّه.

(٦) النَّدَى: المطر، والبلَلَ، والكَلأ، وشيء يُتَطيَّب به كالبَخور. القاموس المحيط ٤: ٤٥٤ (ندو).

(٧) أجَدَّ القومُ: عَلَوا جديد الأرض أو ركبوا جَدَدَ الرمل. وأَجَدَّ ثوباً: لَبِسَه جديداً. وأَجَدَّ النخلُ: حان له أن يُجَدَّ وأجَدَّ في الأمر: جَدَّ وحقق وبلغ فيه جِدَّه. وثديٌ أجَدُّ: يابس. لسان العرب ٣: ١٠٩ـ ١١٠ (جدد).

(٨) ذكر البيت الأوّل في: جمهرة الأمثال٢: ٢٢١. مجمع الأمثال٢: ٢٠٣. وذكر البيتين التاليين في: اعتلال القلوب للخرائطي٢: ٤٠٠. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٧٢.

الباب الخامس

[في الأحاديث المصدّرة بـ (ما) النّافية]

٥١٧. مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ[١].

«ما» للنفي، وعالَ الرجُلُ يَعيل عَيلةً إذا افتقر[٢]، فهو عائل، قال الله تعالى: ﴿وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٣]. وعالَ يَعول عَولاً إذا جار[٤]؛ قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾[٥]، وأعالَ إذا كثُر عيالُه[٦]. ويمكن أن يكون هذا من باب «**أحفرتُ زيداً بئراً**»[٧]؛ لأنّه إذا كثر

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٥، ح٧٦٩. مسند ابن حنبل١: ٤٤٧. المعجم الأوسط٥: ٢٠٦، عن عبدالله بن مسعود. الخصال: ٦٢٠، قطعة من ح١٠، عن أبي بصير، ومحمّد بن مسلم، عن الإمام الصادق، عن آبائه .

(٢) كتاب العين٢: ٢٤٩. النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٣٠ (عيل).

(٣) سورة التوبة٩: ٢٨.

(٤) لسان العرب١١: ٤٨١ (عول).

(٥) سورة النساء٤: ٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٢١. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩٧ (عول).

(٧) أُنظر: شرح الرضي على الكافية١: ٣٣٥.

عياله احتاج إلى نفقةٍ كثيرة فيَعيل عن ذلك؛ فكأنّ عياله أعاله أي أفقره.
والقصد والاقتصاد: واسطة الأُمور بين الإسراف والتقصير[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوما مَحْسُورا﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرا﴾[(٤)].

وقيل: الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلّت، والإقتار منع الحقوق في ذات الله وهو قول ابن عبّاس ومجاهد[(٥)]. وقال عون بن عبد الله: ليس المسرف من يأكل من ماله، إنّما المسرف من يأكل من مال غيره[(٦)].

٥١٨. مَا أَعَزَّ اللهُ بِجَهْلٍ قَطُّ، وَلَا أَذَلَّ اللهُ بِحِلْمٍ قَطُّ[(٧)].

أراد بالجهل في الحديث السَّفَه، ولذلك قابلَهُ بالحِلم وهو

(١) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٧٢. مجمع البحرين ٣: ١٢٨(قصد).

(٢) سورة الأنعام٦: ١٤١.

(٣) سورة الإسراء١٧: ٢٩.

(٤) سورة الإسراء١٧: ٢٦.

(٥) تفسير الثعلبي٧: ١٤٧، سورةالفرقان. التبيان في تفسير القرآن٧: ٥٠٧، سورة الفرقان، عن ابن عبّاس باختلاف يسير.

(٦) تفسير الطبري١٩: ٤٩. تفسير الثعلبي٧: ١٤٧، سورة الفرقان.

(٧) مسند الشِّهاب٢: ٥ ـــ ٦ ، ح٧٧١. الترغيب في فضائل الأعمال: ٨١، ح٢٤٤، عن عبدالله بن مسعود. الكافي٢: ٢ / كتاب الإيمان والكفر، باب الحلم، ح٥، عن عليّ بن حفص العوسي الكوفي، رفعه إلى الإمام الصادق.

السَّكينة، ولو أراد الجهل الذي هو ضدّ العلم لقابله بالعلم. ومعنى الحديث: تفضيل الحلم والوقار على السَّفَه والخفَّة، والعقل والشرع يحكمان بهذا[١].

أمّا قول الشاعر:

إذا قيل رِفقاً قال للحِلم موضعٌ   وحِلمُ الفتى في غير موضعه جهلُ[٢]

فهو في موضعه إلّا أنّه يُعلَم ضرورةً أنّ العاقل لا يندم على الحلم، ويندم على الخفّة والجهل، ولو ندم على الحلم لكان تداركه بيده، ولو ندم على الخفّة والجهل لا يمكنه تداركه[٣].

والأحنف بن قيس كان مَثَلاً في الحلم، فقالوا: أحلَمُ من أحنف بن قيس! وحكاياته في الحلم مشهورة، على أنّه يقول: تعلَّمتُ الحلمَ من قيس بن عاصم، قال: كنتُ ذات يومٍ جالساً معه إذ جيءَ بابن عمٍّ له قد قَتل ابناً له؛ ليَقيده به، فقال للقوم: رَعَّبتم الفتى! ثمّ أقبل عليه وقال: يا هذا، بئس ما صنعتَ؛ أوهَنْتَ رُكنَك، وقَلَّلتَ عَددَكَ، وفَتَتَّ[٤]

(١) أُنظر: الكافي٢: ١١١/ بَابُ الْحِلْم. وسائل الشيعة١٥: ٢٦٥/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْحِلْم.

(٢) شرح ديوان المتنبّي للواحدي١: ٣٦. المنصف للسارق والمسروق منه: ٣٣٥.

(٣) قال رسولُ الله ﷺ: «... **فأمّا الحِلمُ فمِنهُ رُكوبُ الجَميلِ، وصُحبَةُ الأبرارِ، ورَفْعٌ مِن الضَّعَةِ، ورَفْعٌ مِن الخَساسَةِ، وتَشَهّي الخَيرِ، وتَقَرُّبُ صاحِبِه مِن مَعالي الدَّرَجاتِ، والعَفوُ، والمَهلُ، والمَعروفُ، والصَّمتُ، فهذا ما يَتَشَعّبُ للعاقلِ بحِلمِهِ**». تحف العقول: ١٦، من حكمه وكلامه.

(٤) فَتَّ في عضده: كسر عليه. وفَتَّ الشيءَ: دقَّه وكسَرَه. لسان العرب ٢: ٦٤ (فتت).

في عُضدك! خَلُّو سبيله، واحملوا دية ابني إلى أُمّه! قال: فوالله ما تَغَيَّر لونُه، ولا حلَّ حَبوَتُه[١][٢].

ويشبِه هذا حكايةَ الأعرابيِّ الذي قتل أخوه ابناً له، فقيدَ إليه ليقيده به، فأخذ السيف ليقتله، فلمّا نظر إلى وجهه ألقَى السيفَ من يده، وجعل يقول:

أقولُ للنَّفْس تَأْسَاءً وتعزيةً إحدى يدَيَّ أصابتني ولم ترد
كلاهما خَلفٌ مِن فَقدِ صاحبِه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي[٣]

فيجب أن لا يُحمَل حلمُ الحليم على الضَّعف والذلّة، وخفَّةُ السفيه على الشجاعة؛ فإنّ النبيّ ﷺ بيّنَ أنّ الله لا يُعِزُّ أحداً بالجهل، ولا يذلّه بالحلم.

وأُغضِبَ بعض الحلماء فلم يغضب، فقيل له: ما فيك حميّة! قال: ثَهْلانُ ذو الهضبات[٤] لا يَتَحَلحَل[٥][٦]. ثَهلان: اسم جبل[٧].

---

(١) الحُبوَة والحِبوَة: الثوب الذي يُحتَبى به ويُشتَمل به. لسان العرب ١٤: ١٦١ (حبو).

(٢) أُنظر: أمالي المرتضى ١: ١١٢. أسد الغابة ٤: ٢٢٠.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٠٠. الأمالي للقالي ١: ٢٦٦. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٦٦.

(٤) الهَضْبَة: كلُّ جبل خُلقَ مِن صخرة واحدة، وكلُّ صخرة راسية ضَخِمة. تهذيب اللغة ٦: ٦٥ (هضب).

(٥) تَحَلحَلَ: تحَرَّكَ وذَهب أو زال. الصحاح ٤: ١٦٧٥. لسان العرب ١١: ١٧٣ (حلل).

(٦) هو شطر بيت من قصيدة للفرزدق. والبيت كلُّه:

فارفَعْ بكفِّكَ إن أردتَ بناءَنا ثهلان ذا الهضبات ما يتحلحل

أُنظر: عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٤٢٤. معجم البلدان ٢: ٨٨.

(٧) كتاب العين ٤: ٤٤٢. الصحاح ٦: ١٦٥٠ (ثهل).

والحلم إنّما يَحسن إذا كان عن قدرة[١]. كما قال:

والعفو عن قدرةٍ فضلٌ من الكرَمِ[٢]

وقال آخر:

أَظُنُّ الِحلمَ دلّ علَيَّ قومي وقد يُستجهَل الرجُلُ الحليمُ[٣]

وقال آخر:

ألا إنّ حِلم المرء أكرَمُ نسبة يُسامي[٤] به عند الفَخار كريمُ

فيا ربِّ هَب لي منك حِلماً فإنّني أرى الحِلمَ لم يَندَمْ عليه حليمُ[٥]

---

(١) أُنظر: بحار الأنوار ٦٨: ٣٩٧/ باب الحلم والعفو وكظم الغيظ.

(٢) الأمالي للطوسي: ٦، المجلس الأوّل. مروج الذهب٣: ٤١، فيما قاله معاوية لصعصعة نقلاً عن أبي طالب بلفظ: لو لا أنّي أرجع إلى قول أبي طالب، حيث يقول:

قابلت جهلَهمُ حلماً ومغفرةً والعفو عن قدرةٍ ضرْبٌ من الكرم

محاضرات الأدباء١: ٢٩٨. التذكرة الحمدونيّة٢: ١٢٥، والبيت الكامل فيهما:

إنّ من الحلم ذلّاً أنت عارفه والحلم عن قدرة فضل من الكرم.

والشاعر: سالم بن وابصة.

(٣) الأمالي للسيّد المرتضى١: ١٥٤. جمهرة الأمثال١: ٣٠١. معجم البلدان٥: ٣٨٩، والبيت لقيس بن زهير العبسي.

(٤) سامَى: ارتفع وصعد. المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦٢٠ (سمو).

(٥) العقد الفريد٢: ١٤٠. تاريخ دمشق٣٢: ٤٧٤، باختلاف يسير.

٥١٩. مَا نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ[١].

بيَّن ﷺ في هذا الحديث أنّ قساوة القلب وقلّةَ الرحمة والشفقةِ ورقّةِ القلب من علامة الشقاوة، والشقيُّ الذي عَلِمَه الله شقيّاً وهو في بطن أُمّه؛ إنّما تُعرف شقاوتُه بقساوة قلبه وقلّة شفقته على خلق الله.

ورويَ أنّ عُيَينةَ بنَ حُصَين أتى النبيّ ﷺ زائراً، فدخَل الحسنُ والحسين عليهما السلام، فأخَذَهما النبيُّ وجَعَلَ يُقبّلهما، فقال عيينة: إنّ لي عشرةَ بنينَ كبُروا وشُبُّوا، وما قَبّلتُ واحداً منهم! فقال ﷺ: «**ذاك من قلّة الرحمة، ما نُزِعَت الرحمةُ إلّا مِن شقيٍّ**»[٢]. فهذه الخصلة من علامة الإيمان[٣] من قوله ﷺ: «**المؤمنون هَيّنون ليّنون**»[٤].

والفَظاظة والغِلظة بالعكس من ذلك[٥]، قال الله تعالى ممتّناً على **نبيّه**: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٦].

---

(١) مسند الشّهاب٢: ٦، ح٧٧٢. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٤٩. مسند ابن راهوية١: ٣٠٤، ح٢٨٣. مسند أبي يعلى١٢: ٧، ح٦٦٥٢، عن أبي هريرة.

(٢) مسند ابن حنبل٢: ٢٢٨، باختلاف. أُنظر: صحيح مسلم٧: ٧٧/باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك. المناقب لا بن شهرآشوب٣: ٣٨٤.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة١٢: ١٥٨/ بَابُ اسْتِحْبَابِ كَوْنِ الْإِنْسَانِ هَيِّناً لَيِّنا.

(٤) الكافي٢: ٢٣٤/ بَابُ الْمُؤْمِنِ وَعَلَامَاتِهِ وَصِفَاتِه، ح١٤. الجعفريات: ١٧٠ / بَابُ صِفَةِ الْمُؤْمِنِين. مسند الشّهاب١: ١١٤، ح١٣٩.

(٥) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٤: ٤٤١. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٥٩ (فظظ).

(٦) سورة آل عمران٣: ١٥٩.

٥٢٠. مَا شَقِيَ عَبْدٌ قَطُّ بِمَشْوَرَةٍ، وَلَا سَعِدَ بِاسْتِغْنَاءٍ بِرَأْيٍ[١].

قد بيَّنَّا معنى السعادة والشقاوة فيما مضى، فلا وجه لإعادته، والمرجع بهما إلى قول الشاعر:

إنّ الشقيَّ الذي في النار منزله   والفوزُ فوزُ الذي يَنجو من النار[٢]

وعلى هذا أُوِّلَ قوله ﷺ: «**والشقيُّ مَن شَقِيَ في بطنِ اُمّه**»[٣]. كقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٤]، وقد عرض لي في هذا الحديث ـ أعني قوله: «**والشقيّ من شقي في بطن اُمّه**» ـ وجهٌ لم أسمعه من أحدٍ وهو الأرض، توصَف بأمومتنا لقول القائل:

والأرض مَعقِلُنا[٥] وكانت أُمَّنا   فيـها مقابرنا وفيها نُولَدُ[٦]

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٦، ح٧٧٣. تفسير الثعلبي٣: ١٩١، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) الكامل في اللغة والأدب١: ٩٠. أمالي السيِّد المرتضى٢: ٤٥. إعجاز القرآن للباقلاني: ١١٤ والبيت لابن الأعرابي.

(٣) أُنظر: الكافي ٨: ٨١، قطعة من ح٣٩. التوحيد للصدوق: ٣٥٦، ح ٥٨ باب السعادة والشقاوة، قطعة من ح٣. أُنظر: صحيح مسلم٨: ٤٥/باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

(٤) سورة القارعة١٠١: ٩.

(٥) المَعقِل: الملجأ.

(٦) تأويل مشكل القرآن١: ٧٠. تفسير الثعلبي١: ١٢٧. تفسير القرطبي١: ١١٢، والبيت لأميّة بن أبي الصَّلت.

يبيّنه قوله: «**تمسَّحوا بالأرض؛ فإنَّها بكم بَرَّة**»[١]؛ أي أمٌّ بَرَّة، ونحن من أولاد آدم عليه السلام، وآدم خُلِقَ من أديم[٢] الأرض[٣]، فهي كالأمّ له؛ يعني: الشقيّ من شقي في بطن الأرض؛ أي تبدو شقاوته حين يوضع في القبر فيُبلى بعذابه؛ فإنّ القبر أوّل منزلٍ من منازل الآخرة[٤]، وهذا وجهٌ قريب ما سُبِقتُ إليه.

وبيّنّا أنّ المشورة من شُرتُ العسلَ وأَشَرْتُه واشتَرْتُه إذا استخرجته[٥]. وفي المَثَل: ثمرة المشورة أحلى من العسل المشورة[٦]. والعسل يذكّر ويؤنّث، وكذلك الضبُّ[٧]، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٨] أمَرَهُ

---

(١) المجازات النبوية: ٢٥١، المجاز٢١١. مسند الشِّهاب١: ٤٠٩، ح٧٠٤. المعجم الكبير٥: ٦٥، ح٤٥٩٦، وفيه «**تحفّظوا من الأرض؛ فإنّها أمّكم، وإنّه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شرّاً إلّا وهي مخبرة**».

(٢) أديم كلّ شيء: ظاهر جلده. وأدَمة الأرض: وجهها. كتاب العين ٨: ٨٨ (أدم).

(٣) أُنظر: الكافي٢: ٨/ بَابٌ آخَرُ مِنْه، ح١. عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٢/ باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، ح١. المستدرك على الصحيحين٢: ٢٦١.

(٤) سنن الترمذي٣: ٣٧٩، ح٢٤١٠. سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٦، ح ٤٢٦٧. جامع الأخبار (للشعيري): ١٦٩/ الفصل الخامس و الثلاثون و المائة في ذكر ملك الموت، وفيها، عن **رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ القبر أوّل منزل من منازل الآخرة»**.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٦٩. كتاب العين ٦: ٢٨٠ (شور).

(٦) المشورة: مفعولة مِن شارَ العسلَ يَشوره شَوراً وشياراً وشيارة ومَشاراً ومَشارةً: استخرجه من والوقبة واجتناه راجع: لسان العرب ٤: ٤٣٤ (شور).

(٧) الضَّبُّ: دَوَيبَّة من الحشرات معروفة، وبالفارسية: سوسمار. لسان العرب ١: ٥٣٨ (ضبب).

(٨) سورة آل عمران٣: ١٥٩.

بمشورة أصحابه مع نزول الوحي عليه؛ لِيَفرَحوا بذلك ويَتشرَّفوا به، فبيَّنَ أنّ السعادة مقرونة بالمشورة، والشقاوة مقرونة باستبداد الرجل برأيه؛ وذلك لأنّ المستشير صاحب القرحة، ويتعلّق رأيه بفعل ما هَمَّ به أو تركِه، فهواه بميله إلى ما يوافق هواه، فلا رأي له في صلاح أمره[1]، والمستشار أجنبيٌّ من ذلك بريٌّ، يُخلِص رأيه له؛ إذ لا غرض له فيه غير المصلحة. وإن كان صاحب القرحة له رأيٌ وفِطنة، واستشار بعضَ العقلاء، فيرى رأيه، فإنْ وافق رأيُه رأيَ صاحب الواقعة فيقوّي رأيَه واستوصب؛ إذ الرأيان ليسا كرأيٍ واحد، وإن خالَفَ نَظَرَ وتحرَّى وأخذ أحرى الرأيين بالصواب وأحزم الأمرين وأقربهما إلى الصلاح، فعند ذلك يوفِّق الله له حيث تبرّك بقول الله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، ويقول النبيّ ﷺ: **«ما شقيَ عبدٌ قَطُّ بمشورةٍ، ولا سَعِدَ باستغناءٍ برأي»**.

وللشاعر في معنى المشورة:

إنّ التشاور أمرٌ لا يضيّعه ... عند النوائب ذو عقلٍ ولا أدبِ
والمستبدُّ برأيٍ دونَ مشورةٍ ... لا يَستبين سَبيلَ الرُّشدِ والعَطَبِ[2]

---

(١) قال **الإمامُ عليٌّ** عليه السلام: **«إنّما حُضَّ على المُشاوَرَة لأنّ رَأيَ المُشيرِ صِرْفٌ، ورَأيَ المُستَشِيرِ مَشُوبٌ بالهَوى»**. غرر الحكم، ح٣٩٠٨.

(٢) العطب: الهلاك. الصحاح ١: ١٨٤ (عطب). ولم نعثر على هذا الشعر في المصادر.

٥٢١. مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ[١].

الخيبة: ضدّ الرجاء، يُقال: «**خابَ الرجلُ يَخيبُ خيبةً**» إذا لم يَظفر بحاجته[٢]. والاستخارة: طلب الخِيَرَة، يُقال: استَخَرتُ الله فخارَ لي، ويُقال في الدُّعاء: خارَ الله لك[٣]. فإذا عزمتَ على أمرٍ من الأُمور سفرٍ أو مناكَحَةٍ أو تجارةٍ أو شركةٍ أو غير ذلك، ولا تدري بالصلاح فيه، فاستَخِرِ اللهَ، وصلِّ صلاةَ الاستخارة على ما جاءت به الرواية عن الصادقين [٤].

روى هارون بن خارجة، عن **أبي عبدالله**عليه السلام قال: «**إِذَا أَرَدْتَ أَمْراً فَخُذْ سِتَّ رِقَاعٍ، فَاكْتُبْ فِي ثَلَاثٍ مِنْهَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، خِيَرَةً مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانَةَ، افْعَلْهُ. وَ فِي ثَلَاثٍ مِنْهَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، خِيَرَةً مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانَةَ، لَا تَفْعَلْ. ثُمَّ ضَعْهَا تَحْتَ مُصَلَّاكَ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَإِذَا فَرَغْتَ فَاسْجُدْ سَجْدَةً، وَ قُلْ فِيهَا مِائَةَ مَرَّةٍ: أَسْتَخِيرُ اللهَ بِرَحْمَتِهِ خِيَرَةً فِي عَافِيَةٍ. ثُمَّ اسْتَوِ جَالِساً، وَ قُلِ: اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَ اخْتَرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَ عَافِيَةٍ، ثُمَّ اضْرِبْ بِيَدِكَ إِلَى الرِّقَاعِ فَشَوِّشْهَا وَ أَخْرِجْ وَاحِدَةً، فَإِنْ خَرَجَ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: افْعَلْ، فَافْعَلِ الْأَمْرَ الَّذِي**

---

(١) مسند الشّهاب٢: ٧، ح٧٧٤. المعجم الأوسط٦: ٣٦٥، عن أنس بن مالك.

(٢) أُنظر: النهاية في غريب الحديث و الأثر٢: ٩٠. لسان العرب١: ٣٦٨ (خيب).

(٣) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٢: ٩١. لسان العرب٤: ٢٦٦. المحيط في اللغة٤: ٤٠٦ (خير).

(٤) أُنظر: المحاسن ٢: ٥٩٨ / كتاب المنافع، ح ٨.

تُرِيدُهُ. وَإِنْ خَرَجَ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: لَا تَفْعَلْ، فَلَا تَفْعَلْهُ. وَإِنْ خَرَجَتْ وَاحِدَةٌ: افْعَلْ، وَالْأُخْرَى: لَا تَفْعَلْ، فَأَخْرِجْ مِنَ الرِّقَاعِ إِلَى خَمْسٍ فَانْظُرْ أَكْثَرَهَا فَاعْمَلْ بِهِ، وَدَعِ السَّادِسَةَ لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهَا»[1]. **«وَلْتَكُنِ اسْتِخَارَتُكَ فِي عَافِيَةٍ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا خِيرَ لِلرَّجُلِ فِي قَطْعِ يَدِهِ وَمَوْتِ وَلَدِهِ وَذَهَابِ مَالِهِ»**[2]، والروايات في هذا المعنى كثيرة، وهذا القَدر هاهنا كافٍ[3].

«ولا ندمَ مَن استشار»، وإنَّما قال ما قاله في هذا الحديث في نفي الخَيبة والندم من الاستخارة والاستشارة، إمّا بوحيٍ من الله بتجربةٍ فيما بين الناس، والأوّل أولى.

وقال ﷺ: **«من أشار على أخيه بأمرٍ يَعلم أنّ الرشد في غيره فقد خانه»**[4].

قال روح بن زنباع: لو أنّ رجلاً استشارني فلم أشِر عليه بالرأي، ما آمَنُ أن أُسلَب عقلي[5].

---

(١) الكافي٣: ٤٧٠/ بَابُ صَلَاةِ الِاسْتِخَارَة، ح٣. تهذيب الأحكام٣: ١٨١/ بَابُ صَلَاةِ الِاسْتِخَارَة، ح٦. وسائل الشيعة٨: ٦٨/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِخَارَةِ بِالرِّقَاعِ وَكَيْفِيَّتِهَا، ح١.

(٢) الكافي٣: ٤٧٣/ بَابُ صَلَاةِ الِاسْتِخَارَة، قطعة من ح٧. تهذيب الأحكام٣: ١٨١/ بَابُ صَلَاةِ الِاسْتِخَارَة، قطعة من ح٥. المحاسن٢: ٥٩٩/ كتاب الماء، قطعة من ح٧.

(٣) أُنظر: الكافي٣: ٤٧٠/ بَابُ صَلَاةِ الِاسْتِخَارَة. من لا يحضره الفقيه١: ٥٦٢/ بَابُ صَلَاةِ الِاسْتِخَارَة. سنن الترمذي١: ٢٩٨/ باب ما جاء في صلاة الاستخارة.

(٤) سنن أبي داود٢: ١٧٨/ باب التوقّي في الفتيا، ح٣٦٥٦. المستدرك على الصحيحين١: ١٠٣. سنن البيهقي١٠: ١١٦/ باب إثم من أفتى أو قضى بالجهل.

(٥) آداب الملوك بالعدل لأرموي ١: ٢٨٩. وروح بن زنباع بن سلامة، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، الأمير، الشريف، توفي سنة ٨٤ هـ أُنظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٢٥١.

وقال الشاعر:

إذا بلـغ الـرأيُ المشـورةَ فاسـتَعِن بحـزمِ نصـيحٍ أو نصـيحةِ حـازمِ
ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضـةً[١] فـإنّ الخـوافيَ[٢] تـابعٌ للقـوادمِ[٣]

٥٢٢. مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ[٤].

لا خلاف بين المسلمين أنّ من استحلَّ شيئاً من المحرّمات، معتقداً لاستحلالها، سواء كان في القرآن أو السنّة المقطوع عليها فقد كفر؛ لأنّ الإيمان عبارة عن جملة من العلوم والمعارف الّتي لا تكون إيماناً إلّا مجموعها، وهو الإيمان بالله وملائكته ورسله والبَعث والنشور والثواب

(١) الغَضُّ والغضيض: الطريُّ، من الغَضاضة والغُضوضة. الصحاح ٣: ١٠٩٥ (غضض).

(٢) الخوافي: الريش الصغار التي في جناح الطائر، ضد القوادم، واحداتها خافية. النهاية في غريب الحديث٢: ٥٧ (خفو).

(٣) اللطائف والظرائف: ١١٨. وفيات الأعيان١: ٢٧٢، والبيت لبشّار بن برد. كان شاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محسناً، وحضر مجالس الخلفاء، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه ويجزل في العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء، وله قصائد وأشعار كثيرة. اُنظر: طبقات الشعراء١: ٢١.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٧، ح٧٧٥. سنن الترمذي٤: ٢٥٢، ح٣٠٨٥، عن صهيب. المصنَّف لابن أبي شيبة٧: ١٩٣، ح٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٣٠٨، ح١٠٠٣، عن أبي سعيد.

والعقاب وحجج الله على عباده، وتصديق ما أتى به **النبيّ** من الشرائع؛ فإنّ من استحلَّ شيئاً من المحرَّمات، واعتقد ذلك فيه، فقد كفر؛ لمخالفته الكتاب والسنَّة والإجماع. و«**من**» موصولة، وما بعده صِلة له، وهو في محلّ الرفع بالفاعليّة.

وروي أنّ قدامة بن مظعون شَرِبَ الخمر على عهد بعض الصحابة، وشهد عليه الشهود بذلك، فلمّا جيء به إلى صاحب الأمر قال له: أشربتَ الخمر؟ قال: نعم، فأراد أن يُقيم الحَدّ عليه، فقال: ليس عليَّ في ذلك جناح؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾[1] الآية، فدرأ عنه الحَدَّ، فلمّا عَلم بذلك **عليٌّ** عليه السلام حضر وقال له: «**لِمَ تَركتَ الحَدَّ على ابن مظعون؟**» قال: إنّه أتى بآيةٍ من القرآن فدرأتُ عنه الحَدّ عنه، فقال **عليٌّ** عليه السلام له: «**أما علمتَ أنّه ليس من أهل تلك الآية؛ لأنّ الله تعالى قال:** ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ **يعني اتّقوا محارِمَ الله**»، ثمّ قال: «**احضروه**»، فأُحضِر، فقال له: «**أشربتَ الخمر؟**» قال: نعم، قال: «**لِمَ؟**» قال: أخطأتُ وأنا تائبٌ إلى الله، فقال: «**والله لو قلتَ لي مثل ما قلت قبل هذا، لأمرت بضرب عنقك**»، ثمّ قال: «**أقيموا الحَدَّ عليه**»، وقام وخرج، فلمّا أرادوا إقامة الحَدّ عليه اختلفوا فيه، فرجعوا إليه فقال: «**اجلدوه ثمانين جلدةً**»، قيل له: لِمَ خصَّصت هذا العددَ دون غيره؟ فقال: «**لأنّ الشارب إذا شرب سكر، وإذا**

(١) سورة المائدة ٥: ٩٣.

سكر هذى، وإذا هذى افترى، وحَدّ المُفتري ثمانونَ جلدة»، ثمّ قام حتّى جلد ثمانين جلدةً[١].

٥٢٣. مَا رُزِقَ الْعَبْدُ رِزْقاً أَوْسَعَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ[٢].

إجراء الرزق على الصبر مَجاز، والمراد به اللطف والتوفيق؛ فإنّ العبد إذا وفّقه الله توفيقاً، صبرَ على شدائد التكليف وحوادث الدهر ونكبات الزمان، انتفع به في دينه ودُنياه، والرزق هو ما للحَيّ الانتفاع، به وليس لأحدٍ منعه منه، فشبّه الصبر به لهذا المعنى، والصبر حبسُ النفس على المكاره[٣]، والرزق والتوفيق كلاهما من قِبل الله للعبد، وأفعاله تعالى كثيراً ما يُستعمل على اللفظ المجهول المبنيّ للمفعول نحو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾[٤] و﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٥]، وقد ذكرنا ما جاء

---

(١) الكافي٧: ٢١٥/ بَابُ مَا يَجِبُ فِيهِ الْحَدُّ فِي الشَّرَابِ، ح١٠. تهذيب الأحكام١٠: ٨٩/ بَابُ الْحَدِّ فِي السُّكْرِ وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ وَالْفُقَّاعِ وَأَكْلِ الْمَحْظُورِ مِنَ الطَّعَامِ، ح١٧. الإرشاد١: ٢٠٢، فصل في ذكر ما جاء من قضاياه في إمارة عمر بن الخطاب، باختلاف. أُنظر: السنن الكبرى للنسائي٣: ٢٥٣، إقامة الحدّ على من شرب الخمر على التأويل، ح٥٢٨٩.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٩، ح٧٧٩. مسند ابن حنبل٣: ٤٧. تهذيب الآثار، مسند عمر١: ٩، قطعة من ح٦، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أُنظر: الفروق في اللغة١٩٥. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٤ (صبر).

(٤) سورة البقرة٢: ١٧٨ و١٨٠.

(٥) سورة النمل٢٧: ١٦.

في الصبر وأنواعه والثواب عليه فيما مضى، فلا وجه لإعادته.

واستعمال السِّعة والضيق في الرزق معروف؛ وإنّما جعله أوسع عليه لأنّه يتعلّق بقصد العبد وداعيه، وليس كالرزق الذي بيد الله؛ يبسطه لمَن يشاء، ويقدره على من يشاء[1].

٥٢٤. مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ مَالاً إِلا أَهْلَكَتْهُ[2]. مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا عَفَا رَجُلٌ مِنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزّاً[3].

المراد بالصدقة في الحديثين الزكاةُ الواجبة، وقد سَمَّى الله الزكاةَ صدقةً في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[4]، وعليه إطباق المفسِّرين؛ بل إجماع الأُمّة أنّ هؤلاء أرباب الزكاة[5]، فأوعَد مانعي

---

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبيراً بَصيراً﴾ الإسراء١٧: ٣٠ و﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ٣٤: ٣٦.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ١٠، ح٧٨١. مسند الحميدي١: ١١٥، ح٢٣٧، عن عائشة.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ١١، ح٧٨٣. المعجم الأوسط٢: ٣٧٤، عن أمّ سلمة. سنن الترمذي٣: ٣٨٥/ باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، قطعة من ح٢٤٢٧، عن أبي كبشة الأنماري باختلاف يسير. مسند ابن حنبل٢: ٢٣٥، عن أبي هريرة.

(٤) سورة التوبة٩: ٦٠.

(٥) أُنظر: المبسوط١: ٢٤٤. السرائر١: ٤٥٥/ باب مستحقّ الزكاة وأقلّ ما يُعطى منها وأكثر. تذكرة الفقهاء٥: ٢٣٧، مسألة ١٦٢: أصناف المستحقّين للزكاة ثمانية.

الزكاة في هذا الحديث بمَضَرَّةٍ عاجلة، وهي هلاك جملة المال بمنع البعض منه؛ ليكون أدعى لهم إلى إخراجها خوفاً من تلك المضرّة[1]، ثمّ أتبعهُ بقوله: «**ما نقص مالٌ من صدقة**»، فإنّ مانع الزكاة إنّما يمنعها خوفاً من النقصان، فحضَّهم بطريقَيِ الترغيب والترهيب؛ خوّفهم أوّلاً بهلاك المال، ثمّ آمنهم من النقصان؛ ليرغبوا في إخراجها من الوجهين جميعاً، وقوله: «**ولا عَفَا رجلٌ عن مظلمةٍ**» ـ الخبر ـ محمولٌ على غصب الرجلِ مال أخيه المسلم. والمظلمة: الظُّلْم، وهو النقصان في اللغة، وقد بيّنّا حقيقته في اصطلاح أهل الكلام، وإنّما خصصناه بذلك؛ لأنّ قبضه واستيفاءه يتعلّقان به ويسقطان بإسقاطه، بخلاف العوض المستحقّ على الآلام؛ لأنّ ذلك لا يسقط بإسقاط المستحقّ؛ لأنّ قبضه واستيفاءه لا يتعلّقان به؛ بل يتعلّقان بالله تعالى، وإنّما يَسقط بإسقاطنا ما يتعلّق قبضه بنا، ولذلك قلنا لأصحاب الوعيد: الدليل على حسن إسقاط العقاب المستحقّ من المستحقّ له أنّ العقاب حقٌّ لله تعالى قبضُه واستيفاؤه، ويتعلَّق باستيفائه حقّه، ولا يتعلّق بإسقاطه حقٌّ للغير، فيجب أن يحسن إسقاطه كإسقاط الدَّين ممّن هو عليه، فالرجُلُ إذا ظلمه إنسان بأخذ ماله، فعفا عنه وتركه عليه زاده الله بذلك عزّاً، وجَعَلهُ أعزّ ممّا كان، ولو فعله لله تعالى، وتقرّب به إليه، لاستحقّ الثواب العظيم.

---

(١) أُنظر: الكافي٣: ٥٠٢/ بَابُ مَنْعِ الزَّكَاة. وسائل الشيعة٩: ٢٠/ بَابُ تَحْرِيمِ مَنْعِ الزَّكَاة.

٥٢٥. مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ[١].

أصل الفِتنة: الاختبار في اللغة، يُقال: «**فَتَنتُ الذهَبَ بالنار**» إذا ألقيته فيها؛ ليتبيَّنَ غشُّها من خالصها، ودينار مفتون[٢]. والتكليف صورته صورة الامتحان؛ لأنّ الله تعالى ركّب فينا الشهوة، وهي متعلّقة بالحسَن والقبيح، ومكّننا من نيل المشتهى، ثمّ أمرَنا ونهانا في ذلك، كالمختبِر لنا لنفعل ماذا، فالشهوة وإن كانت من أُصول النِّعَم، فإذا تأمّلتَ حقَّ التأمّل، علمت أنّها على ضربين: نعمة ومِحْنَة، فالنعمة منها ما لنا طريقٌ إلى نيل ما يتعلّق به ممّا يحسّنه العقل ويأذن فيه الشرع، كشهوة الطعام والشراب والنكاح من حِلّه، والمحنة هي الشهوة المتعلّقة باللواط وشرب الخمر؛ فإنّه لا سبيل إلى نيل ما يَتعلَّق به بوجه، فذلك على المكلَّف مِحنَة وفتنة.

وأضرّ: اسم التفضيل من الضَرَّ والمضَرَّة. و«**مِن**» يتعلَّق به، وهي أبلغ هاهنا من اللام، يُقال: هذا أضرّ لفلان وأضرّ عليه؛ لأنّ علا كلمة الاستعلاء والقهر والغَلَبة[٣]، ولا يكون في وضعه إلّا للمضرّة كدعا عليه،

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ١١، ح٧٨٤. صحيح البخاري٦: ١٢٤. صحيح مسلم٨: ٨٩. سنن الترمذي٤: ١٩٢ / باب ما جاء في تحذير فتنة النساء، ح٢٩٣٠، عن أسامة بن زيد.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٤: ٤٧٢. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤١٠. لسان العرب١٣: ٣١٧ (فتن).

(٣) أُنظر: كتاب العين٢: ٢٤٥. النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٩٣ (علا).

وشهِدَ عليه، وقال عليه، وما أشبه ذلك. والمراد بالرِّجال والنساء الجنس وإن كان اللفظ لفظ الجمع.

٥٢٦. مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً[١].

«ما» للنفي. والإصرار: الإقامة على الأمر، وشَدُّ الرأي، وإحكام العزيمة عليه، من الصرّ وهو الشدّ، ومنه الصُّرَّة للخرقة المشدود فيها الذهب والفضّة، فُعْلَة بمعنى مفعولة[٢]. ودواء الإصرار التوبة والاستغفار، فقال : لا يكون المذنب مُصِرّاً وإن عاد في اليوم الواحد إلى الذنب مراراً كثيرة ما دام مستغفراً، بشرط أن يكون نادماً عازماً على ما بيّنّا؛ فإنّ الاستغفار باللسان لا يخرجه من كونه مصرّاً إلّا بالشرط الذي ذكرنا من الندم على ما مضى، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في المستقبل لقبحه[٣].

وذكر سبعين عبارة في الحديث عن الكثير؛ فإنّ العرب تعبّر به عن الكثير وإن كان أقلّ مِن ذلك أو أكثر[٤]؛ قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ١٣، ح٧٨٨. سنن أبي داود١: ٣٣٩ / باب في الاستغفار، ح١٥١٤. مسند أبي يعلى٢: ١٢٤، ح١٣٧، عن أبي بكر. الدعاء للطبراني: ٥٠٧، ح١٧٩٧، عن ابن عبّاس.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٣: ٢٨٢. النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٢ (صرر).

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة١٦: ٧٦/ بَابُ وُجُوبِ إِخْلَاصِ التَّوْبَةِ وَشُرُوطِهَا.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٣٥ (سبع).

(٥) سورة التوبة٩: ٨٠.

وقال **الصادق**عليه السلام: «**دِرْهَمٌ رِباً أَشَدُّ مِنْ سَبْعِينَ زَنْيَةً كُلُّهَا بِذَاتِ مَحْرَمٍ**»[١].

والاستغفار: طلب المغفرة، والسين للطلب، وأكثَرُ هذا البناء يجيء لهذا المعنى. ويُقال: عاد في كذا إذا رجع إليه[٢].

٥٢٧. مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إِلاّ أَحْسَنَ اللهُ الْخِلاَفَةَ على تَرِكَتِهِ[٣].

المراد بالصدقة في الحديث أيضاً الزكاة الواجبة، ولو حُمل عليها لكان أولى؛ لأنّه أعمُّ فائدةً، ولا تنافي بينهما. ومعنى الحديث: الحَثُّ على أداء الزكاة، والتوفُّرُ على الصدقات بأمرٍ يَعود نفعه إليه وإلى أولاده وورثته؛ فإنَّ الرجُلَ إنّما يَبخَل بماله خشيَةَ فقرِ أولاده، فبَيَّن أنّه إذا أحسنَ الزكاةَ والصدقة، صانَ اللهُ مالَه أن يَتلُف في يد ورثته ومخَلَّفيه، أو يَصرِفوه في معاصي الله تعالى[٤].

---

(١) الكافي٥: ١٤٤/ بَابُ الرِّبَا، ح١. من لا يحضره الفقيه٣: ٢٧٤/ بَابُ الرِّبَا، ح٣٩٩٢. تهذيب الأحكام٧: ١٤/ بَابُ فَضْلِ التِّجَارَةِ وَآدَابِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْبَغِي لِلتَّاجِرِ أَنْ يَعْرِفَهُ ... ، ح٦١.

(٢) النهاية في غريب الحديث٣: ٣١٦. لسان العرب٣: ٣١٥ (عود).

(٣) مسند الشِّهاب٢: ١٤، ح٧٨٩. مسند ابن المبارك: ١٩٥، ح٣٤٢. الأموال للقاسم بن سلّام: ٤٣٩، ح٩٠٣، عن ابن شهاب. الكافي٤: ١٠ / باب في أنّ الصدقة تزيد في المال، ح٥، عن السكوني، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٤) قال **الإمام عليٌّ**عليه السلام: لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «**لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَمَا هَمُّكَ وَشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ؟!**». نهج البلاغة : الحكمة٣٥٢.

وروي عن الحسن بن **عليّ** عليهما السلام أنّه قال: **«لا تَبخَلْ على نفْسك بمالك؛ فإنّك إن خَلَّفتَه خَلَّفتَ لرجُلَين: إمّا رجلٌ يُنفِقه في طاعة الله، فيَدخُل به الجنّة، وتَدخُل به النار؛ وإمّا رجلٌ ينفقه في معصية الله، فيكون عوناً على المعصية، وليس أحد الرجلين أهلاً أن تُؤْثِرهُ على نفسك»**[١].

٥٢٨. مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا[٢].

فإن قلت: كيف قال: «**نامَ هاربها؟**»، ولا يقال: هربه؟ إنّما يقال: هرب عنه. فالواجب أن يقول: الهارب عنها؟

قلت: عن ذلك جوابان: أحدهما: أنّه حذف حرف الجرّ كما حذف في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾[٣] أي: من قومه.

والنار هاهنا مكان محدود، والظرف إذا كان محدوداً لا يُنصب، بل يُستعمَل مع حرف الجرّ نحو: الدار والسوق والمسجد، والمُبهَم يُنصَب

---

(١) أُنظر: نهج البلاغة، الحكمة٤١٦، وفيه: قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام «**يَا بُنَيَّ، لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّكَ تَخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِك**». الكافي٨: ٧٢، ح٢٨.

(٢) مسند الشّهاب٢: ١٤ و ١٥، ح٧٩١. سنن الترمذي٤: ١١٥ / باب ما جاء أنّ للنار نفسين، ح٢٧٢٨. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٩، ح٢٧، عن أبي هريرة. الإرشاد١: ٢٢٦، عن الإمام عليّ .

(٣) سورة الأعراف٧: ١٥٥.

على الظرف، نحو الجهات السِتِّ، فجَعَلَ المحدودَ هاهنا كالمُبهم، ثمّ اتَّسَعَ فيه فجَعَلَه مفعولاً به كقول الشاعر: «**ويوم شهدناه سليماً وعامراً**»[١]؛ أي: شهدنا فيه. وكقول الآخر: «**يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ**»[٢]؛ أراد سارق المتاع في الليلة من أهل الدار.

والجواب الثاني: أنّه جَعَلَ الهاربَ كاسم الرجُلِ، ثمّ أضافه إلى النار بأدنى ملابسة بينه وبين النار؛ من حيث إنّه يَهرب عنها، كما قالوا: «**الكواكب الخَرقاء**»[٣]، لمّا كانت تقوم عند طلوعه، فلم يُراعِ الفعل وصلته؛ لأنّه جعله كاسم الشخص؛ كأنّه قال: صاحب النار.

فأمّا الضمير في هاربها وطالبها لا يرجع إلى الجنّة والنار؛ لأنّه لا تعلُّقَ ولا اتّصالَ بينه وبينهما؛ لأنّه ليس بخبرٍ للمبتدأ، أو لا صلة ولا حال؛ لأنّ النار معرفة، والجملة نكرة، فلا يصح أن تكون صلةً لها، ولا يجوز أن يكون حالاً؛ لأنّ العامل في الحال وذي الحال يجب أن تكون واحداً كقولك: جاءني زيدٌ راكباً[٤]. والعامل في النار «**مِثل**» الذي أُضيف إليه فانجرّ به، ولا يصحّ أن يكون ناصباً؛ لأنّه ليس بفعل ولا مشتقّ منه، فإذا أبطلتْ هذه الوجوه وجبَ أن يقدَّر محذوف يكون

---

(١) كتاب سيبويه١: ١٧٨. المقتضب٤: ٣٣١. مجمع البيان١: ٦٠، سورة الفاتحة.

(٢) كتاب سيبويه١: ١٧٥. الأصول في النحو٢: ٢٥٥.

(٣) الخرقاء من الغنم: التي يكون في إذنها خرق أو ثقب مستدير. تهذيب اللغة ٧: ١٥ (خرق).

(٤) مغني اللبيب ٢: ٦٥٩.

موصوفاً لمثل؛ فإنّ مِثلاً لا يكون إلّا صفةً. والتقدير: «**ما رأيتُ نعمةً مثلَ النار نام هاربُها، ولا نعمةً مثل الجنّة نامَ طالبها**» حتّى يستقيم الكلام، ويَسلم عن الاعتراض.

٥٢٩. مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَا زَانَهُ، وَمَا كَانَ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ[١].

الرفق: المداراة والملاينة[٢]. والخرق: الخفَّة والطَّيش[٣]. وقَطُّ: كلمة مبنيّة على الضمِّ نحو: حيث ومنذ، ومعناه القطع من قولهم: قَطَّ رأسَ العلم. والقَطُّ: القطع عرضاً. والقَدُّ: القطع طولاً[٤]، ومنه حديث ابن عبّاس: كانت ضَربات **عليٍّ**عليه السلام أبكاراً إذا استطال قَدَّ، وإذا اعترض قَطَّ[٥].

كأنّه قال: ما كان الرفق في شيء على سبيل القطع والبتات إلّا زانه. والقطع يتعلّق في الحقيقة بالزَّين والشَّين.

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ١٦، ح٧٩٣. مسند البزار١٣: ٣٥٩، ح٧٠٠٢، عن أنس. مكارم الأخلاق للخرائطي: ٢٣٠، قطعة من ح٦٩٦، عن عائشة. تحف العقول: ٤٧.

(٢) كتاب العين٥: ١٤٩. النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٤٦ (رفق).

(٣) أُنظر: كتاب العين٤: ١٤٩ و ٦: ٢٧٦ (طيش). مفردات ألفاظ القرآن: ٢٧٩ (خرق).

(٤) الفروق في اللغة: ١٤٣، الفرق بين القطّ والقدّ. النهاية في غريب الحديث ٤: ٢١ (قدد).

(٥) أُنظر: المناقب لابن شهرآشوب٢: ٨٣. حياة الحيوان الكبرى١: ٥٣.

وقال بعضهم: قَطُّ معناه: أبداً[١]، والأصل ما ذكرناه؛ لدلالة الاشتقاق عليه. وقال ﷺ: **«لو كان الرِّفق خَلقاً لما رأى الناسُ خَلقاً أحسنَ منه، ولو كان الخرقُ خلقاً لما رأى الناس أحمقَ[٢] منه»**[٣].

٥٣٠. مَا اسْتَرْذَلَ اللهُ عَبْداً إِلَّا حَظَرَ عَنْهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ[٤].

هذا الاستفعال بمعنى العلم والحسبان نحو الاستجهال والاستحماق، يُقال: «**استجهلته واستحمقته**» إذا علمته أو حَسِبتهُ جاهلاً أو أحمق. «**ما استرذل الله**»؛ أي ما علمه الله رذلاً، وهو الدنيء الحقير[٥].

والحَظْر: المنع. والمحظور: الحرام الممنوع[٦]، ومثله الحَجر[٧]؛ وذلك لأنّ العلم أشرف الأشياء، فلا يُنزِله الله تعالى إلّا في أعلى رتب المعالي؛ لأنّه ـ جلَّ جلاله ـ حكيمٌ، لا يضع الأشياءَ إلّا مواضعها.

---

(١) أُنظر: الصحاح٣: ١٠٩٣. لسان العرب٧: ١٩٢ (عوض).

(٢) في المصادر: (أقبح). وفي المصدرين الأوّلين: (خلق الله) بدل من (رأى الناس).

(٣) الكافي ٣: ٣٢١ / باب سوء الخلق، ح ٢. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ٣٩٥. الباب الخامس في مكارم الأخلاق ونظائرها، الفصل الأوّل في حسن الخلق، ح ١٣٠٦. كنز العمّال ٣: ٤٨، ح ٥٤٢٤، وفي الأخير، عن الحاكم في الكنى، عن عائشة. باختلاف اللفظ.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ١٧، ح٧٩٥. الكامل لابن عدي٢: ٣٣٩، عن أبي هريرة.

(٥) أُنظر: كتاب العين٨: ١٨٠. لسان العرب١١: ٢٨٠ (رذل).

(٦) كتاب العين٣: ١٩٦. النهاية في غريب الحديث و الأثر١: ٤٠٥ (حظر).

(٧) الحَظْرُ: الحَجْرُ، وهو خلاف الإباحَةِ. والمَحْظُورُ: المُحَرَّمُ. حَظَرَ الشيءَ يَحْظُرُه حَظْراً وحِظاراً وحَظَرَ عليه: منعه. لسان العرب٤: ٢٠٢ (حظر).

والأدَب: ما يـؤدَب النـاسُ إليـه أي يُـدعى، فعلٌ بمعنـى مفعـول، ومنـه المأدَبَة للمَدعاة[١]، فهو في العرف بمنزلة المندوب في الشرع.

٥٣١. مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً[٢].

ويروى «دواء»[٣]. يحرّضنا في هذا الحديث على التداوي، وأن لا نَترك الأدواءَ والعللَ تَستولي علينا، بأن نقول: الداء من عند الله، والدواء بيد الله! فإنّ الله تعالى كما أنزل الداءَ ـ أي خَلَقَ وأحدَث ـ أنزلَ دواءً يكون له شفاءً، واللهُ تعالى قادرٌ على أن يَشفي المرضى ويُعافيهم من العلل من غير التداوي؛ إلّا أنّه أجرَى العادةَ بأن لا يَفعل ذلك مبتدأً في أكثر الأحوال، بل بالسبب؛ لضربٍ من المصلحة لا نَعلمه، وهو الحكيم العالِم بمصالح العباد ومفاسدهم بمرضهم؛ ليَعتبروا وينتبهوا ويشفيهم؛ ليَحمدوهُ ويشكرو له، فيصبروا على المرض والآلام، ويشكروا على الصحّة والسلامة؛ ليَحوزوا أجرَ الشاكرين وثواب الصابرين، وهو المشكور على جميع الأحوال[٤].

---

(١) شرح كتاب سيبويه٤: ٤٦٤. لسان العرب١: ٢٠٦ (أدب).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ١٧، ح٧٩٦، عن هلال بن يساف. مسند ابن حنبل١: ٣٧٧، عن عبدالله بن مسعود. صحيح البخاري٧: ١١. سنن ابن ماجة٢: ١١٣٨، ح٣٤٣٩. الموطّأ٢: ٩٤٤/ باب تعالج المريض، ذيل ح١٢، عن أبي هريرة.

(٣) أُنظر: قرب الإسناد: ١١٠. دعائم الإسلام ٢: ١٤٣.

(٤) أُنظر: الكافي٣: ١١٣/ كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَوَابِ الْمَرَض. وسائل الشيعة٢: ٣٩٧/ كتاب الطهارة، بَابُ اسْتِحْبَابِ احْتِسَابِ الْمَرَضِ وَالصَّبْرِ عَلَيْه.

٥٣٢. مَا زَانَ اللهُ عَبْداً بِزِينَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِفَافٍ فِي دِينِهِ وَفَرْجِهِ[١].

جعل العِفاف والتقوى زينَة للعبد المؤمن، ثمّ جَعَلَه من أفضل الزينة وأجملها، ومرجع المعنى في ذلك إلى الإلطاف والتوفيق والعصمة؛ فإنّ الله تعالى إذا لَطُفَ للعبد لطفاً، يَمتنع العبدُ عنده من القبائح والمعاصي، يُسمَّى ذلك اللطف عصمةً؛ فالله تعالى فاعل اللطف بفضله، والعبد تارك المعصية باختياره، بدلالة استحقاقه المدح والثواب، ولو كان ذلك على سبيل الجبر والقهر، لما استَحَقَّ عليه شيئاً من المدح والثواب، إلّا أنّه لو لم يفعل ذلك اللطف، لم يَختر المكلَّفُ الامتناعَ من القبائح؛ لأجل ذلك أضافَ الزينةَ إلى الله.

فإنْ قلت: كيف عطف العفاف في الفِرج على العفاف في الدِّين وهو داخلٌ فيه؛ فهو بمنزلة عطف الشيء على نفسه؟

قلت: عن هذا جوابان:

أحدهما: أن يكون هذا من باب التخصيص بالذِّكر نحو قوله تعالى: ﴿مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[٣] لِعِظَم منزلتهما أفردهما بالذِّكر.

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ١٨، ح٧٩٧. معجم ابن الأعرابي٢: ٧٣٤، ح١٤٨٨، عن العلاء بن سليمان، عن **الإمام الباقر** .

(٢) سورة البقرة٢: ٩٨.

(٣) سورة الأحزاب٣٣: ٧.

والجواب الثاني: أنّه جعل العفاف في الفرج كالشيء المفرَد، فعَطَفه على العفاف في الدِّين.

فإنْ قلت: كيف عطف الفرج على الدِّين وهو اسم شخص، وهذا اسم معنى، والكلام معه يتنافى، فهو بمنزلة قولك: زيدٌ والعِلم حَسَنان؟

قلت: يجب أن يقدَّر هناك حذفُ مضاف، ويكون التقدير: أفضلَ من عفاف في محارم دينهِ وفرجه؛ ليستقيم الكلامُ ويَتناسب؛ فإنّ حذف المضاف كثيرٌ في كلامهم[1].

٥٣٣. مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلى عَبْدٍ إِلّا عَظُمَتْ مُؤُونَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ[2].

هذا ممّا نَجِدُه فيما بيننا؛ فإنّ الرجُلَ منّا إذا أنعم الله عليه نعمةً بزيادة مالٍ أو جاهٍ أو علمٍ، احتاج الناس إليه، وازدحموا عليه، كما قيل:

ازدَحَـم الـناسُ علـى بابـه والمشرَب العذبُ كثير الزِّحام[3]

فمؤونة الناس على الرجل إنّما تكون بقَدر نعمة الله عليه؛ كلّما كانت

(١) راجع: المفصَّل في صنعة الإعراب: ١٣٤.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ١٨، ح٧٩٨، عن معاذ بن جبل. قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: ٤٧، ح٤٨، عن عائشة. الأمالي للطوسي: ٣٠٦، ح٦١٥، عن معاذ بن جبل. الكافي٤: ٣٧/ باب مؤونة النعم، قطعة من ح١، عن حديد بن حكيم، عن الإمام الصادق ، باختلاف يسير.

(٣) البخلاء: ٣٠٧. ديوان المعاني٢: ٢٤٤. المصون في الأدب: ٧٧.

النعمة أعظمَ، كانت المؤونة عليه أكثر وأشدّ، كما قال أبو الطيِّب:

على قَدرِ أهل العَزم تأتي العزائمُ[١].

فقيامه بمؤونة [الناس] وقضاؤُه حوائجَهم يكون كالشكر لتلك النعمة، فإنْ زادَ في ذلك زادهُ الله في تلك النعمة، وإن تَعَلَّلَ بكثرة شغل نفسه عن أشغال الناس وقضاء حوائجهم، انقطعتْ تلك النعمة عنه؛ فإنّ ذلك كالكفران لها[٢].

وقال بعضهم في هذا المعنى:

تحيل على الفراغ قضاءُ شغلي — وأنت إذا فرغتَ تكون مثلي

فلا أُدعى بخادمِك المرجى — ولا تُدعى بمَولانا الأجَلُّ[٣]

وقال آخر:

إذا هَبَّتَ رياحُك فاغتَنِمْها — فإنَّ لكلِّ خافقةٍ[٤] سُكونا[٥]

---

(١) بغية الطلب في تاريخ الحلب ١: ٢٤٣. العزيمة: ما يُعزَم عليه. راجع: لسان العرب ١٢: ٤٠٠ (عزم).

(٢) أُنظر: الكافي٤: ٣٧/ كِتَابُ الزَّكَاة، بَابُ مَئُونَةِ النِّعَم. وسائل الشيعة ١٦: ٣٢٣/ كتاب الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يليق به، بَابُ اسْتِحْبَابِ اسْتِدَامَةِ النِّعْمَةِ بِاحْتِمَالِ الْمَئُونَة.

(٣) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩: ٢٤٩.

(٤) الخَفق: الضرب، والتحريك، والطيران. راجع: الصحاح ٤: ١٤٦٩ (خفق).

(٥) تفسير الثعلبي٤: ٣٦٤.

٥٣٤. مَا سَتَرَ اللهُ عَلى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً فَيُعَيِّرَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[١].

هذا الخبر يَجري مَجرى البشارة لعبدٍ يذنب بذنبٍ في دنياه فيستره الله عليه ولا يفضحه به؛ ليزيد في شكره، ويكون ذلك سبباً لتوبته وامتناعه من القبائح.

وقوله: «**فيعيّره**» يجوز فيه الرفع والنصب، فالرفع على الاستئناف. والمعنى: لا يستر الله عليه ذنباً، ثمّ يعيّره به يوم القيامة. والنصب على الجواب، والمعنى: لا يَستُر اللهُ عليه ثمّ ليعيّره به؛ فإنّه كالنقض للغرض، والتعيير: تفعيل من العار؛ أي يخاطبه ويوبّخه بما يكون عاراً عليه.

٥٣٥. مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ عِنْدَ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ[٢].

معنى الخبر: تحريض الشُّبّان على إكرام الشيوخ، بوعد جميل عاجل، وهو تقييض الله وتسبيبه عند شيوخته وسِنّه مَن يكرمه[٣]، وهذا كما يقال: المكافأة في الطبيعة واجبة[٤]. وقيّده بقوله: «**لسنِّهِ**»؛ يعني لكبره وشيخوخته، لا لغرضٍ سواه.

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ١٩، ح٨٠٠. مسند البزار٨: ١٤٥، ح٣١٦٤، عن أبي موسى. مسند ابن راهويه٢: ٣٣٧، قطعة من ح٨٦٣، عن عائشة. المعجم الأوسط٦: ٢٤٤. عن علقمة المزني، عن أبيه، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٢٠، ح٨٠٢. سنن الترمذي٣: ٢٥١ / باب ما جاء في إجلال الكبير، ح٢٠٩١. العمر والشيب: ٥٣، ح١٤. المعجم الأوسط٦: ٩٤، عن أنس بن مالك.

(٣) راجع: الكافي٢: ٦٥٨/كِتَابُ الْعِشْرَةِ، بَابُ وُجُوبِ إِجْلَالِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِم. وسائل الشيعة١٢: ٩٧/تتمّة كتاب الحجّ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِجْلَالِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُؤْمِنِ وَتَوْقِيرِهِ وَإِكْرَامِه.

(٤) خاصّ الخاص١: ٢٤. الإعجاز والايجاز١: ٦٤.

ورويَ أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابتني خصاصة! قال: «**لعلّك مشيت أمام شيخ**»[١].

وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يُستخفُّ بهم إلّا منافق: إمامٌ مُقسِط، وذو شَيبةٍ في الإسلام، وذو عِلمٍ**»[٢].

وقال أردشير: وَقِّروا المشايخَ؛ فإنّهم مواطن الوقار، ومعادن الآثار، ورُواة الأخبار، وحفَظَة الأسرار، إن رأوك في قبيحٍ منعوك، وإن رأوكَ في جميلٍ أيّدوك، وإيّاك وأغمار[٣] الشبّان؛ فإنّهم أهل الصَّبوَة إلى الشهوات وقيل: مَن عَرَفَ حقَّ مَن هو فوقَه، عَرَفَ حَقَّهُ مَن هو دونَه[٤].

٥٣٦. مَا امْتَلَأَتْ دَارٌ حَبْرَةً إِلَا امْتَلَأَتْ عَبْرَةً، وَمَا كَانَتْ فَرْحَةٌ إِلَّا تَبِعَتْهَا تَرْحَةٌ[٥].

الامتلاء: مطاوع مَلَأتُ الإناءَ فامتَلأَ[٦]، وانتصاب حَبرَة وعبرَة على التميُّز، وهو تمييز بعد تمام الاسم، وتمام الاسم هاهنا التنوين، فلمّا تمّ

---

(١) محاضرات الأدباء٢: ٣٥١.

(٢) محاضرات الأدباء٢: ٣٥١. روضة الواعظين٢: ٤٧٦. المعجم الكبير٨: ٢٠٢، باختلاف يسير.

(٣) الأَغْمَار: جمع غُمْر بالضمّ، وهو الجاهل الغرّ الذي لم يجرّب الأمور. النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٨٥ (غمر).

(٤) محاضرات الأدباء٢: ٣٥١.

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٢١، ح٨٠٣. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٨٩، ح٢٦٣، عن يحيى بن أبي كثير. الزهد لأحمد بن حنبل: ١٣٤، ح٩٠١، عن عبدالله، باختلاف يسير.

(٦) أُنظر: النهاية في غريب الحديث و الأثر٤: ٣٥٢ (ملأ).

الاسم، ومعنى تمامه أنّه صار بحيث لا يتصوّر الإضافة فيه بأن يكون فيه تنوين أو نون تثنية أو نون جمع أو إضافة كقولك: ما في السماء قَدْر راحةٍ سحاباً، وعندي صنوان[(١)] سمناً[(٢)] وعشرون رجلاً، ولي ملؤه عسلاً، و﴿مَثَلًا رَجُلًا﴾[(٣)]، فانتصب ما بعده على التميز.

والحديثان وردا مورد الوعظ والنصيحة، وامتلأ الدار بالحَبرة والعَبرة ـ وهي الدَّمع ـ مَجاز على طريق المبالغة. ومعنى الحديث: إنّ مسارَّ الدُّنيا ومنافعها غير خالصة، بل هي مَشوبَةٌ بالمساءة والمضَرَّة كما قال:

حَلاوةُ دُنياك مسمومةٌ فلا تَأكُلُ الشَّهدَ إلّا بسَمِّ
هُمومُك بالعيش مقرونةٌ فلا تَقطَعُ العَيشَ إلّا بهَمِّ[(٤)]

وكقول الآخر:

والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرنٍ بكلّ ذلك يَأتيك الجديدانِ[(٥)]

---

(١) الصِّنو: المثل. وصنو الرجُل: أخوه. والصنو من النخل: أن يكون نَخلتَين أو ثلاثاً أصلهنَّ واحد. والجميع صنوان وأصناء. المحيط في اللغة ٨: ١٩٢. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٥٧ (صنو).

(٢) السِّمَن: نقيض الهُزال. كتاب العين ٧: ٢٧٣ (سمن).

(٣) الظاهر أنّه إشارة إلى آية ﴿**ضرب الله مثلًا رجلًا** ...﴾. سورة الزمر ٣٩: ٢٩.

(٤) الجهاد لابن المبارك: ٣٢. الزهد لابن أبي الدنيا: ٩٠، ونسب البيت إلى الحسن بن السكن بن سليمان، باختلاف يسير.

(٥) أمالي السيّد المرتضى٢: ٣٧. جمهرة الأمثال١: ٥٤٣. المعجم الكبير١٩: ٤٣٢، والبيت لسويد بن عامر المصطلقي.

وكذلك قوله: وما من فرحةٍ إلّا تبعتها ترحة، فالترحة الحزن والغمّ وهي نقيضة الفرحة[١].

٥٣٧. مَا اسْتَرْعَى اللهُ عَبْداً رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ[٢].

٥٣٨. مَا مِنْ عَبْدٍ يَستَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ غَاشّاً لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ[٣][٤].

الاسترعاء: طلب الرِّعاية، يُقال: «**استرعيتُ فلاناً على كذا**»؛ أي اتَّخذتُه راعياً له، وطلبتُ منه أن يكون راعياً لذلك الشيء[٥]، والرّعيَّة: فعَيلة بمعنى مفعولة[٦].

---

(١) كتاب العين٣: ١٩٠. النهاية في غريب الحديث ١: ١٨٦(ترح).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٢١، ح٨٠٤، عن عبد الرحمن بن سمرة. مسند ابن المبارك: ١١٦، ح٢٦٣، عن معقل بن يسار.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٢٢، ح٨٠٥. المعجم الكبير٢٠: ٢٠٧. مسند ابن جعد: ٤٥٨، عن معقل بن يسار.

(٤) صحيح مسلم١: ٨٧. سنن الدارمي٢: ٣٢٤. صحيح ابن حبّان١٠: ٣٤٧، عن معقل بن يسار.

(٥) أُنظر: كتاب العين٢: ٢٤٠. لسان العرب١٤: ٣٢٧ (رعو).

(٦) لسان العرب١٤: ٣٢٧ (رعو).

والحوط: الحفظ، يُقال: حاطَهُ الله، أي حَفِظَه، ومنه الحائط؛ لأنّه يَحوطُ الموضعَ المُحاطَ عليه[١]. والنُّصح والنصيحة للإصلاح والملاءمة، ومنه يُقال للخيّاط: النصّاح[٢]. والغِشُّ: الخيانة والغدر[٣].

ومعنى الحديثين واحد، وهو الوعيد لرُعَّاء السُّوء الذين يغشّون ويخونون رعاياهم، ولا ينصحون لهم، وذلك أعظم شيء عند الله؛ لأنّ الرعيّة تعتمد على شفقة الراعي ونصيحته وهدايته، وتتوقّع منه النُّصرة والمعونة إن ظلمها غيرُه، فإذا كان الظلم منه عليها، بمَن تستغيث؟ ومَن تستنصر؟ فيكون كمَن قال:

بملحٍ يُداوَى اللحمُ إن كان مُنتِناً فما حيلةُ الملح الذي قد تَغَيَّرا

وكقول الآخر:

المستجير بعَمروٍ عند كربته كالمستجر من الرمضاءِ بالنارِ[٤]

فإذا كانوا كذلك حرّم الله عليهم الجنّة تحريم منعٍ لا تحريم شرع.

٥٣٩. مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ أَعْظَمَ أَجْراً مِنْ وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ يُطِيعُهُ وَيَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللهِ تَعَالى[٥].

انتصاب «**الأجر**» في الحديث على التمييز. والوزير: الموازِر؛ أي المعاون،

(١) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ١: ٤٦١. لسان العرب٧: ٢٧٩ (حوط).

(٢) معجم مقاييس اللغة٥: ٤٣٥. مفردات ألفاظ القرآن: ٨٠٨ (نصح).

(٣) أُنظر: لسان العرب ٦: ٧ (ألس).

(٤) كتاب الأزمنة والأمكنة: ٢٧٤. الفاخر١: ٩٤. الأغاني٢٤: ٢٢٣.

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٢٣، ح٨٠٧. معجم ابن الأعرابي٢: ٥٥٦، ح١٠٨٩، عن عائشة.

فَعيل بمعنى مُفاعِل[١]. والإمام: المؤتَمُّ المُقتدى به[٢]. والطاعة: امتثال الأمر والإرادة[٣]، والأمر قول القائل لمَن هو دونه: افعل، وما يجري مجراه إذا كان مريداً لما أمر به.

وقوله: «**بذات الله**»؛ يعني: افعل بطاعة الله. وهو مثل قوله: ﴿مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[٤] أي في طاعة الله[٥]، والمعنى: فيما يَتعلّق بالله ودينه وما كَلَّفَ المكلَّفَ فعلَه أو تركه، و«**من**» الأُولى زائدة، والثانية للتبيين.

فإن قلت: كيف قال: «**إمامٌ يطيعه ويأمره**»، فأضافَ الطاعة إلى الإمام، والأمر إلى الوزير، والرتبة معتبرة في الأمر والطاعة، فالأمر لمَن هو فوق المأمور، والطاعة لمَن هو دون المُطاع، فالواجب أن يكون بالعكس ممّا هو عليه؟

قلت: إنّه بالغَ في وصف الناصح المُشير في جِدِّه ومبالغته في النصيحة وقلّة مبالاته فيما يخاطبه به في ذات الله، فجعله كالآمر له،

---

(١) لسان العرب٥: ٢٨٣ (وزر).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٧ (أمم). المحيط في اللغة١٠: ٤٦٠.

(٣) كتاب العين٢: ٢٠٩ (طوع) وفيه: (الطاعة: اسم لما يكون مصدره الإطاعة، وهو الانقياد).

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٥٦.

(٥) أُنظر: التوحيد للصدوق: ١٦٤/ باب معنى جَنْبِ اللهِﷻ. التبيان٩: ٣٩، سورة الزمر.

وجعل الأمير المسلِم الحَسن الإسلام القابل لنصيحة وزيره حين عرفه يُحسِن الرأيَ والتدبير وإرادة الخير بالإمام المطيع له. وجملة الأمر في هذا أنّ الكلام غير محمول على ظاهره وحقيقته، بل هو محمولٌ على التوسُّع والمَجاز؛ لما بيّنّا فيما فيه من المبالغة والتأكيد.

٥٤٠. مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يُصِيبُهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا[١].

الفَينَة: الزمان غير المعيَّن كالحين[٢] يُقال: «**لا أرى فلاناً إلّا في الفينة والندرة والأحايين**» إذا قَلَّ رؤيتُه له، و«**لا أراه إلّا عن عُفْر**»[٣] بهذا المعنى. و«**مِن**» زيادة مؤكِّدة للنفي.

والخبر وارد مورد حكاية حال المؤمن مع إيمانه لا يخلو من ذنبٍ يُصيبه زماناً بعد زمان من حيثُ اعتادَه وجعل ذلك عادته ودَيدَنَهُ، فهو لا يفارقه إلى أن يموت، ولذلك قيل: العادة طبيعة خامسة.

وفي الخبر دلالة على أنّ المؤمن لا يخرج عن الإيمان بالفسق والإصرار على الذنب؛ لأنَّ **النبيَّ** سمّاه مؤمناً مع أنّه أخبر أنّ ذنبه لا يفارقه حتّى يفارق الدُّنيا، وهو معنى الإصرار.

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٢٤، ح٨٠٩. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٢٢٥، ح٦٧٤. المعجم الأوسط٦: ٨٩، عن ابن عبّاس، والأخيرين باختلاف يسير.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٤: ٤٦٧. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٨٦ (فين).

(٣) العُفر: قلَّة الزيارة. تهذيب اللغة ٢: ٢١٣ (عفر).

٥٤١. مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يَقُولَانِ : اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلَفاً، وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفاً[١].

نَكَّرَ «**الشَّمسَ**» مع أنّ التنكير لا يُتصوّر فيها؛ لأنّ التنكير هو أن يُقصَد إلى واحدٍ غير معيَّن من جنسٍ ذي أعداد؛ لأنّه أراد بهذا الكلام: «**ما تَجدَّدَ يوم ولا تجدَّد يوم إلّا بطلوع الشَّمس**»، فنَكَّرَ الشمسَ إشارةً إلى ما بيّنّاه.

و«**قَطُّ**» كلمةٌ معناها: القطع على نفي الشيء فيما مضى من الزمان، ولا يدخل في الإثبات، تقول: ما فعلتُ ذلك قطُّ. ولا تقول: «**فعلتُ ذلك قطُّ**» أو «**أفعَلُ ذلك قطُّ**». والمراد بالخَلَف العوض، ومنه الخليفة؛ لأنّه عوض عن المستخلَف، ومنه قوله: ﴿هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[٢]؛ أي: كُن خليفتي وعوضي، ويُقال: «**أخلَفَكَ اللهُ مِن كذا خيراً منه**»؛ أي عَوَّضَكَ[٣]. والإخلاف: الخُلْف في الوعد، ومنه قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٤][٥].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٢٥، ح٨١٠. الزهد لابن أبي الدنيا: ١٨٠، قطعة من ح٤٠٣. المستدرك على الصحيحين٢: ٤٤٥، عن أبي الدرداء. مسند ابن حنبل٥: ١٩٧، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٤٢.

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٢: ٢١١. الصحاح٤: ١٣٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر٢: ٦٦ (خلف).

(٤) سورة آل عمران ٣: ٩.

(٥) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٩٥ (خلف).

والمخالفة: نقيض المماثلة. والخَلوف: تغيُّر رائحة الفَم[١]، ومنه الحديث: «**لَخُلوفُ فَمِ الصّائِمِ أطيَبُ عِندَ اللهِ تَعالى مِن ريحِ المِسكِ**»[٢]. وفلانٌ خَلَفُ صدقٍ من أبيه، وخَلَفُ سوءٍ من أبيه[٣]، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾[٤]. والخَلْف الخطأ من الكلام، ويُقال في المَثَل: سكت ألفاً، ونطق خَلْفاً. وقيل: إنّ أعرابيّاً كان جالساً مع قومٍ فحَبَقَ [حَبْقَةً] فتَشَوَّرَ[٥] من ذلك فأشار إلى إسته وقال: إنّها خَلْفٌ نَطَقَتْ خَلْفاً[٦]. والخَلْف من الجهات خلاف القُدّام. والخِلاف: الشجرة المعروفة. ويُقال للرجلُ الذي له مَنظَرٌ ولا مَخبَرَ له: فلانٌ كشجرة الخِلاف؛ خضرة في العين، ولا ثمرة في البين[٧]. والخِلْف: رأس الضَّرع.

---

(١) راجع: الصحاح٤: ١٣٥٦. النهاية في غريب الحديث ٢: ٦٧ (خلف).

(٢) من لا يحضره الفقيه٢: ٧٥/باب فضل الصيام، ح١٧٧٣. الخصال: ٤٥/ للصائم فرحتان، ح٤٢، كلاهما عن ابن عبّاس، عنه . صحيح البخاري ٢: ٦٧٠/ باب فضل الصوم، ح١٧٩٥، عن أبي هريرة عنه .

(٣) أُنظر: معجم مقاييس اللغة٢: ٢١٠. النهاية في غريب الحديث ٢: ٦٦ (خلف).

(٤) سورة مريم ١٩: ٥٩.

(٥) حَبَقَ حَبقةً فتشوَّر: ضَرَطَ ضَرطةً فخَجِلَ. راجع: جمهرة اللغة ١: ٢٨١ (حبق). المحكم والمحيط الأعظم ٨: ١١٨ (شور).

(٦) الصحاح٤: ١٣٥٤. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٩٣ (خلف). جمهرة الأمثال١: ٥٠٩.

(٧) مكاتيب سنايي: ٢٥.

والخَلْف: الفأس الذي له رأسان[١]. والتلَف: الهلاك[٢]. ومعنى الحديث: الحَثُّ على الإنفاق طمعاً في الخَلَف، والنهي عن الإمساك خوفاً من التَّلَف[٣].

٥٤٢. مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَسْرَعَ فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَالِ فِي دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ[٤].

الضَّراوَة: الاعتياد، ويُقال: «**ضَرِيَ بكذا**» إذا اعتاده[٥]. ومنه الحديث: «**إيّاكم وهذه المَجازِر[٦]؛ فإنّ لها ضراوة كضراوة الخمر**»[٧].

---

(١) لسان العرب٩: ٩٢ (خلف).

(٢) كتاب العين٨: ١٢٠ (تلف). النهاية في غريب الحديث ٤: ٤٦ (قرف).

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة٢١: ٥٤٧/ باب استحباب الإنفاق وكراهة الإمساك.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٢٥، ح٨١١. إصلاح المال: ٢١، ح١٥، عن أبي هريرة. سنن الترمذي٤: ١٦، ح٢٤٨٢، عن كعب بن مالك. الكافي٢: ٣١٥/ كتاب الإيمان والكفر، حبّ الدنيا والحرص عليها، ح٢، عن حمّاد بن بشير، عن الإمام الصادق ، وكلاهما باختلاف يسير.

(٥) النهاية في غريب الحديث و الأثر ٣: ٨٦ (ضرو). لسان العرب١٤: ٤٨٢ (ضرا).

(٦) المَجازر: جمع المَجزَرة وهو الموضع الذي تُنحر فيه الإبل وتُذبح فيه البقر والشاء. النهاية في غريب الحديث ١: ٢٦٧ (جزر).

(٧) البخلاء للجاحظ: ١٤٧. عيون الأخبار للدينوري ٣: ٢٣٩. التذكرة الحمدونية ٩: ٩٦، ح٢٠٣. الصحاح٢: ٦١٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١٢: ١١٦، ومصادر أخرى، وفي الكلّ قاله عمر. ونحوه في المصادر عن عليٍّ.

وفي رواية أُخرى: «**إيّاكم و إدمان اللحم؛ فإنّ له ضراوةً كضراورة الخمر**»[(١)].

والزَّريبَة: القطعة من الغنم، وقيل: الزريبة: مراح الغنم الذي يَراح إليها البهائم بالليل يُتَّخَذُ من العَرْفَج[(٢)] وأغصان الشجر وقِطَع العيدان[(٣)]، ومنه حديث أبي هريرة: ويل للزِّربيَّة! قيل: و ما الزربيَّة؟ قال: الذين يدخلون على الأمراء، فإذا قالوا شرّاً أو قالوا شيئاً، قالوا: صدق[(٤)]. أرادَ به أوباشَ الناس تشبيهاً بما يُتَّخَذ منه الزربيَّة.

وقوله: بأسرع فيها، أي بأسرع في إتلافها و إنفادها.

وقال ﷺ: «**من أصبَحَ وأمسى وهمُّه الدينار والدرهم مكاثراً، حُشِر يوم القيامة مع اليهود والنصارى ومع الذين قالوا** ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾»[(٥)(٦)].

---

(١) المحاسن٢: ٤٦٩، كتاب المآكل، ح٤٥٤. بحار الأنوار٦٦: ٦٩/ باب فضل اللحم و الشحم وذمّ مَن ترك اللحم أربعين يوماً وأنواع اللحم، ح٥٧، وفيهما: «**عن عبد الرحمن العزرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عليٌّ عليه السلام يَكره إدمان اللحم، ويقول: إنّ له ضراوة كضراوة الخمر**».

(٢) العَرفَج: من نبات الصيف ليِّنٌ أغبَرُ له ثمرة خشناء كالحَسَك سريع الاتّقاد، الواحدة: عَرفَجَة. وبالفارسية: خار زرد. المحيط في اللغة ٢: ٢٣٢. مقدّمة الأدب: ١٧ (عرفج).

(٣) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٢: ٩٩ (دبن). لسان العرب١: ٤٤٧ (زرب).

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٠٠. لسان العرب١: ٤٤٧ (زرب). شعب الإيمان٧: ٤٧/ فصل في مجانبة الظلمة، ح٩٤٠٠ وفيه: (عن ابن عمر أنّ **النبيّ** ﷺ قال: ويل للزربيّة! قيل: يا رسول الله، وما الزربيّة؟ قال: الذي إذا صدق الأمير، قالوا: صدق، وإذا كذب الأمير، قالوا صدق).

(٥) سورة المؤمنون٢٣: ٣٧.

(٦) الفردوس٤: ٣٢٧، ح٦٩٤٩، عن أبي سعيد.

لو كان هذا الحديث صحيحاً[١]، لكان مخصوصاً بقومٍ من الكفّار همَّتُهم جمع حُطام الدُّنيا؛ فأمّا المرء المسلم والعبد المؤمن لا يُحشَر مع الكفّار لحبِّ الدُّنيا.

وفي حديثٍ آخر عنه ﷺ: «**أيّها الساهرُ ليلَه، الصائم نهارَه، المذاب جلدُه، لا تَفرحْ بما أنت فيه؛ فإنّ الله لا يَقبل عملاً بغير تقوى**»[٢]. والتقوى أن تجتنب المحارم، وحُبُّ الدُّنيا هو حُبُّ الفضّة والمال.

وقال يحيى بن معاد: حبّ الرئاسة سيف إبليس في بني آدم؛ يقطع به العبوديّة إذا ضرب به، ومَن وَضَعَ تاج الرئاسة على رأسه فقد خذل مع المخذولين، وحبّ الرئاسة في الزهّاد يَأكل عملَهم، وفي العبّاد يأكل عبادتهم!

مكتوبٌ في التوراة: أربعة كَمَنَ في أربعة: السلامة في السكوت، والعافية في ترك الرئاسة، والشرف في التقوى، والمحبّة في ترك الفضول.

وقال بعض الحكماء: مَن طَلب الرئاسةَ طَلب الرؤساءُ رأسَه[٣].

وقال ﷺ: «**مَن أحَبَّ أن يَقوم الناسُ صفوفاً بين يديه، فليَتبوّأ مقعده من النار**»[٤]. قوله: صفوفاً، أي واقفين.

---

(١) أُنظر: المجروحين١: ١١١. تهذيب الكمال٢١: ٥٤٩.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) أُنظر: بصائر ذوى التمييز لفيروزآبادي ٦: ٧٥.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان٥: ٥٩٣.

قال الشاعر:

رئاسات الرجال بغير علم ولا تقوى الإله هي الخساسة
وكلّ رئاسةٍ من غير علمٍ أذلُّ من الجلوس على الكناسة
وأشرفُ منزلٍ وأعزُّ عزٍّ وخيرُ رئاسةٍ تَركُ الرئاسة[١]

وقال أيضاً:

إنّ التشاغل بالدفاتر والمحابر والكتابة والدراسة
أصل التعبّد والتزهّد والرئاسة والسياسة[٢]

٥٤٣. مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي دِينٍ[٣].

وهذا الحديث مثل قوله ﷺ: **«الفقه أفضَلُ من العبادة»**[٤]. وذلك لأنّ التكليف يَشتمل على أمرين: عِلم وعمل، والعِلم مُقدَّمٌ على العمل وأصلٌ فيه؛ وذلك لأنّ العلم يَستقلّ بنفسه، ولا يَحتاج في حصوله ووقوعه موقعه إلى العمل ولا إلى غيره، والعمل على الوجه المشروع لا يَتأتّى بدون

(١) روضة العقلاء لابن حبّان: ١٠٥ وفيه (تقوى) بدل (علم) في الموضعين.

(٢) تاريخ بغداد٩: ٣٢٣، باختلاف يسير.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٢٧، ح٨١٤. المعجم الأوسط٦: ١٩٤. سنن الدارقطني٣: ٦٥، ح٣٠٦٦، عن أبي هريرة. الأمالي للطوسي: ٤٧٤، ح١٠٣٣، عن جابر بن عبد الله.

(٤) أعلام الدين: ٩٢، في العلم. مجمع البيان٢: ٢٥٨، سورة آل عمران. كنزالعمّال ١٠: ١٥٤، ح٢٨٧٨٩، عن جابر.

العلم والفقه الذي هو علم الشرع؛ فإنّ العمل بدون العلم يكون كَلا عمل.

وفي الحديث: أنّه ﷺ قال: «**ساعة مِن عالم يَتّكئُ على فراشه يَنظُر في عِلمه، خيرٌ من عبادة عابدٍ سبعين سنةً**»[(١)].

وقيل: إنّ أخوَين كانا فيما مضى من الزمان أحدهما عالمٌ مقتصدٌ في علمه، والآخر متزهِّد جاهل، وكان بينهما مناقشات فيما هما فيه، فخرج المتزهِّد، وفارَقَ أخاه مدّةً من الزمان، فلمّا رجع إلى أخيه رجع وقد شدّ إحدى عينيه، فقال له أخوه العالم: يا أخ، ما الذي أصاب عينيك؟ قال: ما أصابه إلّا خير، إلّا أنّي شددتها لأرى الدُّنيا بنصف العين، فأستحقّ الثواب عليه! فقال له أخوه: يا أخ، أخطأت؛ لأنّه لو كان الأمر على ما ظَننتَ لما خَلق الله لنا عينَين، ولكن أخبِرني عن وضوئك للصلاة؛ أتجد هذا من عينَيك أم لا؟ قال: لا، بل أمسح يدي على الخرقة. قال: منذُكَم؟ قال: منذُ أربعين سنة أو أقَلَّ أو أكثر! قال: أعِد صلاتَك التي صلَّيتها بتلك الطهارة؛ فهي غير مقبولة ولا واقعة موقعها.

فاعلم أنّ العلوم إنّما يكون موقعُها عند الله وعند الناس على قدَر موقع معلومها، فمعلوم الفقه هو الدِّين والشرع، ولا شيء أعلى منه وأشرف، فوجبَ أن يكون العِلم به أعلى قدراً وأجَلَّ رتبةً، وفّقنا الله للعلم والعمل به، بفضله ومنّه.

---

(١) الخصال١: ٢٩ /أفضل العبادة خصلة وأفضل الدين خصلة، ح١٠٤. بحار الأنوار١: ١٦٢/ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه وثواب العالم والمتعلِّم، ح١١. المعجم الأوسط٩: ١٠٧، عن ابن عمر.

٥٤٤. مَا مِنْ شَيْءٍ أُطِيعَ اللهُ فِيهِ بِأَعْجَلَ ثَوَاباً مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ[١] يُعْصَى اللهُ فِيهِ بِأَعْجَلَ عُقُوبَةً مِنْ بَغْيٍ[٢].

الباء تزاد في خبر «**ما**» النافية وخبر «**ليس**» تأكيداً للنفي. تقول: «**ما زيد بمنطلق**» آكَدُ مِن قولك: ما زيد منطلقاً[٣]. يقول: ليس شيءٌ من الطاعات أو القُربات أعجَلَ ثواباً بما فَعَلَه وامتثله مِن أوامره، وتَرَكَه من مناهيه على الوجه المشروع؛ فأوَّلُ ما يَبدأ الله بإيصاله إليه في الجنّة ثوابُ صِلَة الرحم، ومعنى صلة الرحم أنّه يَصِل قراباته وأقاربه من جهة الرحِم بما أمكَنَه، حتّى قال ﷺ: «**صِلوا أرحامَكم ولو بالسلام**»[٤] وبما يُمْكنه من المبارّ والصِّلات وغير ذلك، ورغّبه فيها بخيرٍ عاجل من قوله ﷺ: «**صلة الرحم تَزيدُ في العمر**»[٥]. وقد ذكرنا طَرفاً من الأخبار في صلة الرحم في تفسير هذا الخبر الذي ذكرناه.

---

(١) في: مسند الشِّهاب: (عمل).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٢٧، ح٨١٥. المصنّف١١: ١٧٠، ح٢٠٢٣١، عن يحيى بن أبي كثير. المعجم الأوسط٢: ١٩، عن أبي هريرة، باختلاف. الكافي٢: ١٥٢/ كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن الإمام الباقر.

(٣) أُنظر: المقتضب٤: ٦١٧. شرح كتاب سيبويه٥: ١٠٢.

(٤) تحف العقول: ٥٧، عنه . الكافي٢: ١٥٥، باب صلة الرحم، ح٢٢. الخصال: ٦١٣، ح١٠، عن الإمام عليّ.

(٥) معاني الأخبار: ٢٦٤/ باب معنى تثقل الرحم، ح١، عن الإمام الصادق. تحف العقول: ٦، وصيته ﷺ لأمير المؤمنين . مسند الشِّهاب١: ٩٣، ح١٠٠، عن ابن مسعود .

ثمّ قال في مقابلته: ما من شيء يُعصَى اللهُ فيه بأعجل عقوبةً من بغي. وانتصاب «**ثواباً**» و«**عقوبةً**» على التمييز. والبغي هو الطلب بغير حقّ، والبغاء: الطلب بحقّ وغير حقّ، إلّا أنّ البغي لا يكون إلّا فيما يطالَب بغير حقّ. والبِغاء بالكسر: الزّنا؛ قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾[1]. والبغي في الشرع: هو الخروج على الإمام العادل، ويجب النهوض على من يستنهضه الإمام إلى قتال أهل البَغي؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[2][3].

وقال ﷺ لعمّار: «**يا عمّار، ستَقتُلُك الفئةُ الباغية، وآخِر زادك ضياحٌ من لَبن**»[4]. فكان كما قال ﷺ.

وروي: أنّ المنادي نادى: يا خيل الله، اركبي! وكان عمّار ـ رحمة الله عليه ـ وضع شيئاً من الخطمي على رأسه، فما لبِثَ مقدار أن يغسل رأسه من ذلك فدعا بسلاحه ولبسه وركب فرسه وجعل يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليومَ نضربكم على تأويله

---

(١) سورة النور٢٤: ٣٣.

(٢) سورة الحجرات٤٩: ٩.

(٣) أُنظر: كتاب العين٤: ٤٥٣. مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٦. النهاية في غريب الحديث ١: ١٤٣ (بغي).

(٤) الخرائج والجرائح١: ١٢٤، ح٢٠٧. صحيح البخاري٣: ٢٠٧. مسند ابن حنبل٣: ٩١، عن أبي سعيد الخدري وفيهما: (ويح عمّار! تقتله الفئة الباغية؛ عمّار يَدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار).

ضرباً يُزيل الهامَ[١] عن مَقيله[٢] ويُذهِل[٣] الخليلَ عن خليله
أو يَرجع الحقُّ إلى سبيله يا ربِّ إنّي مؤمنٌ بقيله

فجعل يُقاتِل حتّى عطش، فرجع إلى خيمته واستسقى، فسُقي شربةَ لبنٍ ممزوجة بماء، فأخذ وقال: صدقَ رسول الله! وشرب ورجع إلى القتال، وجعل يقاتل حتّى قُتِل[٤]! وهو الذي قال له **النبيُّ** صلى الله عليه وآله: «**خالَطَ الإيمانُ لحمَه ودمَه، وهو محرَّمٌ على النار**»[٥]. وقال صلى الله عليه وآله: «**عمّار مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه**»[٦].

٥٤٥. مَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ[٧].

معنى هذا الحديث: التحذير والترغيب عن سؤال الناس[٨].

---

(١) الهام: الناس، والجماعة بعد الجماعة. وهامة القوم: سيّدهم ورئيسهم. المحيط في اللغة ٤: ٨٥. أساس البلاغة ١: ٧٠٨ (هوم).

(٢) المقيل: الموضع. كتاب العين ٥: ٢١٥ (قيل).

(٣) الذَّهْل: تركُك الشيءَ تنساه على عمد أو يشغلك عنه شغل، تقول: ذَهَلتُ عنه وذَهِلت وأذهلني كذا وكذا عنه. لسان العرب ١١: ٢٥٩ (ذهل).

(٤) روض الجنان١٢: ١٠٣. كتاب الفتوح٣: ١٥٩. وقعة صفّين: ٣٤٠، باختلاف يسير.

(٥) روض الجنان١٢: ١٠٤.

(٦) مجمع البيان٦: ٢٠٣، سورة النحل. عوالي اللئالي٢: ١٠٤، ح٢٨٥. حلية الأولياء١: ١٣٩، عن ابن عبّاس عنه .

(٧) مسند الشِّهاب٢: ٢٨، ح٨١٦، عن ابن عبّاس. مسند ابن مبارك: ١٨٧، ح٣٠١، عبد الرحمن بن عوف. مسند ابن حنبل٢: ٤١٨، عن أبي هريرة. الكافي٤: ١٩/ باب من سأل من غير حاجة، ح٢، عن محمّد بن مسلم، عن الإمام الصادق ، باختلاف يسير.

(٨) راجع: الكافي٤: ٢٠/باب كراهية المسألة. وسائل الشيعة٩: ٤٣٦/ باب تحريم السؤال من غير احتياج.

وقال بعض الحُكماء في وصيّته لبنيه: إيّاكم والمسألة؛ فإنّه آخر كسب الرجُل[(١)].

وقال ﷺ: «**مَن سأل الناسَ أموالهم، جاءت مسألتُه يوم القيامة خُدوشاً أو خمُوشاً في وجهه**»[(٢)].

ولقد بالغ في هذا الحديث؛ وذلك أنّ الرجل إنّما يَسأل الناسَ كيلا يفتقر، فعكس الأمر عليه، وقال: إنّ الله يَفتح عليه بكلّ بابٍ من أبواب السؤال ـ يفتحه على نفسه ـ بابَ فَقرٍ حتّى تصير مسألته سبباً لفقره، جالباً عليه الفقر؛ ليَخاف من العقوبة العاجلة في الدُّنيا إن لم يَخف من عقوبة الآخرة استبطاءً لها. وأصل الفقر: كسر فقار الظهر، والفقير: فعيل بمعنى مفعول، وهو مبالغة في وصف الرجُل بالمهانة والضَّعف[(٣)].

٥٤٦. مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا غِنىً مُطْغِياً، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفنِداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً[(٤)].

وفي رواية: «**أو الدجّال، والدجّال شرٌّ مُنتظَر، أو الساعة،**

(١) الأدب المفرد: ٨٤/ باب تسويد الأكابر، ح٣٦٦. شعب الإيمان٧: ٤٦٤/ باب في رحم الصغير وتوقير الكبير، ح١١٠٠٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١٧: ١٢٢، عن قيس بن عاصم.

(٢) سنن ابن ماجة١: ٥٨٩/ باب من سأل عن ظهر غنى، ح١٨٤٠. مسند ابن حنبل١: ٣٨٨. المعجم الأوسط٢: ١٩١، عن عبدالله بن مسعود عنه ، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: كتاب العين ٥: ١٥٠. مفردات الفاظ القرآن: ٦٤٢ (فقر).

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٣١، ح٨٢٣. قصر الأمل: ٨٧، قطعة من ح١٠٩. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٣، قطعة من ح٧. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٢٠، عن أبي هريرة.

«﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾»[١][٢].

معنى هذا الحديث: أنّ مآل أمر أحدكم لا يَنتهي إلّا إلى أحد هذه الأشياء، وكلّها آفة له ومحنةٌ عليه؛ أمّا الغنى المطغي فهو الذي يهلكه في الدِّين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٣]، وكلّما كان أغنى كان أطغى. والطغيان: مجاوزة الحَدّ[٤]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[٥]. أو فقراً مُنسياً يُنسي الناسَ ذِكره، والفقير مَنسيٌّ متروكُ الذِّكر بين الناس؛ لا يقال منه؛ إن حَضَرَ لم يُلتفت إليه، وإن قال لم يُعتمد عليه؛ إن حضر لم يُتعهَّد، وإن غاب لم يُتفقَّد؛ إن قال لم يصدَّق وإن كان صادقاً، وإن شَهِدَ لم يُسمَع وإن كان موافقاً لأبويه، ولا يُرَدُّ عن سلامه، ولا يُستمع إلى كلامه، ولا يُرفَع به الرأس، ولا يُعَدُّ من الناس وإن كان عند الله بمكانٍ.

وفي الحديث: «**إذا رأيتَ الغِنى مُقبِلاً عليك فقُل: ذنبٌ عُجِّلتْ عقوبته!**

(١) سورة القمر ٥٤: ٤٦.

(٢) الأمالي للطوسي: ٥٢٧، ح١١٦٢. مكارم الأخلاق: ٤٦٠، وصيّة رسول الله لأبي ذرّ الغفاري، عن أبي ذرّ الغفاري عنه . المستدرك على الصحيحين٤: ٣٢٠، عن أبي هريرة، عنه .

(٣) سورة العلق٩٦: ٦ ـ ٧.

(٤) الفروق في اللغة: ٢٢٤/ الفرق بين الطغيان والعتو. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٢٠ (طغي).

(٥) سورة الحاقّة٦٩: ١١.

وإذا رأيتَ الفقر مقبلاً عليك فقُل: مرحباً بشعار الصالحين!»[١].

وقال:

دليلك أنّ الفقر خيرٌ من الغِنى   وأنّ قليل المال خيرٌ من الوفر
لقاؤك مخلوقاً عَصى اللهَ للغِنى   ولم ترَ إنساناً عَصى اللهَ للفقر[٢]

«**أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً**»، فالمرض: نقصان صلاح البُنية، والمرض على كلّ حالٍ مفسِدٌ للجسد مُخرِّبٌ للبَدَن. «**أو هَرماً مفنداً**»، والفند: أشَدُّ الفساد. والهرَم: غاية الشَّيب، ولا شكّ أنّ الرجلُ إذا بلغ غاية شيبه فقد فَسَدَ وفندَ[٣]. وقال زهير:

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشواءَ مَن تُصِبْ   تُمِتْهُ ومَن تُخطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[٤][٥].

وقيل: سأل الحَجّاجُ شيخاً: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت،

---

(١) الكافي ٨: ٤٨/كتاب الروضة، ح٨، عن عليّ بن عيسى رفعه. الأمالي للصدوق: ٦٦٦، ح٢، عن حفص بن غياث، عن الإمام الصادق مع تقديم وتأخير. حلية الأولياء ٦: ٥، عن كعب الأحبار، في مناجاة اللهﷻ لموسى .

(٢) مطالب السؤول: ٣٠٣، نسب إلى الإمام عليٍّ. أدب الدنيا والدين: ٢١٧، عن ابن المقفَّع.

(٣) أُنظر: كتاب العين٨: ٤٩. معجم مقاييس اللغة٤: ٤٥٣ (فند). لسان العرب١٢: ٦٠٧ (هرم).

(٤) يقول: رأيتُ الموتات تخبط الخلقَ خبطَ العشواء من الإبل، وهي التي لا تُبصِر، فهي تخبط وقطئ الكلَّ لا تُبقي على أحد فممّن خبَطتْه المنايا من تُميته ومنهم من تُعِلُّه فيَبرأ، والهَرَم غايته ثمَّ الموت. تهذيب اللغة ٧: ١١٤ (خبط).

(٥) أمالي المرتضى١: ٦٢٦. مجمع البيان٢: ١٩٤. تفسير الثعلبي٢: ٢٨٢.

وإذا تركت ضعفت! فقال: كيف نكاحك؟ قال: إذا بُذلتْ لي عَجزتُ، وإذا مُنعتْ شَرهتُ! فقال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع، وأسهر في المضجع! قال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا قعدتُ تَباعدتْ عنّي الأرض، وإذا قمت لزمتني! فقال: كيف مشيك؟ قال: تَعَقَّلُني الشَّعرةُ، وتُعثِرني البعرة[1].

قيل لشيخ: ما صَنع الدهرُ بك؟ قال: فقدتُ المطعَم وكان المنعَم، وأجمت النساءَ وكُنّ الشفاء، فنومي سُبات، وسمعي خُفات، وعقلي تارات[2].

وقال الشاعر:

إنّ الثمانين وبُلّغتَها قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمان[3]

ولآخر:

قالوا أنينك طول الدهر يُسهِرنا ما الذي تشتكي؟ قلتُ الثمانينا[4]

وقد مضى في الشيب من النظم والنثر ما فيه مَقنع[5].

---

(١) محاضرات الأدباء٢: ٣٥٨. بهجة المجالس١: ٢٢٣، باختلاف يسير.

(٢) نثر الدرّ في المحاضرات٦: ١٦. محاضرات الأدباء٢: ٣٥٨. التذكرة الحمدونيّة٦: ١٨، رقم٤٧.

(٣) الأمالي للقالي١: ٥١. تاريخ دمشق٢٩: ٢٢٥. الأزمنة والأمكنة: ٤٥٧، والبيت لعوف بن ملحم.

(٤) محاضرات الأدباء٢: ٣٥٩. صيد الخاطر١: ٢٣١، باختلاف يسير.

(٥) أُنظر: حماسة الظرفاء: ١/ باب الكبر والشيب.

«**أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً**»، وهو آخر الأمر، ولابدّ لكلّ أحدٍ منه، ولا مَحيص ولا مَعدل عنه. والمُجهِّز: الذي يُجهِّزه ويهيِّئ جهازَه، وكلّ ميّتٍ مُجهَّز، وكلّ ذي ميّتٍ مجهِّز. أعاذنا الله من هذه الآفات في هذه الحياة، وغفرَ لنا بعد الممات بمنّه وفضله.

٥٤٧. مَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ، لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِالْعَبْدِ[١] حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ[٢].

وفي رواية أُخرى: «**حتّى يلقى الله وما في وجهه لحُادة**» أي لُحاتة، وهي ما يُلحَت[٣] عنه بقشر[٤].

قوله: «**لا تزال**»؛ أي تَلِجُ به وتُلازمه ولا تفارقه، يقال: «**ما زال زيد يفعل كذا**»؛ أي لم يَخلُ من ذلك الفعل[٥]، والفعل في الحديث للحال. قال أبو عبيد: المُزعة: النُّتفَة من اللحم، وكذلك الجِزعة، وقيل: المـُزعَة: القطعة من اللحم، والجزعة من الشحم[٦]، تقول العرب: «**ما له مزعة ولا جزعة**» إذا

---

(١) في نسخة (ب): (بأَحدِكم).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٣٣، ح٨٢٦. صحيح البخاري٢: ١٣٠. صحيح مسلم٨: ٩٦. سنن النسائي٥: ٩٤، عن ابن عمر باختلاف يسير.

(٣) لَحَتَ العصا: قَشَرَها. النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٣٥ (لحت).

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٣٦. لسان العرب٣: ٣٩٠ (لحد).

(٥) أُنظر: كتاب العين٧: ٣٨٥. لسان العرب١١: ٣١٦ (زيل).

(٦) أُنظر: لسان العرب٨: ٣٣٦ (مزع).

وصفوه بالفقر[١]. ومعنى الحديث: أنّه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً؛ لا وجه له عند الله، ولا ماء وجه له عنده.

وفي الحديث دليلٌ على أنّ اللقاء لا يكون بمعنى الرؤية؛ لأنّ الخبر وارد مورد الوعيد، ومن كان مستحقّاً لمثل هذا الاستحقاق لا يُقال: إنّه يَرى اللهَ يوم القيامة وهو على هذه الحال المذمومة! والحديث مخصوص بمَن سأل لا عن حاجة؛ فأمّا مَن كان محتاجاً فالمسألة جائزة له بمقدار كفايته.

(١) أُنظر: الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٤٠.

البَابُ السَّادِسُ

[في الأحاديث المصدّرة بـ(لا) النافية الداخلة على الأسماء والأفعال، و(لا) الناهية]

٥٤٨. لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ[١].

الخبر وارد على وجه المَثَل، ومعناه: أنّ الرجُل المؤمن إذا أتى أمراً واستَضَرَّ به، لا يَعود إليه؛ فهو بمنزلة مَن لَدَغَتْه الحيّةُ مِن جُحرٍ، فلا يأذن له عقله أن يعيد إصبعَه إلى ذلك الجحر. يُقال: لَدَغَتْه الحيّةُ ونَهَسَته، ولَسَبه العقربُ ولسعته[٢].

وقيل: إنّ الخبر وارد على سبب، وهو أنّ أبا عَزَّةَ الجُمَحِيَّ أُسِر يوم بدرٍ،

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٣٤، ح٨٢٧. سنن ابن ماجة٢: ١٣١٨/ باب العزلة، ح٣٩٨٣، عن ابن عمر. صحيح البخاري٧: ١٠٣. سنن الدارمي٢: ٣١٩/ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين، عن أبي هريرة.

(٢) أُنظر: كتاب العين١: ٣٣٥. النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٤٨ (لسع). معجم مقاييس اللغة٥: ٣٦٣. لسان العرب٦: ٢٤٤ (نهس).

وجيءَ به إلى **النبيّ**ﷺ فقال: يا رسول الله، تَصَدَّقَ بي على عيالي! فقال : «**فَعَلتُ؛ على أن لا تُعِين عَلَيَّ بيدٍ ولا لسانٍ**». فعاهَدَ على ذلك، فلمّا عاد قومَه إلى حرب رسول الله عادَ معهم، وكان يُحرِّض القوم على القتال، فأُسِرَ وجيءَ به إلى **النبيّ**ﷺ فقال: يا رسول الله، تصدَّقْ على عيالي، واعفُ عنّي، عفا الله عنك! فقال : «**العفو مَكرَمة لا تَعدِلُها مكرَمة، ولكن لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرّتين؛ لا واللهِ، لا تَجلِس بمكّة وتَمسح لحيتَك وتقول: خدعتُ محمّداً مَرَّتين! يا عليّ، قُمْ إليه، فاضربْ عنقَه**»، فقام وضرب عنقه[1].

ورويَ هذا الخبر على وجهين: أحدهما: بضمّ الغين على الخبر، ومعناه المثل على ما بيّنّا، وأنّ المؤمن لا يكون بحيث يَجري عليه ما جرى عليه مرّةً، فلم يَتَّعِظ به. والثاني: بكسر الغين على نهي الغائب؛ أي: لا ينبغي أن يكون كذلك.

وقيل: معنى الرواية الأُولى يرجع إلى هذه الرواية؛ لأنّه لو كان خبراً محضاً لكانَ كذباً. وقيل في العذر عن ذلك: إنّه كناية عن نقصان إيمان مَن هذه صفته. والصحيح ما أشرنا إليه أنّه على طريق المثَل لا على سبيل التحقيق[2].

---

(١) سنن البيهقي٩: ٥، عن عبدالله بن مسعود. أنساب الأشراف١: ٣٣٥. بحار الأنوار٦٤: ٣٦٢ / باب علامات المؤمن وصفاته، باختلاف.

(٢) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٤٨ (لسع).

٥٤٩. لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ[١].

وذلك لأنّ المنعِم إذا أنعمَ على غيره نعمةً استحقَّ منه الشكر لأجل النعمة، سواء كان قديماً أو محدثاً، عالماً أو جاهلاً، بِرّاً أو فاجراً؛ لأنّ جهة استحقاقه الشكر إحسانه إليه وإنعامه عليه؛ وذلك لا يختلف باختلاف فاعليه، فمَن أجاز أن لا يَشكر نعمة المنعم عليه من الناس، أجاز أن لا يَشكر نعمة الله عليه؛ لأنّه لا يخلو من أحد أمرين؛ إمّا أن لا يَعرف وجوبَ شكر النعمة، أو يعرفه ويَتهاون به ويتغافل عنه ولا يَعتدّ به، ووجه وجوب شكر النعمة كونه شكراً للنعمة؛ بدلالة أنّ مَن عَرفه عَرف وجوبه، ومن لم يَعرفه لم يعرف وجوبه، ولا يحتاج في معرفته إلى شيء آخر، وذلك لا يختلف بالشاهد والغائب إذا كان قصد المنعِم الإحسان إلى المُنعَم عليه، وحقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المُنعِم مع ضربٍ من التعظيم[٢].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٣٥، ح٨٢٩. سنن أبي داود٢: ٤٢٩ / باب في شكر المعروف، ح٤٨١١. الأمالي للطوسي: ٣٨٣، ح٨٢٩، عن أبي هريرة. من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٠، ح٥٨١٥.

(٢) أُنظر: كتاب العين٥: ٢٩٢. النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٩٣ (شكر). الفروق في اللغة: ٣٩، الفرق بين الشكر والحمد.

٥٥٠. لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ[١].

القَضاء يأتي على وجوهٍ[٢]؛ منها: الحكم في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾[٣]، ويأتي بمعنى الأمر في قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٤]، ويأتي بمعنى الإعلام في قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[٥]، وبمعنى الإتمام في قوله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[٦] أي أتَمَّ عمرَه. ومُطاوعه: انقضى؛ أي تمّ ونفد. وبمعنى الإحكام في قول الشاعر:

وعليهما مَسرودَتان قضاهما
داودُ أو صَنَعُ السوابغِ تُبَّعُ[٧] أي أحكمها

والمراد في الخبر الحكم، والمراد بالدعاء دعاء العبد اللهَ تبارك وتعالى.

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٣٥، ح٨٣١. سنن ابن ماجة١: ٣٥/ باب في القدر، ح٩٠، وفيه (القدر) بدل (القضاء)، عن ثوبان. سنن الترمذي٣: ٣٠٣ / باب ما جاء لا يردُّ القدر إلَّا الدعاء، ح٢٢٢٥. المعجم الكبير٦: ٢٥١، عن سلمان.

(٢) التوحيد للصدوق: ٣٨٥/ باب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال، ذيل ح٣٢.

(٣) سورة غافر٤٠: ٢٠.

(٤) سورة الإسراء١٧: ٢٣.

(٥) سورة الإسراء١٧: ٤.

(٦) سورة القصص٢٨: ١٥.

(٧) مجاز القرآن١: ٥٢. معاني القرآن للنحّاس٦: ٢٥١. التبيان١: ٤٢٩، سورة البقرة، والبيت لأبي ذؤيب.

والبِرّ: الإحسان والصِّلة[١]. ومعنى الخبر: أنّه ربما قَضى الله على العبد آفةً من الآفات من مرضٍ أو بليّةٍ أو غير ذلك ممّا كان من فعله تعالى، فيدعو العبدُ فيَردُّ اللهُ بدعائه تلك الآفةَ عنه. وكذلك في زيادة العمر؛ ربّما قضى الله للعبد بمدّةٍ من العمر، فيَتصدّق بصدقةٍ، فيزيد الله في عمره بتلك الصدقة، كما بيّنّا فيما مضى من هذا الكتاب؛ وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٢][٣].

٥٥١. لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ، وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ[٤].

«لا» في الموضعين لنفي الجنس، والاسم بعدهما مبنيٌّ على الفتح. يقول: الرجل الحليم وإن كان من الحلم بموضعٍ، فربما يَعثُر[٥]،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر١: ١١٦ (برر).

(٢) سورة الرعد١٣: ٣٩.

(٣) راجع: الكافي٢: ٤٦٩/ باب أنّ الدعاء يردّ البلاء والقضاء. وسائل الشيعة٧: ٣٤/ باب كراهة ترك الدعاء اتّكالاً على القضاء و٣٦/ باب جواز الدعاء بردّ البلاء المقدَّر ... .

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٣٧، ح٨٣٤. سنن الترمذي٣: ٢٥٥ / باب ما جاء في التجارب، ح٢١٠٢. مسند ابن حنبل٣: ٨، عن أبي سعيد الخدري. الأمالي للطوسي: ٥٨٩، قطعة من ح١٢٢١، عن الحسن بن بنت إلياس، عن **الإمام الرضا**، عن آبائه .

(٥) أي: لا يحصل له الحلم ويوصَف به حتّى يركب الأمور وتنخرق عليه ويعثر فيها فيَعتبر بها، ويستبين مواضع الخطأ فيتجنَّبها. ويدلُّ عليه قوله بعده: (ولا حكيم إلَّا ذو تجربة). النهاية في غريب الحديث ٣: ١٨٢ (عثر).

ولذلك قيل:

وزعـــمـــتم أن لا حُـــلومَ لـــنا إنّ العصا قُرِعَتْ لذي الحُلم[١]

وذلك أنّ عامر بن الظُّفَيل كان من حكّام العرب، فكان يَحكم بينهم، فلمّا هَرِمِ وكان يَنسى ويُخطِئ في حكمه، وكان يَمشي بعصىً، فقيل له في ذلك فقال: إذا أخطأت في حكمٍ فاقرعوا عصايَ؛ لأتنبّه على ذلك وأعيد الحكم! فكانوا يفعلون ذلك، فصارَ مَثَلاً؛ أعني قَرع العصا في الكناية عن التنبيه[٢]. ويأبى الله إلّا أن يكون الكمال له، فالحليم مع حلمه ربما يَعثُر ويُخطئ، فيكون ذلك قدحاً في حُلمه.

«**ولا حكيمٍ إلّا ذو تجربةٍ**»؛ لأنّ الرجل لا يكون حكيماً إلّا بعد تجربةٍ طويلة وتحنُّكٍ وتمرُّسٍ ومقاساة للأُمور وممارسة لها، قال:

ومارَستُ الرجالَ ومارَسُوني فمُــعوَجٌّ عَــلَيَّ ومستقيمُ[٣]

قال الخَطّابي: معنى قوله: «**لا حليم إلّا ذو عثرة**» معناه لا حليم إلّا وقد عَثَرَ مراراً كثيرة، وزُلَّ زلّاتٍ جَمَّةً، فعرفَ مواقع الزلّات والعثرات بطول الأيّام، فاجتَنَبها[٤].

---

(١) البيان والتبيين: ٤٠٩. المصون في الأدب: ٨٤. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٦٥، والبيت لحارث بن وعلة.

(٢) راجع: الصحاح٣: ١٢٦١ (قرع). تهذيب اللغة٣: ٥١. مجمع الأمثال١: ٤٠.

(٣) الفاخر: ٢٢٨. عيون الأخبار لابن قتيبة١: ٣٠١. أمالي المرتضى١: ١٥٤، والبيت لقيس بن زهير.

(٤) غريب الحديث للخطابي١: ٦١٨، باختلاف يسير.

وقيل: إنّ أحداً من المتكلِّمين ناظَرَ أحداً في مسألةٍ، فأتى به على الوجه، وأدّاها على طريقة مستقيمة، وأحسن أداءها، فاستحسنها الناس، واستحمَدوه وقالوا له: أحسنت ونِعْمَ ما أوردت! فقال: قَطَعتُ في هذه المسألة سبعين مرّة!

وإذا فُسّر الحديث على هذا الوجه، فكان معناه ومعنى الحديث الآخر من قوله ﷺ: «**وَلاَ حَكِيمٌ إلاَّ ذُو تَجْرِبَةٍ**»؛ واحدٌ.

٥٥٢. لَا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ، وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا عِبادَةَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ(١).

هذه الأحاديث موردها واحد؛ لأجل ذلك جمعنا بينها. قوله: «**لا فَقرَ أشدُّ من الجهل**»، معناه: أنّ الفقر أمرٌ شديد وبليّةٌ عظيمة، ولكن لا كالجهل؛ فإنّ الفقر هو فَقْد المال، والجهل عدم العلم، ذاك مُضِرٌّ بالدنيا، وهذا مضرٌّ بالدِّين، وبالعكس من ذلك «**لاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنَ**

(١) مسند الشِّهاب٢: ٣٨، ح٨٣٦. العجم الكبير٣: ٦٩، قطعة من ح٢٦٨٩، عن الحارث، عن الإمام عليٍّ. المحاسن١: ١٧، كتاب الاشكال والقرائن، ح٤٧، عن السرِيّ بن خالد، عن الإمام الصادق، عن آبائه . الكافي٨: ٢٠، قطعة من ح٤، عن جابر بن يزيد، عن الإمام الباقر، والأخيرين باختلاف يسير.

الْعَقْلِ»؛ فإنّ المال يَنفي الفقر، والعقل ينفي الجهل.

وقوله: «**أَعْوَدُ**»؛ أي أنفع. والعائدة: المنفعة التي تعود إلى صاحبها ولا تنقطع عنه[١]؛ يعني: الجهل أشَدُّ من الفقر، والعقل أنفع؛ لأنّ بالعقل يُكتَسبُ المال، وبالجَهل يُتلف المال.

«**وَلاَ وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ**»؛ وذلك لأنّ الوحدة تورث الوحشة، والعجب في باب الوحشة أبلغ من الوحدة؛ لأنّ المعجب يظنّ نفسه فوق ما هو عليه، ولا يقنع بكلّ مرتبة، ولا ينزل بكلّ منزلة، ويقدِّر في نفسه أنّه يجب على كلّ أحدٍ أن يحترمه أكثر ممّا يستحقّه، فإذا لم يرَ ذلك ولم يجد استوحش منه، فلا يزال مستوحشاً.

والمظاهرة: المعاونة، من الظهرة[٢]. والمشاورَة: طلب المشورة من صاحب الرأي[٣]؛ يعني: أنّ أقوى المظاهرة والمعاونة وتقوية ظهر الصاحب يكون بالمشاورة، وإذا استشاره صاحبه فعليه أن يشير إليه بما هو صوابٌ عنده، و«**أفعل**» في هذه الأحاديث أفعل التفضيل.

«**وَلاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ**»؛ لأنّ التدبير من ثمرة العقل، وإنّما تظهر قوّة عقل الرجُل بإصابة التدبير فيما يدبّره. والحَسَب: ما يُحسَب ويُعدّ مِن مَفاخر

---

(١) راجع: معجم مقاييس اللغة٤: ١٨١. كتاب العين٢: ٢١٧ (عود).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩٨ (عون). لسان العرب٤: ٥٢٥ (ظهر).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٠. لسان العرب٤: ٤٣٧ (شور).

الرجُل، فعل بمعنى مفعول[١]؛ يعني: أنّ أبلغ شيء يُعَدُّ من مآثر الرجُل ومفاخره ومحامده حسن خلقه؛ فإنّه إذا كان حَسَنَ الخلق، كان محبّاً محبوباً ومُساعِداً ومساعَداً.

«**وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ عَنْ مَحَارِمِ الله**»؛ يعني الكفَّ عن معاصي الله تعالى ومناهي الشرع؛ فإنّ الرجُل إنّما يكون ورعاً إذا كان ممتنعاً من القبائح، ناهياً غيرَه من المنكرات، منتهياً عنها. والكفّ: المنع والامتناع، لازم ومتعدٍّ[٢].

«**وَلاَ عِبادَةَ كَالتَّفَكُّرِ**»؛ إنّما فَضَّلَ التفكُّرَ على سائر العبادات لأنّه أوّل واجبٍ على المكلّف، وكلّ عبادةٍ موقوفة على معرفة الله تعالى، ومعرفة الله لا تحصل إلّا به، وإنّه مِن فعل القلب، وأفعال القلب أفضل من أفعال الجوارح، ولا مَدخل للرِّياء في أفعال القلب، ولا سبيل للشيطان عليه، ولذلك قال: «**تفكُّرُ ساعة خيرٌ من عبادة سَنَة**»[٣]؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾[٥]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦].

---

(١) الصحاح١: ١١٠. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٨١. لسان العرب١: ٣١٠ (حسب).

(٢) لسان العرب٩: ٣٠٥ (كفف).

(٣) تفسير العياشي٢: ٢٠٨، سورة الرعد، ح٢٦. بحار الأنوار٦٨: ٣٢٧ / باب التفكُّر والاعتبار والاتِّعاظ بالعبر، ح٢٢، عن أبي العبّاس، عن أبي عبدالله .

(٤) سورة آل عمران٣: ١٩١.

(٥) سورة الروم٣٠: ٨.

(٦) سورة الأعراف٧: ١٧٦.

«**وَلاَ إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ**»؛ يعني: ما خصلةٌ مِن خصال الإيمان بمنزلة الحياء والصبر. وذلك لأنّ الحياء يَمنع الرجُلَ من كثيرٍ من المقبَّحات العقليّة والشرعيّة، والحياء أبلغ في باب الامتناع من الخشية؛ لأنّ هذا عاجلٌ، وذاك آجل، وهذا يرجع إلى الإنسانيّة وكرَم الطبع؛ والخشية وإن كانت أشَدَّ، فالرجاء لرحمة الله يضعِّفها. والصبر: الامتناع ومجاهدة النفس في الانتزاع من الشهوات. وهذه الأحاديث جامعة لمحاسن الأخلاق، وهي من باب الحكمة.

٥٥٣. لَا يُتْمَ بَعْدَ حُلُمٍ[(١)].

حَدَّ يُتْمَ الصبيّ من لدن طفوليّته إلى بلوغه مبلَغ الرِّجال، وذلك يكون في الأغلب بالحُلُم وهو الاحتلام في النوم، تقول: حَلَمتُ في النوم أحلُمُ حُلُماً وأنا حالمٌ، وحَلُمتُ أحلُم حِلماً إذا صرتُ حَليماً، وهو ضدّ السفيه، وحَلِمَ الأديمُ يَحلَم حَلَماً إذا تَثَقَّبَ[(٢)]. فكما أنّه بَيَّنَ حَدَّ طفوليّته، بيَّن حدّ تسميته يتيماً، وهو الانتهاء إلى الاحتلام؛ لئلّا يُقال: رجلٌ يتيم؛ لأنّ العرف والشرع يمنعان منه[(٣)].

(١) مسند الشِّهاب٢: ٣٩ ، ح٨٣٩، عن المنكدر. مسند البزّار١٢: ٣٥٠، ح٦٢٤٣، عن أنس. المعجم الأوسط٦: ٣٣٧، عن علقمة. سنن سعيد بن منصور١: ٢٥٣، ح١٠٣٠، عن النَزّال بن سَبْرَة الهلالي، عن **الإمام عليّ** .

(٢) راجع: الصحاح٥: ١٩٠٣. معجم مقاييس اللغة٢: ٩٣ (حلم).

(٣) راجع: الخصال٢: ٤٩٥، حدُّ بلوغ الغلام ثلاث عشرة سنة إلى أربع عشرة سنة. وسائل الشيعة١٨: ٤١٠/ باب حدّ ارتفاع الحِجر عن الصغير وجملة من أحكام الحجر.

٥٥٤. لَا حَلفَ فِي الْإِسْلَامِ[١]. يروى: لَا عَقْدَ فِي الْإِسْلَامِ[٢]. وَلَا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ[٣].

وذلك لأنّ العرب كانت تَتحالف وتتعاقد في الجاهليّة بالمؤاخاة والأُبوّة والبنوّة في الخير والشرّ، وكانوا يتوارثون عليه.

وقال بعض المفسّرين: المراد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾[٤] هو ما ذكرناه من عقد الحلف والأيمان، ثمّ نُسخت بآيات سورة النساء أعني قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[٥] وبآية ﴿أُوْلُوا الْأَرْحَامِ﴾، وهو قوله: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٦] أنّ الله أعطى كلّ ذي حقٍّ حقّه[٧].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٤٠، ح٨٤٠، عن أنس. صحيح مسلم٧: ١٨٣. سنن أبي داود٢: ١٢/ باب في الحلف، ح٢٩٢٥، عن جبير بن مطعم. الأمالي للطوسي: ٢٦٣، قطعة من ح٤٨١، عن عبدالله بن عمرو.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٤٠، ح٨٤٠. المخلصيات٣: ٤٢٩، قطعة من ح٢٨٤٣. حلية الأولياء٧: ١١٨، عن أنس.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٤٠، ح٨٤٢. سنن أبي داود١: ٣٨٩ / باب لا صرورة في الإسلام، ح١٧٢٩. مسند ابن حنبل١: ٣١٢. المستدرك على الصحيحين١: ٤٤٨، عن ابن عبّاس.

(٤) سورة النساء٤: ٣٣.

(٥) سورة النساء٤: ١١.

(٦) سورة الأنفال٨: ٧٥.

(٧) أُنظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلّام: ٢٢٥. الناسخ والمنسوخ للنحّاس: ١٠٢. تفسير الطبري٥: ٣٤، سورة النساء.

وقوله: «**وَلاَ صَرُورَةَ**»؛ الصَّرورة فُسِّرت على وجهين[١]:

أحدهما: أنّ الصَّرورة هو المتبتّل الذي لم يَرغَب في النكاح؛ أي لا ينبغي أن يكون الرجُلُ المسلم راغباً عن النكاح؛ لقوله ﷺ: «**النكاح سُنّتي، فمَن رغبَ عن سنّتي فليس منّي**»[٢]. وذلك مذهب رهابيّين النصارى، كما قال الشاعر:

لـو أنّهـا عَرَضَـتْ لِأشـمَطَ راهـبٍ ... عَبَـدَ الإلـهَ صَـرورةٍ مُتَعَبِّـدِ

لَرَنـا لِبَهجَتِهـا وحُسـنِ حـديثها ... ولَخالَـه رشـداً وإن لـم يرشـدِ[٣]

والوجه الثاني: أنّ الصرورة: الذي لم يحجّ، والتاء فيه للمبالغة لا للتأنيث، كما هو في قولهم: رجلٌ راوية للشعر، وعلاّمة ونسّابة ومِطرابة.

قال: لا يجوز للمرء المسلم الواجد للزاد والراحلة وأسباب الاستطاعة أن لا يحجّ، واختار أن يكون صرورةً؛ فإنّ ذلك ليس من خصال أهل الإسلام.

وقال ﷺ: «**مَن وَجَدَ الاستطاعةَ ولم يحجّ، فليمُت إن شاءَ يهوديّاً أو نصرانيّاً**»[٤].

---

(١) راجع: معجم مقاييس اللغة٣: ٢٨٢. النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٢ (صرر).

(٢) راجع: الخصال٢: ٤٩٥/ حدّ بلوغ الغلام ثلاث عشرة سنةً إلى أربع عشرة سنة. وسائل الشيعة١٨: ٤١٠/ باب حدّ ارتفاع الحجر عن الصغير وجملة من أحكام الحجر.

(٣) غريب الحديث لابن سلّام٣: ٩٧. الشعر والشعراء لابن قتيبة١: ١٦٠. حماسة الخالديين: ٥٥، والبيت لنابغة الذبياني.

(٤) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٦٨/ باب النوادر، ح٥٧٦٢، عن **عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، عن **النبيّ** ﷺ أنه قال: «**مَن سوَّف الحجّ حتّى يموت، بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً**»، سنن البيهقي٤: ٣٣٤/ باب إمكان الحجّ، عن أبي أمامة، وفيه: «**من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر، ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً**». الكافي٤: ٢٦٨/

واشتقاق الكلمة من الصِّرِّ وهو الشَّدُّ والجمع[١]؛ لأنّ الممتنع من النكاح كأنّه يصُرُّ الماءَ في ظَهره أي يجمعه، والممتنع من الحجّ يَمنع المالَ، ويجمعه في كسبه، ولا ينفقه في طريق الحجّ، وكذلك الصَّرْي: الجمع، يُقال: «**بات فلان يَصري في حوضه**» إذا كان يَجمع الماء فيه، ومنه الشاة المُصَرَّاة للتي يُجمَع لبنها في ضرعها أيّاماً ليُدلَّس به على المبتاع.

وقال أبو العلاء:

وصَرورةٌ مِن وِجهَتَين لِأنّي ... مذ كنتُ لم أحجُجْ ولم أتزوّج

وقال أيضاً:

ما حَجَّ جَدّي ولم يَحجُج أبي [و أخي][٢] ... وأَبى الطوافَ عَمّي ولم يَشهَد مِنَى خالي

فإنْ يَفوزوا برضوانٍ أفُزْ معهم ... وإلاّ فإنّي بنارٍ مثلُهم صالي[٣]

٥٥٥. لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ[٤].

أراد أنّ الهجرة إنّما تكون قبل فتح مكّة، فإذا فُتحت مكّة، فمن

باب مَن سوَّف الحجَّ و هو مستطيع، ح٥، عن ذريح المحاربي، عن أبي عبدالله ، باختلاف يسير.

(١) النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٢. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٨١ (صرر).

(٢) ما بين المعقوفتين أضفناه من المصادر.

(٣) إنباه الرواة على أنباه النُّحاة١: ١١١. نكث الهميان: ٨٤، باختلاف.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٤١، ح٨٤٤. صحيح البخاري٣: ٢٠٠، عن ابن عبّاس. صحيح مسلم٦: ٢٨، عن عائشة. الكافي٥: ٤٤٣ / كتاب النكاح، باب أنّه لا رضاع بعد فطام، قطعة من ح٥، عن منصور بن حازم، عن الإمام الصادق.

هاجر إلى المدينة، لا يستحقّ اسم الهجرة؛ وذلك لأنّ الهجرة إنّما كانت من دار الحرب إلى دار السلام، فإذا صارت مكّة دار سلامٍ وإسلام، ولم تكن دار حربٍ، فمَن خرج منها إلى المدينة، فكأنّما خرج من بلدٍ إلى بلدٍ من بلاد الإسلام.

وروي أنّه قال ﷺ: **«الهجرة هجرتان؛ إحداهما أن تَهجُر السيّئات، والأُخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تَنقطع الهجرةُ ما تُقُبِّلَتِ التوبةُ»**[١]. وهذا بخلاف الحديث الأوّل.

ومثله قوله ﷺ: **«المهاجر مَن هجرَ ما نهى الله عنه»**[٢].

والجمع بين هذه الأحاديث أنّ الهجرة من مكّة إلى المدينة تكون محمولةً على حقيقتها شرعاً، والهجرة من المعصية إلى الطاعة تكون هجرةً من جهة اللغة[٣]؛ فأمّا من جهة الشرع، فهو مجاز من طريق التشبيه؛ لأنّ مِن إطلاق هذه اللفظة، لا يستفاد إلّا الهجرة من مكّة إلى المدينة، والحقيقة ما يُعرف منه المراد بظاهر اللفظ مِن غير قرينة، والمجاز بالعكس من ذلك.

---

(١) المعجم الأوسط١: ٢٣. مسند ابن حنبل١: ١٩٢. شعب الإيمان٥: ٤٤٤/فصل في الطبع على القلب أو الرين، ح٧٢١٥، باختلاف يسير.

(٢) مسند ابن حنبل٢: ٢٠٥، عن عبدالله بن عمرو. الكافي٢: ٢٣٥/ باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح١٩. أعلام الدين: ١١٠، باختلاف يسير، عن أبي جعفر .

(٣) راجع: مفردات الفاظ القرآن: ٨٣٣. النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٤٤ (هجر).

٥٥٦.لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ[١].

كأنّه جعل الأمانة أوثق ركن من أركان الإيمان؛ حتّى نفى الإيمان عمّن لا أمانة له، وهذا كما تقول: لا فتوّة لمن لا مروّة له، وهذا بابٌ واسع، ومثله في كلام **عليّ**عليه السلام: «**لا مَوَدَّةَ لِمَلولٍ، ولا مُرُوَّةَ لِكَذوب**»[٢].

وجَعَلَ العهدَ مِن أعظم خصال الدِّين، وإنّما أراد الوفاء بالعهد حتّى جعل من لا يَفي بالعهد بمنزلة من لا دين له، وكُلُّ هذا على سبيل المبالغة والتشبيه؛ لأنّ الدِّين والإيمان هما اللّذان يَحمِلان المؤمنَ على حفظ العهد ورعاية الأمانة، فإذا وجدنا مَن يخون الأمانات ويَنقض العهود، حَكَمنا عليه بقلّة الدِّيانة ونقصان شرائط الإيمان[٣].

٥٥٧. لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ[٤].

الحُمَة من العقرب والزنبور والحيّة: سَمُّها وخُرؤها[٥]، ومَن ظَنَّ أنّ حُمَة

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٤٣، ح٨٤٨. مسند ابن حنبل٣: ١٣٥. مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٩٨، ح٢٧٨. مسند أبي يعلى٥: ٢٤٦، ح٢٨٦٣، عن أنس بن مالك.

(٢) تحف العقول: ٢١٥.

(٣) راجع: وسائل الشيعة١٩: ٦٧/ باب وجوب أداء الأمانة.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٤٣، ح٨٥١، عن جابر. صحيح البخاري٧: ١٦. سنن أبي داود٢: ٢٢٥ / باب في تعليق التمائم، ح٣٨٨٤، عن عمران بن حصين. صحيح مسلم١: ١٣٨، عن بريدة بن حصيب الأسلمي.

(٥) وفي المخطوطتين الأخريين: (خرها) و (ظرها). والخُرؤ: العذرة. الصحاح ١: ٤٦ (خرأ).

العقرب والزنبور ما يَلسعان به فقد أخطأ؛ ذلك إبرتهما. ومَن شَدَّدَ الميم من «**الحمة**» فقد أخطأ؛ لأنّ الحُمَّة بالتشديد ما يُحَمُّر؛ أي يُقضى ويُقدَّر من حُمَّ الشيءُ إذا قُدِّرَ فِعله بمعنى مفعوله.

ومعنى الحديث: لا شيء ينبغي أن يُرقى منه ويُقرأ عليه وينفث فيه إلّا مَن أصابتْه عينٌ أو وَصلت إليه حُمَةٌ مِن حيّة أو عقرب.

أمّا العين ففي الناس من قال: لا أصل لها، وما نجده من ذلك نحمله على أنّه يكون بقَدَرٍ أو باتّفاق، ولم تُصِبهُ العين، وهذا ممّا نجده كثيراً، وهو في العرف معروفٌ مستمرّ، والأخبار واردة بها. وروي أنّه ﷺ قال: «**العين حَقٌّ**»[(١)].

وقال بعض المتكلّمين: لا يمتنع أن يكون في بعض عيون الناس العيون اعتمادٌ إذا وقع شعاعه على كلّ شيء يستحسنه أن يصيبه به، وذلك بإجراء الله العادةَ فيه.

وبعضهم يقول: لا يمتنع أن يكون فيها اعتماد يؤثّر هذا النوع من التأثير كتأثير المغناطيس في جذب الحديد وباغض الخَلّ في أن يقف معلّقاً فوق الخَلّ، ولا يقع فيه. ومن قال بالطبع سمّاه طبعاً في جميع هذه الأشياء.

أمّا الرُّقية من العين فقد جاء في الحديث: إنّ من رُقَي **النبيّ** ﷺ أنّه كان

---

(١) صحيح البخاري٧: ٢٣/ باب العين حق. صحيح مسلم٧: ١٣/باب الطبّ والمرض والرقى، عن أبي هريرة. المجازات النبوية : ٣٣٥.

يقول: «**اللَّهُمَّ إنّي أعوذُ بك من نفس نافس، وعين عاين، وحسد حاسد**»[١].

وأمّا رقية الحمة فجاء رجل إلى رسول الله، وشكا إليه لسع العقرب، فقال له ﷺ: «**لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق! لم تضرّك**»[٢].

وما يُكتب على الرقاع من قولهم: «**أعوذ بكلمات الله التامّات كلّها من شرّ ما خلق وذرأ وما تحت الثرى،** ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾»[٣]. معروفٌ متداول بين الناس، فإن قيل: ما تخصيص نوح هاهنا بالتسليم؟ قلت: على ما جاء في الأخبار أنّه لمّا أراد ركوب السفينة أمرَهُ الله أن يَحمل معه فيها من كلّ زوجينِ اثنين؛ لئلاّ ينقطع نسلُهنَّ، فجاءت المؤذيات إليه فقال لها: أنا لا أحملكنَّ فيها إلّا أن تعاهدني أن لا تؤذين أُمّة **محمّد** ! فعاهدنه على ذلك، فأمرنا أن نذكره بالسلام لما أراد السلامة بنا[٤].

---

(١) أمالي المرتضى١: ٣٢٦، باختلاف يسير. الأمالي للطوسي: ٦٣٨، ح١٣١٦. صحيح مسلم٧: ١٣/ باب الطبّ والمرض والرقى، عن أبي سعيد، وفيهما: (أنّ جبريل أتى النبيّ ﷺ فقال: «**يا محمّد، اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله، أرقيك من كلّ شيء يؤذيك، من شر كلّ نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**».

(٢) صحيح مسلم٨: ٧٦/ باب في التعوُّذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. السنن الكبرى للنسائي٦: ١٥١/ ما يقول إذا خاف شيئاً من الهوامّ حين يمسي، ح١٠٤٢١، عن أبي هريرة. بحار الأنوار٦٠: ٢٠/باب تأثير السحر والعين.

(٣) راجع: الكافي٢: ٥٦٨/ باب الحرز و العوذة. سنن أبي داود٢: ٢٢٦/ باب كيف الرقي.

(٤) لم نعثر عليه.

٥٥٨. لَا يَنتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ[١].

قيل: العنز: دون الكبش؛ لأنّ العنز ينتطح فتسمّ فتفارق ولا ترجع، والكِباش بخلاف ذلك تخرج وتعود. هذا مَثلٌ يُضرَب في الأمر الدنيء الحقير الذي لا يؤبَه ولا يُقام له ولا يُقعد ويؤمَن بوائقه[٢].

وقيل: إنّ يهوديّةً تسمّى عصماءُ بنت مروان كانت تحثّ الناس على قتال **رسول الله**، فأمر **رسول الله** بعض أصحابه بقتلها، فقتلها، ثمّ قال: يا **رسول الله**، إنّي أخاف اليهود! فقال ﷺ: «**لا ينتطح فيها عنزان**»[٣]؛ أي: هي أقلّ من ذلك. وهذا من الأمثال التي قال .

ومثله قوله ﷺ: «**لا يُلدَغ المؤمنُ مِن جُحرٍ مَرَّتَين**»[٤].

وقوله ﷺ: «**كلُّ الصيد في جوف الفِراء**»[٥].

وقوله ﷺ: «**هدنة على دخن**»[٦]. قال: الدخن أن يَشوب البياض كدوره حتّى يصير كَلَونِ الدخان؛ أي لا تَصِفوا قلوب القوم، بل يكون في قلوبهم غِلّ وغمر.

---

(١) مسند الشهاب ٢: ٤٦ ـ ٤٨، ح ٨٥٦ ـ ٨٥٨. مجمع الزوائد ٩: ٩٥.

(٢) راجع: جمهرة الأمثال٢: ٤٠٣. النهاية٥: ٧٣ (نطح).

(٣) راجع: الثقات١: ٢٠٧. مسند الشِّهاب٢: ٤٨، ح٨٥٨.

(٤) مضت الرواية آنفاً.

(٥) راجع: أمثال الحديث للرامهرمزي: ١١٩، ح٨٢. جمهرة الأمثال٢: ١٦٢. النهاية٣: ٤٢٢ (فرأ).

(٦) راجع: المجازات النبوية: ٢٣٤. المجاز: ٢٠٠. سنن أبي داود٢: ٣٠٠/ باب ذكر الفتن ودلائلها، ح٤٢٤٦. الأمثال لابن سلّام: ٣٥.

٥٥٩. لَا هِجْرَةَ فَوْقَ ثَلَاثٍ[١].

ويـروى «**بعـد ثـلاث**»[٢]؛ أي: لا ينبغـي للمـؤمن أن يهجُـرَ أخـاه فـوق ثـلاث؛ أي: أكثَـرَ مِـن ثـلاث ليـال. وإنّمـا حـذف التـاء مـن ثـلاث لأنّـه أراد الليـالي، والأعـداد فـي التـذكير والتأنيـث بـالعكس ممّـا عليـه سـائر الكـلام، تقـول: عنـدي ثلاثـة رجـال وثـلاث نسـوة. تثبـت الهـاء فـي المذكَّر، وتحذفها في المؤنَّث، ومثله قوله ﷺ: «**لا يَحِلّ لمؤمن أن يَهجر أخاه فوق ثلاث، فإذا مضت ثلاث، فأيُّهما بدأ بالسلام على صاحبه، بدأ الله بمغفرته**»[٣].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٤٤، ح٨٥٢. مسند ابن حنبل٢: ٣٩٢. الكافي٢: ٣٤٤ / كتاب الإيمان والكفر، باب الهجرة، ح٢، عن هشام بن الحكم، عن الإمام الصادق. الخصال: ١٨٣، ح٢٥٠، عن أنس بن مالك باختلاف يسير.

(٢) صحيح مسلم٨: ١٠/ باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي. مسند ابن حنبل٢: ٣٧٨، عن أبي هريرة.

(٣) صحيح البخاري٧: ٩١ / كتاب الأدب. صحيح مسلم٨: ٩/ باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، عن أبي أيّوب الأنصاري، وفيهما: (لا يحلّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان؛ فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام). الكافي٢: ٣٤٥/ باب الهجرة، ح٥، عن **أبي جعفر**عليه السلام عنه ﷺ وفيه: «**أيُّما مسلمَين تَهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان، إلّا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيُّهما سَبق إلى كلام أخيه، كان السابق إلى الجنَّة يوم الحساب**».

٥٦٠. لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ[١].

أراد أنّ الذنب إنّما يكون صغيراً باستغفار المذنب منه، وإن كان في نفسه كبيراً، وبالعكس إنّما يكون كبيراً بالإصرار عليه، ولا شكّ أنّ الاستغفار إن كان على وجه التوبة، فالله تعالى وعدَ بإسقاط العقاب عنده، وإن كان باللسان دون القلب، فيستحقّ عليه شيئاً من الثواب، فتصغر معه السيّئة، وإذا كان مصرّاً عليها عازماً على العود إليها، عظمت الخطيئة، وكبُرت السيّئة[٢].

٥٦١. لَا هَمَّ إِلَّا هَمُّ الدَّيْنِ، وَلَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعُ الْعَيْنِ[٣].

الهَمّ: الغَمّ[٤]، ويمكن أن يكون من الأبدال كالمدح والمدّة؛ لأنّ الهاء والغين من حروف الحلق، يُقال: هَمَّني الشيء، وأنا مهموم، كما

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٤٤، ح٨٥٣. تفسير الطبري٥: ٥٩. تفسير ابن أبي حاتم٣: ٩٣٤، ح٥٢١٧، عن ابن عبّاس.

(٢) راجع: وسائل الشيعة١٥: ٣٣٧/ باب تحريم الإصرار على الذنب ووجوب المبادرة بالتوبة والاستغفار.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٤٥، ح٨٥٤. المعجم الأوسط٦: ١٥٤. الأمثال لأبي الشيخ١: ١٤٩، ح٢٣٩، عن جابر. الكافي٥: ١٠١ / كتاب المعيشة، باب في آداب اقتضاء الدين، ح٤، عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق .

(٤) الفرق بينه وبين الغم أنّ الشر وقع في الغمّ ومنتظر في الهم. كتاب الماء٣: ١٣٠١ (همم).

يُقال: غَمَّني وأنا مغموم، وأهمّني أمرٌ مهمّ، وهمّني الشيء: إذا أذابني، والهَمّ: إذابة الشحم وغيره، والهِمّ: الشيخ البالي، فعل بمعنى مفعول[١].

والدَّيْن: ما للرجُل على غيره من المال، واستدانَ الرجُلُ: إذا أخذ الدَّين، ودانَ وأدان إذا أعطى[٢]. كأنّه عَظَّمَ أمر الدَّين وهمَّه على صاحبه فقال: لا هَمَّ إلّا همُّه[٣]. وكذلك في وَجع العين؛ لأنّ العين من الأعضاء الشريفة، وهي إحدى الحواسِّ الخمسة، بل أشرفها وأفضلها، فإذا أصابها وجعٌ، صار صاحبها بأشدّ ما يمكن أن يكون عليه من الوجع والألم.

وللوزير أبي العلاء بن حُسول يَعتذر عن تأخّره عن خدمة السلطان بعلّة الرَّمَد، فقال:

ما عافَني عن فرضِ خِدمتِه وعُلاه إلَّا الضَّعفُ والرمدُ
أنّى يقابل ناضرٌ رَمِدِ فلكاً ومنه الشمسُ تنفدُ

وللوزير أبي سعيد الآبي في تمثّله:

قد صَدَّني ألَمٌ ألَمَّ بناظري عن قصدِ خدمةِ بابِه ولقائِه
أويَستطيعُ الرَّمَدُ أن يَستقبِلوا لمَعانَ نورِ الشمسِ في لَألائِه[٤]

(١) راجع: الصحاح٥: ٢٠٦١. معجم مقاييس اللغة٦: ١٣. كتاب العين٣: ٣٥٧ (همم).

(٢) راجع: معجم مقاييس اللغة٢: ٣١٩. النهاية في غريب الحديث ٢: ١٤٨. كتاب العين٨: ٧٢ (دين).

(٣) راجع: وسائل الشيعة١٨: ٣١٥/ أبواب الدين والقرض.

(٤) التذكرة الحمدونيّة٤: ١١٥. يتيمة الدّهر٥: ١٢٧.

٥٦٢. لَا فَاقَةَ لِعَبْدٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَلَا غِنَى لَهُ بَعْدَهُ[١].

الفاقَة: الفقر[٢]، وفوق: هي الجهة التي خلاف تحت[٣]، وفاقَ فلانٌ فلاناً: إذا علاه[٤]، والفوق: فوق السهم[٥]، والفواق مقدار ما بين الحلبتين[٦].

وصفَ القرآن بأنّه يجلب الغِنى، ويَنفي الفقر، ومنه قوله ﷺ: «**ليس منّا من لم يتغَنَّ بالقرآن**»[٧]؛ أي: يَستغنِ بالقرآن عن غيره على أحد التأويلات[٨]. وقوله ﷺ: «**القرآن غنىً لا غنَى دونه ولا فقر بعده**»[٩].

ومنه قول ابن مسعود: من قرأ سورة آل عمران فهو غنيّ[١٠]. وعنه أيضاً أنّه

(١) مسند الشِّهاب٢: ٤٦، ح٨٥٥. المصنَّف لابن أبي شيبة٧: ١٥٦، ح٣، عن الحسن.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٨٠ (فوق).

(٣) كتاب العين٥: ٢٢٤ (فوق).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٩ (فوق).

(٥) معجم مقاييس اللغة٤: ٤٦٢. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٨٠ (فوق).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٩. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٧٩ (فوق).

(٧) معاني الأخبار: ٢٧٩/ باب معنى المحاقلة والمزابنة والعرايا ... . أمالي المرتضى١: ٣١. صحيح البخاري٨: ٢٠٩، عن أبي هريرة.

(٨) أُنظر: المجازات النبوية: ٢٢١. مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٦ (غنى). النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٩١ (غنا).

(٩) جامع الأخبار: ٤٠. المعجم الكبير١: ٢٥٥، ح٧٣٨. شعب الإيمان٢: ٥٢٩/ فصل في رفع الصوت بالقرآن إذا لم يتأذَّ به أصحابه ... ، ح٢٦١٤، كلاهما عن أنس.

(١٠) أمالي المرتضى١: ٣١. سنن الدارمي٢: ٤٥٢/ باب في فضل آل عمران. المصنَّف

قال: نِعْمَ كنز الصُّعلوك سورة آل عمران، يقوم بها في آخر الليل[١]. وهذا أمرٌ مجرَّب؛ فإنّ كثيراً من الفقراء لمّا اشتغلوا بقراءة القرآن وحفظه ودرسه، استغنوا وتموّلوا. ويجوز أن يريد به غنى الآخرة؛ فإنّ أهل القُرآن أهل الله وخاصّته على ما جاء في الأخبار[٢]. وفي الحديث: «**إنّ لتالي القرآن خيراً مِن مِلئ الأرض ذهباً**»، و«**لمستمع آية من كتاب الله خيرٌ مِن ثَبيرٍ[٣] ذهباً**»[٤]، «**فإذا كان يوم القيامة يُقال له: اقرأ وارقَ بكلّ آية درجةً. حتّى إذا نفد ما عنده، فيقال له: اقبض! فيقبض، ثمّ يقال له: اقبض! فيقبض، فإذا في يده اليُمنى الخُلد، وفي يده اليسرى النعيم**»[٥].

لعبد الرزّاق ٣: ٣٧٥/ باب تعليم القرآن وفضله، ح٦٠١٥.

(١) أمالي المرتضى ١: ٣١. سنن الدارمي ٢: ٤٥٢/ باب في فضل آل عمران. المصنَّف لعبد الرزّاق ٣: ٣٧٥/ باب تعليم القرآن وفضله، ح٦٠١٥.

(٢) قال **رسول الله** ﷺ: «**إنّ لله أهلين من الناس**» قالوا: يا **رسول الله**، من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصّته**». سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٧٨ / باب فضل من تعلَّم القرآن وعلَّمه، ح ٢١٥. المستدرك على الصحيحين ١: ٥٥٦، عن أنس بن مالك. التبيان في تفسير القرآن ٨: ٢٠٤، سورة العنكبوت.

(٣) ثَبير: اسم جبل. كتاب العين ٨: ٢٢٢ (ثبر).

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري : ١٣، عن عليّ بن أبي طالب . جامع الأخبار: ٤٠. نوادر الأصول ٣: ٢٦٠، عن محمّد بن عليّ، باختلاف يسير.

(٥) شعب الإيمان ٢: ٣٤٦/ فصل في إدمان تلاوة القرآن، ح١٩٩٣، عن أبي أمامة. المعجم الكبير ٢: ٥٠، عن فضالة بن عبيد وتميم الداري. تاريخ بغداد ١٢: ٤١١، عن ابن عمر، باختلاف.

٥٦٣. لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ[١].

وذلك إذا قدّر الله على عبدٍ قَدَراً من مرضٍ أو موتٍ أو مصيبةٍ أو نكبَةٍ في بدنه أو ماله أو ولده، ممّا يتعلّق بقضاء الله تعالى وقدَرِه المحتومَين، لا ينفعه منه حذرٌ، ولا يُنجيه منه احترازٌ. وهذا ممّا لا خلاف فيه، وإنّما الخلاف في هل يَحسن من الله أن يقدّر الكفر والمعاصي على عباده على وجه لا انفكاك لهم منها ولا خَلاص، ثمّ يؤاخذهم بها ويُعاقبهم عليها؟! فالجواب الشافي فيه ما تقدّم ذكره من سؤال الشامي وجواب **أمير المؤمنين** عليه السلام له، وفي ذلك مقنعٌ لمن تأمّله وأنصف من نفسه.

٥٦٤. لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ[٢].

ويُروى: لَا يُفْتَلُ مُؤْمِنٌ[٣].

ويُروى: «**لا يَفْتِك مُؤمِنٌ**»[٤]. الفتك: القتل بالغيلة، وهو أن يَقتل الرجلُ

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٤٨، ح٨٥٩. غريب الحديث للحربي٣: ١١٩٤. المستدرك على الصحيحين١: ٤٩٢. المعجم الأوسط٣: ٦٦، عن عائشة.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٥٠، ح٨٦٣، عن معاوية بن أبي سفيان. مسند ابن حنبل١: ١٦. مسند ابن جعد: ٤٦٣، عن الزبير بن العوّام. سنن أبي داود١: ٦٣١/ باب في العدوّ يؤتى على غرَّة ويتشبَّه بهم، ح٢٧٦٩، عن أبي هريرة.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) سنن أبي داود١: ٦٣١/ باب في العدوِ يؤتى على غرَّة ويتشبَّه بهم، ح٢٧٦٩، عن أبي هريرة. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٥٢، عن عائشة.

غيرَه وهو غافل[١]، وكان ذلك من عادة الجاهليّة، فلمّا جاء الإسلام، وبيّن أنّ الإيمان قَيدُ الفتك، وأن لا فتك في الإسلام[٢]؛ كان الرجُل إذا رأى كافراً مستحقّاً للقتل نائماً أو غافلاً، نبّهه وأعلمه ليأخذ حذره ثمّ يقتله.

وعلى الرواية الأُولى معنى الحديث: أنّه لا ينبغي أن يكون المؤمن فاتكاً على هذا الوجه. وعلى الرواية الثانية: أنّه لا ينبغي أن يُفتَك مؤمن؛ يعني لا يَحلّ ولا يجوز أن يُفتَكَ بمؤمن. فالفعل في الأُولى مسند إلى الفاعل، وفي الأُخرى إلى المفعول.

٥٦٥. لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ[٣].

الفلاح: الظَّفَر والبقاء[٤]. والقوم يختصّ بالرجال دون النساء، قالوا: لقيامهم بالأُمور سُمُّوا قوماً[٥]، وهو اسم جمعٍ كشَرْب ورَكْب وصَحْب، وقالوا: هو جمعٌ قائم. والأوّل أصحّ، وهو مذهب سيبويه.

يقول: لا تَظفرُ ولا تبقى جماعة من الرجال يكون مَلِكُهم وأميرهم وواليهم

---

(١) الصحاح٤: ١٦٠٢. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٠٩ (فتك).

(٢) راجع: الكافي ٧: ٣٧٥/ باب النوادر، ح١٦، عن الإمام الصادق. سنن أبي داود١: ٦٣١/ باب في العدوِّ يؤتى على غرَّة ويتشبَّه بهم، ح٢٧٦٩، عن أبي هريرة. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٥٢، عن عائشة.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٥١، ح٨٦٤. مسند ابن حنبل٥: ٤٣. المستدرك على الصحيحين٤: ٥٢٤. صحيح ابن حبّان١٠: ٣٧٥، عن أبي بكرة.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٤. النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٦٩ (فلح).

(٥) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ١٢٤. كتاب العين٥: ٢٣١ (قوم).

امرأةً؛ وذلك لأنّ الله فضّل الرجال على النساء في قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[١]، والنساء ناقصات العقول والحظوظ والدِّين؛ أمّا نقصان عقلهنّ فمُجمَعٌ عليه، بمعنى أنّهنّ لا يَستعملنَ بعضَ أجزاء العقل لقلّة ديانتهنّ؛ وأمّا نقصان حظّهنّ ففي الميراث؛ لأنّ الرجُل يأخذ ضِعف ما تأخذه المرأة. ونقصان دينهنّ أنّ شهادة المرأتين تؤخذ بشهادة رجلٍ واحد، وأنّهنّ يَقعدن عن الصلاة والصوم ودخول المساجد أيّام حيضهنّ[٢]، وأنّ الله تعالى لم يَبعث منهنّ نبيّاً، ولم يَنصب منهنّ إماماً. وقال ﷺ: «**لا تشاوروهنّ؛ فإنّ رأيهنّ إلى أفن**»[٣]. وقال ﷺ: «**شاوِروهنّ وخالِفوهنّ**»[٤]. ولا يُستحسن في العقل والشرع تقديم المفضول على الفاضل.

٥٦٦. لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ[٥].

نهى **النبيُّ** ﷺ عن أن يَفعل المؤمنُ ما يؤدِّي إلى إذلاله وإهانته،

---

(١) سورة النساء٤: ٣٤.

(٢) أُنظر: الكافي٥: ٣٢٢/ باب غلبة النساء، ح١. صحيح البخاري١: ٧٨/ باب ترك الحائض الصوم.

(٣) نهج البلاغة/ الكتاب٣١. تحف العقول: ٨٦. ربيع الأبرار٥: ٢٤١.

(٤) المحاسن والمساوئ١: ٢٥. محاضرات الأدباء١: ٤٥.

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٥١، ح٨٦٦. سنن الترمذي٣: ٣٥٦، ح٢٣٥٥. سنن ابن ماجة٢: ١٣٣٢، ح٤٠١٦ ، عن حذيفة. الكافي٥: ٦٣، قطعة من ح٤، عن داود الرقّي و٦٤، قطعة من ح٥، عن مفضَّل بن عمر، عن الإمام الصادق .

وينبغي أن يَجتنب الحِرَفَ الشائنة كالحياكة والحجامة وكلّ ما كان في الشرع وفي العرف مكروهاً[١]. وعلى الجملة يجب عليه أن يجتنب جميعَ المحارمِ والمآثم وكلَّ ما يستحقّ به الذمَّ من العقلاء، والعقاب من الله؛ فإنَّ فِعلَ جميع ذلك ممّا يُذلّه ويهينه؛ لأنّ حَدّ العقاب وحقيقته هو المضرَّة المستحقّة المقرونة بالاستخفاف والإهانة، فإذا ارتكب شيئاً من المعاصي، فقد استَحقّ العقاب، وإذا استحقّ العقاب، فقد جَرَّ إلى نفسه الإهانة والاستخفاف به والعقاب الذي لا تقوم له جبال الأرض، نعوذ بالله منه.

ومن جملة ما يُذِلّه ويُهينه سؤالُ الناس والطمع بهم؛ لقول عليّ عليه السلام: **«اليأس حُرّ، والطَّمعُ عبد»**[٢]، وقوله: **«احتَجْ إلى مَن شئتَ فأنت أسيره»**[٣]. وعليه أن يجتنب الدنايا وكلَّ ما يَشينه ويَعيبه؛ فإنّ الله تعالى عطف المؤمنين في العزّة عليه وعلى رسوله في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، فيجب عليه أن لا يضع من نفسه ما رفعه الله منها[٥].

---

(١) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٨: ٤١. الكشاف٣: ٣٢٩، سورة الشعراء.

(٢) عيون الحكم و المواعظ: ٣٤، ح٦٣٨ ـ ٦٣٩. روض الجنان٤: ٩٤.

(٣) ربيع الأبرار٣: ١٨٦. الإعجاز والإيجاز١: ٣٤. مصباح الشريعة: ١٠٦.

(٤) سورة المنافقون٦٣: ٨.

(٥) راجع: وسائل الشيعة١٦: ١٥٦/كتاب الأمر بالمعروف والنهي، عن المنكر وما يليق به، باب كراهة التعرض للذلّ.

٥٦٧. لَا يَنْبَغِي لِلصِّدِّيقِ أَنْ يَكُونَ لَعَّاناً[١].

أي: لا يصلح له ولا يليق به، والصدّيق: الكثير الصدق[٢]، وهذا البناء يكون للمبالغة نحو السكّير والحمّير والشرّيب والشرّير إذا أكثر ذلك الفعل واعتاده، وكذلك بناء الفَعَّال مبالغة للفاعل، ولذلك يُقال للمحترفة كالبنّاء والشوّاء والسقّاء وغير ذلك.

ومعنى الحديث: أنّ الرجُل إذا أراد أن يكون من الصدِّيقين يجب أن لا يكون لعّاناً؛ فإنّ ذلك لا يليق بالصدّيقين.

وقال ابن عمر: أبغَضُ العباد إلى الله كلُّ طَعّانٍ لعّان[٣].

وقال مسلم: إنَّ رجلاً نازعَتْه الرِّيحُ رداءَه فلَعَنها. فقال ﷺ: **«لا تلعنها؛ فإنّها مأمورة، ومن لعنَ شيئاً ليس له بأهلٍ رجعت اللعنة عليه»**[٤].

وقال ﷺ: **«لا يكون اللعّانون شفعاء»**[٥].

---

(١) مسند الشّهاب٢: ٥٢، ح٨٦٨. صحيح مسلم٨: ٢٣، عن أبي هريرة. الصمت وآداب اللسان: ٢٠٢، ح٣٨٣. سنن الترمذي٣: ٢٥٠/ باب ما جاء في اللعن والطعن، ح٢٠٨٨، عن ابن عمر باختلاف يسير.

(٢) المحيط في اللغة٥: ٢٥٨ (صدق).

(٣) الصمت وآداب اللسان: ٢٩٥/ الرقم٦٦٧.

(٤) سنن أبي داود٢: ٤٥٨/ باب في اللعن، ح٤٩٠٨. سنن الترمذي٣: ٢٣٦/ باب ما جاء في اللعنة، ح٢٠٤٤. المعجم الكبير١٢: ١٢٤، عن ابن عبّاس.

(٥) صحيح مسلم٨: ٢٤/ باب النهي، عن لعن الدوابّ وغيرها. سنن أبي داود٢: ٤٥٨/ باب في اللعن، ح٤٩٠٧. المستدرك على الصحيحين١: ٤٨، عن أبي الدرداء.

وقال ﷺ: **«لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضب الله، ولا بالنار»**[(١)].

وعن بعض الصحابة قال: كنتُ رديفاً للنبيّ ﷺ فعَثرتْ دابّته، فقلت: تَعَسَ الشيطان! فقال ﷺ: **«لا تقل: تعس الشيطان! فإنّك إذا قلت ذلك، تعاظم حتّى يكون مثل البيت، ولكن قُل: بسم الله! فإنّك إذا قلت ذلك، تصاغر حتّى صار مثل الذباب»**[(٢)].

وروي: أنّ رجلاً لعن برغوثاً عند **النبيّ** ﷺ فقال: **«لا تلعنه؛ فإنّه أيقظَ نبيّاً من الأنبياء للصلاة»**[(٣)].

وروي عن أبي الدرداء أنّه كان مضطجعاً بين أصحابه، وثَوبُه على وجهه، إذ مرَّ بهم قُسٌّ، فأعجَبَهم سِمَنُه، فقالوا: اللَّهمَّ العنه ما أسمَنَه! فكَشف الثوبَ عن وجهه، وقال: مَن ذا الذي لعنتم آنفاً؟ فقالوا: مرَّ بنا قُسٌّ. قال: لا تلعنوا أحداً؛ فإنّه لا ينبغي للَّعّان أن يكون صِدِّيقاً عند الله[(٤)].

---

(١) سنن أبي داود٢: ٤٥٨/ باب في اللعن، ح٤٩٠٦. سنن الترمذي٣: ٢٣٦/ باب ما جاء في اللعنة، ح٣٠٤٢. المستدرك على الصحيحين١: ٤٨، عن سمرة بن جندب.

(٢) سنن أبي داود٢: ٤٧٣، ح٤٩٨٢. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٩٢. السنن الكبرى للنسائي٦: ١٤٢، ح١٠٣٨٨، عن أبي المليح مثله.

(٣) الأدب المفرد: ٢٦٤/ باب لا تسبُّوا البرغوث، ح١٢٧٣. مسند الشاميين٤: ١٥، ح٢٥٩٨. شعب الإيمان٤: ٣٠٠، ح٥١٧٩.

(٤) الصمت وآداب اللسان: ٢٠٠/ الرقم٣٧٧. الزهد والرقائق لابن المبارك: ٢٣٨/ الرقم٦٨٢. تاريخ دمشق٤٧: ١٨٧، باختلاف يسير.

٥٦٨. لَا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِيناً عِنْدَ اللهِ[١].

ذو الوجهين كنايةٌ عن الرجُل الذي ينافق الناس في فعله ومعاشرته مع الناس وإن لم يكن منافقاً في الدِّين والاعتقاد، فهو كمَن وصفه النبيّ ﷺ فقال: «**يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجه**»[٢]، ومَن كان كذلك لا يكون أميناً بوجه، وإنّما قال: «**عند الله**»؛ لأنّ الله يعلمه على ما هو عليه، ولا نعلم الظاهر، فنظنّه أميناً، ولا يكون كذلك في نفسه، والله يَعلم سرّه وعلانيته، فإذا علمه ذا الوجهين، منافقَ الفعل، مُرائي الطبع، يكون له مع كلّ قومٍ وجهٌ ولسان، فلا يكون أميناً عند الله؛ لأنّ الله تعالى يعلمه على ما هو عليه من هذه الحالة الذميمة.

٥٦٩. لَا يَصْلُحُ الْمَلَقُ إِلَّا لِلْوالِدَيْنِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ[٣].

المَلَق والتملّق: الغلوّ في التواضع[٤]، وأن يقع في أيدي الناس

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٥٣، ح٨٦٩. مسند ابن حنبل٢: ٢٨٩. الصمت وآداب اللسان: ١٥٣، ح٢٨١. الأدب المفرد: ٧٤، ح٣١٦، عن أبي هريرة.

(٢) أُنظر: صحيح البخاري٤: ١٥٤. صحيح مسلم٧: ١٨١/ باب خيار الناس. سنن أبي داود٢: ٤٥٠/ باب في ذي الوجهين، ح٤٨٧٢، عن أبي هريرة.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٥٤، ح٨٧٠. القبل والمعانقة والمصافحة: ٣٩، ح١٣، كلاهما عن الزهري.

(٤) أُنظر: الصحاح٤: ١٥٥٦. النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٥٨ (ملق).

وأرجلهم، ويقبّل أيديهم وأرجلهم؛ لغرضٍ من الأغراض، إمّا لطمَعٍ أو خديعةٍ أو تقرّبٍ إليهم. فقال : هذا النوع من التواضع والتذلّل لا يصلح إلّا للوالدين شكراً لهما ومكافأةً لتربيتهما له، وامتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]؛ وأمّا الإمام العادل فهو ممّن أمرَ الله بإكرامه وإعظامه؛ فإنّ حقّه واجبٌ على الرعيّة، وطاعتهُ مفترضةٌ على كلّ مكلّف، فهو مستحقّ لأن يتواضع له بكلّ ما أمكن؛ فإنّه من أكبر الطاعات وأعظم القُربات، فلو استعمَلَ ذلك مع غير الإمام أو والديه، فقد وَضع الشيءَ في غير موضعه، وأذَلَّ نفسه، ودخلَ تحتَ قوله ﷺ: **«لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه»**[2].

٥٧٠. لَا يَصْلُحُ الصَّنِيعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ، كَمَا لَا يَصْلُحُ الرِّيَاضَةُ إِلَّا فِي النَّجِيبِ[3].

الصَّنيعة: النعمة[4] المصنوعة، فَعيلة بمعنى مفعولة. والحَسَب: ما

(١) سورة البقرة ٢: ٨٣.

(٢) سنن الترمذي ٣: ٣٥٦، ح٢٣٥٥. سنن ابن ماجة ٢: ١٣٣٢، ح٤٠١٦، عن حذيفة. الكافي ٥: ٦٣/باب كراهة التعرُّض لما لا يطيق، ح٤، عن داود الرقّي، عن **الإمام الصادق** .

(٣) مسند الشّهاب ٢: ٥٤، ح٨٧١. اصطناع المعروف: ٥٠، ح٤٩. معجم ابن الأعرابي ١: ١٨١، ح٣١٥، عن عائشة. الخصال: ٤٨، ح٥٥، عن سيف بن عميرة، عن الإمام الصادق، وليس فيهما ذيله.

(٤) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٣: ٥٦. معجم مقاييس اللغة ٣: ٣١٣ (صنع).

يُحسبَ من الناس في مفاخرهم[١]. والدِّين هو الإسلام، وقد مرّ الكلام على وجوهه ومعانيه. والرياضة: تربية المراكب من الإبل والفَرَس والبغل وما يُراض ويذلَّل للركوب[٢]، وهذا على سبيل المَثَل؛ يعني: لا يصلح ولا ينفع ولا يقع موقعه ما يفعله الإنسان بغيره من الصنائع إلّا مع أهله؛ بأن يكون ذا أصلٍ ونفس وحَسَبٍ وأصل تامٍّ، وحَسب زاكٍ، ونفسٍ زكيّة أبيّة، أو دِين وديانة حاملة على الصلاح، مانعة من الفساد، كالزرع لا ينبت إلّا في الأرض الطيّبة والتربة الصالحة لذلك.

ثمّ إنّه شبّه ذلك فقال: كما لا تصلح الرياضة إلّا في الجَمَل النجيب، والفَرَس الفارِه[٣] بعرقه إلى أصلٍ أصيل، وصلاحيّة لقبول الرياضة والسياسة. والغرض أن ينهى الإنسانَ عن اصطناع المعروف إلّا إلى أهله؛ فإنّ اصطناعه إلى غير أهله كوضع الشيء في غير موضعه، وهو عند العرب ظلم، فكان كمَن قال:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإن أنتَ أكرمت اللَّئيمَ تَمرَّدا
ووضعُ النَّدى في موضع السيف بالعلى مُضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى[٤]

وقال ﷺ: **«إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، جَعل صنائعَه ومعروفه في أهل الحفاظ؛ وإذا أرادَ الله بعبدٍ شرّاً، جعل صنائعه ومعروفه في أهل التضييع»**[٥].

---

(١) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ١: ٣٨١. كتاب العين ٣: ١٤٨ (حسب).

(٢) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٧٧. كتاب العين ٧: ٥٥ (روض).

(٣) الفرس الفاره: ذو النشاط والخفَّة. المصباح المنير ٢: ٤٧١ (فره).

(٤) أسرار البلاغة: ٢٦٦.

٥. الفردوس ١: ٢٤٢، ح٩٣٦، عن أمّ سلمة.

وقال حسّان بن ثابت:

إنّ الـــصنيعة لا تكـــون صـــنيعةً حتّى يُصابَ بها طريقُ المَصنَعِ[1]

فقال له رسول الله ﷺ: «صدقت».

فقال:

وإذا اصطنعتَ صنيعةً فاقصُدْ بها لله أو لـــذوي القـــرابـــة أو دَعِ[2]

وأنشدت في معناه:

بنـــو آدمَ كالنبـــتِ ونبـــتُ الأرضِ ألـــوانُ

فمِـــنهم شـــجرُ الصـــندَ ل والكـــافور والبـــانُ

ومـــنهم شـــجر أفضـــل مـــا يخـــرج قطـــران[3]

ولآخر في معناه:

مـــن كـــان يؤمّـــل أن يَـــرى فـــي ســـاقطٍ أمـــراً ســـنيّاً

فلقـــد رجـــا أن يَجتنـــي مِـــن عَوسَـــجٍ رُطَبـــاً جَنيّـــا[4]

٥٧١. لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ[5].

هو أن يأمركَ إنسانٌ بمعصيةٍ مِن معاصي الله، فتطيعه محافظةً لرضاه.

---

(١) المَصنَع: ما يُصنَع لجمع الماء نحو البركة. المصباح المنير ٢: ٣٤٨ (صنع).

(٢) أُنظر: اصطناع المعروف لابن أبي الدنيا: ٥٢/ الرقم ٥٣. الفاضل: ٣٥. أدب الدنيا والدين: ٢٠٥.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٢٧٥. أدب الدنيا والدين: ١٦٩، والشاعر منصور بن إسماعيل الفقيه.

(٤) التمثيل والمحاضرة: ٢٦٩. أدب الدنيا والدين: ١٩٤.

(٥) مسند الشِّهاب ٢: ٥٥، ح ٨٧٣. المعجم الكبير ١٨: ١٧٠، عن عمران بن حصين. المعجم الأوسط ٤: ١٨١، عن رجاء، عن الإمام الحسين. الأمالي للصدوق: ٤٥٢، قطعة من ح ٦١٠، عن ثابت بن دينار، عن الإمام السَّجاد.

وصورته صورة الخبر والنفي، ومعناه النهي؛ أي: لا تطيعوا مخلوقاً في معصيةٍ من معاصي الله.

وقيل: إنّ الحديث ورد على سببٍ، وهو أنّ **رسول الله** بعثَ سريّةً في بعض الغزوات، وأمَّر عليهم رجُلاً من الأنصار، وكان رجلاً مَزَّاحاً، فجرى في بعض الطريق فأغضبوه في شيءٍ عليهم، فقال لهم: أليسَ أمرَكُم رسول الله أن تسمعوا وتطيعوا؟ فقالوا: نعم. فقال: اجمعوا حطباً، وأوقدوا فيه النار. ففعلوا، فقال: ادخلوها. فأراد بعضهم أن يدخلها، فقالوا: لا تفعلوا حتّى نراجع **رسول الله**. فلمّا راجعوه قال: لو دخلتموها لما خرجتم منها؛ أما علمتم أنّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق؟! ثمّ قال له: لِمَ فعلتَ ذلك؟ قال: كنتُ أُمازحهم وألعب معهم[1].

٥٧٢. لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ[2]. لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ[3].

القتّات: النمّام، وأصله من القَتِّ وهو القضب اليابس، وأنّه إذا

(١) أُنظر: مسند أبي عوانة ٤: ٤٠٦، باختلاف.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٥٨، ح٨٧٦. صحيح البخاري٧: ٨٦. صحيح مسلم١: ٧١، عن حذيفة. الأمالي للصدوق: ٥١١، قطعة من ح٧٠٧، عن الحسين بن يزيد، عن الإمام الصادق، عن آبائه .

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٥٦، ح٨٧٥. صحيح مسلم١: ٤٩. مسند ابن حنبل٢: ٣٧٢، عن أبي هريرة. الكافي٢: ٦٦٦ / كتاب العشرة، باب حقّ الجوار، قطعة من ح١، عن عمرو بن عكرمة، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

يبس تَقَتَّتَ، فطالِبُه يَتبعه ويقَتُّه؛ أي يلتقطه[1]، وكذلك النمّام يتّبع الأحاديث ويتسمّع لها، ثمّ ينقلها، فيتولّد منه ومن نميمته شرٌّ وفساد، وربّما أدّى ذلك إلى قتلٍ وقتال، وإتلافِ نفوس وإفساد أموال، فسمّاه قتّاتاً تشبيهاً بذلك، وأخبر أنّه لا يَدخل الجنّة لعِظَم فساده، وكذلك الرجُل المؤذي لجاره الذي لا يراعي حقّ الجوار، فلا يأمن الجار مكايده ومصايده. والبوائق جمعُ بائقة وهي المُهلِكة المُفسِدة[2]، وكذلك الغوائل والدواهي[3]، يُقال: أعوذُ بالله من بوائق الدهر ونكبات الزمان وصروف الليالي[4]. والمعنى: من لا يأمن الجارُ شَرَّه[5].

---

(١) راجع: النهاية في غريب الحديث ٤: ١١ و٣: ٤٥١ (فصفص). كتاب العين٥: ١٩. لسان العرب٢: ٧١ (قتت).

(٢) راجع: النهاية في غريب الحديث ١: ١٦٢. كتاب العين٥: ٢٢٨ (بوق).

(٣) راجع: النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٩٧. كتاب العين٤: ٤٤٧ (غول).

(٤) قال **رسول الله** ﷺ: «**أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة... اللّهم إنّي أعوذ بك من شرِّما يلج في الليل وشرِّ ما يلج في النهار وشرِّ ما تهبُّ به الرياح ومن شرِّ بوائق الدهر**». سنن البيهقي٥: ١١٧/ باب أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، عن عليٍّ بن أبي طالب . مصباح المتهجِّد ١: ٦٨/ فصل في سياقة الصلوات الإحدى والخمسين ركعةً في اليوم والليلة.

(٥) راجع: الكافي٢: ٦٦٦/ باب حقّ الجوار. وسائل الشيعة١٢: ١٢٥، باب وجوب كفّ الأذى عن الجار.

٥٧٣. لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً[١]. لَا يَحِلّ لِامْرِئٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ[٢].

يقول: لا يحلّ ـ يعني يحرُم عليه ويُحظَر ـ أن يخوّف مسلماً بأيّ وجهٍ كان. يُقال: راعه يروعه، إذا أفزعه. وراعه إذا أعجبه أيضاً، والمراد في الحديث التخويف والإفزاع، يُقال: أفزعه، إذا خوّفه. وفُزّع عنه، إذا أذهب عنه الفزع، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾[٣]؛ أي: كُشِفَ الفزع عنها. ويُحظَر أن يَهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث، والمعنى: أنّ المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلّ له أن يهجر زيادة ثلاث ليال.

٥٧٤. لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مُرَّةٍ قَوِيٍّ[٤].

أهل الصدقة هم الأصناف الثمانية الذين ذكَرَهم في قوله[٥]: ﴿إِنَّمَا

(١) مسند الشّهاب٢: ٥٨، ح٨٧٨. سنن أبي داود٢: ٤٧٨ / باب من يأخذ الشيء على المزاح، ح٥٠٠٤. مسند ابن حنبل٥: ٣٦٢، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. عيون أخبار الرضا ١: ٧٦، ح٣٢٧، عن فاطمة بنت علي بن موسى، عن آبائه .

(٢) مسند الشّهاب٢: ٦٠، ح٨٨١. صحيح البخاري٧: ٩١. صحيح مسلم٨: ٩، عن أبي أيّوب الأنصاري. الخصال: ١٨٣، ح٢٥٠، عن أنس بن مالك.

(٣) سورة سبأ٣٤: ٢٣.

(٤) مسند الشّهاب٢: ٦١، ح٨٨٤. سنن أبي داود١: ٣٦٩، ح١٦٣٤، عن عبدالله بن عمرو. معاني الأخبار: ٢٦٢، ح١. الكافي٣: ٥٦٠/ كتاب الزكاة، باب مَن يَحلُّ له أن يأخذ الزكاة ومن لا يحلُّ له ومن له المال القليل، ح٢، عن زرارة بن أعين، عن الإمام الباقر، والأخير باختلاف يسير.

(٥) سورة التوبة٩: ٦٠.

الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ وهم الذين لا شيء لهم فهم في محاويج إلى أخذ الصدقة، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم الذين لهم بُلغة من العيش لا تكفيهم، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم السُّعاة والجُباة الذين يَسعون في أخذ الزكاة من قِبل الإمام، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم الذين يتألّفهم الإمام من الكفّار في جهاد العدوّ، يعطيهم سهماً من الزكاة ليستميلهم بذلك إلى الإسلام، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وهم العبيد والمكاتَبون إذا كانوا في شدّةٍ ومشقّة، ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ وهم الذين ركبتهم الدِّيون في غير معصية الله، ﴿وَفِي سَبِيلِ اللهِ﴾ وهو الجهاد، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المنقطع به وإن كان في بلده ذا يسار[1].

فأمّا الغنيُّ: الذي يستغني عن أخذ الزكاة والصدقة، فلا يحلّ له أخذها، وغناه ما يكفيه لقوْته وقوت عياله، وقيل: غناه أن يملك خمسمائة درهم أو سبعمائة، ولا يمكنه أن يتصرّف فيها ويتعيّش بها، فالصدقة تحلّ له على ما جاء في الأخبار[2]. ويروى «**لِذي مِرَّةٍ سَوِيّ**»[3] والمِرَّةُ القوَّة[1]، قال الله

(١) راجع: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: ٢٨٢، في مستحقِّ الزكاة ومقدار ما يعطى منه.

(٢) راجع: الكافي٣: ٥٦٠/ كتاب الزكاة، باب من يحلّ له أن يأخذ الزكاة ومن لا يحلُّ له ومن له المال القليل. سنن الترمذي٢: ٨٠/ باب من تحلُّ له الزكاة.

(٣) معاني الأخبار: ٢٦٢/ باب معنى ما روي أنّ الصدقة لا تحلّ لغني ولا لذي مرة سوي ولا لمحترف ولا لقوي، ح١، عن أبي جعفر . سنن أبي داود١: ٣٦٩/ باب مَن يعطى من الصدقة وحدّ الغنى، ح١٦٣٤.

تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[٢]، ومَرَّ «**لِذي مِرَّةٍ**» إذا اشتدَّت قوَّته.

وروي أنّ أعرابيّاً سأل رسول الله وكان غنيّاً، فأعطاه دينارين، ثمّ قال ﷺ: «**أما إنّ جمرتين في كفّه خيرٌ منهما**»، فقال عمر: فلِمَ أعطيته يا **رسول الله**؟ قال: «**يأبى الله لي البُخل**»[٣].

٥٧٥. لَا يَهْلِكُ النَّاسُ حَتّى يُعْذَرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ[٤].

ويُروى «**لن يَهلِك الناس**»[٥]، والمعنى: أنّ الله تعالى لا يُهلكهم ولا يعذّبهم حتّى يَعذِرَهم من أنفسهم، ويجعلهم بحيث لا يبقى لهم مع الله عذرٌ كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٦].

وقال أبو عبيد: معناه حتّى تَكثر ذنوبهم[٧]، يُقال: أعَذَر الرجُل إذا كان

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤: ٣١٦. كتاب العين٨: ٢٦٢ (مرر).

(٢) سورة النجم٥٣: ٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين١: ٤٦. مسند ابن حنبل٣: ٤، عن أبي سعيد الخدري. صحيح ابن حبّان٨: ٢٠٣، عن عمر، باختلاف.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٦٢، ح٨٨٦. سنن أبي داود٢: ٣٢٥/ باب الأمر والنهي، ح٤٣٤٧. مسند ابن حنبل٤: ٢٦٠. مسند إبن الجعد: ٣٦، عن أبي البختري.

(٥) سنن أبي داود٢: ٣٢٥/ باب الأمر والنهي، ح٤٣٤٧. مسند ابن حنبل٤: ٢٦٠، عن أبي البختري.

(٦) سورة الإسراء١٧: ١٥.

(٧) الصحاح٢: ٧٣٩ (عذر). تهذيب اللغة٢: ١٨٥.

ذا عيبٍ وفساد. ومعناه يرجع إلى العذر أيضاً؛ يعني: صار بحيث مَن يعذّبه ويُهلكه يكون معذوراً[١].

وقال: أعذَرَ الرجلُ، إذا كثرت ذنوبه[٢]. وأعذَرَ في الأمر، إذا بالغَ فيه[٣]. وعَذَّرَ، إذا قصّر ولم يبالغ[٤]، والإعذار: طعام الختان، يُقال: أعذرتُ الصبيَّ وعذرته، إذا ختنته[٥]. وأعذَرتَ الفَرَس، إذا جَعلتَ العذارَ على رأسه[٦]. والمعنى الذي يعرف من ظاهر الكلام ما أشرنا إليه أوّلاً؛ فإنّ الله تعالى يُسقطه، وعَدلُه لا يعذِّب إلّا بعد الإعذار والإنذار.

٥٧٦. لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ[٧].

وذلك لأنّ استقامة الإيمان لا تكون إلّا باستقامة القلب؛ لأنّ الإيمان

(١) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٣: ١٩٧ (عذر).

(٢) جمهرة الأمثال١: ١٦٢.

(٣) الصحاح٢: ٧٤٠ (عذر).

(٤) تفسير الرازي١٦: ١٥٩

(٥) الصحاح٢: ٧٤٠. المحيط في اللغة١: ٨٤. العين٢: ٩٥ (عذر).

(٦) الصحاح٢: ٧٣٩. معجم مقاييس اللغة٤: ٢٥٥ (عذر).

(٧) مسند الشِّهاب٢: ٦٢، ح٨٨٧. مسند ابن حنبل٣: ١٩٨. الصمت وآداب اللسان: ٣٨، ح٩، عن أنس بن مالك. نهج البلاغة، قطعة من الخطبة ١٧٦.

تصديقٌ بالقلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْكُنَّا صادِقِين﴾[١]؛ أي بمصدّق، في الحكاية عن بني يعقوب[٢]، فإذا استقام قلبه في التصديق، استقام إيمانه. ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه؛ أي يوافق ما في قلبه؛ لأنّه إن أظهر بلسانه ما لم يكن في قلبه، يكن منافقاً، فاستقامة الإيمان بموافقة اللسانِ القلبَ.

وقيل: معناه: لا يستقيم قلبه في الإيمان حتّى يستقيم لسانه بالإسلام والإقرار بالشهادتين؛ فإنّ الإسلام يتعلّق باللسان والأركان، والإيمان بالقلب، فكان المعنى: لا يكون مؤمناً مسلماً حتّى يوافق قلبُه لسانَه في الإيمان، ولسانُه قلبَه في الإسلام، حتّى يكون مؤمناً مسلماً، ولا يكون منافقاً.

٥٧٧. لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ[٣].

أي: لا يكون مستكمل الإيمان ومدركاً فضيلته حتّى يريد بأخيه المؤمن ما يريده ويحبّه لنفسه؛ أي: لا يكونَ في قلبه غائلةٌ عليه ولا مكيدَة ولا خديعَة، بل يراه كنفسه، ويريد به من الخير ما يريد بنفسه، ودَفَعَ الشرّ والمكاره عنه، كما يريده مدفوعاً عن نفسه[٤].

---

(١) سورة يوسف١٢: ١٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن٦: ١١٠. تفسير الطبري١٢: ٢١٢، سورة يوسف.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٦٣، ح٨٨٨. سنن النسائي٨: ١١٥. مسند ابن حنبل٣: ٢٠٦، عن أنس بن مالك. كنز الفوائد: ١٤١.

(٤) راجع: وسائل الشيعة١٢: ٢٠٣، باب وجوب أداء حق المؤمن وجملة من حقوقه الواجبة والمندوبة.

٥٧٨. لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتّى يَعْلَمَ أَنَّ ما أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ(١).

قد مضى الكلام على مثل هذا الحديث مستوفىً، فلا وجه لإعادته. ومعناه على الجملة: أنّ العبد لا يكون مؤمناً حقّاً حتّى يؤمن بقضاء الله وقدره. وظاهر هذا الخبر لا يقتضي جبراً، ولا يحتاج إلى تأويل؛ وذلك أنّ العبد إذا أصابه شيء من قِبل الله أو قِبل غيره، وحَدَثَ ووجد ومضى وانقضى، علم أنّ ذلك كان كائناً في سابق علم الله، وما كان كذلك لم يكن ليخطئه، وكذلك الطرف الآخر، إذا أخطأه الشيء، علم أنّ ذلك ما كان ليصيبه على ما مضى القول فيه، ولو خصّصناه بفعله تعالى لا يكون فيه شبهة.

٥٧٩. لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ(٢).

يقول: العبد إنّما يكون مستكملَ الإيمان بحصول هذه الخصال

(١) مسند الشِّهاب٢: ٦٤، ح٨٩٠. السنّة لابن أبي العاصم: ١١٠، ح٢٤٦، عن أبي الدرداء. سنن الترمذي٣: ٣٠٦، ح٢٢٣١، عن جابر بن عبد الله. الكافي٢: ٥٨ / كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين، ح٤، عن زرارة وح ٧، عن صفوان الجمّال، عن الإمام الصادق ، عن الإمام عليّ ، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٦٥، ح٨٩٢. مكارم الأخلاق للخرائطي: ١٢٦، ح٣٦٠. صحيح البخاري١: ١٢. المصنّف لعبد الرزّاق١٠: ٣٨٦، ح١٩٤٣٩، عن عمّار بن ياسر، والأخيرين.

الثلاثة فيه: إحداهما النفقة مع كونه مقتراً أي فقيراً؛ يعني ينفق ما يجده ويحصل عنده ثقةً بأنّ الله يعوّضه منها.

والقَتْر والقدر التضيق[١]. والإنصاف من نفسه؛ أي: يُنصِف خصمَه مِن نفسه، ولا يحتاج إلى من يحمله على الإنصاف أو ينبّهه عليه. وبذل السلام؛ أي لا يبخل بالسلام، بل يبذله لكلّ أحدٍ، فهذه الخصال من كرائم الأخلاق.

٥٨٠. وَلَا يَسْتَكْمِلُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ[٢].

هذا الحديث حضٌّ وحَثٌّ على حِفظ اللسان؛ فإنّ به يَسلَم من الآفات العاجلة والآجلة.

وقال بعض الحكماء: لسانك سبعٌ، فإن خلّيته ولم تحفظه أكَلَكَ[٣].

فكأنّه قال: اجعل لسانك في خزانة فِيكَ. ومعناه: اسكت ولا تقل إلّا ما يَعنيك. وقال **عليٌّ**عليه السلام: «**إنّ لسانك يقتضيك ما عوّدته**»[٤]، والحكمة أن تَدَع ما يعنيك أيضاً إلى ما لا يعنيك، وقد استوفينا الكلام في مثل هذا

(١) أُنظر: مفردات الفاظ القرآن: ٦٥٥. النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٨٣ (قتر).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٦٦، ح٨٩٣. المعجم الأوسط٥: ٣٧٨. مكارم الأخلاق للخرائطي: ١٣٨، ح٤٠٥، عن أنس بن مالك. الكافي٢: ١١٤ / كتاب الإيمان والكفر، الصمت وحفظ اللسان، ح٧، عن الحلبي، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: جمهرة الأمثال١: ٥٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١٠: ١٣٧.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٤٢، ح٣١٨٢.

الحديث في مدح السكوت وحفظ اللسان، وذكرنا فيه ما فيه كفاية ومقنع إن شاء الله.

٥٨١. لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ[١].

يمكن أن تُحمَل هذه اللفظة ـ أعني: «**لَا يَرْحَمُ**» ـ على الخبر والدعاء، والأولى حمله على الخبر، ومثله قولهﷺ: «**ارحمْ مَن في الأرض يرحَمْك مَن في السماء**»[٢]. وقالﷺ: «**ارحم تُرحَم**»[٣]. وقال: «**مَن رَحم ولو على ذبيحته، رحمه الله يوم القيامة**»[٤].

فمعنى الحديث: التهديد والوعيد والإقناط من رحمة الله لمن لم يكن في قلبه رحمة، وذلك من علامات الشقاوة لقولهﷺ: «**ما نزَعَتِ الرَّحمةُ إلَّا مِن شقيٍّ**»[٥]. وعلامته انتفاء محبّة الله له لقولهﷺ: «**إنّ الله يحبّ الرُّحماء من أُمّتي**»[٦].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٦٦، ح٨٩٤. صحيح البخاري٨: ١٦٥. مسند ابن حنبل٤: ٣٥٨. الآحاد والمثاني٤: ٤٧٢، ح٢٥٢٧، عن جرير بن عبد الله.

(٢) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٧٩، ح٥٨٠٦. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٤٨، عن عبدالله بن مسعود. المعجم الأوسط٩: ٢٣، عن عبدالله بن عمرو.

(٣) مسند ابن حنبل٢: ٦٥. الأدب المفرد: ٨٨، ح٣٨٥، عن عبدالله بن عمرو باختلاف يسير. الأمالي للصدوق: ٢٠٩، عن الإمام عليّ.

(٤) الأدب المفرد: ٨٨، ح٣٨٦. المعجم الكبير٨: ٢٣٤. شعب الإيمان٧: ٤٨٢/ باب في رحم الصغير وتوقير الكبير، ح١١٠٧٠، عن أبي أمامة.

(٥) المستدرك على الصحيحين٤: ٢٤٨. مسند ابن راهويه١: ٣٠٤، ح٢٨٣. مسند أبي يعلى١٢: ٧، ح٦٦٥٢، عن أبي هريرة.

(٦) لم نعثر عليه.

وقال بعض أهل العصر:

سَلَّمتُ تسليمَ ذي عَهدٍ على غُنجٍ[1] فلـم يَـرُدَّ ولـم يَرفَـع بـيَ الرأسـا
فقلـتُ قـولَ حـزينٍ قلبُـه أسِـفٌ لا يَـرحمُ الله مَـن لا يَـرحم النـاس

٥٨٢. لَا يَشْبَعُ الْمُؤْمِنُ دُونَ جَارِهِ[2]. لَا يَشْبَعُ عَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ[3].

الحديث محتمل أيضاً للوجهين: الخبر والنهي، فمن أراد الخبر رفع العين، ومَن أراد النهي كسرها، والخبر أبلغ في المعنى، ومعناه: من حقّ المؤمن أن لا يَشبع دون جاره. يعني: لو فَعل ذلك لَقَدح في إيمانه، وذلك على سبيل المبالغة، ولقد أحسنَ من قال:

وحَسبُك داءً أن تَبيتَ ببِطنةٍ وحـولَك أكبادٌ تحِنُّ إلى القَدِّ[4]

---

(١) الغُنج: التكسُّر والتدلُّل، فيقال: غَنِجَتِ الجارية. جمهرة اللغة ١: ٤٨٧ (غنج).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٦٧، ح٨٩٥. مسند ابن حنبل١: ٥٤. المستدرك على الصحيحين٤: ١٦٧، عن عمر بن الخطّاب. الأدب المفرد: ٣٥/ باب لا يشبع دون جاره، ح١١٢، عن ابن عبّاس باختلاف.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٦٨، ح٨٩٧، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) نهج البلاغة/ الكتاب٤٥، من كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها، وقالﷺ قبل قوله هذا: «**هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلَّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرَّى، أو أكون كما قال القائل: وحسبك داءً ...**» والبيت لحاتم بن عبدالله الطائي.

وقال آخر:

أموتُ مِن الضرِّ في منزلي وغـيري يموت من الكِظَّة[١]

فأمّا العلم فمَن كان منهوماً به لا يشبع منه؛ لأنّه إذا وقف على حقيقة بعض الأشياء، يجد مِن نفسه حلاوةً وبرد يقين، لا توازيه راحةٌ ولا لذّة، فهو إذاً لا يشبع منه، يَطلب ويسمع ويحفظ ويعي ويزداد علماً إلى علمه ويقيناً إلى يقينه، حتّى يأتيه أمر الله، فيجده على أحسن الحالات، فلابدّ أن يُختم له بالخير، يَنتهي به إلى الجنّة، جَعلَنا الله ممّن ينفعه علمه، ويشفع علمه فيه، بمنّه وفضله.

٥٨٣. لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيا إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا النّاسُ إِلَّا شُحّاً، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلى شِرارِ النَّاسِ[٢].

معنى هذا الحديث التهديد والوعيد والإعذار والإنذار، وأنّ أمر الدُّنيا وأمر الناس في الدُّنيا لا يزداد كُلَّ يومٍ إلّا شدّةً، وذلك لأنّ الأخير شرّ، و«**الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم**»[٣]، والدنيا على سرعة في الزوال

---

(١) تفسير الثعلبي٣: ١٩٠. تفسير القرطبي٤: ٢٤٨.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٦٨، قطعة من ح٨٩٨. سنن ابن ماجة٢: ١٣٤٠، ح٤٠٣٩. المستدرك على الصحيحين٤: ٤٤٠، عن أنس بن مالك. المعجم الكبير٨: ١٨٢، عن أبي أمامة باختلاف يسير.

(٣) خصائص الأئمة: ١١٥. المناقب للخوارزمي: ٣٧٥، عن الجاحظ، عن الإمام عليٍّ . عيون الحكم والمواعظ: ٦٦، ح١٦٧٤.

والانتقال، والمرور والكرور، في معاقبة الحزن والسرور، ولم تكن في أوّل الأمر مُقبلةً حتّى يكون في آخره مدبرةً، وما قيل فيها وفي أحوالها لا يُحاط به.

وقال عليّ عليه السلام: «**إيّاك وأن تخدع بالدنيا؛ فإنّها تَضُرُّ وتغُرُّ وتمرُّ**»[١]. وقد مضى الكلام في هذا المعنى مستوفىً.

«**ولا الناس إلّا شحّاً**»، والشحُّ: البُخل مع الحرص[٢]، يَبخَل بما عنده، ويَحرص على طلب ما ليس عنده. «**ولا تَقوم الساعة إلّا على شرار الناس**»؛ إخبارٌ عن غيبٍ بإعلام الله ووحيه؛ فـ«**إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ**»[٣]، فكلّما كان أبعدَ كان أغرب، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**فالويلُ لمن أدركتْه الساعةُ حيّاً لم يَمُت**»[٤]؛ لما علم الله منهم ممّا كانوا عليه؛ فإنّ العلم يتبع المعلوم على ما هو، ولا يجعله على ما هو عليه، أعاذنا الله من فتنة آخر الزمان.

---

(١) نهج البلاغة/ الحكمة ٤١٥ هكذا: وقال عليه السلام في صفة الدنيا: «**الدنيا تغرُّ وتضرُّ وتمرُّ**».

(٢) معجم مقاييس اللغة٣: ١٧٨. النهاية٢: ٤٤٨ (شح).

(٣) كمال الدين وتمام النعمة١: ٢٠١، ح٤٧، عن عليّ بن أبي طالب . صحيح مسلم١: ٩٠، عن أبي عمر. سنن الترمذي٤: ١٢٩/باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ح٢٧٦٤، عن عبدالله بن مسعود.

(٤) مسند الشِّهاب١: ٢٠٧، ح٣١٣. الفردوس٢: ٣٦٥، ح٣٦٣٠، عن عبدالله بن جراد.

٥٨٤.لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ[١].

قال الشيخ أبو القاسم ابن إبراهيم الورّاق الدربندي[٢]، وهو من أحد أئمّة أصحاب الحديث ورأسٌ مِن رؤوس أصحاب السنّة والجماعة: لا أدري كيف ذهب على القضاعي ضعف هذا الحديث؟! مع الأخبار المتواترة من طرقٍ شتّى بأنّ **النبيّ**ﷺ قال: «**المهديّ من عترتي، المهديُّ مِن ولد فاطمة**»[٣]، «**المهديُّ من ولد الحسين** »[٤]، وأنّه يخرج في آخر الزمان ويعلو شأنُه. وقد أورد أبو داود في سننه عن أُمّ سلمة رضي الله عنها: «**أنّ المهديَّ من ولد فاطمة**»[٥]، قالﷺ: «**لو لم يَبقَ مِن الدُّنيا إلّا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يَخرج رجلٌ من ولدي، يواطئ اسمُه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جوراً وظلماً**»[٦].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٦٨، قطعة من ح٨٩٨. المستدرك على الصحيحين٤: ٤٤٠، عن أنس بن مالك.

(٢) هو صاحب شرح شهاب الأخبار. أُنظر: الذخائر الشرقيه لكوركيس عواد ٤: ٨٦ الرقم ٩٧. وقال له ابوالقاسم بن إبراهيم الوراق البابي: باب الأبواب، ويقال له (باب) غير مضاف وهو الدربند في شروان.

وفي كشف الظنون قال له (العابي). أُنظر: كشف الظنون ٢: ١٠٦٧.

(٣) الغيبة للطوسي: ١٨٠. شرح الأخبار٣: ٣٩٥، ح١٢٧٤. سنن أبي داود٢: ٣١٠/ كتاب المهديّ، ح٤٢٨٤، عن أمّ سلمة.

(٤) أُنظر: الغيبة للطوسي: ١٨٨. الإمامة والتبصرة: ١١٠/ باب أنَّ المهديَّ مِن ولد **الحسين** .

(٥) سنن أبي داود٢: ٣١٠/ كتاب المهديّ، ح٤٢٨٤.

(٦) سنن أبي داود٢: ٣٠٩/ كتاب المهديّ، ح٤٢٨٤. كمال الدين وتمام النعمة١: ٢٨٠، ح٢٧. إعلام الورى: ٣٩١، عن عبدالله، باختلاف يسير.

قال الشيخ؛ أعني الدربندي: روى أبو سعيد الخدري أنّ **النبيّ** ﷺ قال: **«المهديُّ منّي أجلَى الجبهة، أقنى الأنف»**[1]. وعن أمّ سلمة في قصّة **المهديِّ أنّ النبيّ** ﷺ قال: **«ويَعمل [في] الناس بسنّتي، ويُلقي الإسلامُ بجِرانه إلى الأرض، فيلبث سبعَ سنين، ثمّ يُتوفّى ويُصلِّي المسلمون عليه»**[2].

وظاهر الحديث يدلّ على فساد معناه، وأنّه إمّا موضوعٌ أو ضعيف الإسناد؛ وذلك لأنّ «لا» لنفي الجنس، وإذا نفى الهداية عمّن سواه، فيلزم عليه أنّه لا مهديَّ في الأنبياء والأوصياء والأولياء إلّا هو .

ثمّ إنّ المهديَّ بمنزلة العَلَم على هذا الشخص، ولا تدخل «**لا**» هذه على المعارف والأعلام، لا يقال: لا زيد إلّا فلان، لأنّ هذا لا يفيد معنى[3].

وسئل ﷺ عن وصف المهديِّ، فقال: **«اللَّون لونٌ عربيٌّ، والشخص شخصٌ إسرائيليّ، على خدّه الأيمن خالٌ كأنّه كوكبٌ دُرّيٌّ»**[4].

ولو قصدتُ إلى إيراد الأخبار الواردة في ذكر المهديّ وأنّه مِن ولد رسول الله ومن ولد فاطمة ومن ولد الحسين عليه السلام، لم يَسَعْ هذا الكتابُ ذكرَه، فاقتصرنا على هذا القدر، والله الموفّق للصواب.

---

(١) سنن أبي داود٢: ٣١٠/ كتاب المهديِّ، ح٤٢٨٥. المعجم الأوسط٩: ١٧٦. الغيبة للنعماني: ٢١٤، ح٢، عن أبي وائل، عن **أمير المؤمنين** .

(٢) سنن أبي داود٢: ٣١٠/ كتاب المهديِّ، ح٤٢٨٦. أُنظر: الأمالي للطوسي: ٥١٢، ح١١٢١.

(٣) أُنظر: مغني اللبيب١: ٢٣٧.

(٤) دلائل الإمامة: ٤٤١، ح٤١٣. كشف الغمة في معرفة الأئمّة٢: ٤٨٦. الفردوس٤: ٢٢١، ح٦٦٦٧ ، عن حذيفة بن اليمان، باختلاف.

٥٨٥. لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ[١].

هذا الخبر على معنى ما تقدّم ذكره من شرارة أهل آخر الزمان، ومعناه الأخير شرّ؛ أي: كلّ ما كان أبلغ في كونه أخيراً، كان آكد في كونه شرّاً.

٥٨٦. لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى يَقِلَّ الرِّجَالُ وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ[٢].

وهذه أيضاً علامة من علامات آخر الزمان، وهي من فساد الزمان؛ فإنَّ قلَّة الرجال كاملي العقول الخيّرين وكثرة النساء الناقصات العقول لا تكون من علامات الخير؛ فإنّ النساء شرٌّ كلّهن[٣].

٥٨٧. لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٤].

يقول: مَن ستر عارياً، وألبسه لباساً، وكساه ثوباً، ستره الله تعالى يوم القيامة، يوم يَعرَى الخلائق؛ جزاءً على فعله بمثل ما فعله. وقد راعَى المطابقةَ

(١) مسند الشِّهاب٢: ٧١، ح٩٠٣. صحيح البخاري٨: ٨٩. مسند ابن حنبل٣: ١٧٩. صحيح ابن حبّان١٣: ٢٨٢، عن أنس بن مالك.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٧٢، ح٩٠٤، عن أبي هريرة. صحيح البخاري٦: ١٥٨. مسند ابن حنبل٣: ٩٨. مسند الطيالسي: ٢٦٦، عن أنس بن مالك.

(٣) قال الإمام عليّ عليه السلام: **«المرأة شرّ، وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها»**. نهج البلاغة/ الحكمة ٢٣٨.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٧٢، ح٩٠٥. صحيح مسلم٨: ٢١. مسند ابن حنبل٢: ٣٨٨. المستدرك على الصحيحين٤: ٣٨٤، عن أبي هريرة.

في هذا الحديث بين الجزاء والمَجزيِّ عليه، ومَن فَسَّرَ الخبر على ستر الذنوب والعيب في الدُّنيا والآخرة من الله ومن العبد[1] فقد أبعَدَ؛ لأنّه لو أراد ذلك، لقال: لا يَستر عبد على عبد في الدُّنيا إلّا ستر الله عليه يوم القيامة.

٥٨٨. لَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ الَّذِي تَرى لَهُ[2].

المصاحبة[3] في المماثلة كالأُخوّة، لا تكون أخا زيد إلّا إذا كان زيدٌ أخاك، ولا تنعقد من أحد الطرفين، وكذلك المصاحبة لا تكون صاحبه حتّى يكون صاحبك، ويرى لك من الحقّ مثل الذي ترى له.

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يَبذُل مِن الوُدّ مثلَ ما ... بَذلتُ له فاعلم بأنّي مفارِقه

فإن شئتَ فارفضْه فلا خيرَ عنده ... وإن شئت فاجعله صَديقاً تُماذِقه[4]

وقال آخر:

ولستُ بهيّابٍ لمن لا يَهابني ... ولستُ أرى للمرء ما لا يرى لِيا

(١) أُنظر: صحيح مسلم٨: ٢١/ باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة. شعب الإيمان٧: ١٠٥/ باب في الستر على أصحاب القروف، ح٩٦٥٢.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٧٣، ح٩٠٧، عن سهل بن سعد.

(٣) أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٥ (صحب).

(٤) الصداقة والصديق: ١٣٥. الأغاني١: ٢٧٨، وفيه البيت الأوّل ونسب فيه إلى الأصمعي. والمماذِق: غير المخلص في الودّ. القاموس المحيط ٣: ٣٨٢ (مذق).

إذا المــرءُ لــم يُحبِبــك إلّا تكرُّهــاً   عراض العَلوق[١] لـم يكـن ذاك باقيـا[٢]

٥٨٩. لَا تَذْهَبُ حَبِيبَتَا عَبْدٍ فَيَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ[٣].

أراد بحبيبته عينيه، ويروى فيصبر ويحتسب بالرفع والنصب، والرفع على الاستئناف والتقدير وهو يصبر ويحتسب بالرفع والنصب على جواب النفي بالفاء؛ أي: لا يُذهِب الله عينَي عبدٍ ليصبر ويحتسب ـ يعني يفعل الله تعالى به هذا امتحاناً لصبره واحتسابه ـ فيَصبر عليه ويَحتسب الأجر من الله إلّا دخل الجنّة.

وروي أنّ ابن [أُمّ] مكتوم وَلَدتْه أُمُّه أكمَهَ، وكان من أصحاب رسول الله فقال ذات يوم: إنّي أشتهي أن أرى من الدُّنيا شيئين، أحدهما صورتك ـ فإنّه يُقال: أنت أحسن الناس وجهاً ـ وأتبرّك بلقاءك، والثاني: أرى الماء كيف يجري على الأرض، فقال ﷺ: «**أيّ شيءٍ تريد؟ تريد أن أدعو الله ليردّ عليك عينيك؟ أم تبقى كذلك ويكون لك في القيامة من الشفاعة كذا وكذا؟**» قال: لا، بل أُريد كرامة الآخرة.

---

(١) العَلوق: المرأة التي لا تحبُّ غير زوجها. كتاب العين ١: ١٦١ (علق).

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٠١. شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٥٨. سمط اللآلي ١: ٨١٠، ونسب فيه إلى أبي بن الحمام.

(٣) مسند الشِّهاب ٢: ٧٤، ح ٩٠٨. صحيح ابن حبّان ٧: ١٩٥، عن أبي هريرة، باختلاف يسير.

وممّن جاء في الأخبار أنّه كفَّ أبصارَهم من الأنبياء والصحابة والعلماء الأخيار؛ [من الأنبياء:] يعقوب **النبيّ**ﷺ وشعيب **النبيّ**ﷺ، ومن الصحابة: العبّاس بن عبد المطّلب وابنه عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر ـ قيل: كان يشرب عينيه الماء في الوضوء فكفَّ بَصَرَهُ ـ وعبدالله بن زيد، وأبو قحافة أبو بكر، وأبو سفيان بن الحارث ـ ذهبت عنه يوم الطائف ـ وجابر بن عبدالله، والحكم بن أبي العاص، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث، وابن أُمّ مكتوم، وعمّه عبدالله بن أرقم، وحسّان بن ثابت، وعبدالله بن أبي أوفى، ومطعم بن عديٍّ، وقتادة بن النعمان، وأبو سفيان صخر بن حرب، وعقيل بن أبي طالب، والمغيرة بن شعبة، وسعد بن أبي وقّاص، وعليّ بن زيد بن جُدعانَ، وأبو هلال الراسبي، وأحنف بن قيس، وسعيد بن عثمان بن عفّان، وعتبة بن أبي سفيان، وطلحة الطلحات، وقبيصة بن ذؤيب، وعمرو بن مَعدي كرب، والمُهلَّب بن أبي صُفرَةَ[١]، وأبو معاوية بن الأسود، وقيل: إنّه قال: يا ربِّ، قد عَرفتَ محبّتي للنظر في القرآن، فحلّت بيني وبينه، فكان إذا أخذ المصحف أبصر ما فيه فإذا وضع عاد إلى عادته[٢]!

قال الشاعر:

يا مَن تشتكي ألَمَ العين حاشا لِعَينَيك من العينِ

---

(١) أُنظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٥٦٥. كتاب المحبر: ٢٦١، من فقئت عينه من الأشراف في الحرب.

(٢) سير أعلام النبلاء٩: ٧٨.

عــينٌ مــن الــدهر أصــابتهما ... مـا أسـرعَ العـينَ إلـى العـين[١]

٥٩٠. لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَراً لِمَا بِهِ الْبَأْسُ[٢].

يقول: لا يُدرِك العبدُ درجةَ المتّقين حتّى يَترك كثيراً من المباح الحلال؛ خوفاً من أن يقع في الحرام أو المكروه. وكنّى عن المباح بما لا بأس به، وعن الحرام بما به البأس، والبأس أصله الشدّة في اللغة[٣]، وفي الشرع كناية عن الحرام والمكروه، ونفيه كناية عن الحلال والمباح، وقد بالغَ بهذا الحديث في هذا المعنى، وأنّ العبد لا ينال التقوى إلّا بهذا، أعاننا الله على تقواه بمنّه وفضله.

٥٩١. لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللّٰهِ[٤].

قيل: أراد بهذه الطائفة الطائفةَ المحقَّة التي تَزعَم كُلُّ طائفةٍ أنّها هي،

---

(١) أحسن ما سمعت: ٧٦، والبيتين لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٧٤، ح٩٠٩. سنن الترمذي٤: ٥١، ح٢٥٦٨. سنن ابن ماجة٢: ١٤٠٩/ باب الورع والتقوى، ح٤٢١٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٧٦، ح٤٨٤، عن عطيّة السعدي.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ١٥٣ (بؤس).

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٧٦، ح٩١٣. سنن الترمذي٣: ٣٤٢، ح٢٣٣٠. الآحاد والمثاني١: ٣٣٣، قطعة من ح٤٥٦، عن ثوبان. مسند ابن حنبل٤: ٤٢٩، عن عمران بن حصين، والثلاثة الأخيرة باختلاف يسير.

وقيل: أراد أهلَ العلم[١]. وقال ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كلّ خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الضالّين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين**»[٢].

وقيل: من كان من العلم محروماً، لم يكن من الزَّلَل معصوماً؛ لأنّ العلم دعاية الإسلام[٣]، والعلماء مصابيح الأنام.

وقال الشاعر:

مصابيحُ الأنام بكلِّ أرضٍ ... هم العلماء أبناء الكرامُ

فلولا عِلمُهم في كلِّ نادٍ ... كنور البدر مِن خِلل الغمام

لكان الدِّينُ يَدرُس بَعدَ حينٍ ... كما دَرَسَ الرُّسومُ مِن الرِّهام[٤]

---

(١) أُنظر: صحيح البخاري٨: ١٤٩.

(٢) سنن البيهقي١٠: ٢٠٩/ باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. كمال الدين وتمام النعمة١: ٢٢١/ باب اتّصال الوصيّة من لدن آدم وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله عَزَّ وَجَلَّ على خلقه إلى يوم القيامة، ح٧ وفيه: عن أبي الحسن الليثي قال: حدّثني جعفر ، عن محمّد ، عن آبائه عليهم السلام أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ في كلّ خلف من أمّتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وإنّ أئمَّتكم قادتكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم**». الكافي١: ٣٢/ كتاب العقل والجهل، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، قطعة من ح٢، عن أبي البختري، عن أبي عبدالله، وفيه: «**إنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**».

(٣) دعاية الإسلام: دعوته. لسان العرب ١٤: ٢٥٨ (دعو).

(٤) روضة الواعظين: ١٣. الرِّهام: جمع الرِّهمة؛ أي الدفعة الليّنة من المطر: جمهرة اللغة ٢: ٨٠٤ (رهم).

٥٩٢. لَا تَزَالُ نَفْسُ الرَّجُلِ مُعَلَّقَةً بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ[١].

ما زالَ ولم يَزَل ولا يزال كلّها من أخوات كان، يَعمل عمله، ترفع الاسم، وينصب الخبر. ومعناه: «**لا يخلو منه**»، تقول: ما زال زيدٌ كريماً؛ أي: لم يأتِ عليه وقتٌ من الأوقات الماضية إلّا وكان فيه كريماً، ولا يزال كريماً؛ أي: لا يأتي عليه وقتٌ من الأوقات المستقبلة إلّا ويكون فيه كريماً.

يقول: الرجُل إذا مات وعليه دَينٌ، فلا تزال نفسه وروحه معلَّقة بذلك الدَّين، حتّى يُقضى عنه. يحذِّر الناسَ أن يموتوا وعليهم دَينٌ لا وفاء له. والنهي في الحقيقة عن الاستدانة، إلّا لمن كان له شيء يرجع إليه في قضائه، وإلاّ فهو مكروهٌ غاية الكراهة، وربّما بلغ حَدّ الحظر[٢].

وفي الحديث: «**مَن استدان وفي عزمه أن لا يقضي فهو سارق، ومَن نكح**

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٧٧، ح٩١٥. سنن الترمذي٢: ٢٧٠، ح١٠٨٤. سنن ابن ماجة٢: ٨٠٦/ باب التشديد في الدين، ح٢٤١٣، باختلاف يسير. مسند ابن حنبل٢: ٥٠٨، عن أبي هريرة.

(٢) راجع: وسائل الشيعة١٨: ٣٢٧/ باب وجوب نيّة قضاء الدين مع العجز عن القضاء، و٢١: ٢٦٦/ كتاب النكاح، باب وجوب أداء المهر ونيَّة أدائه مع العجز.

امرأةً وفي عزمه أن لا يوفيها صداقها فهو زانٍ»[(١)][(٢)].

٥٩٣. لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ[(٣)].

وذلك لأنّ المنتظر لدخول وقت الشيء لا يكون كذلك إلّا وهو عازمٌ عليه، والعزم على الطاعة طاعة، وعلى المعصية معصية، ولذلك قلنا: إنّ الرجُل إذا لم يصلِّ في أوّل الوقت وفي عزمه أن يصلّي، فالعزم يخرجه عن الإثم والجرح؛ وذلك لأنّ الواجب على ضربين: مضيَّقٌ وموسَّعٌ، فالمضيّق ما لا عوض له ويقوم مقامه، كالنظر والمعرفة، والموسّع ما له بدلٌ يقوم مقامه، كالكفّارات الثلاث، فإنّ كلّ واحدةٍ منها تقوم مقام الأُخرى، وكذلك الصلاة، لما اتّسع وقته، فإذا لم يأتِ بها في أوّل الوقت، وكان في عزمه أن يُصلّيها في الوقت، لا يستحقّ العقاب؛ لأنّه ترك الواجب إلى بدلٍ

---

(١) المعجم الأوسط٦: ٢١٠، عن ميمون الكردي. شعب الإيمان٤: ٤٠٢/ فصل في التسديد في الدين، ح٥٥٤٩، عن صهيب، باختلاف.

(٢) قال **الإمام الصادق**ﷺ: «**من استدان ديناً فلم ينو قضاه كان بمنزلة السارق**». الكافي٥: ٩٩/ كتاب المعيشة، باب الرجل يأخذ الدين وهو لا ينوي قضاءه، ح٢. وعنه : «**من تزوج المرأة، ولا يجعل في نفسه أن يعطيها مهرها، فهو زنى**» الكافي٥: ٣٨٣/ كتاب النكاح، باب من يمهر المهر ولا ينوي قضاه، ح٢.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٧٧، ح٩١٦. الدعاء للطبراني: ٧٣، قطعة من ح١٨٦. مسند الطيالسي٤: ١١٨، قطعة من ح٢٤٨٤، عن أبي هريرة. مسند البزار٩: ٨١، ح٣٦١٣، عن عمران بن حصين.

منه، وإذا تركها وترك العزم عليها استحقّ الذمَّ؛ لأنّه تركها وترك بدلها، كتارك الكفّارات بأجمعها.

والحديث متناول لمَن انتظر دخول وقت الصلاة قبل دخول الوقت، فيكون مستعدّاً لها، مستعجلاً لدخول وقتها، عازماً عليها، معلّق القلب بها، فثوابه كثواب المُصلّي؛ للعزم الذي أشرنا إليه. و«ما» في الحديث للأمد، أي ما دام منتظراً للصلاة، وهو في تقدير المصدر أي مدّة انتظاره للصلاة.

٥٩٤. لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيُعَافِيَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيَكَ[١].

الشَّماتة: المسرّة بمساءة الغير ومضرّته[٢]. قال الله تعالى[٣]: ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾[٤].

يعني: إذا أصابت أخاك مصيبة، أو نابَتْه نائبةٌ، أو حدثت به حادثة، فلا تَشمتنّ به؛ فإنّ الله يعافيه ويبتليك بمثل ما ابتلاه به، فتقع في مثل ما كان واقعاً فيه، فيشمت بك. هذا في العاجل؛ وأمّا في الآجل فتستحقّ العقاب العظيم إن لم تتب[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٧٧، ح٩١٧. سنن الترمذي٤: ٧١، ح٢٦٢١. المعجم الأوسط٤: ١١٠. الأمالي للمفيد: ٢٦٩، ح٤، عن واثلة بن الأسقع.

(٢) أُنظر: معجم مقاييس اللغة ٣: ٢١٠. النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٩٩ (شمت).

(٣) من هنا سقط من نسخة (ج) عدة اوراق.

(٤) سورة الأعراف٧: ١٥٠.

(٥) أُنظر: وسائل الشيعة٣: ٢٦٦/ كتاب الطهارة، باب تحريم إظهار الشماتة بالمؤمن.

٥٩٥. لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ[١].

ذَكَرَ قومٌ في تأويل هذا الحديث أنّ المراد: لا تسبّوا الدهر؛ فإنّ الله مصرِّف الدهر ومقلّبه، ولا فِعلَ للدهر بحال، فحَذَفَ المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه على عادتهم المعروفة في ذلك[٢]. والوجه المعتمد في الحديث: أنّ الملحدين ومَن نفى الصانع منهم، نسبوا أفعال الله تعالى المختصّة به ـ من الموت والحياة والصحّة والمرض والغنى والفقر والخصب والجدب ـ إلى الدهر، وقالوا: «**هذه كلّها أفعال الدهر!**»؛ جهلاً منهم بالصانع جلّ جلاله، وذَمُّوا الدهر وسَبُّوه من حيث اعتقدوا أنّ هذه الأفعال صادرة منها، فنهاهم **النبيّ** وقال: لا تسبّوا مَن فعل بكم هذه الأفعال ممّن تعتقدون أنّه الدّهر؛ فإنّ الله تعالى هو الفاعل لهذه الأفعال، و إنّما قال: «**فإنّ الله هو الدهر**» من حيث إنّهم نسبوا أفعال الله إلى الدهر؛ أي: من جعلتموه دهراً باعتقادكم الفاسد.

وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾[٣].

وذَكَرَ ذلك شعراؤهم في أشعارهم فقال عمرو بن قمئة:

رَمَتْني بناتُ الدهر مِن حيثُ لا أرى فكيف بمن يُرمى وليس برام

(١) مسند الشِّهاب٢: ٧٩، ح٩٢٠، عن أبي قتادة. صحيح مسلم٧: ٤٥. مسند ابن حنبل٢: ٣٩٥، عن أبي هريرة. الأمالي للسيّد المرتضى١: ٣٤.

(٢) أُنظر: الخصائص لابن جني٣: ١١٥.

(٣) سورة الجاثية٤٥: ٢٤.

فلــو أنّهــا نُبُــلٌ إذاً لَاتَّقيتُهـــا ولكنّنـــي أرمــي بغيــر ســهامِ
إذا ما رآني الناسُ قالوا ألم تَكُن حديثاً حديدَ الطرفِ غيرَ كَهام[١]
وأفنى وما أفنى من الدهر ليلةً ولم يُغنِ ما أفنيتُ سِلكَ نِظام
وأهلكنـــي تأميـــل يــومٍ وليلـــةٍ وتأميـل عـامٍ بعـد ذاك وعـامِ[٢]

وقال الأصمعي: ذمّ أعرابيٌّ رجلاً فقال: هو أكثر ذنوباً من الدهر[٣].

وقال آخر:

حَنَتْني حانياتُ الدهر حتّى كــأنّي خاتِــل أدنــو لصـيدٍ
قصير الخَطو يحسَبُ مَن رآني ولســتُ مقيَّــداً أنّــي بقيــد[٤]

ولآخر:

وكنتُ كذي رِجلَين رِجل صحيحة ورِجل رمى فيه الزمان فشَلَّت[٥]

ولآخر:

فاســتأثَر الــدهرُ الغــداةَ بهــم والـــدهرُ يَرمينـــي ولا أرمـــي

---

(١) كَهُمَ الرجُلُ فهو كَهام: بطؤ عن النصرة والحرب. وسيف كهام: لا يقطع. ورجل كهام: ثقيل دَثور لاغناء عنده. وفرس كهام: بطيء عن الغاية. المحكم والمحيط الأعظم ٤: ١٤٧ (كهم).

(٢) أمالي المرتضى١: ٣٥. الأغاني١٨: ٣٥٠. التذكرة الحمدونيّة٦: ١١.

(٣) أمالي المرتضى١: ٤٦. مجمع البيان٩: ١٣١، سورة الجاثية.

(٤) المعمرون والوصايا: ٢٤٨. العمر والشيب: ٧٢. الغيبة للطوسي: ١١٩، والبيتين لأبي الطمحان القيني.

(٥) مجاز القرآن١: ٨٧. المقتضب٤: ٢٩١. أمالي المرتضى١: ٣٦، والبيتين لكثير.

يـا دهـرُ قـد أكثـرتَ فَجْعَتَنـا بِسَـراتِنا[١] ووَقَـرتَ فـي العَظـم[٢]

قولـه: وقـرتَ فـي العظـم؛ أي اتّخـذتَ فيـه وَقْـرَةً أو وَقيـرةً وهـي حَفيـرة يَستنقع[٣] المـاءُ فيهـا[٤]، وتقـول: دهـر وذو دهـر دهـارير[٥]. قـال: والـدهرُ أيّتَما حالٍ دَهاريرُ[٦].

٥٩٦. لَا تَسُبُّوا السُّلْطَانَ؛ فَإِنَّهُ فَيْءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ[٧].

أراد بالسـلطان الإمـامَ العـادل، والسـلطان الحجّـة[٨] لتسـلّطه علـى الباطـل،

---

(١) سَريُّ المال وسَراتُه: خياره، وسَراة الطريق: وسطه ومعظمه. والسَّريُّ: الرئيس. المصباح المنير١: ٢٧٥ (سري).

(٢) غريب الحديث لابن سلّام٢: ١٤٦. أمالي المرتضى١: ٣٦. روي أنّ الشعبي دخل على عبـد الملـك بـن مـروان وقـد ضـعف، فسـأله عـن حالـه، فأنشـده هـذه الأبيـات، تفسـير الثعلبي٨: ٣٦٥.

(٣) يَستنقع فيه الماء: يَجتمع. النهاية في غريب الحديث والأثر٥: ١٠٨ (نقع).

(٤) أُنظر: الصحاح٢: ٨٨٤. المحيط في اللغة٦: ١٣ (وقر). الأمالي للسيّد المرتضى١: ٤٦.

(٥) قولهم: دَهرٌ دَهارير؛ أي شديد، كقولهم: ليلةٌ لَيلاء. الصحاح٢: ٦٦١ (دهر).

(٦) البيت الكامل: حتّى كأنْ لم يكن إلّا تذكُّرُه... والدهر أيّتَما حالٍ دهارير. المحاسن والمساوئ١: ١٥٠. الصحاح٢: ٦٦١ (دهر).

(٧) مسند الشِّهاب٢: ٧٩، ح٩٢٢. الضعفاء الكبير للعقيلي٣: ٦٠، عن أبي عبيدة بن الجرّاح. معرفة الصحابة لأبي نعيم١: ١٥٤، ح٦٠١، عن عمر بن الخطّاب.

(٨) أُنظر: كتاب العين٧: ٢١٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٤٢٠ (سلط).

ولذلك قال: «**فَيءُ الله**» أي ظلّ الله، والفيء: الظلُّ بعد الزوال، مِن فاءَ إذا رجع[١]، وقيل: الظلّ: كلُّ ما لا يزول ولا تأتي عليه الشمس فيكون مستداماً الفيء ما أتت عليه الشمس، ثمّ تزول عنه، فتفيء؛ أي: ترجع إلى ما كانت عليه[٢].

قال:

فلا الظلّ مِن بَرد الضحى نستطيعه ولا الفيء من برد العشيّ نذوقُ[٣]

وقال ﷺ: «**السلطان عذاب الله أو عقابه، فلا تستقبلوا عذاب الله بالسيف، ولكن استقبلوه بالدعاء؛ فإن أحسن فله الأجر وعليكم الشكر، وإن أساء فله الإصر وعليكم الصبر**»[٤].

وفي حديثٍ آخر: «**السلطان ظِلُّ الله في الأرض، يَأوي إليه كُلُّ مظلومٍ**»[٥]؛ أي يستغيث به. كما أنّ الناس يستروحون إلى الظلِّ، وهذا لا يليق

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٨٢ (فيأ).

(٢) أُنظر: الفروق في اللغة: ٣٠٤/ الفرق بين الظلّ والفيء. مفردات ألفاظ القرآن: ٥٣٥ (ظلل).

(٣) غريب الحديث للخَطّابي١: ١٨٥. الأزمنة والأمكنة: ٢٨. تاريخ مدينة دمشق٤٨: ٢٨٨، والبيتين لحميد بن ثور الهلالي.

(٤) الأمالي للطوسي: ٦٣٤، ح١٣٠٧، عن عليٍ. شعب الإيمان٦: ١٥/فصل في فضل الإمام العادل وما جاء في جور الولاة، ح٧٣٦٩، عن ابن عمر، عنه . مشكاة الأنوار: ٣١٧، عن عبدالله بن سنان، عن الإمام الصادق.

(٥) الأمالي للطوسي: ٦٣٤، ح١٣٠٧، عن عليّ. شعب الإيمان٦: ١٥/فصل في فضل الإمام العادل وما جاء في جور الولاة، ح٧٣٦٨، عن عبدالله بن مسعود، عنه ، باختلاف.

إلّا بالسلطان العادل؛ فإنّ المظلوم إذا آوى إلى الظالم، واستغاث به، كان كمَن قال:

وكنّا نستطبُّ إذا مرضنا فصار سَقامنا بيد الطبيب

وكيف نُجيز غُصَّتَنا بشيءٍ ونحنُ نَغَصُّ بالماء الشروب[1]

وقيل في المَثَل: لا تَنقُشِ الشَّوكةَ بالشوكة؛ فإنّ ضَلعَها معها[2][3].

٥٩٧. لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ[4]. لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلى مَا قَدَّمُوا[5].

السبّ: الشتم، يُقال: سَبَّهُ يَسُبُّه سَبّاً، والسِّباب: المَسابّة. والسَّبَّاب: الكثير السَّبّ. والسُّبَّة: ما يُسَبُّ به الرجُلُ، فُعَلةٌ بمعنى مفعولة.

(١) البيان والتبيين: ٣٩٠. جمهرة الأمثال٢: ٢٠٣. البصائر والذخائر٧: ٤٠.

(٢) أي: لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة. مجمع الأمثال٢: ١٨٠.

(٣) اشارة الى قول **الإمام عليّ**ﷺ في خطبة له بعد ليلة الهرير وقد قام إليه رجل من أصحابه، فقال: نهيتنا عن الحكومة، ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟! فصفق إحدى يديه على الأخرى، ثمّ قالﷺ: «... **أنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها**»، نهج البلاغة/الخطبة١٢١.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٨١، ح٩٢٥. سنن الترمذي٣: ٢٣٨ / باب ما جاء في الشتم، ح٢٠٤٨. مسند ابن حنبل٤: ٢٥٢. صحيح ابن حبّان٧: ٢٩٢، عن المغيرة بن شعبة.

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٨٠، ح٩٢٣. صحيح البخاري٢: ١٠٨. سنن النسائي٤: ٥٣. سنن الدارمي٢: ٢٣٩/ باب في النهي عن سبِّ الأموات، عن عائشة.

والسِّبُّ: الرجُل الذي يكون مُسابّاً لمثله[١]. قال:

لا تَسُبَّنَّني فلَستَ بسِبّي   إنَّ سَبّي مِن الرجالِ الكريمُ[٢]

أي: لستَ بمعادلي ولا بمثلي في المُسابَّة، فإنّ المفاعلة تكون بين المثلين.

نهى عن سبّ الأموات؛ لأنّ أقرباءهم إذا سمعوا بذلك تأذّوا به، فوجهُ القبح فيها: إيذاء الأحياء؛ لأنّ ذلك لا يضرّ الأمواتَ ولا يتأذّون به. ثمّ قال ﷺ: «**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلى مَا قَدَّمُوا**»؛ أي: انتهوا إلى ما عملوا من خيرٍ أو شرٍّ؛ يعني إلى جزائه، يُقال: أفضى إلى كذا إذا وصل إليه[٣]، وهو في غير هذا الموضع كناية عن الجماع في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[٤] يعني: يكفيهم ما هم فيه من الوصول إلى جزاء ما عملوا.

وقالوا: إنّ الخبر ورد على سببٍ وهو أنّ عَكرَمَةَ بن أبي جهل قَدِم المدينةَ فجَعل الناسُ يقولون: هذا ابن أبي جهل! ويسبّون أباه، فشكى ذلك إلى **رسول الله** ، فقال ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ**»[٥].

---

(١) أُنظر: الصحاح١: ١٤٤. النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٣٠ (سبب).

(٢) ترتيب إصلاح المنطق: ١٩٠. السيرة النبوية٣: ٦٥٤. الدلائل في غريب الحديث١: ٢١٧، والبيت لحسّان بن ثابت.

(٣) كتاب العين٧: ٦٤ (فضو).

(٤) سورة النساء٤: ٢١.

(٥) راجع: نسب قريش ٣١١. الزهد لهناد٢: ٥٦١/ باب من كره سب الموتى. الاستيعاب٣: ١٠٨٢.

٥٩٨. لَا تَمْسَحْ يَدَكَ بِثَوْبِ مَنْ لَا تَكْسُوهُ[١].

التقدير: بثوب من لا تكسوه [الثيابَ]، إلّا أنّهم يَحذفون المفعول من الكلام كثيراً كقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾[٢] أي: بعثه الله رسولاً[٣]، هذا مَثَل[٤]. والمعنى[٥]: لا تَضُرَّ مَن لا تنفعه، ولا تنقُص من لا تزيده، ولا تُبرِ من لا تَرِيشُه، ولا تدنِّس ثوبَ من لا تكسوه وتخلع عليه، ولا تكن كمَن قيل فيه:

كفاني الله شرّك يا ابن عمّي فأمّا الخيرُ منك فقد كفاني[٦]

---

(١) مسند الشّهاب٢: ٨١، ح٩٢٧. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٧٢. مسند الطيالسي: ١١٧. مسند ابن الجعد: ٢٣٨، وفي الثلاثة الأخيرة (تملك) بدل (تكسو)، وعن أبي بكرة.

(٢) سورة الفرقان٢٥: ٤١.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن٨: ٤٥٥، سورة يس.

(٤) التمثيل والمحاضرة: ٢٨.

(٥) الضوء: ظاهر هذا الحديث أنّه يقول: لا تبتذل ثياب من لا تكسوه أنت بمسح يدك بها، وهذا مَثَل؛ أي: لا تَتسخَّر إنساناً في عملٍ مِن غير أجرةٍ تقع في مقابلة ما قاساه من حقّ العمل، فأخرجه بهذه العبارة، وهي من أفصح الكنايات، وقد رأيت من يفسّره على أنّ معناه: لا تمسَّ ثوب غيرك كما يَنظر المستحسن للشيء؛ فإنّه ربّما يَظنّ أنّك تَرغب فيه، ولعلّه لا تحتمل حاله أن يؤثرك به. وهذا كما ترى. وفائدة الحديث: النهي عن تسخُّر الناس وإيذانهم بالبيجار والسخرة، وراويه أبو بكرة انتهى. وأقول: لا ضرورة في صرفه عن ظاهره؛ فإنّا نرى بعض المتكبّرين يمسحون بعد الطعام أيديهم بثياب خدمهم قبل الغسل، وعلى تقدير كون المراد ما ذكروه ففيه إشعار بقبح هذا الفعل أيضاً. بحار الأنوار٦٣: ٣٦٦/ باب غسل اليد قبل الطعام وبعده وآدابه، ذيل ح٤٥.

(٦) الورقة: ١٣. جمهرة الأمثال١: ٤٨٥. ربيع الأبرار١: ٤٠٩، والبيت لأبي فرعون.

ويشبهه في المعنى قول بعضهم:

وقد كنتُ أرجو منكم خيرَ ناصر على حينِ خذلانِ اليمينِ شِمالَها
فإن أنتمُ لم تَحفَظوا لمودّتي ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لها[١]

٥٩٩. لَا يَرُدُّ الرَّجُلُ هَدِيَّةَ أَخِيهِ، فَإِنْ وَجَدَ فَلْيُكَافِئْهُ[٢].

نهى عن رَدّ هديّة الإخوان؛ فإنّهم يَتأذّون به، فمِن حقّها أن تقبلها ولا تردّها، فإن كانت لك مِكنةٌ واستطاعة فكافئها. وروي رفع الدال في يردّ وكسرُه، فالرفع على الخبر بمعنى النهي على معنى: ينبغي أن لا يَرُدَّ. ويجوز أن تكون الحركة ضمّاً، ومعناها النهي؛ كأنّه أتبع الضمّةَ الضمّة، كما قلنا: «رُدُّه» لأمر المخاطب. والكسر على صريح النهي، نهي المغايبة. ويجوز فيه الفتح؛ لأنّ الفتحة أخَفُّ الحركات، كما قالوا: رُدَّ. وعامِل الجزم فيه «لا» التي هي حرف النهي. والمكافأة: المقابلة، من الكُفء[٣] وهو النظير[٤].

(١) ديوان المعاني١: ١٦٢. زهر الآداب٣: ٧٤١. البصائر والذخائر٧: ١٣٠.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٨١، ح٩٢٦. مسند ابن المبارك: ١٧٣، ح٢٣٤. الزهد لهنّاد: ٢: ٤١٣، عن الحسن.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٧١٨ (كفؤ).

(٤) أُنظر: الكافي٥: ١٤١/كتاب المعيشة، باب الهدية.

٦٠٠. لَا تَرُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[١].

وفي حديثٍ آخر: «**ولو بظِلفٍ مُحْرَق**»[٢]، نهى عن رَدّ السائل وحرمانه ولو بشيءٍ قليل، والشِّقُّ: نصف الشيء[٣]، فِعل بمعنى مفعول. والشَّقُّ المصدر[٤]، كالذَّبح والذِّبح، والكَسر والكِسر. والباء تتعلّق بفعلٍ محذوف مقدوراً يدلّ عليه: لا تردّوا. وهو: بل امنحوه وأعطوه بشيءٍ ما ولو بشقّ تمر. «**ولو**» هذه للتقليل والتحقير، كما بيّنّا في نظائره.

٦٠١. لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ[٥].

الغِيبة: ذِكر الرجُل عيبَ صاحبه في غيبته بما فيه، فإن قال فيه ما

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٨٢، ح٩٢٩، عن عائشة. دعائم الإسلام١: ٢٤٣، عن **الإمام عليٍّ** .

(٢) السنن الكبرى للنسائي٢: ٤٢، ح٢٣٤٦. الموطأ٢: ٩٢٣/ باب ما جاء في المساكين، ح٨، عن حوّاء الأنصارية. جامع الأخبار: ١٣٨ /الفصل السابع والتسعون في ردِّ السائل وفيها (رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَق).

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٩١ (شقق).

(٤) كتاب العين٥: ٧ (شق).

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٨٤، ح٩٣٣. سنن أبي داود٢: ٤٥١ / باب في الغيبة، قطعة من ح٤٨٨٠. مسند ابن حنبل٤: ٤٢١، عن أبي برزة الأسلمي. الكافي٢: ٣٥٤/ كتاب الإيمان والكفر، باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم، قطعة من ح٢، عن إسحاق بن عمّار، عن الإمام الصادق، وفيه (تذمُّوا) بدل (تَغْتَابُوا).

ليس فيه فهو بهتانٌ[١]. والغَيبة المصدر مَرَّةً واحدة، والغِيبة الهيئة والكيفيّة كالجَلسة والجِلسة، والقَعدة والقِعدة، وغير ذلك. والاغتياب: افتعال منها[٢]، والمراد باتّباع العورات تتبّع زلاّتهم وما كان مستوراً من ذلك العورة التي يجب سترها[٣]. وفي حديثٍ آخر تماماً لهذا الحديث: **«فإنّ مَن اتّبع عورة أخيه، اتّبع الله عورتَه، حتّى يَفضَحه ولو وسط رحله»**[٤]. وروي **«فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»**[٥].

٦٠٢. لَا تَخْرِقَنَّ عَلى أَحَدٍ سِتْراً[٦].

هذا على سبيل التشبيه؛ أي: لا تظهر منه ما ستره الله عليه، ومعناه معنى الحديث الأوّل، أراد: استُر على عيوب الناس، ولا تُظهِرها ولا تُفشِها طمعاً في أن يَستر الله عليك.

---

(١) أُنظر: الكافي٢: ٣٥٦/ كتاب الإيمان والكفر، بَابُ الْغِيبَةِ وَالْبَهْت.

(٢) أُنظر: لسان العرب١: ٦٥٤ (غيب).

(٣) أُنظر: الكافي٢: ٣٥٤/ كتاب الإيمان والكفر، بَابُ مَنْ طَلَبَ عَثَرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَوْرَاتِهِم.

(٤) روض الجنان١٨: ٣٢، سورة الحجرات.

(٥) الكافي٢: ٣٥٥/ كتاب الإيمان والكفر، بَابُ مَنْ طَلَبَ عَثَرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَوْرَاتِهِم، ح٥ عن الإمام الصادق. صحيح ابن حبّان١٣: ٧٥/ باب الغيبة، عن ابن عمر. المعجم الكبير١١: ١٤٩، عن ابن عبّاس، عنه ، باختلاف يسير.

(٦) مسند الشِّهاب٢: ٨٤، قطعة من ح٩٣٤ عن أم الدرداء. المعجم الكبير٤: ٦. معرفة الصحابة لأبي نعيم٢: ٨٦٤، قطعة من ح٢٢٤٨، عن ابن عمر.

٦٠٣. وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً[١].

المعروف: كلّ أمر يُعرَف في الشرع أو في العرف حُسنه، وهو نقيض المُنكَر[٢]، ويُستعمل في العطاء، وصار له كالعَلَم عليه، وهو المراد في الحديث.

يعني: لا تحقِّر شيئاً من العطاء أو من أمرٍ حَسنٍ يُعرَف حسنه، وإن كان حقيراً؛ فإنّ الحسنات والسيّئات إنّما تَعظُم وتَصغُر عند الله سبحانه بالنيّة والقصد؛ ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**ولو بشقّ تمرة، ولو بظلف محرق**»، فربّما كان الشيء اليسير عندك عند الله كثيراً، وكذلك في السيّئات، قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[٣].

٦٠٤. لَا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ[٤].

أي: لا تواعد أخاك وعداً وفي عزمك الخُلف.

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٨٥، قطعة من ح٩٣٥. سنن أبي داود٢: ٢٦٦/ باب ما جاء في إسبال الإزار، قطعة من ح٤٠٨٤. مسند ابن حنبل٥: ٦٣، عن أبي جُرَيٍّ الهجيمي. صحيح مسلم٨: ٣٧، عن أبي ذرّ.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣: ٢١٦ (عرف). مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦١ (عرف).

(٣) سورة النور٢٤: ١٥.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٨٥، ح٩٣٦. سنن الترمذي٣: ٢٤٢/ باب ما جاء في المراء، قطعة من ح٢٠٦٣. الأدب المفرد: ٩٠/ باب لا تعد أخاك شيئاً فتخلفه، قطعة من ح٣٩٩. الصمت وآداب اللسان: ٨١، قطعة من ح١٢٣، عن ابن عبّاس.

وقال شيخنا: معنى الحديث النهي عن الوعد أصلاً كأنّه قال: لا تواعد أخاكَ وعداً؛ فإنّك إن وعدتَهُ أخلفتَ الوعد في الأغلب، فتوقِعُ نفسَك في الحَرَج بالخلف والكذب. وقد مضى في الوعد في أوّل الكتاب ما فيه مقنعٌ وكفايةٌ.

٦٠٥. لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ[١].

نهى عن تمنّي الموت لضرّ نزل بالإنسان، كما ترى كثيراً من الفقراء المحتاجين يقولون: ليتني مُتُّ! وليتني كنتُ في الأموات! وليت الله لم يخلقني! إلى أمثال ذلك[٢]؛ فإنّ ذلك ترك الرضا بقضاء الله وأحكامه، بل ينبغي أن يترك أمر الله إليه؛ فإنّه لا يَفعل بالعبد إلّا ما هو خيرٌ له وصَلاحٌ؛ فإنّه العالِم بعقواب الأُمور، ومن لم يوسِّع عليه في الرزق فهو مصلحةٌ له؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾[٣]، ومصالح العباد تختلف بما يعلمه الله من اختلاف أحوالهم، فمنهم من لا يصلحه إلّا الفقر، ولو استغنى، لكان الغنى

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٨٦، ح٩٣٧. صحيح مسلم٨: ٦٤. سنن الترمذي٢: ٢٢٢/ باب ما جاء في النهى، عن التمنّي للموت، ذيل ح٩٧٨. سنن ابن ماجة٢: ١٤٢٥/ باب ذكر الموت والاستعداد له، ح٤٢٦٥، عن أنس.

(٢) أُنظر: وسائل الشيعة٢: ٤٤٩/ كتاب الطهارة، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي الْإِنْسَانِ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ ... .

(٣) سورة الشورى٤٢: ٢٧.

مفسداً له، ومنهم من لا يصلحه إلّا الغِنى، ولو افتقر أفسده الفقر. وكذلك في السقم والصحّة وطول العمر وقصره إلى غير ذلك من اختلاف أحوال المكلّفين.

٦٠٦. لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَى[١].

النهي في الظاهر يتعلّق بالموت، وفي المعنى يتعلّق بإساءة الظنّ بالله، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

المعنى: أنّه ينبغي ألّا يأتيكم الموت إلّا وأنتم على حال الإسلام والاستقامة. ومثله من الكلام: لا أرَيَنَّك هاهنا ـ أي: لا تكن هاهنا ـ فأراك[٣]؛ أي: لا يأتي الموتُ لأحدِكم إلّا وحاله هذه الحالة، وهي حُسنُ الظنّ بالله. والواو للحال. وفي الحديث: «**حسن الظنّ من حسن العبادة**»[٤][٥].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٨٦، ح٩٣٨. صحيح مسلم٨: ١٦٥. سنن أبي داود٢: ٦١ / باب ما يستحبُّ من حسن الظنّ بالله عند الموت، ح٣١١٣. سنن ابن ماجة٢: ١٣٩٥ / باب التوكّل واليقين، ح٤١٦٧، عن جابر.

(٢) سورة البقرة٢: ١٣٢.

(٣) اُنظر: التبيان في تفسير القرآن٢: ٥٤٤ و٣: ٤٢٤، سورة المائدة. تفسير الطبري١: ٧٨٠، سورة البقرة.

(٤) سنن أبي داود٢: ٤٧٥/ باب في حسن الظنّ، ح٤٩٩٣. المستدرك على الصحيحين٤: ٢٥٦. مسند ابن حنبل٢: ٢٩٧، عن أبي هريرة عنه .

(٥) اُنظر: الكافي٢: ٧١/ كتاب الإيمان والكفر، بَابُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ عزّ وجلّ.

٦٠٧. لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً[(١)].

التفاعل بين القوم كما أنّ المفاعلة بين اثنين، يُقال: تَقاتَلَ القومُ وتَقابَلوا وتَقاوَلوا وتَجاولوا. نهاهم عن التحاسد، وهو أن يَحسد بعضُهم بعضاً، والحسَد: أن يَتمنّى الرجُل حال غيره يقول: ليته كان لي ولم يكن له، أو ليتني كنتُ مكانه. والغِبطة: تمنّي مثل حال الرجُل، يقول: ليتني أعطاني الله مثل ذلك[(٢)]، لذلك قيل: الغِبطة محمودة، والحسد مذموم[(٣)].

والتناجش: أن يَدخل الرجُل في سوم أخيه[(٤)] فيَزيد عليه ويَشتري المتاع[(٥)]، وأصل النَّجش: السَّوق، قال: غيرَ السُّرى وسائقٍ نَجَّاشِ[(٦)] أي سَوَّاق؛ كأنّه يسوقه عمّا يشتريه ويُزعِجه ويقوم مقامه في المبايعة[(٧)].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٨٧، ح٩٣٩. صحيح البخاري٧: ٨٩. صحيح مسلم٨: ١٠. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٤٢٠، ح١٤٤٢، عن أبي هريرة.

(٢) النهاية في غريب الحديث١: ٣٨٣. مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٤ (حسد).

(٣) التبيان في تفسير القرآن١٠: ٤٣٤، سورة الفلق.

(٤) أُنظر: وسائل الشيعة ١٧: ٤٥٨/كتاب التجارة، بَابُ الزِّيَادَةِ وَقْتَ النِّدَاءِ وَالدُّخُولِ فِي سَوْمِ الْمُسْلِمِ وَالنَّجْش. سنن البيهقي٥: ٣٤٤/ باب لا يسوم أحدكم على سوم أخيه.

(٥) كتاب العين٦: ٣٨. النهاية في غريب الحديث ٥: ٢١ (نجش).

(٦) الصحاح٣: ٩١٢ (جرس). أمالي المرتضى٣: ٨٣، والبيت الكامل لراجز:

غير السرى وسائق نجّاش   أسمَرَ مِثلَ الحيَّة الخِشاش

(٧) معجم مقاييس اللغة ٥: ٣٩٤. لسان العرب٦: ٣٥١ (نجش).

والتباغض: تفاعل من البغض، وهو كراهة الخير بالغير، وإرادة الشرّ والمضرّة به[١]؛ لأنّ الحبّ والبغض من فعلنا على المتعارف.

ومعنى التدابر: التخاذل والتقاطع[٢]. «**وكونوا ـ يا عباد الله ـ إخواناً**» في التعاون والتناصر وإرادة الخير من بعضكم لبعضٍ.

٦٠٨. وَلَا تَكُونُوا عَيَّابِينَ وَلَا مَدَّاحِينَ وَلَا طَعَّانِينَ وَلَا مُتَمَاوِتِينَ[٣].

ذكرنا أنّ الفَعّال مبالغة للفاعل، وهو لكثرة الفعل والمداومة عليه. والعيّاب: المكثِر لعيب الناس والذاكر لعيوبهم. والمدّاح عكس له وضدّه[٤]، والطعّان والعيّاب بمعنى[٥]، إلّا أنّ الطعن أشدّ من العيب، تشبيهاً بطعن الرمح. وقيل: طعن السنان أهون من طعن اللِّسان[٦]؛ لأنّ يندمل، وهذا لا يندمل[٧]. والنهي إنّما تعلّق بجميع ذلك إذا كان على

---

(١) أُنظر: لسان العرب٧: ١٢١ (بغض).

(٢) كتاب العين٨: ٣٤. كتاب الجيم١: ٢٦٧ (دبر).

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٨٧، ح٩٤٠. الزهد والرقائق لابن المبارك: ١٣٢/ باب في التواضع. تنبيه الغافلين للسمرقندي: ٤٥٢، ح٧٠١، عن مكحول.

(٤) أُنظر: كتاب العين٢: ٢٦٣ (عيب) و٣: ١٨٨ (مدح).

(٥) كتاب العين٢: ١٥. المحيط في اللغة١: ٤٠٧ (طعن).

(٦) قال **الإمام عليّ**ﷺ: «**طَعْنُ اللِّسَانِ أَمْضَى مِنْ جَرْحِ السِّنَانِ**»، وقال: «**حَدُّ السِّنَانِ يَقْطَعُ الْأَوْصَالَ، حَدُّ اللِّسَانِ يَقْطَعُ الْآجَالَ**»، عيون الحكم و المواعظ: ٣١٨، ح٥٥٥٨ و٢٣٣، ح٤٤٦٨ ـ٤٤٦٩.

(٧) طعن اللسان أنفذ من طعن السنان؛ لأنَّ الكلمة تصل إلى القلب، والطعنة تصل إلى الجلد، الأمثال للهاشمي: ١٦٠/ الرقم ٧٨١.

سبيل المبالغة؛ ألا ترى أنّه أخرجه على لفظ الفعّال. وأمّا المتماوت[(١)] فهو الذي يرى من نفسه الموت، كالمتمارض والمتناوم، يرى من نفسه المرض والنوم، وهو مِن عادة مَن يَتزيَّا بزيّ القرّاء والزهّاد، ولا يكون كذلك[(٢)].

وروي أنّ عمر بن الخطّاب رأى أحداً من هؤلاء، فعَلاه بالدِّرَّة، وقال: لا تُمِتْ علينا دينَنا أماتك الله![(٣)] وقيل: إنّه رأى رجلاً يمشي متطأطئاً، فقال له: ارفع رأسك؛ فإنّ الإسلام ليس بمريض[(٤)].

وروي: أنّ ابن عمر رأى رجلاً ساقطاً في طريق مكّة، فقال: ما لهذا الرجل؟ فقيل: إنّه سقط من خشية الله! فقال: إنّا نخشى الله ولا نسقط![(٥)]

وقيل: إنّ عائشة رأت رجلاً من هؤلاء فقالت: مَن هذا المتماوت؟ فقالوا: أحد القرّاء. فقالت: كان عمر بن الخطّاب أقرأ خلق الله! وكان إذا مشى أسرع، وإذا ضربَ أوجع، وإذا تكلّم أسمع[(٦)].

---

(١) المتماوتون: المراؤون، تهذيب اللغة١٤: ٢٤٥ (موت)، نقلاً عن ابن المبارك.

(٢) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٧٠ (موت). الفائق في غريب الحديث١: ٢٤٤ (حزق).

(٣) نثر الدرّ في المحاضرات٢: ٢٧. محاضرات الأدباء٢: ٤٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٧٠ (موت) باختلاف يسير.

(٥) الزهد لابن حنبل: ١٥٨/ الرقم١٠٧٧. فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ٢١٤/ باب القارئ يصعق عند قراءة القرآن ومن كره ذلك وعابه. تفسير الثعلبي٨: ٢٣١، سورة الزمر، باختلاف يسير.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٧٠، (موت) باختلاف يسير.

وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي: يُعجبني مِن القرّاء كُلُّ سهلٍ طلِقٍ مِضحاك؛ فأمّا من تلقاه ببشرٍ، ويلقاكَ بعُبوسٍ، فلا أكثرَ الله مثله في القرّاء![١] وقيل لعائشة: إنّ هاهنا قوماً إذا سمعوا القرآن صعقوا! فقالت: القرآن أكرم من أن يُنزَف عنه عقول الرجال[٢].

٦٠٩. لَا تُعْجَبُوا بِعَمَلِ عَامِلٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ[٣]. لَا يُعْجِبَنَّكُمْ إِسْلَامُ رَجُلٍ حَتّى تَعْلَمُوا كُنْهَ عَقْلِهِ[٤].

أي: لا يَدخلكُم عُجبٌ، يقال أعجب الرجُل بكذا يعجب به فهو مُعجبٌ به، كأنّه فُعل فيه العجب لا باختياره، ومنه قيل للمتكبّر: مُعجَب؛ لأنّه كأنّه أُعجِبَ بنفسه من حيث اعتقد في نفسه ما ليس فيها، فهو في الإفراط في ذلك كالمحمول عليه[٥].

يقول: لا يدخلكم عَجبٌ أو عُجب بعمل عامل، فتستكثروه أو تستجيدوه، حتّى تنظروا إلى خاتمة أمره، فربّما خُتم له بضدّ ما بُدئ له به،

---

(١) مداراة الناس لابن أبي الدنيا: ٦٥/ باب المداراة بطلاقة الوجه وحسن البشر، الرقم٦٧. روضة العقلاء: ٧٦. بحار الأنوار٦٤: ٣٥٧/ كتاب الإيمان والكفر، باب علامات المؤمن وصفاته.

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ٢١٤/ باب القارئ يصعق عند قراءة القرآن ومن كره ذلك وعابه. ربيع الأبرار٤: ٣٠١. جمال القراء وكمال الإقراء١: ١٩٦.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٨٧، ح٩٤١. المعجم الكبير٨: ٢٦٤، عن أبي أمامة الباهلي.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٨٨، ح٩٤٢، عن ابن عمر.

(٥) أُنظر: كتاب العين١: ٢٣٥ (عجب). الفروق في اللغة: ٢٤٣، الفرق بين العجب والكبر.

وهذا لا يدلّ على قول أصحاب الموافاة؛ لأنّه أراد علمنا بحال من نراه على ظاهر الحال ولا نعلم دِخلتهُ وبطانته واعتقاده فيما بينه وبين الله، فربّما نراه كذلك وهو منافقٌ مُراءٍ، فيَهتك الله ستره، ويُظهِر عقيدته، ويفضحه بنفاقه وريائه، وهم يقولون: يكون الرجل في أوّل عمره إلى آخره على الإيمان والصلاح عند الله تعالى، وهو تعالى يعلمه كذلك، ثمّ يرتدّ ويفسق ويموت على كفره وفسقه، فيدخل النار، وهذا إنّما يجيء على مذهب المعتزلة والقول بالاحباط والتكفير، وقد علمنا بطلانه بالأدلّة القاهرة.

وقوله: «**كُنْهَ عَقْلِهِ**» أي مقدار عقله، تقول: عندي شوقٌ لا يكتنهه وصفٌ؛ أي: لا يَبلغ مقدارَه وصفٌ[1]. أراد: ربما حملُه على ما نرى منه من صلاح الزيّ وإظهار الصلاح وحسن الإسلام نوعٌ من السوداء ولو غرض آخر من الأغراض؛ فإنّ حسن الإسلام وصحّة الإيمان لا يصدران إلّا عن عقلٍ كامل.

٦١٠. لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ[2].

قيل فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تجعلوا ذكري والصلاة عَليَّ في آخر دعواتكم وعند فراغكم

---

(١) أُنظر: كتاب العين٣: ٣٨٠ (كنه).

(٢) مسند الشّهاب٢: ٨٩، ح٩٤٤. المصنَّف لعبد الرزّاق٢: ٢١٦، ح٣١١٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد: ٣٤٠، ح١١٣٢، عن جابر بن عبد الله. الكافي٢: ٤٩٢ / كتاب الدعاء، باب الصلاة على النبيّ محمّد وأهل بيته ، قطعة من ح٥، عن ابن القداح، عن الإمام الصادق.

من حوائجكم وسؤالها، فتجعلوني كالعلاوة لذلك، كما أنّ الراكب إنّما يَحمل قدحَهُ في آخر أحماله[١]، وعلى هذا قول حسّان:

وأنتَ دَعِيٌّ نيطَ في آلِ هاشم كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفرد[٢]

والوجه الآخر: أنّه أراد: لا تجعلوني وذكري والصلاة عليَّ عند الحاجة كما لا يستعمل القدح إلّا في وقت الحاجة إليه للشرب[٣].

والثالث: لا تجعلوني مبتذلاً مستخفّاً بي كما يُفعل بالقدح؛ يُلقى في كلّ موضعٍ، ويُطرح بكلّ مكانٍ، ولا يكون عند صاحبه كبعض الأعلاق النفيسة.

٦١١. لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُومَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ[٤].

هذه اللفظة نهي المغايبة، والمعنى: ينبغي أن لا يَمنع الرجلَ الذي علم الحقّ وعرفه، أن يَقوم به ويُظهِره ويَعمل به ويأمر به

(١) أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٠ (قدح).

(٢) تفسير الثعلبي١٠: ١٣. مجاز القرآن٢: ٢٦٥. التبيان في تفسير القرآن١٠: ٧٧، وفيهما (زنيم) بدل (دعيّ).

(٣) قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوني كقدح الراكب، إنّ الراكب يملأ قدحه ماءً ثمّ يضعه، ثمّ يأخذ في معاليقه، حتّى إذا فرغ جاء إلى القدح، فإن كان له حاجة في الشراب شرب وإن لم يكن له حاجة في الشراب توضّأ، فإن لم يكن له حاجة في الوضوء إهرقه؛ ولكن اجعلوني في أوّل الدعاء وفي آخر الدعاء»**، شعب الإيمان٢: ٢١٦/ الخامس عشر من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم النبيّ وإجلاله وتوقيره، ح١٥٧٨، عن جابر.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٨٩، ح٩٤٥. مسند ابن حنبل٣: ٧١. مسند أبي يعلى٢: ٣٥٣، قطعة من ح١١٠١. مسند الطيالسي: ٢٨٦، عن أبي سعيد.

خوفُ الناس والهيبة منهم، والمراد بالقيام به إظهاره، من قولهم: «**قام الحقُّ**» إذا ظهر[١]، و«**قام السوق**» إذا استوى[٢]، و«**قامت الحرب**» إذا ظهرت واشتدّت[٣]. والباء للتعدية في قوله «**بالحقّ**»، وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشرائط وجوبهما ما ذكرناه من تجويز تأثيره وعلمه أنّه لا يؤدّي إلى فسادٍ وضررٍ عليه ولا على أحدٍ من المسلمين، فيكون متمكِّناً منه، فعند ذلك يجب عليه أن يقوم به ويقعد ويفعل ويصنع[٤].

٦١٢. لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ[٥].

عن مسروق قال: قال إبليس: ثلاث أُباشرهنّ بنفسي؛ لا أكِلْهنَّ إلى شيطان غيري: إذا خلا رجلٌ بامرأة دعا كلّ إرب منها إرباً منه ـ أي كلّ عضوٍ منها عضواً منه، ومنه قولهم: قطعوه إرباً إرباً[٦] ـ ولا يكون حكم بين

---

(١) غريب القرآن للسجستاني: ٦١.

(٢) الصحاح٥: ٢٠١٦ (قوم). معاني القرآن للنحاس١: ٨٣.

(٣) الصحاح٤: ١٤٩٩ (سوق). مفردات ألفاظ القرآن: ٧١٢ (كشف).

(٤) أُنظر: وسائل الشيعة١٦: ١٢٦/ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يلحق به، باب اشتراط الوجوب بالعلم بالمعروف والمنكر وتجويز التأثير والأمن من الضرر.

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٩٠، ح٩٤٦. سنن الترمذي٣: ٣١٥/ باب في لزوم الجماعة، قطعة من ح٢٢٥٤. مسند ابن حنبل١: ٢٦. مسند الحميدي: ٢٠، ح٣٢، عن عمر بن الخطّاب.

(٦) أُنظر: تفسير القمي٢: ٢٥٨، سورة غافر.

اثنين إلّا كان صَغوي[1] مع الظالم حتَّى استزلّ الحاكم، ولا يكون بين اثنين شيء إلّا دخلتُ في منخريهما. قال الله تعالى له: فوعزّتي وجلالي لا يَفعل ذلك منهم أحدٌ ثمّ يستغفرني إلّا غفرت له. قال: فرَنَّ إبليس رنّةً وقال: ما صنعتَ بي بعد اللعن شيئاً أشدَّ من هذا![2]

وقال بكر بن خنيس: لمّا خُلقت المرأة نظر إليها إبليس فقال: أنتِ سؤلي، وموضع سرّي، ونصف جندي، وسهمي الذي أَرمي به فلا أُخطئ[3]، وإذا خاصمَتِ المرأةُ زوجَها في البيت، قام في كلّ زاويةٍ من زوايا البيت شيطانٌ يصفّق ويقول: فَرَّحَ الله مَن فرّحني! حتّى إذا اصطلحا خرجوا عُمياً يتعادون يقولون: أذهب الله نورَ مَن ذهب بنورنا[4].

قال خالد بن معدان: إنّ عرش الرحمن ليَهتزّ عند افتراق الزوجين[5].

(١) الصَّغو: المَيل. وصغا يَصغو صَغواً: مالَ. جمهرة اللغة ٢: ٨٩٠ (صغو).

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «**لما خلقت المرأة، قال لها إبليس: أنت نصف جندي، وأنت موضع سرِّي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، فتحفظ ــ رحمك الله ــ انت سهام الشيطان**»، بحر الدموع: ١١٨. أُنظر: مكائد الشيطان: ٥٩/ الرقم٣٧. نوادر الأصول٣: ٢٢.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «**المرأة وزوجها إذا اختصما في البيت يكون في كلّ زاويةٍ شيطان يصفّق يقول: فرَّح الله من فرَّحني! حتّى إذا اصطلحوا خرج أعمى يقاد، يقول: أذهب الله مَن ذهب بنوري! أحبّ اليوم إنّي أخذت نصيبي من هذا البيت**» الفردوس٢: ٢٣٧، ح٦٧١٢، عن أنس بن مالك.

(٥) قال رسول الله ﷺ: «**تزوّجوا ولا تطلّقوا؛ فإنّ الطلاق يهتزّ منه العرش**»، مجمع البيان١٠: ٣٩. تفسير الثعلبي٩: ٣٣٣، سورة الطلاق. عوالي اللئالي٢: ١٣٩، ح٣٨٧، عن عليّ.

وقيل: إنّ فرحة إبليس إذا فرّق بين المتحابّين كفرحته حين أخرَجَ آدمَ من الجنّة[١].

٦١٣. لَا تُرْضِيَنَّ أَحَداً بِسَخَطِ اللهِ، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَداً عَلى فَضْلِ اللهِ، وَلَا تَذُمَّنَّ أَحَداً عَلى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ؛ فَإِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهَةُ كَارِهٍ[٢].

أي: لا تطع أحداً في معصية الله؛ إذ تبيّنَ لك أن «**لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق**»، وتبيّن أنّ «**من التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس**»، ولا تحمد أحداً على فضل الله، كحمدك الرجل على حسنه وجماله وشجاعته وقوّته؛ لئلاّ تكون كمَن قيل فيه[٣]: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾[٤]، ولا تذمّنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله؛ فإنّ ذلك من باب الحسد، و«**الحسود لا يسود**»[٥]، ثمّ بيّن ذلك بأحسن بيان فقال: فإنّ

---

(١) مساوئ الأخلاق للخرائطي: ١١٤/ الرقم ٢٢٧.

(٢) مسند الشِّهاب ٢: ٩١، ح٩٤٧. المعجم الكبير ١٠: ٢١٦، ح١٠٥١٤. الزهد لهنّاد ١: ٣٠٤، ح٥٣٥، عن ابن مسعود والأخير. المحاسن ١: ١٦، كتاب الاشكال والقرائن، قطعة من ح٤٧، عن السَّرِيّ بن خالد، عن الإمام الصادق، باختلاف يسير.

(٣) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ٣: ٧٦. تفسير الطبري ٤: ٢٣٧، سورة آل عمران.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٨٨.

(٥) عيون الحكم و المواعظ: ٢٩، ح٤٥٠.

الرزق المقسوم لا يأتيك بحرصك، ولا ينصرف عن غيرك بكراهتك؛ بل ذلك بقضاء الله وقدره، وقضاؤه وقدره بعلمه وحكمته؛ فإنّه حكيمٌ عادلٌ، يضع الأشياء مواضعها، و إذا وجدت شيئاً بخلاف هذا، فاحمله على جهلك بوجه الحكمة فيه من إيلام الأطفال وتخلية الظالمين[1]؛ فإنّ الدُّنيا دار تخلية وتمكين وتخيير، والآخرة دار جزاءٍ من ثوابٍ أو عقاب؛ لئلاّ يصير المكلَّف فيها مُلجَأً، فلا يَستحقّ على فعله جزاءً؛ بل خُيِّر فاختار؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

٦١٤. لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظاً، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضَ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضَ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَيَجْتَرِئَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَاللَّئِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ[3].

هذه الأُمور جعَلَها من أعلام الساعة. القيام بمعنى الظهور كما ذكرنا.

(١) السبب في إيلام الأطفال وخلق الهوامّ والمسمومات من الحشائش والأحجار ونحو ذلك، مما لا يحيط أحد بمعرفة معناه، ولا يعلم السبب الذي اقتضاه؛ فإنّ الواجب أن نردّ ذلك إلى أصله، ونقول: إنّ جميعه فعلُ مَن ثَبتَ الدليل على حكمته وعدله وتنزّهه عن العيب في شيء من فعله. وليس عدم علمنا بأسباب هذه الأفعال ـ مع اعتقادنا في الجملة أنّها مطابقة للحكمة والصلاح ـ بضارّ لنا ولا قادح في صحّة أصولنا؛ لأنّا لم نكلَّف أكثر من العلم بالأصل، وفي هذا كفاية لمن كان له عقل. كنز الفوائد١: ٣٦٩.

(٢) سورة الأنفال٨: ٤٢.

(٣) مسند الشِّهاب٢: ٩٢ ، ح٩٤٩. المعجم الأوسط٦: ٢٨٥، عن عائشة باختلاف يسير.

والساعة: القيامة؛ سمّاها بذلك لقربها ودنوّها منّا[١]، كأنّ سائلاً سأل وقال: متى تكون؟ فقال على طريق المبالغة في التقريب: «**الساعة**»؛ أي الوقت الذي أنت فيه؛ حتّى يكون الولد غيظاً لأبويه، لا يفعل ولا يقول إلّا ما غاظ أبويه، وصيّرهما إلى الغيظ والحقد. والمطر يأتي بالصيف في وقتٍ يضرّ ولا ينفع. وتَكثر اللئامُ وخِساس الناس حتّى يَفيضوا كفيض المطر والسيل، وتقلّ الكرام وتنقصوا نقصاناً ظاهراً، وغاضَ الماءُ إذا نقص، وهو لازمٌ ومتعدٍّ[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾[٣]، وكذلك نقص، تقول: نَقَصَ الشيء ونَقَصتُه أنا[٤]. «**ويجترئ الصغير على الكبير**» فلا يحترمه، وكذلك اللئيم على الكريم.

٦١٥. لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا[٥].

روي عن أبي موسى[٦] أنّه قال: أقلبتُ إلى رسول الله، ومعي رجلان من

---

(١) أُنظر: تفسير القرطبي١٧: ١٢٢، سورة النجم.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٠١. مفردات الفاظ القرآن: ٦١٩ (غيض).

(٣) سورة هود١١: ٤٤.

(٤) العين٥: ٦٥ (نقص).

(٥) مسند الشِّهاب٢: ٩١، ح٩٤٨. صحيح البخاري٧: ٢٤٠. صحيح مسلم٥: ٨٦. سنن أبي داود٢: ١٣/ باب ما جاء في طلب الإمارة، ح٢٩٢٩ ، عن عبد الرحمن بن سمرة.

(٦) أبو موسى الأشعري اسمه عبدالله بن قيس، سنن الترمذي٤: ٨١. الغارات٢: ٣٨٦.

الأشعريّين؛ أحدهما عن يميني، والآخر عن شمالي، فسألا رسول الله عملاً ـ قال: ـ وكان رسول الله يَستاك، فنظر إليّ وقال ﷺ: **«ما تقول يا عبدالله بن قيس؟»** قلت: يا رسول الله، ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنّهما يطلبان العمل! فأخذ السواك عن فمه وقال: **«إنّا لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب ــ يا عبدالله بن قيس ــ إلى اليمن»** وأتبَعَني معاذاً[1]، وقال: **«لا تسأل الإمارة»** الخبر؛ وذلك لأنّك لا تعلم صلاح نفسك، فإذا أُمرت بعملٍ من الأعمال من غير اختيارك له ورغبتك فيه، كنت كالمدفوع إليه، فأُعِنتَ عليه ووُفِّقت فيه، وإذا سألته واخترته من غير استخارة، وُكِلتَ إليه، وخُلِّيَ بينك وبينه.

٦١٦. لَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ بَعْدَ مَشْوَرَةٍ[2].

لأنّه أُمِرَ في الأُمور بالمشورة، فإذا فَعل ما أُمر به، فلا يكون عليه شيء بعد ذلك، والتوفيق من الله.

---

(١) صحيح البخاري٨: ٥٠/باب حكم المرتدِّ والمرتدَّة واستتابتهم. صحيح مسلم٦: ٦/باب النهي، عن طلب الإمارة والحرص عليها. مسند ابن حنبل٤: ٤٠٩، باختلاف يسير.

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٩٢، ح٩٥٠. المصنَّف لابن أبي شيبة٦: ١٠٢، قطعة من ح٣. الزهد لهنّاد ٢: ٥٩٠. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف١١: ٣٠٨، قطعة من ح٦٦٨٠، عن سعيد بن المسيَّب.

٦١٧. لَنْ تَهْلِكَ الرَّعِيَّةُ . وإِنْ كَانَتْ ظَالِمَةً مُسِيئَةً . إِذَا كَانَتِ الْوُلَاةُ هَادِيَةً مَهْدِيَّةً[١].

أراد بالولاة أئمّة العدل؛ وذلك أنّ النظر إلى الوالي والرعيّة تابعة له، فلا اعتبار بهم إذا كانت الولاة صالحةً مُصلِحةً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]؛ أي إمام عَدلٍ[٣]، وكان ذلك في بدء الأمر، والمهديُّ يكون في آخرهم[٤] من قوله ﷺ: **«المهديُّ من عترتي من ولد فاطمةَ، يَملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً»**[٥]، على ما مضى.

قال الشاعر:

تَلقَى الأمانَ على حِياضِ محمَّدٍ ... ثَــولاءُ مُخرِفَــةٌ وذِئــبٌ أطلَــسُ

لا ذي تَخــافُ ولا لــذلكَ جُــرأةٌ ... تُهدَى الرعيَّةُ ما استَقامَ الرَّيِّسُ[٦]

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٩٣، قطعة من ح٩٥١. العقوبات لابن أبي الدنيا: ٥١، قطعة من ح٥٤، عن ابن عمر.

(٢) سورة الرعد١٣: ٧.

(٣) قال الإمام عليّ : **«رسول الله المنذر، وأنا الهادي»**، المستدرك على الصحيحين٣: ١٢٩. الطبري بإسناده عن ابن عبّاس، قال: لمـّا نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع يده على صدره، فقال ﷺ: (**أنا المنذر، ولكلّ قوم هاد**)، وأومأ بيده إلى منكب **عليّ**، فقال: **«أنت الهادي يا عليُّ، بك يهتدي المهتدون بعدي»**، تفسير الطبري١٣: ١٤٢، سورة الرعد.

(٤) أُنظر: الكافي١: ١٩١/باب أنّ الأئمّة هم الهداة.

(٥) الغيبة للطوسي: ١٨٠. شرح الأخبار٣: ٣٩٥، ح١٢٧٤. سنن أبي داود٢: ٣١٠/ كتاب المهديّ، ح٤٢٨٤، عن أمّ سلمة باختلاف يسير.

(٦) الصحاح٣: ٩٣٢ (رأس). حياة الحيوان الكبرى١: ٤٦، والبيت لكميت.

فَصْلٌ

[في الأحاديث المشتملة على التّحذير]

٦١٨. إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ[١].

«**إيّاكَ**» ضميرٌ منصوب منفصل، وموضوعه أن يراد به المخاطب دون غيره نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]؛ أي: نعبدك لا نعبد سواك، ولا نستعين غيرك، والعامل فيه مقدَّر لازم الحذف، كأنّ المعنى: إيّاك أعني، وإيّاك أُخاطب، وأخصّك بهذا الخطاب؛ ليعلم أنّه مهمّ ليس ممّا يسوغ إهماله والعدول عنه. والمعنى: اتَّقِ نفْسَك ـ أو نَحِّ نفسَك ـ عمّا يعتذر منه، أو نَحِّ الشيءَ المعتذر منه عن نفسك. و«**ما**» يجوز أن تكون موصولةً؛ أي: إيّاك والشيء الّذى يُعتذر منه. أو نكرة موصوفة،

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٩٣، قطعة من ح٩٥٢. المعجم الأوسط٤: ٣٥٨، عن عمر. الأمالي للمفيد: ١٨٣، قطعة من ح٦، عن عليّ بن النعمان، عن الإمام السَّجاد.

(٢) سورة الفاتحة١: ٥.

والتقدير: إيّاكَ وكلّ شيءٍ يعتذر منه، كأنّه يحذِّر جميعَ الذنوب صغيرها وكبيرها؛ فإنّ الاعتذار والتوبة يجب منها كلّها.

٦١٩. إِيَّاكُمْ وَالْمَدْحَ؛ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ[١].

قيل: إنّ شاعراً أنشد مديحاً لأحد بحضور بعض الصحابة، فأفرط فيه، فقال له: إيهاً فقد ذبحته! فقال له الحاضرون: كيف ذبحه؟ قال: أما سمعتم قول **النبيّ**ﷺ: «**إيّاكم والمدح؛ فإنّه الذبح**»[٢]؟ ويمكن أن نقول: إنّما قاله لأنّ الممدوح إذا سمع ما يُمدَح به دَخَلَتْهُ من ذلك نخوةٌ وجبريّة، وأُعجِبَ بنفسه وافتَتَنَ به، فيكون ذلك سبب هلاكه في دينه، فشبّهه لأجل ذلك بالذبح[٣].

٦٢٠. إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِباً[٤].

لأجل ذلك قلنا: إنّ جميع المعاصي كبائرُ؛ من حيثُ إنّها مخالفة لله

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٩٤، ح٩٥٣. سنن ابن ماجة٢: ١٢٣٢/ باب المدح، ح٣٧٤٣. مسند ابن حنبل٤: ٩٢، وفيهما (التمادح) بدل (المدح). تهذيب الآثار (مسند عمر) ١: ٨٣، ح١٣٦، عن معاوية.

(٢) شعب الإيمان ٤: ٢٢٦، ح ٤٨٧٠.

(٣) قال **الإمام عليّ**ؑ: «**مَنْ مَدَحَكَ فَقَدْ ذَبَحَك**»، عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٩، ح٧٣١٠.

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٩٥، ح٩٥٥. سنن الدارمي٢: ٣٠٣/ باب في المحقَّرات. مسند ابن حنبل٦: ٧٠، عن عائشة. الكافي٢: ٢٧٠/ كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب، قطعة من ح١٠، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر.

في أمره ونهيه[١]، وإنّما يصير الذنب صغيراً أو كبيراً بالإضافة، فيجوز في الذنب الواحد أن يكون صغيراً كبيراً على ما بيّنّا، بخلاف ما ذَهَبتْ إليه المعتزلة من أنّ الصغائر تُحبَط وتُكفَّر لاجتناب الكبائر[٢]؛ لأنّها لو أُحبطت لما كان لها من الله طالب، فالحديث يدلّ على بطلان ما ذهبوا إليه من الإحباط والتكفير[٣].

٦٢١. إِيَّاكَ وَمُشَارَّةَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا تُظْهِرُ الْعُرَّةَ، وَتَدْفِنُ الْغُرَّةَ[٤].

المُشارَّة: مفاعلة من الشرّ الذي هو ضدّ الخير، ووَجدتُ بعض المتقدّمين من أهل العلم قال: المشارَّة من شَرى الرجُلُ بكذا واستَشرى[٥]. ووهم فيه وغَلَطَ غلطاً فاحشاً! وذلك أنّ المشارّة والشرّ من باب المضاعف، وشرى من باب الناقص الذي لامه ياء، ويحرم على من لا يَعرف هذا القدر من اللغة والتصريف أن يَتعاطى تفسير حديث

---

(١) كما روى عن إبن عباس وغيره. أُنظر: جوامع الجامع ١: ٢٥٣. التفسير الكبير ١٠: ٥٩.

(٢) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن ١: ١٥٩.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة ١٥: ٣١٠/ كتاب الجهاد، بَابُ وُجُوبِ اجْتِنَابِ الْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوب.

(٤) مسند الشِّهاب ٢: ٩٥، ح٩٥٦ عن أبي هريرة. الأمالي للطوسي: ٤٨٢، ح٢١، عن الحسن ابن بنت إلياس، عن الإمام الرضا، عن آبائه .

(٥) الْمُشَارَاةُ: الملاجّة. وقد شَرِيَ واسْتَشْرى إذا لجّ فى الأمر. النهاية في غريب الحديث ٢: ٤٦٨ (شري).

رسول الله ﷺ؛ بل أراد الإساءة إلى الناس وإيصال الشرّ والضرّ إليهم، وإنّما قال بلفظ «**المشارّة**» لأنّه نهيٌ لكلّ واحدٍ من المشارّين.

والعُرّة: العيب، وأصلها ذَرْقُ الطير، يُقال: «**عَرَّه بكذا**» إذا لطخه به[1]. ومَن ظَنَّ أنّها من العار فقد وهم أيضاً؛ لأنّ هذا من المضاعف، وذاك من الأجوف. والغُرَّة أصلها: بياض جبهة الفَرَس، يُقال: فَرَسٌ أغَرُّ[2]. وتُستعمل في الحسن وفي خيار الشيء، يُقال: «**هذا غُرَّةُ ماله**»؛ يعني خيره وأوّله[3].

وفي خبرٍ آخر: «**لا تُجارِ أَخاك، ولا تُشَارِه**»[4]؛ أي لا تطاوله ولا تغالبه، فِعلَ المجاري في السباق. والمشاراة: المُلاجَّة. ورُوِيا مشدَّدَين. وقيل: المجارَّة من الجرير. وقيل: المماطلة وأن يَلوي بحقّه وتَجُرَّه من وقتٍ إلى وقت[5].

وقيل: إنّ أبا الأسود الدؤلي لقي ابنَ صَديقٍ له فقال له: ما فعل أبوك؟ فقال: أخذَتْه الحُمَّى، ففَضَختْه فضخاً[6]، وطبختْه طبخاً، ورضختْه

---

(١) كتاب العين١: ٨٥. المحيط في اللغة١: ٩١ (عر).

(٢) الصحاح٢: ٧٦٧ (غرر).

(٣) أُنظر: فقه اللغة: ٤٧. تهذيب اللغة٨: ١٥ (غرر).

(٤) الصمت وآداب اللسان: ٨٧، ح ١٤٣، عن حريث بن عمرو. حلية الأولياء ٥: ١٣٦، عن معاذ بن جبل باختلاف يسير، عنه .

(٥) الفائق في غريب الحديث١: ١٧٧. النهاية في غريب الحديث ١: ٢٥٨ (جرر).

(٦) الفَضْخ: كسرُ كلّ شيء أجوف. المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٤٤ (فضخ).

رضخاً[١]، وتركتْه فرخاً! فقال أبو الأسود: ما فَعَلَت امرأتُه التي كانت تُضادُّه وتُغارُّه وتُشارُّه وتزارُّه؟ قال: طلَّقها وتزوَّجَ غيرها فحَظيتْ وبظيت ورضيت. فقال أبو الأسود: ما معنى بظيت؟ قال: هي حرفٌ من اللغة لم ندرِ من أيّ بيضٍ خرج؟ وفي أيّ عشٍّ درج؟ فقال: يا ابن أخ، لا خير لك فيما لم أدرِ[٢].

وروي: امرأتُه التي كانت تُزارُّه وتُمارُّه وتشارُّه وتهارّه. والمزارَّة من الزرّ، وهو العضُّ. وحمار مِزَرٌّ[٣]. والممارّة: أن تَلتوي عليه وتخالفه، من أمَّرَ الحبلَ إذا أحكم فتلَه[٤]. والمهارَّة: أن تَهِرَّ في وجهه، من هَرير الكلب[٥]. و(بظيتْ) اتباعٌ لحظيتْ[٦].

وحَكى الأصمعيُّ عن قومٍ من العرب إفرادَه وأنّهم يقولون إنّه لبظّاً، وقال شيخنا الزمخشري: يمكن أن يقال في بَظِيت: إنّه وصفٌ لها بحسن الحال في بدنها ونعمتها، من قولهم: (لحمة حَظٍ بَظٍ) لغة في (حَظاً بَظاً) كما قالوا: دَوٍ و دَوًى، وأرضٌ عَذِيَةٌ وعَذاة[٧].

(١) الرَّضْح: كسر الشي اليابس، وإعطاء المال. المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٤١ (رضخ).

(٢) الفائق في غريب الحديث٢: ٨١ (زرر). البيان والتبين: ١٩٨، باختلاف يسير.

(٣) أي: كثير العضِ. النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٠١ (زرر).

(٤) الفائق في غريب الحديث٢: ٨١ (زرر).

(٥) النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٥٨ (هرر). الفائق في غريب الحديث٢: ٨١ (زرر).

(٦) لأنّه ليس في الكلام ب ظ ي. لسان العرب١٤: ٧٤ (بظا).

(٧) الفائق في غريب الحديث٢: ٨١ (زرر).

٦٢٢. إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ[١].

قيل: يا رسول الله، وما خضر الدِّمَن؟ قال ﷺ: «**الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي مَنْبِتِ السَّوْءِ**».

والدِّمن: جمع دِمْنة وهي التراب[٢] والرِّماد والكناسة والسَّماد[٣]، وفيها أنواع من الحبّات، فيأتي عليها المطر، فينبت نباتاً خضراً حسناً، فظاهره أنيق، وباطنه غير طيّب ولا طاهر. فشَبَّهَ المرأةَ الحسناء غير ذات العفاف، بالخضرة النابتة على الدِّمنة، فنهَى النبيُّ الناس عن نكاحها والرغبة فيها لجمالها؛ من حيث إنّه يَطمع بها كلّ أحدٍ إذا كان منبتها على جادّة الطريق.

٦٢٣. إِيَّاكُمْ وَالدَّيْنَ؛ فَإِنَّهُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ[٤].

يَنصح لنا، ويحذِّرنا الدَّين، وينبّهنا على آفته، ويقول: إنّه هَمٌّ بالليل ـ يَمنع صاحبَه النومَ ـ ومذلّةٌ بالنهار، يُخاطِب بمخاطبات السوء، ويَرفع إلى القضاة والحكّام، ويَحبس فيه، ويَمنع من منافع الدِّين والدنيا[٥].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٩٦، قطعة من ح٩٥٧، عن أبي سعيد الخدري. الكافي٥: ٣٣٢ / كتاب النكاح، اختيار الزوجة، قطعة من ح٤، عن السكوني. معاني الأخبار: ٣١٦، قطعة من ح١، عن محمّد بن أبي طلحة الصيرفي، عن الإمام الصادق.

(٢) الصحاح٥: ٢١١٤. النهاية في غريب الحديث ٨: ٥٤ (دمن).

(٣) السَّماد: السرجين والرماد والتراب القويُّ يسمَّد به النبات. والسامد: القائم. كتاب العين ٧: ٢٣٤. الصحاح ٢: ٤٨٩ (سمد).

(٤) مسند الشِّهاب٢: ٩٦، ح٩٥٨، عن أنس بن مالك. علل الشرايع٢: ٥٢٧، ح١، عن السكوني، عن الإمام الصادق، عن أبيه .

(٥) أُنظر: وسائل الشيعة ١٨: ٣١٥/كِتَابُ التِّجَارَة، بَابُ كَرَاهِيَتِهِ مَعَ الْغِنَى عَنْه.

٦٢٤. إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ[١].

قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[٣].

وقيل في المَثَل: الظنُّ يُخطئ ويُصيب، وأكثره يُخطئ[٤]. وقد حَدَّه المتكلِّمون بأن قالوا: الظنّ ما يقوِّي عند الظانّ كونَ المظنون على ما ظنّه، مع تجويز أن يكون على خلافه[٥]، وليس في هذا بيانٌ وشفاء؛ وذلك لأنّ الشيء إنّما يُحَدُّ ليتميّز بالحدّ عن غيره، فإذا قال: (الظنُّ ما قوي عند الظانّ)، فقيل له: مَن الظانّ؟ قال: فاعل الظنّ. و إذا قال: (كونَ المظنون)، قيل له: ما المظنون؟ قال: ما تَعَلَّقَ به الظنُّ. فقيل له: سألتُ عن الظنّ ففَسَّرتَه بالظانّ والمظنون، وفسّرتهما بالظنّ، فهو إذاً تحديد الشيء بنفسه! فالصحيح في حدّ الظنّ أن يقال: هو تَرجُّحُ أحد طرفَيِ التجويز بالقلب[٦].

---

(١) مسند الشِّهاب٢: ٩٧، ح٩٥٩. صحيح البخاري٦: ١٣٦. صحيح مسلم٨: ١٠. سنن أبي داود٢: ٤٦٠ / باب في الظنّ، ح٤٩١٧، عن أبي هريرة.

(٢) سورة الحجرات ٤٩: ١٢.

(٣) سورة النجم ٥٣: ٢٨.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «**إنّما أنا بشر مثلكم، وإنّ الظنّ يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم: قال الله فلن أكذب على الله**»، سنن ابن ماجة٢: ٨٢٥/ باب تلقيح النخل، قطعة من ح٢٤٧٠. أُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٢٨ (كهن).

(٥) أُنظر: وسائل الشيعة ١٨: ٣١٥/كِتَابُ التِّجَارَة، بَابُ كَرَاهِيَتِهِ مَعَ الْغِنَى عَنْه.

(٦) رسائل الشريف المرتضى٢: ٢٧٦. معارج الأصول: ٤٨. المعتمد في أصول الفقه١: ٦.

قوله «**بالقلب**» ممّا استدركه بعض المتأخِّرين، ونعم ما استدركه؛ لئلّا ينتقض ترجُّح أحد طرفي التجويز بالقول على ما تعمّده الفقهاء في المناظرة؛ فإنّ القويّ إذا ذكر مقامَه، وناظَرَ خصمَه، فرجّح قوله ذلك على مذهب خصمه بإظهار الأمارات له، فيحصل لقوله ومذهبه ترجيحاً، ولا يسمَّى ظنّاً.

وأراد بأكذب الحديث حديث النفس الذي لصاحب الظنّ في أكثر الأحوال، وجَعَلَه حديثاً لمصاحبته له[١].

٦٢٥. إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِراً[٢].

يحذّرنا دعوةَ المظلوم، فقال: احذروا دعوة المظلوم[٣]؛ فإنّه ـ وإن كان كافراً ـ يدعو على من ظلمه من قلبٍ حَرِقٍ. وقال في حديث آخر: «**وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورهُ عَلَى نَفْسِه**»[٤].

---

(١) أراد الشكّ يعرض لك في الشيء فتحقّقه وتحكم به، وقيل: أراد: إيّاكم وسوء الظَّنّ وتحقيقه، دون مبادي الظُّنُون التي لا تملك وخواطر القلوب التي لا تدفع. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٦٢ (ظنن).

(٢) مسند الشِّهاب٢: ٩٧، قطعة من ح٩٦٠. الكنى والأسماء لأبي بشر٢: ٨٧٥، ح١٥٣٦، عن أنس بن مالك. المصنَّف لابن أبي شيبة٧: ٥٨، ح٢، عن معاذ بن جبل. الكافي٢: ٥٠٩/ كتاب الدعاء، باب من تستجاب دعوته، ح٣، عن السكوني، عن **الإمام الصادق** وليس فيهما ذيله.

(٣) أُنظر: وسائل الشيعة٧: ١٢٨/كِتَابُ الصلاة، باب وجوب توقّي دعوة المظلوم ... .

(٤) مسند ابن حنبل٢: ٣٦٧. المعجم الأوسط٢: ٤١. الأمالي للطوسي: ٣١٠، ح٦٢٨، عن أبي هريرة باختلاف يسير.

فهرس المطالب

الباب الثاني

[في الأحاديث المصدّرة بمَن الشرطيّة أو الموصولة]

اَلْبَابُ الثَّالِثُ

[في الأحاديث غير الداخلة تحت قاعدة كليّة مثل الشرط، والنفي، والطلب ونحوها]

الْبَابُ الرَّابِعُ

[في الأحاديث المصدّرة بالأمر]

اَلْبَابُ الْخَامِسُ

[في الأحاديث المصدّرة بـ(ما) النّافية]

اَلْبَابُ السَّادِسُ

[في الأحاديث المصدّرة بـ(لا) النافية الداخلة على الأسماء والأفعال، و(لا) الناهية]

فَصْلٌ

[في الأحاديث المشتملة على التّحذير]